المؤلف: إسماعيل حامد إسماعيل علي

كتاب : قَبيلةُ جُهَينة ودَورُها الحَضاري في مصر وسُودَان وادي النيل منذ القَرن الثالث وحتى القَرن التاسع الهجري

رقم الكتاب:VR 336 44 . B

الطبعة :الأولى

الناشر :

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية.

برلين _ألمانيا

المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية

:Germany

Berlin 10315 Gensinger Str: 112

Tel: 0049-Code Germany

54884375 -030

91499898 -030

86450098 -030

mobiltelefon : 00491742783717

E-mail: info@democraticac.de

P.hD candidate: Ammar Sharaan

Chairman " Democratic German Center

قَبيلةُ جُهَينة

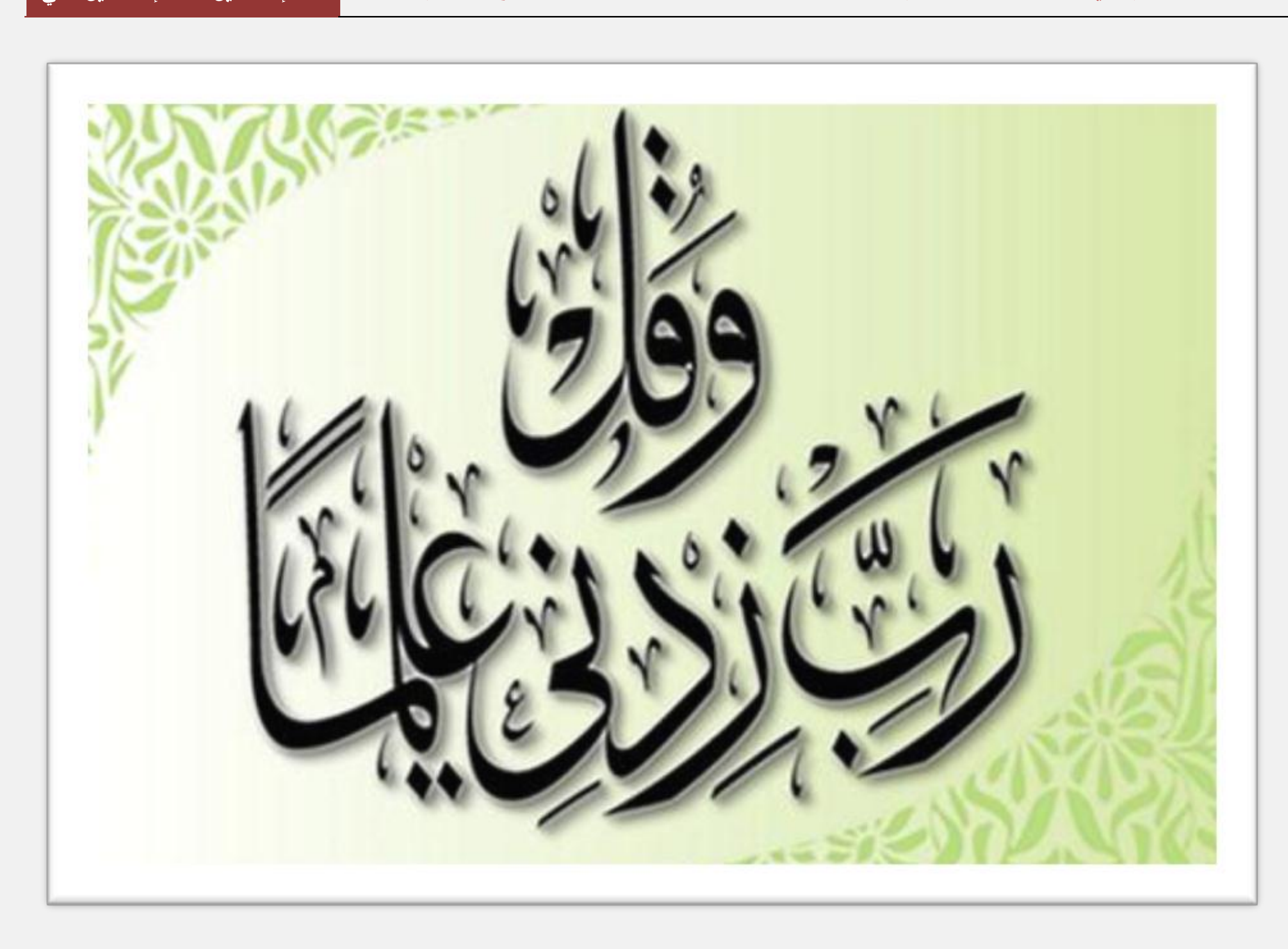
ودَورُها الحَضاري في مصر وسُودَان وادي النيل

منذ القَرن الثالث وحتى القَرن التاسع الهجري

Tribe of Juhayna and its Cultural Role in Egypt&Nilotic Sudan from 3th to 9th Century A.H

إعداد الباحث:

إسماعيل حامد إسماعيل علي



(سورة طه–آية 114)

الإهداء

أُهدي هذا العمل...

إلى روح أبي وأمي، وأسأل الله تعالى أن يرحمهما رحمة واسعة، وأن ينزلهما منازل الصديقين والشهداء والصالحين..

وإلى زوجتي الحبية، وبناتي الثلاثة: نوران، ومنة الله، وأروى...

وإلى كل من قدم لي العون والمساعدة لإتمام هذا العمل...

شكر وتقدير

اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار..

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا...

فإنه بعد توفيق الله تعالى، ومنه، وفضله، وجوده...

أتوجه بخالص الشكر، وعظيم الإمتنان إلى المعلم القدير، والعالم الجليل، الإستاذ الدكتور/ **حسين سيد عبدالله مراد**، في إخراج هذا العمل، وكانت لتوجيهاته النافعة، ونصائحه السديدة، دورا كبيرا في مساعدة الباحث في كل مراحل كتابة هذا العمل، فقد غمرني بعطفه، وأفاض علي بعلمه، وفكره، فهو صاحب مدرسة فريدة في النقد التاريخي، تعلم منها كل من تتلمذ على يديه، ولهذا فأنا أدين له بعظيم الفضل على ما قدم لي...

كما أتقدم بخالص الشكر، وعظيم الإمتنان، إلى العالم الجليل، والمعلم القدير، الأستاذ الدكتور/ **كرم الصاوي باز** على ما قدم للباحث من جهد، وعون عظيم، وأشهد الله أنه قدم لى من العون والمساعدة ما يعجز عن وصفه اللسان، ولم يبخل علي بأي جهد، وشملني بفضله، وغمرني بحلمه، وأفادني بعلمه الغزير، وكانت توجيهاته ونصائحه السديدة نبراسا لي في طريق العلم، وكانت خير معين لي في إتمام هذا العمل، وإخراجه على هذه الحال، ولهذا فأنا أدين له بعظيم الفضل على ما قدم لي...

كما يسعدني أن أتوجه بخالص الشكر، وعظيم الإمتنان، إلى معلمتي بالمعهد، الأستاذة الدكتورة/ **سوزي محمد أباظة**، على كل ما قدمت لي من عون، وتوجيه، وساهمت بعلمها في بناء لبنات هذا العمل، فلها مني كل التقدير والإحترام..وأسأل الله تعالى أن يبارك لي في أساتذتي الأجلاء، وأسأله أن يجازيهم عني خير الجزاء، وأن يكون هذا العمل في ميزان حسناتهم يوم القيامة، وأن يتقبل الله منهم ذلك العمل، وأن يكون خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به يوم أن نلقاه، يوم لا ينفع مال ، ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم...

فصول الدراسة

المقدمة:

الفصل التمهيدي:

الفصل الأول:

الفصل الثالث:

الفصل الرابع:

الفصل الخامس:

الفصل السادس:

مقدمة

لعبت القبائلُ العربيةُ دوراً كبيراً في كل من مصر وبلاد النوبة، وفي غيرهما من البلاد التي فتحها المسلمون، لاسيما ما قامت به تلك القبائل لنشر الدين الإسلام، والثقافة العربية. وكانت سياسة الدولة الإسلامية، في بداية نشأتها، تهدف إلى تشجيع القبائل العربية وبطونها علي الهجرة إلى تلك البقاع التى فتحها المسلمون، ومن ثم الاستقرار بها، حتى تنصهر هذه الجماعات العربية الوافدة من "جزيرة العرب" مع الشعوب التى تقطن هذه البلاد، وكانوا يعتنقون إما المسيحية، أو بعض المعتقدات الوثنية والأرواحية، وهو ما أتاح الفرصة لتلك الشعوب أن تتعرف عن كَثَب على الدين الإسلامي، وما يدعو إليه من أخلاق، ومبادىء سامية تَطيبُ لها القلوب.

وتُعد قبيلة جُهينة من أكثر القبائل العربية التي تركت أثراً حضارياً كبيراً، سواء كان ثقافياً، أم إجتماعياً، أم إقتصادياً خاصةً دورها في تعريب مصر وبلاد النوبة منذ أن فتح العرب مصر سنة (21هـ/641م). وهذا هو الموضوع الرئيس الذي تحاول هذه الأُطروحة مناقشته، والبحث فيه من شتي الجوانب الحضارية التى ارتبطت بوجود قبيلة جُهينة فى تلك البلاد. ويمكن القولُ بأنه منذ "الفتح العربي"، وهجرات قبيلة جُهينة إلى وادي النيل الأوسط تكاد لا تتوقف، إذ كانت جماعاتهم تأتي من جزيرة العرب بحثاً عن مستقر جديد لها في هذه البلاد، وكذلك سعياً وراء أسباب الرزق، إذ ذاعت بين العرب الأخبارُ التى تتحدث عن شُهرة أرض البجة بالمعادن النفيسة.

ومن ثم كانت هذه البلاد مقصداً للعديد من الهجرات العربية، سواءاً تلك القبائل التي تنتمي لـ"قبائل عدنان" وهم "عرب الحجاز"، أم تلك التي تنتمي لـ"قبائل قحطان" وهم "عرب اليمن". وقد دفعت الظروف السياسية وكذلك الاقتصادية العديد من بطون قبيلة جُهينة إلى البحث عن موطن لها في الصعيد بعد الفتح العربي، ومن ثم انتشروا هناك حتى صارت القبيلة الكبرى بالصعيد. كما كان عرب جُهينة من أكثر من ساهم من بين الجماعات العربية في إزدهار وعمران بلاد البجة.

وبمرو الزمن، اتجه أعداد كبيرة من عرب جُهينة إلى بلاد النوبة قادمين من مدن الصعيد بمصر خاصة إبان عصر "دولة المماليك" (648- 923هـ/1250-1517م)، ثم توغلت جماعات منهم في هذه البلاد، ولعبوا دوراً كبيراً في سقوط ممالك النوبة المسيحية، خاصة مملكة علوة، وساهموا في نشر العروبة والإسلام في هذه البلاد.

أهمية الموضوع:

ترجع أهميةُ هذه الأُطروحة إلى أنها تتناول قبيلة جُهينة، ونَسَبها، وإشكالية أصلها، وموطنها الأول في بلاد العرب، ثم هجرتها إلى مصر بعد الفتح العربي، ومن ثم الهجرة إلى بلاد النوبة بسبب الظروف السياسية والإقتصادية خلال العصر المملوكي، ودور هذه القبيلة الحضاري في هذه البلاد، منذ الحقبة التي تبدأ بالقرن 3هـ/9م، وحتى القرن 9هـ/15 م. وكان لهذه القبيلة دورٌ بارزٌ في حوض النيل الأوسط، وما حوله، ربما أكثر من غيرها من القبائل الأخرى التي سكنت تلك البلاد بعد الفتح العربي خلال هذه الحقبة التى دامت نحو ستة قرون، وهو ما تهدف الدراسة للحديث عنه، ولدى الباحث أمل عريض أن تكون أطروحته بداية لمزيد من الدراسات عن دور باقي القبائل العربية في وادي النيل.

ولعل قلة ما ورد إلينا من معلومات وأخبار في ثنايا المصادر التاريخية عن قبيلة جُهينة تحديداً ودورها في تلك البلاد، هو مما قد يعطي أهميةً إضافية لهذه الأُطروحة، إذ إن رواية المصادر عما قامت به هذه القبيلة كان في الغالب يأتي عرضاً وبشكل مُقتَضَب، وهو ما لم يشفْ البَتة غِلة أي باحث في هذا الشأن. ولعل ذلك من الدواعي التي حَفّزت الباحث علي أن يُقبل على موضوع الدراسة، لما له من أهمية لا تخفي على أحد، وغايته القصوى أن يقوم بعمل دراسة ذات قيمة في هذا الشأن. وقد اعتمد الباحث بقدر الإمكان على مجموعة من المخطوطات والوثائق التي تمكن من الحصول عليها، وهى تركز على هجرة قبيلة جُهينة وبطونها إلى حوض النيل الأوسط، ودورها الحضاري في هذه البلاد. وفي هذا المقام، يتقدم الباحثُ بجزيل الشكر إلى الأستاذ الدكتور كرم الصاوي باز علي ما اختص به الباحث من المخطوطات والوثائق التى لم يكن من الهين الحصول عليها.

الهدف من الدراسة:

تهدف الدراسةُ إلى إبراز الدور الحضاري من شتى جوانبه الذي قامت به قبائل العرب في مصر وبلاد النوبة بعد أن تم "الفتح العربي" لأرض مصر، وفي مقدمتهم عرب جُهينة الذين لعبوا دوراً بارزاً هناك، وتركوا هناك أثراً لا يمكن أن يُمحى مهما مرت الأحقاب. ويمكن القول إن ما فعله عرب جُهينة في هذه البلاد ليؤكد قدرتهم على الاندماج السلمي مع الشعوب الأخرى، خاصة النوبيين، والبجاة، وغيرهم، وهم شعوبٌ من الناحية الإثنية من أصول غير عربية، وهو ما ساهم في صبغهم بالعادات والتقاليد العربية. وكان من الطبيعي أن تذيع فيما بينهم الكثير من التأثيرات العربية، خاصة ما يرتبط منها باللغة، والمعتقدات، والعادات والتقاليد، وكذلك الزي والثياب، والطعام...إلخ. ومن ثم صار طبيعيا أن يعتنق كثيرون من أهل تلك البلاد الدين الإسلامي، وبمرور الوقت أضحى الإسلامُ الدين الرئيس فى حوض النيل الأوسط، ويرجع الفضل في ذلك إلى قبيلة جُهينة أكثر من غيرها من القبائل العربية.

الفترة الزمنية موضوع الدراسة:

تبدأ الحقبةُ الزمنيةُ التي تتناولها هذه الدراسة بالقرن 3هـ/9م، وحتى القرن 9هـ/15م. ورغم أن عرب جُهينة ارتبط وجودهم في مصر بـ"الفتح العربي"، أي أننا نتحدث عن الحقبة التى تبدأ مع بواكير القرن الأول الهجري (القرن 7م)، إلا أن القرن 3هـ/9م يمثل مرحلةً فارقةً فى تاريخ استقرار الجماعات والبطون الجُهنية في المدن والقرى المصرية، سواء شمالاً أم جنوباً، حيث زادت في تلك الحقبة وتيرة الهجرات التى قاموا بها صوب الجنوب، بسبب الضغوط السياسية والاقتصادية، ولعل أهمها إخراج قبائل العرب من "ديوان العطاء"، ومن ثم هاجرت جماعاتٌ من قبيلة جُهينة إلى بلاد البجة مع "حملة أبي عبدالرحمن العُمري" أيام "الدولة الطولونية"، وفي ذات الوقت استقرت جماعات منهم فى بعض المدن بالصعيد.

وعلى هذا يمكن القولُ بأن الحقبة الزمنية التى تتناولها هذه الدراسة شهدت أوج أدوار قبيلة جُهينة الحضارية، وبروز أهميتها في مصر وبلاد النوبة، حيث ساهمت في تعريب شعب النوبة،

ونشر الإسلام في بلادهم. كما لعبت قبيلة جُهينة دوراً مؤثراً في أفول الطابع المسيحي لبلاد النوبة، وإبطال الكثير من المظاهر والعادات الوثنية التي ذاعت هناك منذ قرون بعيدة. وهو ما أدى إلى بروز الهوية العربية الإسلامية بين شعب النوبة، وهو ما تبدو شواهده جلية خاصة مع قيام الممالك والمشيخات الإسلامية في حوض النيل الأوسط إبان القرن 10هـ/16م، مثل سلطنة الفونج ومشيخة العبدلاب.

الدراسات التاريخية السابقة:

اهتمت العديدُ من الدراسات التاريخية السابقة بالقبائل العربية في كل من مصر وبلاد النوبة، وأثر هذه القبائل الحضاري في تعريب تلك البلاد، غير أن تلك الدراسات لم ترصد بشكل عميق، في ذات الوقت، الدور الحضاري والثقافي المهم لقبيلة جُهينة وبطونها هناك على وجه التحديد. كما أن المصادر التاريخية التقليدية لم تهتم بالحديث عن قبيلة جهينة ودورها بعد "الفتح العربي" بشكل يتفق مع ما قامت به جماعات هذه القبيلة لنشر الإسلام والثقافة العربية في البلاد التي سكنت بها.

ويمكن القول إن أكثر الدراسات التاريخية السابقة ربما لم توف إلى حد ما الدور الحضاري الكبير الذي لعبته القبائل والجماعات العربية في البلاد التي دخل إليها الفاتحون العرب، وخاصةً ما قامت به بطون قبيلة جُهينة في كل من مصر وسودان وادي النيل. ويمكن القول إن المادة التاريخية المتاحة لنا من خلال روايات المصادر التاريخية التي تحدثت عن القبائل العربية، ودورها هناك مختصرة إلى حد كبير، ولا تُؤخَذ الأخبارُ منها في الغالب إلا من بين السطور. أما عن أهم **الدراسات العربية السابقة**، فلعل أهمها: "عبد الكريم الخطيب بعنوان: تاريخ جُهينة، تحقيق: ابن غنيم المرواني الجُهني، سلسلة تراث الجزيرة العربية، 1997م". وهو أحد المؤلفات ذات الأهمية التى تناولت تاريخ القبيلة في بلاد العرب، ثم تناولت هجراتها بعد الفتوحات الإسلامية. ورغم صغر الكتاب، إلا أنه عالج بعض الإشكاليات التى ترتبط بهذه القبيلة.

ومع ذلك، فإن الكتاب لم يُعط لدور قبيلة جُهينة في مصر وبلاد النوبة ما تستحقه، وبقدر إسهامات تلك القبيلة في هذه البلاد. كما قدم المؤرخون المُحدثون إبان العقود الماضية

عدداً من الدراسات القَّيمة عن دور العرب في وادي النيل الأوسط خلال حقبة "العصر الإسلامي"، وفي مقدمتهم: الدكتور مصطفي محمد مسعد، لما له من فضل في هذا الباب من الدراسات التاريخية، إذ اهتم بالحديث عن هجرة القبائل العربية إلى بلاد النوبة، ودورها في نشر العروبة والإسلام.

ومن أهم تلك الدراسات التى أثرى بها المكتبة العربية: "الإسلام والنوبة في العصور الوسطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011م"، وكتاب: "المكتبة السودانية (مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى)، مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، الطبعة الأولى، 1972م". كما قدم العديد من المقالات القَّيمة ومنها: "البجة والعرب في العصور الوسطي، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد 21، المجلد الثاني، ديسمبر 1959م". إلى جانب مقالة أخرى بعنوان: "امتداد الإسلام إلى وادي النيل الأوسط، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد الثامن، 1959م". وكذلك مقالة باللغة الإنجليزية بعنوان:

The Downfall of the Christian Nubian Kingdoms , S.N.R , Vol. 40, University of Khartoum , 1959

وقدم الدكتور يوسف فضل حسن إسهامات تُركز على التأثيرات العربية في سودان وادي النيل، ومنها كتاب: "مُقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، جامعة الخرطوم، 1989م"، و"دراسات في تاريخ السودان، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، 1975م". إضافة إلى دراسات الدكتور عبد المجيد عابدين، وهو من رواد الدراسات السودانية، ولعل من أهم إسهاماته العلمية في هذا الصدد: "تاريخ الثقافة العربية في السودان، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، دون تاريخ"، و"دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، عالم الكتب، القاهرة، 1961م". وكذلك مقالة باللغة الإنجليزية، بعنوان:

Some General Aspects of the Arabisation of the Sudan, S. N.R, Vol. XXXIX, 1958

كما قدم "الشاطر بصيلي" عبد الجليل من جانبه دراسات قيِّمة، من أهمها: "معالم تاريخ سودان وادي النيل، القاهرة، 1955م". وقدم الدكتور كرم الصاوي باز عدة دراسات ذات فوائد

جمةٍ للباحثين، أبرزت أثر العرب الحضاري في بلاد النوبة إبان العصر الإسلامي، وأثرهم في حياة النوبيين وتقاليدهم. ومن أهم دراساته مقالة "قبيلة جُهينة ودورها الحضاري في دعم روابط الاتصال بين مصر والنوبة منذ الفتح العربي حتي نهاية العصر الفاطمي، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 2009م"، ولعلها أكثر الدراسات ارتباطاً بموضوع الدراسة، وربما كانت هذه المقالة المهمة من أكثر ما لفت نظر الباحث إلى الاهتمام بـ"قبيلة جُهينة"، وتتبع دورها في بلاد النوبة وسودان وادي النيل. كما أسهم أيضاً بمصنفات أخرى، ركزت على دراسة الممالك النوبية، والوجود العربي هناك ومنها: ممالك النوبة في العصر المملوكي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2006م، وكتاب "مصر والنوبة في عصر الولاة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2006م.

ومن بين الدراسات الأخرى التى عالجت أيضاً إشكالية الوجود العربي في بلاد النوبة: عون الشريف قاسم: معجم القبائل والأنساب في السودان، الخرطوم، 1996م، ومحمد عوض محمد: السودان ووادي النيل، مطبعة فؤاد الأول، دون تاريخ، بابكر فضل المولى: مظاهر الحضارة في دولة الفونج الإسلامية، الخرطوم، 2004م، وعبدالله خورشيد البري: القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م.

هذا، إلى جانب الدراسات التي قام بها الدكتور محمد غيطاس ومنها: "حملة اليونسكو وأضواء جديدة علي تاريخ النوبة، دار المعرفة الجامعية، 1987م"، "محمد صالح ضرار: تاريخ السودان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م"، وكذلك "أحمد الحفناوي: سودان وادي النيل في ظلال الإسلام، دار المعارف، 1983م". ورغم قيمة كل الدراسات الآنفة، وأهميتها لباحثي الدراسات السودانية، إلا أنها لم ترصد بشكل واضح دور قبيلة جُهينة الحضاري في سودان وادي النيل تحديداً، وإنما تناولت القبائل العربية بصفة عامة، وهجراتها إلى بلاد النوبة.

أما عن أهم **الدراسات الأجنبية**، فيأتى فى مقدمتها ما كتبه المستشرق الإنجليزي "هارولد ماكمايكل" H. A. Macmichael، وهى من الدراسات التى عالجت بعمق تاريخ سودان وادي النيل خلال العصر الإسلامي، وتعد كتب ماكمايكل من أكثر دراسات المستشرقين التى ناقشت الهجرات العربية إلى النوبة، ومظاهر الوجود العربي في هذه البلاد. كما اهتم "ماكمايكل"

بالحديث عن كل قبيلة عربية، وبطونها، والمناطق التى آثرت أن تستقر بها فى وادي النيل الأوسط. وقد استفاد هذا المستشرق كثيراً من عمله في الإدارة البريطانية بالسودان، إذ كان يشغل منصباً إدارياً رفيعاً بها، وهو ما أتاح له الحصول علي العديد من المخطوطات والوثائق السودانية، وخاصة أوراق النسبة. ويعد "هارولد ماكمايكل" من أكثر المستشرقين الذين اهتموا بتحقيق أوراق النسبة السودانية، وقام بنشرها. ومع تقديرنا لجهود ماكمايكل فى تاريخ سودان وادي النيل، إلا أنه يُنتقد دوماً بأنه لم يكن موضوعياً فى كثير من تحليلاته، إذ كان ميله لبلده بريطانيا يغلب كثيراً على الموضوعية التى يجب عليه كأي مؤرخ أن يتسم بها، ومع ذلك تبقى لدراساته قيمة علمية كبيرة، وهي ذات فائدة لاغنى عنها لكل باحث في هذا الشأن. ولعل من أهم مؤلفات "هارولد ماكمايكل":

A History of the Arabs in the Sudan, Volume I & II,Cambridge University Press, 1922

Tribes of Northern & Central Kordofan, Cambridge University Press, 1922

كما ساهم "إيه. جي. آركل" A. J. Arkell بالعديد من الكتابات التى اهتمت بالوجود العربي في حوض النيل الأوسط. كما قدم "كراوفورد" Crawford إسهامات مهمة في هذا الشأن. هذا إضافة إلى مؤلفات كل من: "ويليام آدامز" W. Y. Adams، و"كيروان" Kairwan، و"بول" A. Paul، و"آر. سي. ستيفنسون" R.C. Stevenson، و"يان زاهوريك" Jan Zohorik، و"هندرسون" K. Henderson و"هيليلسون" Hillelson، و"سبنسر ترمنجهام" J. S. Trimingham، و"جي. دي. فيج" J. D. Fage، وغيرهم من المستشرقين ممن استفادت الدراسة من كتاباتهم. كما استعان الباحث بالعديد من المقالات التي نشرت فى الدوريات العلمية العربية والأجنبية ولعل أهمها: Sudan Notes & Records، واختصارها S. N. R، وهى إحدى الدوريات المهمة في معالجة الدراسات التى ترتبط بتاريخ النوبة عبر العصور، إلى جانب ذلك اعتمدت الدراسة على دوريات علمية أخرى ومنها: دورية "المجلة الأفريقية للدراسات اللاهوتية والإنجيلية" Africa Journal of Evangelical Theology (A. J. E. T). ولعل من أهم الدراسات الأجنبية التي اعتمدت عليها الدراسة:

A. J. Arkell: The history of Darfur , Part IV , S. N. R. , Vol. 33 , No. II University of Khartoum , 1952

Kairwan: A Survey of Nubian Origins , Sudan Notes & Records , Vol. 20 , N. I , University of Khartoum, 1937

A. Paul: The Hadareb A Study in Arab - Beja , S. Relationships, N. R., Vol . XXXIX, 1958

Paul Bowers: Nubian Christianity the Neglected Heritage , Africa Journal of Evangelical Theology , IV , 1985

K. Henderson: Fung Origins , S.N.R., Vol. 18, No. I, University of Khartoum , 1935

W. Y. Adams: Medieval Nubia Another Golden Age , Expedition , Volume 32 , No. 2 , 1993

Crawford: The Fung Kingdom of Sennar, John Bellows LTD., Gloucester, 1951

J. D. Fage: The Cambridge History of Africa, Vol. II, Cambridge University Press, No Date,

Jan Zohorik: The Islamization of the Beja until the 19th Century , Beitrage zur I.Kolner Afrikawissenschaftlichen Nachwuchstagung, Kant I, No Date.

التساؤلات التي تحاول الدراسة الإجابة عليها:

تقدم هذه الأطروحةُ إجاباتٍ على بعض التساؤلات الخاصة بالإشكاليات التاريخية التي ترتبط بالموضوع الذي تتناوله تلك الدراسة، ولعل من أهم هذه التساؤلات: أهمية علم الأنساب عند العرب، وقيمة ذلك العلم في دراسة تاريخية عن إحدى القبائل العربية، ودورها في نشر العروبة والإسلام ؟ وكذلك تناقش الدراسة تساؤلات عن قبيلة جُهينة، وأصلها، ونسبها، وهل ينتسب الجهنيون إلى "عرب اليمن"، أم أنهم ينتسبون إلى "عرب الحجاز" ؟ ومن أهم تساؤلات هذه الدراسة أيضاً: ما هى أهم الأحداث التاريخية التي ارتبطت بقبيلة جُهينة، ودورها في التاريخ الإسلامي باعتبارها واحدة من أكبر القبائل العربية ؟ وما هو دور عرب جُهينة في صعيد مصر

؟ وإلى أي مدى كان دورهم فى عمران وازدهار بلاد البجة ؟ وما هي الأدوار الحضارية التي قام بها عرب جُهينة منذ الفتح العربي في سودان وادي النيل ؟ وما هو دور هذه القبيلة في إصباغ الطابع العربي والإسلامي على شعوب تلك البلاد ؟ وغير ذلك من التساؤلات التاريخية التي قد تهم الكثيرين من باحثي الدراسات الأفريقية خلال العصور الوسطي.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسةُ علي المنهج التاريخي الذي يقوم علي تحليل ونقد المصادر، وتعليل الحدث التاريخي ذاته، والمقارنة بين الروايات الواردة في المصادر والوثائق المختلفة من خلال الدراسة المنهجية التي تقوم علي مقارنة المصادر التاريخية بعضها البعض، وليس أخذ الأخبار علي علاتها كما أوردها المؤرخون، دون تحليل أو تمحيص، فكل مؤرخ يعبر عن عصره الذي عاش فيه، وربما كانت له صلات بالقصور الملكية، أو كان موظفا في مؤسسات الدولة، أو أن يكون كاتبا فى "ديوان الإنشاء"، أو في أحد الدواويين الأخرى، وغير ذلك مما يجب مراعاته فى نقد المصادر للتأكد من موضوعية المؤرخ، أو مؤلف المخطوطة، وأنه كان منصفا في تناول الأحداث المعاصرة له، أو حتى إن كان قد سمعها عن طريق آخرين، ولاريب أن الهدف من ذلك بلوغ الحقيقة التاريخية، وأن نميط اللثام عما بها من غموض.

الدراسة التحليلية لأهم المصادر:

اعتمدت هذه الدراسة على العديد من المصادر التاريخية، تنوعت ما بين المخطوطات والوثائق المنشورة، وأخرى غير المنشورة، إلى جانب المصادر الأخرى التقليدية من مصنفات مؤرخي العرب القدامى، وكذلك الجغرافيين، والبلدانيين، ممن تحدثوا عن هجرة العرب إلى مصر وبلاد النوبة، وغير ذلك مما أتيح للباحث ليُتم العمل في هذه الأطروحة، ومن ثم إخراجها بالشكل الذي يصبو إليه. ولعل أهم تلك المصادر:

أولا – المخطوطات:

1 – مخطوطة "كاتب الشونة": مؤلف هذا المخطوطة: أحمد بن الحاج أبو علي، المعروف بـ"كاتب الشونة"، وكان موظفا بالديوان بالخرطوم سنة 1250هـ/1834م، ومن ثم استفاد من

الوثائق الحكومية التي كانت متاحة له. وتوجد عدة نسخ للمخطوطة، إحداها في دار الكتب المصرية، وأخرى في اسطنبول، وثالثة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، إضافة لنسخ أخرى فى المكتبة الأهلية بباريس، وبالمتحف البريطاني، ومكتبة فيينا الأهلية. وقد أدخلت على بعضها، خاصة تلك المحفوظة في أوروبا بعض التعديلات من إضافة أو حذف. وترجع أهمية المخطوطة إلى أنها تعد مصدراً قيماً لتاريخ سودان وادي النيل بعد الفتح الإسلامي، غير أن فائدتها الكبرى ترجع لما ورد فيها من معلومات مهمة عن قيام مملكة الفونج، ومشيخة العبدلاب، والعلاقة بينهما.

وقد تحدث المؤلف عن غايته من تدوين المخطوطة: "فإني رأيت تواريخ للأقدمين في عدد سني الملوك السابقين، وأحببت أن أجمع إلى ذلك شيئا من ابتداء عمارة سنار المحروسة المحمية..وأذكر ما كان فيها، ومن ملوكها، وسيرهم المحمودة المرضية، على ما سمعته الأذن، وشوهد في آخر ملكهم بالأعين..". وكان مؤلفها شاهدا علي أواخر حكم الفونج قبل سقوط ملكهم بعد الفتح المصري للسودان. وعلى هذا تنحصر أهمية هذه المخطوطة في مرحلة مملكة الفونج، وما شهدته تلك الحقبة من أحداث، كما تحدثت عن تأسيس عرب جُهينة لمدينة أربجي في سودان وادي النيل.

2 – مخطوطة "واضح البيان في ملوك العرب بالسودان وملوك العبدلاب": وهى تعد واحدة من أهم "المخطوطات السودانية" التى عالجت المرحلة التى قامت فيها "مشيخة العبدلاب" الجُهنية، وهى مخطوطة علي قدر كبير من القيمة لهذه الدراسة، نظرا لأنها اهتمت بهذه المشيخة الإسلامية التى أقامها الجهنيون في "سودان وادي النيل"، وتحديداً عرب القواسمة بقيادة الأمير "عبدالله جمَّاع"، خاصة الحقبة التى شهدت آواخر مملكة علوة المسيحية، ودور عرب جهينة، أو العبدلاب في سقوط تلك المملكة المسيحية، وتعاونهم مع ملك الفونج عمارة دونقس في سقوط مملكة علوة. أما عن السبب الذي دفع مؤلف هذه المخطوطة إلى كتابتها، فإنه يقول: "فقد طلب مني بعض أهل الفضل الذين يهمهم معرفة تاريخ ملوك العرب بالسودان أن أعمل خُلاصة يرجع إليها (في) تاريخ ملك أجدادنا العبدلاب..". وعلى هذا فمؤلف تلك المخطوطة من "العبدلاب"، أي أنه من قبيلة جهينة، وهو يريد أن يكتب تاريخاً لأجداده، ومن ثم كانت لديه الكثير من الوثائق التى ترتبط بتاريخهم، وهو ما ساعده على تدوين هذا العمل.

ومن يطالع تلك المخطوطة يجد فيها تمجيدا للعبدلاب، وإظهارا لدورهم أكثر من غيرهم في إسقاط مملكة علوة المسيحية مقارنة بما قام به الفونج. واللافت أن هذه المخطوطة تذكر أنه لما سقطت مملكة علوة صارت أرض الجزيرة وحدها للفونج، أما باقي سودان وادي النيل فكانت تتبع العبدلاب، وهو ما يشير إلى أن مُلك العبدلاب كان أكبر من الفونج، وهو ما لا يتفق مع أكثر المصادر والوثائق السودانية التى تؤكد أن ملك الفونج كان مُقدما على شيخ العبدلاب.

3 – مخطوطة "تاريخ مختص بأرض النوبة": وهى مخطوطة ذات قيمة تاريخية كبيرة، إذ تتناول تاريخ بلاد النوبة منذ "الفتح العربي" لمصر، وحملة عبدالله بن سعد، و"معاهدة البقط"، ثم تعرض للعلاقة بين مصر والنوبة بعد ذلك. كما تناولت الهجرات العربية إلى النوبة، ودورهم في تعريب ممالك النوبة المسيحية، خاصة المقرة وعلوة. كما تتحدث عن الفونج والعبدلاب، ودورهم في إسقاط ملك العُنج (وهو ملك علوة)، والعلاقة بين كل منهما. وقد اعتمد مؤلف تلك المخطوطة على ما كتبه المقريزي، خاصة ما يذكره في "المواعظ والاعتبار".

<u>ثانيا – المصادر المنشورة:</u>

اعتمد الباحث على الترتيب الزمني للمصادر، ولم يختر منها إلا أكثرها أهمية لدراسته:

1- ابن الكَلبي (أبوالمنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، ت: 206هـ/821م): ولابن الكلبي كتابان قيمان: جمهرة النسب، تحقيق: د.علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2010م"، وكتاب: نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: د. ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1988م". وهذان الكتابان من أهم المصادر عن الأنساب. ويُعد ابن الكلبي عمدة النسابين العرب، حيث عاش فى القرن 2ه/8م، أي أنه من أقدم من كتب في هذا العلم. وقد أخذ عن روايته كل المؤرخين ممن كتبوا عن أنساب العرب من بعده. وقد استفاد الباحث من روايته عن نسب قبيلة جُهينة، وما ذكره عن أصل قُضاعة، وإن لاحظ بعض الاضطراب في روايته عن أصل قُضاعة، وحتى نكون أكثر إنصافاً، فإن ذلك لا يقلل البتة من أهمية رواية ابن الكلبي في علم الأنساب عند العرب لأي باحث فيما يخص العرب وأنسابهم.

2 – ابن عبدالحكم (أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم القرشي المصري، ت: 257هـ/870م): هو عمدة مؤرخي مصر الإسلامية، ويعد كتابه "فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1999م" من أهم المصادر التاريخية التقليدية التي تحدثت عن هجرة القبائل العربية، والخطط الأولى للقبائل العربية في الفسطاط، ومنها خطة "أهل الراية" التى كانت تضم جهينة. غير أن هذا المصنف القيم يتوقف عند حياة مؤلفه الذى توفي فى بدايات النصف الثاني من القرن 3ه/9م، وهو ما لم يتح للباحث الاستفادة منه في الفترة التى تتناولها الدراسة، ومن ثم لم يستفد منه سوى في الفصل التمهيدي.

3 – البلاذُري (أحمد بن يحيي بن جابر، ت: 279هـ/892م): ألف كتاباً بعنوان: "أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف، 1987م"، يعد من أهم المصادر التى تحدثت عن أصل جهينة وجدهم قُضاعة، وأكد في روايته أن هذه القبيلة تنتسب لعرب عدنان، غير أنه وقعت فتنة بين القضاعيين والمعديين، جعلت جماعات من قُضاعة تترك نسب معد، وتنسب نفسها لعرب اليمن. وله أيضاً: "فتوح البلدان، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ"، تحدث فيه عن فتح النوبة، وحملة عبدالله بن سعد، وهو من أقدم المصادر التى عالجت هذه الحملات.

4 – اليعقوبي (أحمد بن اسحاق بن جعفر بن واضح، ت: 292ه/904م): اشتهر له كتابان، وهما: "تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل المنصور، دارالكتب العلمية، بيروت، 2002م"، و"كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1893م". وهذان الكتابان من أهم المصادر العربية للدراسة، تحدث فيهما عن النوبة، وكذلك أرض البجة، ووصف ممالك البجة، وموقع كل منها، وكيف كان حالها في أيامه. وقد استفاد الباحث من كتابي اليعقوبي أيما إفادة.

5 – المسعودي (أبوالحسن علي بن الحسين، ت: 346هـ/957م): هو من أقدم مؤرخي العرب، وترجع أهمية روايته إلى أنه كان مؤرخاً ورحالة في ذات الوقت، زار كثيراً من البلدان، ومنها: النوبة، والبجة، وبر الزنج، ودوّن ما شاهده. وقد سكن المسعودي القاهرة، ومات بها، وعلي هذا كان قريباً من الأحداث فى النوبة إبان القرنين الثالث والرابع الهجريين، وهو ما أفاد الدراسة كثيرا. ومن أهم مؤلفاته: "مروج الذهب، تحقيق: مصطفي السيد، المكتبة التوفيقية،

القاهرة، دون تاريخ"، و"التنبيه والإشراف، تحقيق: عبدالله الصاوي، المكتبة التاريخية، بغداد، 1938م"، و"أخبار الزمان، تحقيق: خالد علي نبهان، مكتبة النافذة، 2013م".

6 – ابن سليم الأسواني (عبدالله بن أحمد بن سليم الأسواني، ت: 386هـ/996م): مؤرخ نوبي، عاش إبان العصرالفاطمي (358–567هـ/968–1167م)، زارالنوبة لما أرسله جوهر الصقلي برسالة إلى ملكها. وقد شاهد أحوال تلك البلاد خلال القرن 4هـ/10م، ورأى النوبيين وعاداتهم وتقاليدهم. وتعد روايته من أهم المصادر عن بلاد النوبة. وقد كتب ابن سليم عن كل ماشاهده بنفسه، وما سمعه، ووضع كل ذلك في كتاب قيم اسمه "كتاب أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل"، ويعرف أيضاً بـ"أخبار النوبة". ورغم أن هذا الكتاب لم يصل إلينا، إلا أن المقريزي حفظ لنا الكثير مما ورد فيه عن النوبة، ومما قاله المقريزي عن ذلك: "يقول عنها عبدالله بن أحمد بن سليم الأسواني فى كتاب أخبار النوبة أن أبا عبدالرحمن عبدالله بن عبدالحميد العمري لما غلب على المعدن كتب إلى أسوان يسأل التجار الخروج..".

7 – ابن حَوقل (أبوالقاسم بن محمد النصيبي، ت: 350هـ/961م): له كتاب بعنوان "صورة الأرض، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009م". وهو من المصادر القيّمة، فابن حوقل عاش إبان القرن 4هـ/10م. وقد ذكر الكثير من الأخبار والأحداث التى ترتبط بقبائل العرب وأحوالها فى بلاد البجة، وكذلك في النوبة، كما رصد بعمق قيام إمارة ربيعة في البجة.

8 – ابن زولاق (الحسن بن إبراهيم بن الحسين الليثي المصري، ت: 387هـ/997م): يُعد من أقدم مؤرخي مصر الإسلامية، وينسب له كتاب "تاريخ مصر وفضائلها"، قال عنه المحقق بأنه "المنسوب خطأ لابن زولاق..."، ويرجح أن الكتاب لمؤلف عاش إبان القرن 10هـ/16م. ومن أدلة ذلك الأمر أن الكتاب يتحدث عن الأيوبيين والمماليك (648–923هـ/1250–1517م)، بينما مات ابن زولاق آواخر القرن 4هـ/10م. ولهذا الكتاب فائدة كبيرة لمادة هذه الأطروحة، إذ يتحدث عن حقبة "الفتح العربي" لأرض مصر، وهجرة القبائل العربية إليها، كما يتحدث عن الولاة العرب لمصر بعد الفتح، وغير ذلك من الأحداث التاريخية المهمة. وفي ذات الوقت يجب أن نتعامل بحذر مع ما ورد في هذا الكتاب، لأنه غير مؤكد النسبة لـ"ابن زولاق".

9 – ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي، ت: 548هـ/1153م: صنف كتاباً موسوم بالعنوان التالي: "جمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009م"، وهو من المصادر المهمة عن العرب وأنسابهم، أفاض فيه ابن حزم في الحديث عن أنساب قبائل العرب كافة، من نسل عدنان، وكذلك عن نسب العرب من نسل قحطان، كما تحدث عن أصل قُضاعة، ثم تحدث عن جهينة، ونسبها.

10 – النُوّيري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت: 733هـ/1332م): من أهم مصنفاته كتاب بعنوان: "نهاية الأرَب فى فنون الأدب، تحقيق: د. محمد عبد الهادى شعيرة، مراجعة: د. محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، 1990م"، وهو كتاب موسوعي، يضم أكثر من ثلاثين جزءاً، تناول شهاب الدين النويري فى أجزاء عدة من هذا الكتاب تاريخ النوبة منذ الفتح الإسلامي، كما تحدث عن الهجرات العربية، والعلاقة بين بلاد النوبة ومصر خاصة أيام سلاطين المماليك، كما تحدث عن حملات المماليك إلى بلاد النوبة.

11 – ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد بن خالد، ت: 808هـ/1405م): هو من طبقة كبار المؤرخين القدامى، ولـ"ابن خلدون" إتجاه فريد في التحليل التاريخي. وقد تحدث عن هجرات القبائل العرب إلى بلاد النوبة، كما تحدث عن هجرة جهينة هناك. غير أن روايته تتهم عرب جهينة بأن هجرتهم إلى النوبة أحدثت الكثير من مظاهر الفوضى والاضطراب، ومن ثم اضطر زعماء "مملكة علوة" تحت ضغط هذه الهجرة، وبسبب قوة قبيلة جهينة وبطونها أن يتصاهروا معهم إتقاءاً لشرهم، ومن ثم انتقل الحكم لـ"عرب جهينة" في بلاد النوبة، وتحديداً في "مملكة علوة". ولعل أهم كتاباته التى استعان بها الباحث: "العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعُجم والبربر، تقديم: الدكتور عُبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2007م".

12 – القَلقشندي (أبوالعباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد، ت: 821هـ/1418م): يُنسب لبلدة اسمها "قلقشندة"، وقد ترك العديد من المصنفات الموسوعية، خاصةً أهم كتبه، وهو: "صبح الأعشي في صناعة الانشا، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، القاهرة، 2004م"، وهو مما لاغنى عنه لأي باحث، نظراً لأهمية مادته التاريخية وتنوعها، وما به من الأخبار، كما أنه تحدث عن البلدان، وشعوبها، وملوكها. وقد أفاض أبوالعباس القلقشندي فى

الحديث عن بلاد النوبة، وهجرة العرب إليها، كما تحدث عن علاقات مصر بالنوبة وملوكها. ولعل عمل القلقشندي في "ديوان الإنشاء" بالقاهرة أيام دولة المماليك (648-923هـ/1250-1517م) أتاح له الاطلاع علي العديد من الوثائق الرسمية ليستفيد منها في مؤلفاته. ويلاحظ أنه في حديثه عن هجرات العرب إلى بلاد النوبة، وخاصة قبيلة جهينة، اعتمد فيها على "رواية ابن خلدون"، خاصة إشارته أن هجرة جهينة إلى بلاد النوبة أحدثت الكثير من الفوضى، وهو ما لم تتحدث عنه المصادر الأخرى. ولعل من أهم المصنفات الأخرى للقلقشندي التى استفاد منها الباحث: قلائد الجُمان في التعريف بعَرب قبائل الزمان، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دارالكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، وكذلك: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980م، وهما من المصنفات المهمة التي تحدثت عن قبيلة جهينة، وأصلها، وهجرتها من بلاد العرب.

13 – المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، ت: 845هـ/1441م):

تُعد كتابات تقي الدين المقريزي من أهم المصادر التاريخية التي تحدثت عن هجرة قبائل العرب إلى مصر وسودان وادي النيل. والمقريزي مؤرخ موسوعي أيضاً، غزير المادة التاريخية، وله العديد من المؤلفات ذات القيمة التى اعتمدت عليها الدراسة، خاصة كتابه المعروف باسم "البيان والإعراب عمن في أرض مصر من قبائل الأعراب، تحقيق: رمضان البدري، دار الحديث، القاهرة، 2006م".

وعلى أية حال، فإنه رغم صغر حجم هذا الكتاب، إلا أنه يكاد يكون المصدر الأهم الذي تناول هجرات القبائل العربية لمصر بعد "الفتح العربي". إذ تناول هذا الكتاب كل قبيلة وهجرتها إلى مصر، وما كان لها من البطون، وأى البقاع التى آثرت الإقامة بها. كما كان لكتب "تقي الدين المقريزي" الأخرى أهمية كبيرة فى هذه الدراسة، ومنها كتاب: "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الآداب، ميدان الأوبرا، القاهرة، دون تاريخ"، وكذلك كتاب: "إتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: د. محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلي للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1996م"، وكتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة، دون تاريخ".

وتعد كتابات المؤرخ "تقي الدين المقريزي" بصفة عامة من المصادر التاريخية الأساسية لأي باحث، وهي مصنفات لا غنى عنها بأية حال في الكتابة عن تاريخ بلاد النوبة في العصر الإسلامي، وهجرة قبائل العرب إليها بعد الفتح العربي، وأثر الوجود العربي على حياة شعب النوبة، خاصةً وأن المقريزي كان قد أخذ الكثير من أخبار "بلاد النوبة"، وممالكها عن رواية أحمد بن سليم الأسواني الذي عاش إبان عصر "الدولة الفاطمية".

فصول الدراسة

ومن حصاد منهج هذه الدراسة، وما تجمع للباحث من مادة، فإنه تم تقسيم هذه الدراسة إلى تمهيد، وستة فصول، **الفصل التمهيدي**، وعنوانه "قبيلة جهينة قبل القرن 3هـ/9م"، وهو يتناول قبيلة جهينة، وتاريخها قبل القرن 3هـ/9م، إذ يتحدث عن نسب هذه القبيلة، وجدهم قضاعة. كما يتناول موطنها الأول في بلاد العرب، وأعلام القبيلة من الصحابة، والتابعين، وكذلك العلماء، إضافة لرصد الأحداث التى ارتبطت بها في العصر الإسلامي. وأيضاً هجرة جهينة لمصر بعد "الفتح العربي" (21هـ/641م)، وخُطط القبيلة في الفسطاط والجيزة. أما **الفصل الأول**، وعنوانه "استقرار عرب جُهينة في صعيد مصر"، وهو يتناول هجرة جُهينة للصعيد، وأسبابها السياسية والاقتصادية، ثم استقرارها في الأشمونين، وحدوث الفتنة بين الجُهنيين وبطون قريش أيام الفاطميين، ودور الفاطميين خلال تلك الفتنة. ثم يتناول الصراع بين قبيلة جهينة وجماعات بلي في أخميم، والتصالح بين القبيلتين. وينتهي الفصل بالحديث عن "شواهد القبور" باعتبارها دليلاً على وجود جهينة ، واستقرارهم في مدن مصر والنوبة منذ القرون الهجرية الأولى.

بينما **الفصل الثاني**، بعنوان "هجرة جُهينة إلى بلاد البجة في القرن 3هـ/9م"، وهو يرصد الهجرات الجهنية إلى بلاد البجة، ويناقش أسباب تلك الهجرات، ودوافعها، ودور الحملات العسكرية التى أرسلتها الخلافة العباسية في زيادة هجرة الجماعات الجهنية لتلك البلاد، كما يتحدث عن استقرار جهينة وبطونها في العلاقي، والعمل في استخراج الذهب، وتجارته، ثم يتناول دور جهينة في ازدهار وعمران بلاد البجة، وهو ما أدى لبروز مظاهر ما يمكن أن نطلق عليه "مجتمع جهني" في بعض مناطق هذه البلاد. أما **الفصل الثالث**، بعنوان "العلاقة بين جُهينة والقبائل العربية في بلاد البجة"، وهو يرصد العلاقة بين جهينة وباقي القبائل العربية التى

كانت قد سكنت البجة، وما وقع من تنافس بينها، ثم تحول ذلك التنافس إلى صراعات أخذ بعضها طابعا دمويا، ومن ذلك ما حدث بين قبيلة جهينة وربيعة، كما يتناول الفصل صراعا آخر بين قبيلة جهينة ورفاعة، ورغم قرابة النسب بين القبيلتين القضاعيتين، فإن ذلك لم يحل دون وقوع الفتنة بينهما. ثم ينتهي الفصل بالحديث عن دور عرب جهينة، وأثرهم الحضاري في بلاد البجة.

بينما **الفصل الرابع**، يحمل عنواناً، وهو "عرب جُهينة وسلاطين المماليك" (648-923هـ/1250-1517م)، وهو يعالج أحوال قبيلة جهينة أيام المماليك، وإشكالية العلاقة بين كل من عرب جهينة وسلاطين المماليك، ونظرة كل منهما إلى الآخر، كما يتناول وقوع بعض المواجهات بين الطرفين، وتمرد جماعات العركيين (وهم من بطون جهينة) ضد المماليك، وكذلك الصراع الذي وقع بين قبيلة جهينة وبني هلال، وقيام حلف جهينة ودوره في الصعيد، ووقوع المواجهات الدامية بين الجهنيين وجيش المماليك، ثم نهاية الحلف الجهني.

أما **الفصل الخامس**، وعنوانه "هجرة جُهينة إلى النوبة المسيحية إبان القرن 8هـ/14م"، وهو يناقش الهجرة الجهنية إلى بلاد النوبة، إذ يتحدث عن أحوال النوبة خلال هذه الهجرة، وممالك النوبة المسيحية الثلاثة، وهي ممالك: نوباديا، والمقرة، وعلوة. كما يتناول الطرق والمسالك التى سلكها الجهنيون للوصول إلى النوبة، ثم يتحدث عن دورهم في سقوط مملكة المقرة، وكذلك دورهم الأهم في سقوط مملكة علوة، كما يناقش زعم بعض الروايات عن دور هجرة جهينة في إحداث الفوضى في النوبة، وكذلك دور هذه القبيلة في تدمير كنائس النوبة.

ويحمل **الفصل السادس** عنوان: "جُهينة ودورها في تعريب مملكة علوة"، إذ يتحدث عن العلاقة بين عرب جهينة وملوك علوة، وما حدث من تقارب بينهم بفضل المصاهرة، ثم انتقال الحكم إلى زعماء جهينة في بلاد النوبة. ثم يتحدث الفصل عن دور عرب القواسمة في مملكة علوة، وهم من بطون قبيلة جهينة، ودور زعيمهم عبدالله جمَّاع في إسقاط مملكة علوة المسيحية من خلال التحالف مع ملك الفونج عمارة دونقس. ثم يناقش الروايات المختلفة حول التحالف بين العبدلاب والفونج، ودور هذا التحالف في إسقاط مملكة علوة، وكذلك دور عرب جهينة في

تأسيس المدن العربية في هذه المملكة مثل: أربجي، وقري، ثم ينتهي هذا الفصل بالحديث عن دور عرب جهينة الحضاري في تعريب مملكة علوة، ونشر الإسلام هناك.

ثم تنتهي هذه الدراسة **بالخاتمة** التى يعرض فيها الباحث النتائج التى توصل إليها من خلال هذه الأطروحة، وكذلك ملاحق الدراسة، وثبت المصادر والمراجع.

Abbreviations:

- **A. J. E. T** : Africa Journal of Evangelical Theology

- **American Ency** : The New American Desk Encyclopedia.

- **A U C**: American University in Cairo.

- **Cambridge Ency** : The Cambridge Paperback Encyclopedia

- **Davidson: African Civilization** : Basil Davidson: The Geowth of African Civilization East & Central Africa to the Late Nineteenth Century.

- **Great Encyclopedia** : The Great Encyclopedia of Universal Knowledge.

- **Henderson**; Fung Origin: K.D.D. Henderson: Fung Origins , S.N.R., Vol. 18, No. I, University of Khartoum

- **I. J. A. H. S**:International Journal of African Historical Studies

- **J. A. H**: The Journal of African History

- **Macmichael: A History of the Arabs , Vol. I** : H. A. Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan , Vol. I.

- **Paul: A Hadareb, S.N.R:**

: The Hadareb A Study in Arab – Beja Relationships, S. N. R, Vol . XXXIX, 1958

- **S. N. R**: Sudan Notes & Records

الفصل التمهيدي:

"قبيلة جُهينة قبل القرن 3هـ/9م"

أولاً – نسَب جُهينة

ثانيا – إشكالية نسب قُضاعة (جَد جُهينة)

(أ) – روايات المؤرخين والنَسّابة القُدامى عن قُضاعة ونَسبه

(ب) – جُهينة بين نسل عَدنان ونسل قَحطان

ثالثاً – موطن جُهينة الأول

رابعاً – أعلام جُهينة من الصحابة والعلماء

خامساً– الأحداث التاريخية التي ارتبطت بقبيلة جُهينة

سادساً – هجرات جُهينة إلى مصر بعد الفتح العربي (21هـ/641م)

(أ) – خُطط الفُسطاط

(ب) – جُهينة وخُطة أهل الراية

(جـ) – خُطة عُقبة بن عامر الجُهني بالجيزة

سابعاً – خروج جُهينة عن خطة أهل الراية في القرن 2هـ/8م

يتناول الفصلُ نسَب قبيلة جُهينة، وإشكالية أصلها، وهل تنتسبُ لقحطان أم لعرب عدنان؟ كما يتحدث عن موطنها الأول في بلاد العرب، وأعلامها من الصحابة، والتابعين، والعلماء، والأحداث التي ارتبطت بها إبان العصر الإسلامي المبكر، ثم يتناول هجرات جماعات جُهينة لمصر بعد الفتح العربي، وخُططَهم في الفسطاط والجيزة، وكذلك جهينة والتدوين الرابع.

أولاً – نسَبُ جُهينة:

نتحدث بدايةً عن نسب قبيلة جُهينة ([1])، إذ يذكر بعض مُؤرخي الأنساب أن الجهنيين ولد جُهينة بن زَيد بن لَيث بن سَود بن أسْلُم بن إلحَاف بن قُضاعة ([2]). وثمة رواياتٌ تشير إلى أن جُهينة لم يكن ابناً لزَيد، بل هو زَيد ذاته، واسمه: جُهينة بن لَيث بن سَود ([3])، ومن ثَم اختلفت المصادر في نسَب هذه القبيلة. وقد رجح ابن الكَلبي (ت: 206هـ/821م) ([4])، والمسعودي (ت: 346هـ/957م) ([5]) وابن حَزم (ت: 457هـ/1164م) ([6]) وابن القَيسراني (ت: 507هـ/1113م) ([7]) والهَمداني (ت: 584هـ/1188م) ([8])، وياقوت (ت: 626هـ/1229م) ([9])، وابن الأثير (ت: 630هـ/1232م) ([10])، والمَقريزي (ت: 845هـ/1441م) ([11])، والسويدي ([12])، وجمٌ آخر من النسابة والمؤرخين، أن جُهينة هو ابن زَيد بن لَيث.

—

(1) جُهينة لُغة: الجُهْنَة بالضم: أي (جُهمَة الليل)، وجارية جُهانَة بالضم؛ أي (شابة)، والجَهْنُ بالفتح: غلَظ الوجه، والجُهْن بالضم: الزُّرْيةُ في البَحرغير مُتّصلة بالبر، وجَهَنَ جُهوناً؛ أي قَرُب ودَنا (انظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط، جـ4، تحقيق: مجدي فتحي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ، ص240).

(2) ابن حزم: جَمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009م، ص446، وانظر أيضاً ابن الكلبيّ: جَمهرة النَسبْ، جـ2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2010م، ص494

(3) السمعاني: الأنساب، جـ3، تحقيق: الشيخ عبدالرحمن بن يحيى بن التميمي، حيدر آباد، الهند، 1963م، ص439، ابن الأثير: اللُباب في تَهذيب الأنساب، جـ1، مطبعة دار التأليف، 1971م، ص369

(4) جَمهرة النَسبْ، جـ2، ص494. وللمزيد عن نسب جُهينة، انظر ملحق 1، 2، 3، 4، ص247-249

(5) التنبيهُ والإِشرَاف، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2009، ص216

(6) جَمهرة أنساب العرب، ص446

(7) كتاب الأنساب المُتّفقة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001م، ص64

(8) عُجالة المُبتدي وفُضالة المُنتَهي في النَسب، تحقيق: عبدالله كنون، المطابع الأميرية، 1965م، ص43

(9) المُقتَضبْ من كتاب جَمهرة النَسب، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، 2010م، ص287

(10) اللُباب، جـ1، ص369

(11) البَيانُ والإعراب عمن في أرض مصر من قبائل الأعراب، تحقيق: رمضان البدري، دار الحديث، القاهرة، 2006م، ص136

(12) سبائكُ الذَهب في معرفةِ قبائل العرب، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2008م، ص44

وحسب رواية السَمعّاني (562هـ/1166م) فإن جُهينة هو زَيد بن لَيث ([1])، ويعلق ابن الأثير على ذلك بقوله: "قلتُ: وليس كذلك وإنما جُهينة بن زَيد.." ([2]). وعلى هذا فالراجح أن جُهينة كان ابناً لزيد بن ليث. أما النِسبةُ لجُهينة فهي: جُهَنيّ بضم الجيم، وفتح الهاء، وبعدها النون ([3]). وجُهينة قبيلةٌ عربيةٌ، وهي بطن من بطون قضاعة ([4]). قال أبوالفداء (732هـ/1331م): "وهي قبيلةٌ عظيمةٌ، يُنسَب إليها بطون كثيرة، وكانت منازلها بأطراف الحجاز الشمالي.." ([5]). وقد اختَلف النسابةُ القدامى في أصلِ جدهم قُضاعة، وهل ينتسب لعَدنان وهم "عرب الحجاز"، أم لقَحطان وهم "عرب اليمن" ؟ ([6]).

---

(1) انظر الأنساب: جـ3، ص439، اللُباب، جـ1، ص369

(2) اللباب: جـ1، ص369

(3) السمعاني: الأنساب، جـ3، ص439، وانظر أيضاً ابن خَلكَان: وفَيات الأعيَان، جـ2، دار إحياء التراث، طبعة بيروت، 2009م، ص260

(4) قسم العرب القبائل وبطونها إلي نحو عشرة طبقات: الجذم، والجماهير، والشعب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والعشيرة، والفصيلة، والرهط (النويري: نهاية الإرب في فنون الأدب، جـ1، اختصار: مرزوق إبراهيم، هيئة الكتاب، 2006م، ص128). قال المقريزيُ: "والعرب على ست طبقات: شعوب، وقبائل، وعمائر، وبطون، وأفخاذ، وفصائل..وقيل: الشعب هو الحي العظيم مثل ربَيعة ومُضَر والأوس. سموا بذلك لتشعّبهم وإجتماعهم، كتشّعُبِ أغصان الشجر" (التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم (رسائل المقريزي)، تحقيق: رمضان البدري، دار الحديث، القاهرة، 2006م، ص77). وقيل: سميت الشعوب لتشعب القبائل منهم (السمرقندي: مخطوطة أنساب عرب السودان، نسخة مصورة، 1/18/198، Misc، ورقة 3، بينما رتبها الزمخشري: الشعب: خزيمة، والقبيلة: كنانة، والعمارة: قريش، والبطن: قُصي، والفخذ: هاشم، والفصيلة بالعباس(السويدي: سبائك الذهب، ص17). وقيل في نسب النبي ع: عدنان جذم، وقبائل معد: جمهور، ونزار بن معد: شعب، ومضر: قبيلة، وخندف: عمارة، ولد إلياس بن مضر، وكنانة: بطن، وقريش: فخذ، وقُصي: عشيرة، وعبدمناف: فصيلة، وبنوهاشم: رهط (النويري: نهاية الإرب، جـ1، ص128). وعن أهمية الأنساب، قال رسول الله ع: "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم". وقال عمر بن الخطاب: "تعلموا النسب، ولا تكونوا كنبط السواد، إذا سُئل أحدهم عن أصله قال: من قرية كذا..". ومعرفة الأنساب، والقبائل وبطونها هي من خواص العرب، ولهذا قال ابن خلدون: "اعلم أن كل حي أو بطن من القبائل، وإن كانوا عصابة واحدة لنسبهم العام، ففيهم أيضاً عصبيات أخرى لأنساب خاصة، هي أشدُ التحاماً من النسب العام لهم، مثل عشيرة واحدة، أو أهل بيت واحد، أو إخوة بني أب واحد، لا مثل بني العم الأقربين.." (ابن خلدون: المقدمة، جـ2، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، هيئة الكتاب، 2006م، ص482-485)

(5) المُختصر في أخبار البشر، جـ1، تحقيق: د. محمد زينهم، دار المعارف، 1998م، ص128

(6) بينما تذكر "مخطوطة السمرقندي" أن جُهينة هو ابن ذُبيان ابن عبدالله ابن دهمان...جُهينة، وقيل: إن جُهينة ابن عطية ابن الحسن ابن الزبير ابن العوام، وقيل: جُهينة بن عبدالله بن أنيس الجهني (انظر مخطوطة السمرقندي: ورقة 11). وهو في الحقيقة نسب غريب، ويتناقض مع ما ورد في أكثر كتب الأنساب القديمة عند العرب.

ويرتبطُ بجُهينة العديد من الأقوال المأثورة، ومنها قول العرب: "وعند جُهينة الخبرُ اليَقينْ" ([1]). وقيل: "وعند جُفَينة الخبرُ اليَقينْ.." ([2]). ولعل اسم "جُفينة" تصغير جفنة ([3]) وربما "جفينة" تصحيف للفظ جُهينة، فاستُبدِلت الفاءُ بالهاء، فذاع القولُ الثاني عند البعض، لكن القول بلفظ جُهينة هو الأشهر. وقيل: إن جُفينة من بطون خزاعة من الأزد ([4]). وقيل هم بنو جفنة بن عوف ([5]). وفي "مخطوطة القزويني" يقول: "جفنة قبيلة من اليمن.."، وهو ما يعني أن عرب جفنة كانوا من قبائل قحطان ([6]). بينما قال الرازيُ: "وقُولهم: عند جُفينة الخبرُ اليقين، قال ابنُ السِّكِيتْ: هو اسمُ خَمّار الكَلبي، ولا تَقُلْ جُهينة.." ([7]). بينما قال ابنُ الكَلبيّ: "هو جُهينة.." ([8]). وقول ابن الكَلبيّ المأخوذُ به، فهو صاحب أهم مصدر في أنساب العرب. كما يقول العرب أيضاً في سودان وادي النيل: "الرَّغَم جاب جُهينة من الريف.." ([9]).

---

(1) وعن أصل هذا القول عند العرب، يقول الفيروزآبادي: "وعند جُهينة الخَبَر اليَقينْ: هو اسم خَمّار، ولا تقل جُفينة..لأن حُصَين بن عمرو بن مُعاوية بن عمرو بن كِلاب خرج ومعه رجل من جُهينة، يقال له الأخْنَس، فنزلا منزلاً. فقام الجُهني اليه فقتله، وأخذ ماله. وكانت صَخْرةُ بنت عمرو بن معاوية تَبكيه في المواسم، فقال الأخنسُ: تُسائل عن حُصينٍ كل ركب..وعند جُهينة الخبر اليقين.." (القاموس المحيط: جـ4، ص237). بينما تقول رواية: إن جُهينة كان يخدمُ ملكاً يمانياً، وكان له وزيرٌ اسمه نُجَيدة، إذا غاب الملكُ خلفه علي حَظيةٍ له. فتبعه جُهينة يوماً، واختبأ حتي جلس الوزيرُ في مجلس الملك، ولبس ثيابه، وغلبته الثمَالة. عندئذ، قام جُهينة وقتله وأخفاه. ولما عاد الملكُ، علم بما وقع لوزيره، أخذ يبحثُ، ولم يجده. وذات ليلةٍ، ثَمل جُهينة، ثم أنشد قائلاً: "تُسائِل عن نُجَيدة كُل رَكبٍ..وعند جُهينة الخَبرُ اليَقينْ". عندئذ علم الملك بذاك الأمر، ثم عفا عنه (القلقشندي: قَلائد الجُمان، تحقيق: إبراهيم الابياري دار الكتاب العربي، بيروت، 1982م، ص23).

(2) انظر الفيروزآبادي: القاموس المحيط، جـ4، ص240

(3) وكان بنو جفنة ملوك غسان في بلاد الشام، قال المسعودي: "أول من ملك منهم الحرث بن عمرو مزيقيا، ثم بعده الحرث بن ثعلبة بن جفنة، وهو ابن مارية ذات القرطين.." (انظر ابن خلدون: العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعُجم والبربر، جـ2، تقديم: د. عُبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2007م، ص278– 280). ويقول أبو الفداء: "ولما ملك جفنة المذكور وقتل ملوك سليح، دانت له قُضاعة، ومن بالشام والروم، وبني بالشام عدة مصانع.." (المختصر في أخبار البشر، جـ1، ص96)

(4) القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980م، ص217

(5) المصدر السابق، ص217

(6) مخطوطة القزويني: أسماء قبائل العرب، مخطوطات جامعة الملك سعود، رقم 366، ورقة 6

(7) أبو بكر الرازيّ: مُختار الصحّاح، تحقيق: محمد خاطر بك، المطبعة الأميرية، 1904م، ص106

(8) المصدر السابق، ص106، وقد علق أبوعُبيد علي قول كل من ابن الكلبي والأصمعي حول نسبة هذا القول، فقال: "وكان الكلبي بهذا العلم أكبر من الأصمعي.." (الرازيّ: مُختار الصحاح، ص106).

(9) انظر الفحل الفكي الطاهر: تاريخ وأصول العرب بالسودان، الخرطوم، دون تاريخ، ص119

وقد أنجبَ جُهينة عدة أبناء، ومنهم: قَيس، ومَودُعة. وأنجب قَيسٌ: غَطَفان وغَيّان، وكان بنو غّيان قد وفدوا على النبي ε فقال لهم: "من أنتُم ؟" قالوا: "نحنُ بنوغَيّان..."، فقال لهم النبي ε: "بل أنتمُ بنو رَشدانْ.." ([1]). وكان واديهُم يُدعَي: "وادي غوي"، فدعاه النبي ε: "وادي رَشَد" (أو رَشدان) ([2]). وهكذا يتضح أنه رغم اختلاف الروايات حول جُهينة، إلا أن الراجح أنهم ولد جُهينة بن زيد بن ليث، وتبقى إشكالية أخرى حول قضاعة، ونسبه.

ثانياً – إشكاليةُ نسَب قُضاعة ([3]) (جَد جُهينة):

اختلفَ مؤرخُو الأنساب في أصل قبيلة جُهينة وبطونها، وخاصةً نسَب جَدهِم قُضاعة ([4])، فقال البعضُ: إن قُضاعة هو ابنُ مَعَد بن عَدْنان ([5]). وعلى هذا يكون بنو جُهينة من "عرب الحِجَاز" أو "العرب العَدنانية"، وهم نسلُ النبي إسماعيل عليه السلام الذين يُطلَق عليهم أيضاً

---

(1) ياقوت الحموي: المُقتَضب، ص287

(2) المصدر السابق، ص287، وعن نسب جُهينة، انظر ابن الكلبي: جمهرة النسب، جـ2، ص494، البلاذُري: أنساب الأشراف، جـ1، تحقيق: محمد حميد الله، دارالمعارف، القاهرة، 1987م، ص15–19، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص446–447، القلقشندي: قلائدُ الجمان، ص23–24

(3) قُضاعة: اسمه عَمرو، فلما تقَضَّعَ: أي ابتَعدَ عن قومه، سُمّي قُضاعة (البلاذري: أنساب الأشراف، جـ1، ص15). وقال ياقوتُ إنه دعي بذلك لإنقضاعه عن قومه وإخوته لأمه (المُقتضب، ص251). وللمزيد عن قضاعة، انظر ملحق رقم1 (ص247)، وخريطة رقم1 (ص236)، وأشكال 2 و3 (ص259–260).

(4) سكنت قبائل قُضاعة وبطونُها أرض مصر، ومن القُضاعيّين من ذاعت شهرته بها، ومن أشهرهم المؤرخ: القُضَاعي، اسمه محمد بن سلامة بن جعفرالقُضاعي (ت:454هـ/ 1062م)، عاش في العصر الفاطمي، وهو قاضٍ ومؤرخٌ وفقيه، من أعلام الشافعية، ويُنعَت بـ"صاحب الشهاب" (انظر مخطوط الذهبي: كتاب المُختلِف والمُشتَبه من الأسماء والأنساب والكُنَي، مكتبة الملك سعود، رقم 5698، ورقة84). قال الذهبي: "القُضاعي الفقيه العلامة..المصري، الشافعي، قاضي مصر"، وقال ابن مَاكولا: "لم أر بمصر من يجري مجراه"(الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ13، المكتبة التوفيقية، 2008م، ص471، وانظر أيضا ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ2، ص333، السيوطي: حسن المُحاضرة، جـ1، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، 1997م، ص341، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ1، تحقيق: محمد مصطفي، هيئة الكتاب، 1982م، ص219، محمد عبدالله عنان: مؤرخو مصر الإسلامية، هيئة الكتاب، 1999م، ص55). ومن مشاهير قُضاعة أيضاً: أبو العباس محمد بن نصرالقُضاعي (مخطوطة الذهبي: المختلف والمشتبه، ورقة84). ومن مشاهيرهم أيضا أبوالعلاء المعري القضاعي الشاعر، وهو من تنوخ من بطون قضاعة، مات سنة 449هـ/1057م (وعن ترجمته، انظر ابن أيبك الصفدي: نَكت الهِميان في نُكت العميان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2013م، ص101–102). انظر خريطة رقم1 بلاد العرب وبها قبائل قضاعة (ص236).

(5) مَعد بن عَدنان: يذكر علماء الأنساب أن عدنان من نسل النبي إسماعيل عليه السلام، وينتسبُ إليه عرب عدنان، وكان لعدنان الكثير من الولد، منهم: معد، والدِّيث، وأُبي، ودَرج، وعدين، وأمهم: مَهدَد بنت اللّهم=

اسم "العرب المُستَعربة" ([1])، وهم الذين يَنتسبُ إليهم النبي ε. وثَمّة رواياتٌ أخرى تذكر أن قُضاعة من نسل مالك بن حِميَر، أي أنهم كانوا من ولد قَحطان، وهم "عربُ اليمن" أو "القحطانيين" ([2]). ولا ريب أن هذه إشكاليةٌ تاريخيةٌ يكتنفها الكثير من الغموض، وهي تبدو جَلّيةً

من خلال التباينِ في المصادر حول نسب قُضاعة، وأصله، وهو ما سنحاولُ إماطة اللِثام عن الكثير مما يحيط به من خلال مقارنةِ المصادر التاريخية بعضها البعض، ومعرفة كيف وقع الخلطُ في الروايات القديمة حول أصل قُضاعة، ونسبه.

=بن جلحب بن جَديس (ابن الكلبي: جمهرة النسب، جـ1، ص16). أما العرب العدنانية، فهم عربُ الحجاز، يقول ابنُ إسحاق: فمن عَدنان تفرقت القبائلُ من ولد إسماعيل بن إبراهيم..فولد عَدنانُ ولدين: معَد بن عَدنان، وعك بن عَدنان.." (ابن إسحاق: السيرة النبوية، الجزء الأول، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009م، ص19). بينما قال ابنُ هشام عن أصل العرب في روايته: "فالعربُ كلها من ولد إسماعيل وقحطان، وبعض أهل اليمن يقول: قحطان من ولد إسماعيل، ويقول: إسماعيل ولدَ العرب كلها.." (ابن هشام: السيرة النبوية، جـ1، تحقيق: وليد بن محمد سلامة، مكتبة الصفا، القاهرة، 2001م، ص15). وقيل: إن إسماعيل عليه السلام كان أول من نطق بالعربية، وعَمَر البيت الحرام بعد أبيه إبراهيم، وهو أول من ركب الخيل، وآلفها، وكانت قبل ذلك وُحوشاً لا تُركَبْ (تاريخ اليعقوبي، جـ1، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص190). ويذكر المؤرخون أن عَدنان كان أول من وضع الأنصاب، وهو أول من كسا الكعبة، "وكان مَعد بن عَدنان أشرَف ولد إسماعيل في عصره"، وكانت أمهُ تنتسب لقبيلة جُرهُم، ولم يبرح معد بن عدنان الحرم، وكان له من الولد عشرة (تاريخ اليعقوبي: جـ1، ص191). انظر شكل 1 (ص278)

(1) العربُ المُستَعربة: يقسم المؤرخون العرب إلي ثلاثة تقسيمات رئيسية، الأول: "العربُ البائدة": وهم العربُ القدامى الذين بادوا وانقرضوا، ولا يُعرَف الكثير عن أخبارهم والأحداث التى وقعت في أيامهم، مثل: قوم عاد، وثمود، وطَسم، وجديس، وعِملاق، وأميم، وجُرهم، وجاسم، وحضرَموت..الخ. أما القسم الثاني، فهم: "العربُ العاربة" أو بنو قحطان ولنا عنهم حديث قادم. أما الثالث، فهم "العربُ المُستَعربة": وهم ينتسبون الي إسماعيل عليه السلام، وهم قَطنوا الحجاز، ولهذا عُرفوا بـ"عرب الحجاز"، ويعُرفون أيضاً بـ"الإسماعيليين"، وجاءت منهم قُريش وبطونها، ولهم ينتسب النبي محمد ﷺ (المباركفوري: الرحيق المختوم، دارالوفاء، القاهرة، 2009م، ص22). وقيل: سُميت قريشٌ باسم دابةٍ بالبحر تدعى القرش، لا تمر بشيءٍ غَثٍ أو سمينٍ إلا أكلته (البيهقي: دلائل النبوة، جـ1، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، 1969م، ص140). قال ابن عباس: "بين عَدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يُعرَفون.." (القسطلاني: المواهب اللدُنية، تحقيق: عماد البارودي، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ، ص62). وقال عُروَة بن الزُبير: "ما وجدنا أحد يعرف بعد معد بن عدنان.."(القسطلاني: المواهب اللدنية، ص62). وللمزيد، انظر أيضاً:

Bernard Lewis: Les Arabes Dans l'Histoire, Bruxelles, Belgique, 1958, PP. 21-22

(2) العربُ القَحطانية: وهم يعرفون أيضاً باسم "عرب اليمن"، وهم من نسل يَشجُب بن يَعرُب بن قَحطان. ويقال إن جدهم قحطان كان قد عُرِف بذلك الاسم: لقَحطه القُحُوط، وطرده بالسخاء والجود (انظر الدينوري: الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010م، ص5)=

وسوف نَعتمدُ لحد كبير في تلك المُقارنة بين روايات المؤرخين القدامي أو المصادر الأكَثر قِدماً في علم النَسب، لأنها المعول عليها أكثر من غيرها، ولعل أهمها ما أورَده: ابن إسحاق (ت: 150هـ/769م)، وابـن الكَلبـي (ت: 206هـ/821م)، وابـنُ هِشـام (ت: 213هـ/828م)،

والزُبيّري (ت: 236هـ/850م)، والبَلاذُري (ت: 279هـ/892م)، واليَعقُوبيُ (ت: 292هـ/904م)، والطَبري (ت: 310ه/923م)، وغيرهم.

=وقد انقسم بنو قحطان الي شعبين: حِمير بن سَبأ بن يشجُب بن يَعرُب بن قَحطان، وكَهلان بن سبأ، واشتُهر من قبائل حمير: عَريب، وأبَين، قال ابن عبدالولي: "وبأبين هذا، سُميت عدن أبين، وحُبران، وغيدان، وحضور، وميثم.." (ابن عبدالولي: تذكرة الألباب بأصول الأنساب، تحقيق: د.علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، 2006م، ص33). وكانت الزعامة لحمير قبل الإسلام، قال ε: "كان هذا الأمر في حمير فنزعه الله منهم وجعله في قريش" (السيوطي: مختصر جامع الأحاديث، جـ2، اختصار: صلاح الدين التيجاني، هيئة الكتاب، 2008م، ص135). وقيل: قحطان هو ابن عابر، وأنه تزوج إمرأةً من العماليق، فأنجبت لـه ولدين، وهما يعرُب وجُرهُم، وقيل أيضاً: عاش قحطانُ أيام الملك النمروذ (الدينوري: الأخبار الطوال، ص7). ويعتقد ب. توماس أن قحطان هو يقطان (Jokhtan) الوارد في التوراة، وهو من أبناء سام بن نوح (Bertram Thomas: The Arabs, London, 1937, P.353). ويذهب البعض الى أن قحطان وبنيه هم أيضاً من نسل إسماعيل عليه السلام، وهم العرب المُستعربة. وربما يؤيد ذلك ما يذكره البخاري (ت: 256هـ/869م)، إذ وضع باباً سماه: "بابُ نِسبة اليمن لإسماعيل"، ثم ذكر قول النبي ε : "ارمُوا بني إسماعيل فإن أباكُم كان رامياً" (صحيح البُخاري: مكتبة الصفا، القاهرة، 2003م، رقم 3507). وهو ما يؤيده ابن خلدون: "وأما قحطان، فقيل من ولد إسماعيل، وهو ظاهر كلام البخاري.." (ابن خلدون: العبر، ج2، ص241). كما يذكر ابن هشام: "وبعض أهل اليمن يقول: قحطانُ من ولد إسماعيل، ويقول: إسماعيلُ أبوالعرب كلها.." (السيرة النبوية، جـ1، ص15). وقيل: هو قحطان بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح(Hazem Z. Nuseiba : The Ideas of Arab Nationalism , Cornell University Press, New York, 1959, P.9). بينما أنكر ابنُ كثير (ت: 771هـ/1369م) نسبة قحطان لعدنان أو لبني إسماعيل: "لكن الجمهور علي أن العرب القحطانية من عرب اليمن، وغيرهم ليسوا من سلالة إسماعيل، وعندهم أن جميع العرب ينقسمون الي قسمين: قحطانية وعدنانية، فالقحطانية شعبان: سبأ وحضرموت، والعدنانية شِعبان أيضاً: ربيعة ومضر، ابنا نِزار بن مَعد.." (ابن كثير: البداية والنهاية، جـ2، تحقيق: د.أحمد أبوملحم، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ، ص145). وربما لأن رسالة إسماعيل عليه السلام كانت إلي قبائل اليمن، وأنه سكن هناك مدةً، وربما سكن بعض أبنائه هناك، فربما وقع لهذا الخلط بين نسل كل من قحطان وإسماعيل، قال اليعقوبي: "فانتسب عامة ولد معد في اليمن، وكان لهم عدد كبير.." (تاريخ اليعقوبي: جـ1، ص191). وهو ما يشير لانتساب ولد إسماعيل لعرب اليمن. ويقول المسعودي عن رسالة إسماعيل لعرب اليمن: "وأما اسماعيل، فقطن الحرم، ونبع لـه ماءُ زمزم..ونبأه الله وأرسله الى العماليق وجرهم وقبائل اليمن، فنهاهم عن عبادة الأوثان.." (المسعودي: أخبار الزمان، مكتبة النافذة، القاهرة، 2013م، ص117). ورغم قدم اسم قحطان، فالعرب ظلوا يستخدمونه بعد الإسلام، ومن مشاهيرهم قحطان بن عبدالله بن يعفر الذي عاش باليمن في القرن 4هـ/10م (مجهول: أنباء الزمن في أخبار اليمن، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت، ص63).

(أ) رواياتُ المؤرخين والنَسابة القُدامي عن قُضاعة ونسبه:

ويجدرُ بنا في هذا الشأن أن نذكر روايات قُدامي علماء النسَب والمؤرخين حول قُضاعة جَد جُهينة، ونسَبه، لنعرفَ ماهية تلك الإشكالية، لأنه من خلال رواياتِهم يمكنُنا إماطَةَ اللثامَ عن أصل قُضاعة، وبنيه، ولعل أهم تلك الروايات:

1 – رواية ابن إسحَاق (ت: 150هـ/769م)

تُعد رواية ابن إسحاق من أقدم المصادر العربية التي وصلتْ إلينا، وهو محمد بن إسحَاق بن يَسَار المطلبي المخزومي ([1]). يقول ابنُ إسحاق عن نسَب قُضاعة: "فولَد مَعدُ بن عَدنان أربعةَ نفرٍ: نِزَار بن مَعد، وقُضاعة بن مَعد.." ([2]). ثم يضيف: "وكان قُضاعة بِكر مَعد الذي يُكني به فيما يزعُمون.." ([3]). وعلى هذا، فإن رواية ابن إسحاق تؤكدُ انتساب قُضاعة لمعَد بن عَدنان، أي أنه من "عرب الحجاز"، وليس من "عرب اليمن". ويُعتقَد أن قُضاعة كان بكر أبيه معَد، وربما يُفهَمُ من قولِ ابن إسحاق "فيما يزعُمون" حول بكورية قُضاعة لمعَد، أن البكورية ليست أمراً مؤكداً، وهي ليست الإشكالية التي نبحث فيها علي أية حال.

2 – رواية ابن الكَلبيّ (ت: 206هـ/821م):

أما ابن الكَلبي ([4]) فإن ما يذكره في مؤلفاته يُصنَف على أنه من أهم ما ورد فى المصادر العربية في علم الأنساب، وتبدو قيمة روايته في أنساب العرب سواء من الناحية الزمنية، أو القيمة التاريخية لما يروي باعتباره من نَسابة القرن 2هـ/8م. ومما يروى ابن الكلبي عن نسب قُضاعة في رواية: "فولَد مَعدُ بن عَدْنَان: نِزَاراً، وقَنَصاً، وقُنَاصة، وسَنَاماً، والعُرْفَ، ودَرَجَ، وقُضَاعَةَ.." ([5]). وهو ما يشير إلى أن قُضاعة ونسله من ولد عدنان.

---

(1) ابن إسحاق: معدودٌ من طبقة التابعين، وهو من أعلامهم، اشتُهرِبمصنفاته التاريخية القيمة، خاصة عن سيرة النبي ومغَازيه، وكانت كتبهُ منهلاً أخذ عنه أكثر من جاء بعده، مات 150هـ/769م. للمزيد، انظر ابن النديم: الفهرست، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ، ص134، الصفدي: الوافي بالوفيات (المختصر): اختصار وتقديم: محمد لاشين، هيئة الكتاب، 2009م، ص226، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ5، تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ، ص192، ابن كثير: البداية والنهاية: جـ10، ص112)

(2) السيرة النبوية: جـ1، ص19

(3) المصدر السابق، ص19

(4) واسمه: هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وللمزيد عن ترجمته، انظر ابن النديم: الفهرست، ص138، ونقل ابن النديم عن ابن سعد قوله عن ابن الكلبي: "عالم بالنسب وأخبار العرب، وأيامها، ومثالبها، ووقائعها، أخذ عن أبيه، وجمَّاعة من الرواة...وتوفي هشام في سنة ست ومائتين.." (الفهرست: ص138). وانظر أيضاً جولدتسهير: مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: عبدالحليم النجار، هيئة الكتاب، 2013م، ص134

(5) جمهرة النسب: جـ1، ص16، وللمزيد انظر "رواية ابن الكلبي"، ملحق رقم 2، ص248

بينما يذكر ابن الكلبي أيضاً في رواية أخرى أن قُضاعة من ولد "مالك بن حمير"، أي أنه من قحطان ([1])، وهو ما يناقض "الرواية الأولي"، حيث يقول: "فوَلَد مالكٌ بن عمرو بن مُرة بن زيد بن مالك بن حمير: قُضاعة.." ([2]). كما يذكر أن أم قُضاعة تُدعي: مُعانة بنت جَوشم بن جُلهُمة بن عمرو بن عوف، وهي من قبيلة جُرهُم ([3]). وهل يعني أن هاتين التسميتين اللتين أوردهما ابن الكلبي لقُضاعة هما لشخصيتين مختلفتين ؟ ثم يذكر أيضاً أن إخوة قُضاعة هم من نسل عدنان: "وإخوته لأمه (يقصد إخوة قُضاعة): نزار، وعبيد، وقنص، وجنادة، وحبيب، بني معد بن عدنان.." ([4]). أي مع أنه ينسب قُضاعة لعرب اليمن، إلا أنه يؤكد أن إخوته ينتسبون لـ "عدنان" في ذات الوقت. وهو ما يشير فيما يبدو لوجود بعض الاضطراب في هذه الرواية، إذ ينسب قُضاعة مرة إلى عرب عدنان، وأخري إلي مالك بن حمير، وهم من قحطان. وربما هذا الاضطراب يرجع إلي ما وقع بين بطون وقبائل قُضاعة من تنازع فيما بينهم، فخرج بعضهم عن نسبه الأصلي، وانتسب لآخرين.

3 – رواية ابن هِشام (ت: 213هـ/828م):

قام ابن هشام المعَافريّ بتهذيب سيرة ابن إسحاق ، ثم أضاف اليها مما علمه من الأخبار والحوادث، وعلى هذا عُرفَتْ وذاعت بين الناس بعد ذلك باسمه، وهي "سيرةُ ابنِ هشام". وفي روايته، يقول ابنُ هشام عن نسَب قُضاعة: "فولَد مَعد بن عَدنان أربعة نَفرٍ: نِزار بن مَعد، وقُضاعة بن مَعد، وكان قُضاعة بكر معَد الذي به يُكَني.." ([5]).

---

(1) وفي رواية أخري يذكرها ابن الكلبي في كتابه "نسب معد واليمن الكبير"، يؤكد فيها أن قُضاعة ينتسب إلي نسل مالك بن حمير، أي أنه من عرب قحطان، أو من "عرب اليمن"، قال ابن الكلبي: "فولد مالك بن حمير: زيداً..فولد مُرة بن زيد: مُراً..فولد مالك بن عمرو بن مُرة بن زيد بن مالك بن حمير: قُضاعة..". غير أنه أورد اسم أم قُضاعة هنا: مَغَالة بنت جَوشم بن جُلهمة، وذكر أنها من نسل جرهم أيضاً (ابن الكلبي: نسب معد واليمن الكبير، جـ2، تحقيق: ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولي، 1988م، ص551). ويبدو أن اختلاف اسم أم قُضاعة بين روايتي ابن الكلبي كان في الغالب بسبب تصحيف أو خطأ في نسخ الكتاب، أو في تدوين المخطوط ذاته. واللافت أن محقق كتاب ابن الكلبي يستدرك علي كلامه في الحاشية، ثم يقول مؤكداً عن وقوع اختلافات في المصادر التاريخية فيما يخص نسب قُضاعة، ثم يؤكد المحقق نسبة قُضاعة لمعد بن عدنان، إذ يقول: "فأما قُضاعة، فالاختلاف فيها كبير، والأكثر علي أنها من معد بن عدنان، وإن قُضاعة بكر ولد معد، وبه كان يكني.." (نسب معد، جـ2، حاشية رقم 1، ص551). ثم أخذ المحقق يذكر الكثير من الروايات عن الاختلاف الذي وقع في نسب قُضاعة وأبنائه.

(2) جمهرة النسب: جـ2، ص332

(3) المصدر السابق، ص332

(4) نسب معد: جـ2، ص552

(5) اسمه كاملا: أبومحمد عبدالملك بن هشام المعافري (انظر السيرة النبوية: جـ1، ص16)، وقد سمع ابن هشام سيرة ابن اسحاق عن زياد البكائي، ثم قام بتهذيبها بعد ذلك (للمزيد عما قام به ابن هشام في سيرة ابن اسحاق انظر السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص88)

4 – رواية مُصعب الزُبيري (ت: 236هـ/850م):

هو مؤلفُ كتاب "نَسب قُرَيش"، وهو من أهم المصنفات في علم الأنساب عند العرب. يذكر مصعب الزُبيريُ: "فولد معَد بن عَدنان نِزاراً وقُضاعة، وأمُهما مُعَانةُ بنت جَوشَم بن جُلْهُمة..ابن دُبَّ بن جُرْهُم.." ([1]). ثم يؤكدُ الزُبيرّي نسب قُضاعة لمعَد بن عدنان بقوله: "وأشعارُ قُضاعة في الجاهلية تدلُ علي أن نسَبهم في معَدٍ.." ([2]). وهو ما يؤكد أن قضاعة من عرب عدنان، ثم يشيرُ إلى أن قبائل حِمير باليمن كانت قد نسَبت قُضاعة لها على غير الحقيقة. ومن ثم فإنه يكيل لهم اتهامات بالتدليس في "نسَب قُضاعة" حتى يكون منهم، ومن نسلهم. وعن ذلك يقول الزُبيرّيُ: "وزَوَّروا (يقصد: الحميريين) في ذلك شعراً.." ([3]).

5 – رواية البَلاذُري (ت: 279هـ/892م):

تعد روايته من الناحية الزمنية بعد رواية الزُبيرّي ، ويذكر البلاذُريُ عن كُنية معَد بن عَدنان: "وبعضهم يقول: إنهُ كان يُكني: أبا قُضاعة..". ورغم أن هذه إشارةٌ قد تجعل انتساب قُضاعة لعَدنان ثمة إحتمالٍ، وليست على سبيل التأكيد، لكن إشاراته بعد ذلك تؤيدُ نسبة قُضاعة لعرب عدنان، وأن نسبة البعض له إلى نسل قحطان كان أمراً متأخراً، إذ يقول: "لم تَزل قُضاعة معَدية في الجاهلية، وتحولوا فقالوا: قُضاعة بن مالك بن عمرو.." ([4]). وهو ما يشير إلى أن قُضاعة كان في الأصل من نسل معد بن عدنان.

ويؤكد البلاذُري بعد ذلك نسبة قُضاعة إلى معَد في روايته لحديث عن أم المؤمنين عائِشةَ رضي الله عنها، أنها قالت: "قُلتُ: يا رَسولَ الله، قُضاعة ابنُ منْ ؟ قال ع: ابنُ مَعَدٍ.." ([5]). ولعل هذا الحديثُ إن ثَبُتتْ صحتهُ، يكونُ دليلاً قاطعاً في كشف غموض تلك الإشكالية. ثم يذكر البلاذُري في روايته أنه وقعت "فتنة عظيمة" بين المَعديّين والقُضاعيّين، وهي التي أدت لخروج بطون من قُضاعة عن نسل معد بن عدنان، ومن ثم الانتساب لغيرهم من القبائل: "ووقعَ الشرُ بين بني مَعدٍ وبني قُضاعة، فكان أولُ من خرج من مَعد تهامة، جُهينة وسعد هُذيم ابنا زيد بن سُود بن أسلُم، فنزلا الصحراء.." ([6]).

---

(1) نسب قريش، ص5

(2) المصدر السابق، ص5

(3) المصدر السابق، ص5

(4) أنساب الأشراف، جـ1، ص71، وللمزيد عن "رواية البلاذري" حول نسب كل من عرب قضاعة وجهينة، انظر ملحق الدراسة رقم 1، ص247 ويضم هذه الرواية كاملة.

(5) المصدر السابق، ص16

(6) المصدر السابق، ص16

وعلى هذا فهي روايةٌ قيِّمة تكشف لنا الكثير من الغموض حول نسب قُضاعة، ولعل افتراق البطون من ذات القبيلة كان ذائعاً بين العرب، كما وقع بين بني كَنانة وغيرهم ([1]). ومن ثم فإن هذه الرواية تعد من أهم المصادر لما بها من أخبارٍ لم ترد في غيرها ([2]).

6 – رواية اليَعقُوبي (ت: 292هـ/904م):

أما أحمد بن إسحاق اليعقوبيّ، فإنه يقول في روايته: "وكان معَدُ بن عَدنان أشرف ولد إسماعيل في عصره، وكانت أمهُ من جُرْهُم..فكان له من الولد عشرةُ أولادٍ، وهم: نِزَار، وقُضاعة، وعُبيد الرّماح، وقَنَص، وقُنَاصة..وكان معَد يُكني أبا قُضاعة.." ([3]). وهو ما يشير إلى نسبة قضاعة لعرب عدنان حسب "رواية اليعقوبي".

7 – رواية الطَبري (ت: 310هـ/923م):

هو محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ([4]). يذكرُ أن قُضاعة هو ابن معَد من صلبه، وإن بدأ حديثه بلفظ: "وقيل.." ([5])، وهو ما يُفيد الاحتمال. ويذكر عن العلاقة بين قُضاعة ومعد: "وقضاعة وبه كان يُكني معَد.." ([6]). كما يذكر أيضاً أن جماعات من عدنان تركوا بلاد الحجاز، وذهبوا لليمن "وتزوجوا فيهم، وتعَطّفت عليهم اليمنُ بولادة جُرهُم إياهم.."([7])، وهو ما يشير لما وقع من المصاهرة بين بطون عدنان وقحطان بمرورالزمن.

---

(1) يذكر ابن المَغربي: "وقعت حربٌ بين بني كنانة، فافترقوا فرقتين: بنو النضر بن كنانة..وبنو عبد مناة بن كنانة" (الإيناس بعلم الأنساب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2000م، ص94

(2) ومما ذكره البلاذري أيضاً: "كان عمرو بن مُرة الجُهنيّ أول من ألحَق قُضاعة باليمن" (أنساب الأشراف: جـ1، ص16). وقوله: "عن القاسم بن معن وغيره: إن أول من ألحق قُضاعة بحميرعمرو بن مُرة الجُهني، وكانت له صحبة.." (أنساب الأشراف: جـ1، ص16). ثم يذكر روايةً قيمة تذكر ما وقع بين بعض البطون من معد وقُضاعة: "قالوا: وكان الحارث بن تميم بن سعد بن هُذيل أجري وعامر بن عَبيلة فرسين لهما، فسبق فرس عامر، فمنعه الحارث سبقته، وقضاعة يومئذ بتهامة، فقال: يا آل معد، فلم يجبه أحد، فقال: والله لو كنت من معد لأجابني بعضهم، فهَمَّ قومه بالخروج، فكره بنو معد أن يخرجوا عنهم، ويصيروا الى غيرهم، فأعطي عامر سبقته.." (البلاذري: جـ1، ص18–19). وفي رواية أخري: "ويقال إن معانة أم قُضاعة كانت بدياً عند معد، فولدت له قُضاعة، ثم خلف عليها مالك بن عمرو، وتبني قُضاعة، فنسب اليه.." (البلاذري: جـ1، ص15، انظر العبر: جـ2، ص242). كما أورد البلاذري أشعاراً للعرب في الجاهلية، تنسب قُضاعة لمعد:

قُضاعةُ كان يُنسَبُ من مَعدٍ فلَجَّ بها السفَاهةُ والضِرارُ

فإن تعدُل قُضاعة عن معدٍ تكُن تُبَّعاً وللتُبَّع الصغارِ (للمزيد، انظر أنساب الأشراف: جـ1، ص16).

(3) تاريخ اليعقوبي: جـ1، ص191

(4) للمزيد عن ترجمة ابن جرير الطبري، انظر الصفدي: الوافي بالوفيات، ص245

(5) تاريخ الأمم والملوك، جـ1، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ، ص522

(6) المصدر السابق، ص522

(7) المصدر السابق، ص522–523

(ب) جُهينة بين نسل عَدنانْ ونسل قَحطانْ:

ويمكن القول بأن الروايات الآنفة وغيرها مما يضيق المقام لذكرها ([1])، هي روايات علي قدرٍ كبيرٍ من الأهمية، إذ تعد من أقدم المصادر في كتب الأنساب، ومن أكثرها قيمة، فرُواتُها مؤرخون ونسابة عاشوا إبان القرنين الثاني والثالث للهجرة، وجميعها تكادُ تؤيد الرأي القائل بأن قُضاعة من نسل عَدنان. وعلي هذا فالراجح أن جُهينة لم يكن من قحطان كما هو ذائعٌ عند كثيرٍ من المتأخرين. ومن ثم فالجهنيون في عمود نَسب النبي ε، إذ يلتقون في نسبه الشريف في جده مَعد بن عَدنان ([2]). ولعل من ذهب من المؤرخين لنسبة قُضاعة (أو جُهينة) لعرب قحطان (أو اليمن) هم من مؤرخيّ القرون المتأخرة، خاصةً ممن عاش إبان القرنين الثامن والتاسع الهجريين (القرنين 14 و15م)، مثل: أبي الفِداء إسماعيل (ت: 732هـ/1331م) ([3])، وابن خُلدون (؟) (ت: 808هـ/1405م) ([4]).

---

(1) ومن ذلك قول ابن حزم: "قال قوم: هو قُضاعة بن عدنان.." (جمهرة أنساب العرب، ص441)

(2) أما عن نسب النبي ε الي جده معد بن عدنان: "محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد منَاف بن قُصيّ بن كِلاب بنُ مرة بن كَعب بن لُؤي بن غالب بن فِهر (وهو قريش) بن مالك بن النَضِر بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضر بن نِزار بن مَعد بن عَدنان، من ولد إسماعيل بن إبراهيم أبي الأنبياء" (وللمزيد، انظر الذهبي: السيرة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987 م، ص17، المسعودي: التنبيه والإشراف، ص 200، البيهقي: دلائل النبوة، جـ1، ص138، ابن إسحاق: السيرة النبوية، جـ1، ص17، ابن هشام: السيرة النبوية: جـ1، ص13، ياقوت الحموي: المُقتَضب، ص18، ابن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ1، ص523)

(3) أما عن رواية أبي الفداء عن نسب قُضاعة، فإنه يقول: "قُضاعة، وهو قُضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ..وكان قُضاعة المذكور مالكا لبلاد الشحر..وقبر قُضاعة في جبل الشحر.."، أي أنه يؤكد نسبته إلى عرب اليمن أو القحطانيين (انظر، المختصر: جـ1، ص128).

(4) ويبدو في رواية ابن خلدون رغم مكانته كمؤرخ كبير بعض التردد وعدم التحديد حول قُضاعة، حيث نجده تارة يذكر أن قُضاعة من عرب قحطان، بينما تارة أخري يتحدث أنه من نسل عدنان، ومن ذلك قوله: "وأما قُضاعة، فقيل إنها حمير.." (العبر: جـ2، ص242). وفي موضع آخر يقول: "وقال زهير: قُضاعة وأختها مُضرية، فجعلهما أخوين، وقال إنهما من حمير بن معد بن عدنان. وقاله ابن عبد البر وعليه الأكثرون.." (العبر: جـ2، ص242). كما يقول أيضاً: "وربما يشهد للقول بأنهم من عدنان وأن بلادهم لا تتصل ببلاد اليمن، وإنما هي ببلاد الشام وبلاد بني عدنان، والنسب البعيد يحيل الظنون، ولا يرجح فيه إلي يقين.." (العبر: جـ2، ص 242). ثم يذكر ابن خلدون رواية عن ابن عباس وعبدالله بن عمرو بن العاص وجُبير بن مُطعم أن "أم قُضاعة" كان قد مات عنها زوجها مالكُ بن حمير، وهي حاملٌ بقضاعةٍ، فتزوجها بعدئذ مَعدّ بن عدنان، ثم ولَدت قُضاعة ابنها عنده، فتكَني به، ونُسِب إليه (العبر: جـ2، ص 242). واللافت أن السمرقندي وهو من نسابة السودان يذكر في بعض رواياته أن جُهينة من ولد معد بن عدنان، وفي رواية أخرى تنسبهم إلى الزبير بن العوام، أي أنه من عرب عدنان أيضاً (انظر مخطوطة السمرقندي: ورقة 11)

وكان منهم أيضاً: القلقشنديّ (ت: 821هـ/1418م) ([1])، والمقريزيّ (ت: 845هـ/1441م) ([2])، والمُبرد(ت: 286هـ/899م) ([3])، والقزويني (ت: 1300هـ/1891م)_([4]). وغيرهم من

المتأخرين. ويمكن القولُ بأن روايتهم مع عُلوّ شأنها، وعظيم قدرها، باعتبار من قال بها يعدون من كبار مؤرخي العرب، لكنها لا تتساوي في قيمتها مع روايات من سبقهم بحوالي ستة أو سبعة قرونٍ، مثل: ابن إسحاق، وابن هشام، ومُصعب الزُبيرّيّ، والبلاذُري، واليَعقوبيّ، والطَبريّ، وغيرهم من كبار المؤرخين. وهؤلاء يُعَدون من شيوخ المؤرخين، ونسَّابة العرب، وروايتُهم بمثابة الأصل إذا قورنت برواية اللاحقين لهم. والمعروفُ أن الرواية الأقدم هي التي يُعَوّل عليها إذا قُورِنتْ بأحدث منها زمنياً.

ورغم أن القلقشندي ذاته يقول بنسب قُضاعة لمالك بن حمير أي أنه من عرب اليمن إلا أنه في موضع آخر يقول: "وذهب بعض النسابين إلي أن قُضاعة من العدنانية، ويقولون: هو قُضاعة بن معد بن عدنان.." ([5]). وهذا يؤكد أن نسبة قُضاعة لقحطان ليست أمراً محسوماً، للمؤرخين الذي قالوا بذلك. كما يذكر ابن خلدون روايات عدة تشير إلى أن قُضاعة ينتسب لمعد بن عدنان، وهو ما فعله القزويني أيضاً. وقد جرى علي طريقتهم جم من المؤرخين الذين ذكروا أن قُضاعة من نسل قحطان، ثم ذكروا في ذات الوقت روايات أخرى تنسبه لعدنان، وهو ما يؤكد أن هؤلاء المؤرخين ممن نسب قضاعة لليمن لم يقطعوا بهذا النسب.

---

(1) أما "رواية القلقشندي" عن نسب قُضاعة، فهي تقول: "قضاعة ابن حمير بن سبأ، من القحطانية.." (صبح الأعشي في صناعة الإنشا، جـ4، تقديم: الدكتور فوزي أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2004م، ص67)

(2) بينما تقول "رواية المقريزي" عن نسب جُهينة: "وأما جُهينة، فإنها من قبائل اليمن، وهي جُهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة، وهي قبيلة عظيمة..". وهو بذلك يقطع بنسبة قُضاعة لعرب اليمن، وليس عدنان (للمزيد عن رواية المقريزي، انظر البيان والإعراب: ص136، وملحق 5، ص270)

(3) يقول المبرد: "ومن بني حمير بن سبأ: قُضاعة بن مالك بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير..". كما يذكر شعرا في ذلك: قُضاعة بن مالك بن حمير...النسب المعروف غير المنكر (للمزيد عن روايته، انظر نسب عدنان وقحطان، طبعة القاهرة، دون تاريخ، ص12)

(4) أما القزويني، فإنه يقول في روايته: "قضاعة: أبو حي من اليمن، وهو قُضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ..". ثم يقول القزويني في موضع آخر في هذا المخطوط: "ويزعم نسابة مضر أنه: قُضاعة بن معد بن عدنان.." (وللمزيد، انظر محمد مهدي القزويني: مخطوطة أسماء قبائل العرب، محفوظة بمكتبة جامعة الملك سعود، ومكتبة جامعة الرياض، قسم المخطوطات، مخطوطة رقم 366، ورقة 11). وهو ما يشير أيضاً إلي أن القزويني يؤكد نسبة قُضاعة إلي نسل مالك بن حمير، أي أنه من نسل عرب قحطان، إلا أنه في ذات الوقت يشير إلى أنه توجد روايات أخري تؤكد نسبة قُضاعة إلي نسل معد بن عدنان.

(5) نهاية الأرب، ص400

وللحق، فإنه لم يقل كل المتأخرين بنسبة جُهينة أو قضاعة لقحطان، ومنهم السمعاني (ت: 562هـ/1166م) الذي يذكر: "ويقال إن قضاعة هو ابن معد بن عدنان" (1). ومنهم ابنُ الأثير (ت: 630هـ/1232م) ([2])، إذ يقول إن قُضاعة من ولد مَعد، ثم يذكر أنه أخو نِزار بن

معد لأبيه وأمه، كما أنه ينعت قُضاعة بقوله: "وبه كان يُكنى مَعد.." ([3]). أي أن قُضاعة هو بكر معد. غير أن أكثر المُحدَثين أخذوا بقول أبي الفداء، والمقريزي، والقلقشندي، في نسب جُهينة لقحطان، مثل ماكمايكل Macmichel ([4])، وآركل Arkell وغيرهما، كما أن البعض ارتاب في ذلك النسب مثل روبرتسون سميث Robertson Smith ([5]). بينما تنسب الروايات السودانية جُهينة لقحطان، ومن ذلك مخطوطة أحمد ابن الفكي معروف ([6]). وبعد أن أكد الباحث نسب جهينة (أوقضاعة) لعدنان، فإننا سنعرض لموطنهم الأول في جزيرة العرب.

---

(1) الأنساب: جـ5، ص1515، كما ذكرأيضا: ويقال بل هو (قضاعة) من حمير(الأنساب:جـ5، ص1515)

(2) الكامل في التاريخ، جـ1، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ، ص528.

(3) المصدر السابق، ص528، وتشير بعض الروايات إلي أن بني قُضاعة كانوا قد استقروا في بلاد الشام، بعد أن هاجروا من بلاد اليمن، وذلك بعض انهيار سد مأرب (انظر: ابن صاعد الأندلسي: طبقات الأمم، تحقيق: د.حسين مؤنس، دار المعارف، ذخائر العرب، 1998م، ص61–62).

(4) أما ماكمايكل، فإنه يقول: "وتعد قُضاعة Kuda'a من أهم التقسيمات القبلية الحميرية Himyaritic، وهم من عرب قحطان Kahtan، وتضم قُضاعة العديد من القبائل الهامة، ومنها: بلي، وبنوكلب، وجُهينة..". انظر
A History of the Arabs in the Sudan , Volume I , Cambridge University Press , 1922 , P . 131

(5) ويمكن القول بأنه ليس كل المحدثين قالوا بنسب قُضاعة لقحطان، فإن منهم من ارتاب في هذا النسب، وأكد على وجود روايات قديمة تؤكد نسبة جُهينة لعدنان، ومنهم روبرتسون سميث (Robertson Smith): "إنه رغم أن أصل قُضاعة قد تم القبول به من جانب المؤرخين العرب المتأخرين، إلا أنه أمرٌ مشكوك فيه بدرجة كبيرة، وخاصة وأن الروايات القديمة تجعل قُضاعة من أبناء إسماعيل (أو الإسماعيليين) Isma'ilitic". (انظر Arabs in the Sudan, Macmichael: A History of the Vol. I, P. 131). وللمزيد انظر الفحل الفكي الطاهر: تاريخ وأصول العرب بالسودان، ص118، وروي ابن وهب أحاديثاً تقول بنسب قُضاعة لمالك بن حمير. وقد روى ابن وهب حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم: "عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ الْجُهَنِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ع قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَعْدٍ فَلْيَقُمْ فَقُمْتُ، فَقَالَ: اقْعُدْ....قُلْتُ: فَمَنْ نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أَنْتُمْ مِنْ حِمْيَرَ. وعن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ، يَقُولُ: " كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ع ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ مَعْدٍ فَلْيَقُمْ، قَالَ: فَقُمْتُ، فَقَالَ: اقْعُدْ، قَالَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقُلْتُ: فَمِنْ مَنْ نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْتُمْ مِنْ قُضاعة بْنِ مَالِكِ بْنِ حِمْيَرَ» (أحاديث رقم: 62 و63) (الجامع في الحديث، جـ1، تحقيق: مصطفي حسن، دار ابن الجوزي، الرياض، 1995).

(6) مخطوطة أحمد بن الفكي معروف، واسمها "ذكر قبائل العرب التى سكنت أرض السودان"، كتبت في سنة 1860م، انظر Macmichael:A History of the Arabs in the Sudan , Vol. II ,P.131، انظر متن هذه المخطوطة في ملحق الدراسة عن نسب قبيلة جهينة لعرب قحطان، ملحق 3، ص249

ثالثا – موطنْ جُهينة الأول:

كانت قبيلة جُهينة تسكنُ في الأصل فيما يعرف بـ"أرض جُهينة" أو "بلاد ينبُع" Yanbu Land of، وهي تقعُ على بحرالقلزم ([1]). وينبع ميناءٌ معروف خلال العصر الإسلامي، وقد اشتُهر باسم "الينبع" ([2]). وكذلك: "الينبوع" ([3]). وقال ابن خلدون عن العلاقة بين جُهينة وينبع: "فجُهينة ما بين الينبع ويثرب إلى الآن في متسع من برية الحجاز" ([4]). ويشير صاحب "تاريخ جهينة" إلى أن منازل تلك القبيلة قديماً كانت تمتد من البحرالأحمر وجدة وما دونها إلى أسفل عرق وفيه الحرم من السهل ([5]). ويعتقد أن بطون جُهينة بلغت هناك 10 بطون ([6]). واسم "ينبُع" في المضارع، وعُرفت المنطقة به لاشتهارها بالينابيع وآبار المياه ([7]). يقول ابنُ حوقل: "وينبعُ حصنٌ به نخيلٌ وماءٌ وزرعٌ" ([8]). وهو ما يؤكده الفيروزآبادي: "وينبعُ: حصنٌ له عيونٌ، ونخيلٌ، وزروعٌ بطريق حاج مصر" ([9]). ولعل وقوع ينبُع علي طريق الحج هو مما زاد شُهرتها في العصرالإسلامي. ورغم هجرة الكثير من بطون جُهينة من موطنهم الأول، إلا أنه لا تزال تقطن أرض جُهينة جماعات منهم، مما يشير إلى أنه لم تكن هناك هجرات جمَّاعية للجهنيين من موطنهم، خاصة وأن تلك البلاد تتميز بكثرة أوديتها وينابيعها، وخصوبة تربتها، وبها الواحات مثل ينبع النخل والعيص ([10]).

---

(1) القلزم: وهي السويس حالياً، قال ابن حوقل: "فأما القلزم فمدينة علي شفيرالبحر ونحوه، ومنتهي هذا البحر إليها..وسواحل هذا البحر وبينها وبين مصر مرحلتان.." (ابن حوقل: صورة الأرض، شركة نوابغ الفكر، 2009م، ص53).وربما اسم القلزم مشتق من الكلمة الواردة في المصادر اليونانية "كليزما" Klysma، ولاتزال توجد قلعة قرب السويس اسمها قلعة القلزم، شمال شرقي السويس (انظرصفاء حافظ عبدالفتاح: الموانىء والثغور المصرية من الفتح الإسلامي نهاية العصر الفاطمي، هيئة الكتاب، 2010م، ص23-25، عبدالحميد حامد سليمان: تاريخ الموانىء المصرية في العصر العثماني، هيئة الكتاب، 1995م، ص25).

(2) ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، جـ5، تحقيق: د. نبيل عبدالعزيز، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م، ص386، ابن خلدون: العبر، جـ2، ص247

(3) وقد اشتهر حاكم ينبع أيضا في بعض المصادر التاريخية باسم "صاحب الينبوع" (انظر ابن الصيرفي: إنباء الهصر بأنباء العصر، تحقيق وتقديم: د.حسن حبشي، هيئة الكتاب، سلسلة التراث، 2002م، ص7).

(4) العبر: جـ2، ص247، انظر في ملحق الدراسة خريطة توزيع القبائل العربية في بلاد شبه جزيرة العرب، ومنها قبيلة جهينة والقبائل التى كانت تجاورها في موطنها الأول، وللمزيد، انظر خريطة رقم 2 و3

(5) عبد الكريم الخطيب: تاريخ جُهينة، تحقيق: ابن غنيم المرواني الجهني، سلسلة تراث الجزيرة العربية، الطبعة الثالثة، 1997م (1418هـ)، ص17

(6) المرجع السابق، ص18

(7) حمد الجاسر: بلاد ينبع، الرياض، دون تاريخ، ص10

(8) صورة الأرض، ص38، وانظر أيضا رواية الإصطخري: مسالك الممالك، شركة نوابغ الفكر،القاهرة، 2011م، ص19

(9) القاموس المحيط: جـ3، ص97

(10) الخطيب: تاريخ جُهينة، ص18

ويشير القلقشندي إلى أن منازل جُهينة كانت بأطراف بلاد الحجاز من جهة الشمال، إلى بحر جدة، يقصد البحر الأحمر ([1]). وينبُع هو ميناء المدينة المنورة الرئيس على البحر الأحمر، وهو يَبعُد عنها بحوالي 208 كم ([2]). وكانت مناطق جُهينة تمتدُ من جنوب ينبُع، إلى شمال "الحَوراء" Haura ([3]).وأما جيران الجُهنيين في بلاد العرب من القبائل العربية الأخرى: قبيلة بَلّي Beli، وقبيلة جُذام Gudham، وقبيلة كِنانة Kenana ([4]). ويُعتقد أن وجود الجُهنيّين في بلاد العرب قد يؤرخ إلى حوالي سنة 1300 ق.م ([5]). ويذكر صاحب "تاريخ جُهينة" أن قبائل جُهينة وسعداً ونهداً أقاموا بصحاري منطقة نجد مدة من الزمن، ثم وقعت الفتن بينهم، ولهذا انتقلت قبيلة جُهينة إلى الحجاز وسكنت بها ([6]). وكان يسكن تلك المناطق قبلهم جماعات من قبيلة جذام، فأجلاهم عرب جُهينة، ثم سكنوا بلادهم ([7]).

واشتُهرت أرضُ جُهينة بالجبال الشاهقة، وهي تعرَف أيضاً باسم "جبال جُهينة" ([8]). ومن أشهرها: "الجبل الأشعر"، و"الجبلُ الأجرَد"، والأخير جبلٌ تجري به الأودية، وهو مما يلي منطقة "بُوَاط" ([9]). وقد وقعَت بالقرب منه إحدى الغزوات المعروفة، قال مَغلَطاي: "ثم غزوةُ بُواط جبلٌ لجُهينة من ناحية رَضوي.." ([10]). وثمَة رواياتٌ يتداولوها قاطنو بلاد جُهينة حول بلادِهم وجبالِها، وفضائلها في الإسلام. وحسبَ بعضها أن النبي ع أثنى على بلادهم، ومنها قوله ع : "إذا وقَعتْ الفتنُ، فعليكم بجَبليّ جُهينة" ([11]).

---

(1) قلائد الجُمان: إبراهيم الابياري دار الكتاب العربي، بيروت، 1982م، ص23، وانظر أيضا أبوالفداء: المختصر: جـ1، ص128

(2) حسام عبدالمعطي: العلاقات المصرية الحجازية في القرن 18م، هيئة الكتاب، القاهرة، 1999م، ص151

(3) H. A. Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan , Vol. I , P. 138

(4) H. A. Macmichael: Op. Cit. P. 138

(5) مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطي، هيئة الكتاب، 2011م، ص190

(6) عبد الكريم الخطيب: ص18

(7) المرجع السابق، ص18

(8) وتوجد العديد من الجبال الكبيرة وكذلك الأودية بين ينبع ومكة، وقد ذكرها الزمخشري: "ومنها: جبال الغور، وجبل شعران، وجبل يمني، وجبل ظبية، وجبل البراقة. ومن الأودية: وادي ينبع، وادي يليل، وادي وادان..هذه الأودية المعروفة ما بين حرم الله تعالي من أودية تهامة وبين المدينة، وكلها فيها النخل.." (الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م، ص84-85)

(9) ابن سعد: تهذيب السيرة النبوية والمغازي، تحقيق: هاني مهنى طه، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2015م، ص177، وانظر مغلطاي: السيرة النبوية، دار المعارف، 2001م، ص70، واشتهرت جبال جهينة بوجود النقوش المهمة التي تحكي بعض أحداث القبيلة، انظر الملحق أشكال رقم 5، 6، 7، ص262-263

(10) السيرة النبوية، ص70

(11) حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص158

وكانت بلاد جُهينة مستقراً لآل البيت، وكان لعلي بن أبي طالب وبنوه أوقافٌ بها ([1]). ويشير الإصطَخرّي إلى أنه كان بهذه البلاد أوقافٌ للإمام علي تولاها أولادُه من بعده ([2]). بينما يذكر ابنُ حوقل: "وفيما بينه وبين ديار جُهينة وسائر البحر ديار للحَسنيّين، يسكنونها ببيوت الشعر، نحو سبعُمائة بيت عادية كالأعرَاب، ويَنتجِعون المراعي والمياه.." ([3]). وقد لعب الجُهنيون دورا مهما في "ثورات الطالبيين" بالحجاز، خاصة إبان ثورة محمد بن عبدالله أخي النفس الزكية ضد العباسيين، وقد حاربت قبيلة جُهينة معه ضد أبي جعفرالمنصور (136-158هـ/755-775م)، ودافعت عنه لما خرج للمدينة ([4]). ويؤكدُ صاحبُ "الرحلة اليمَانيّة" وجود آل البيت في أرض جُهينة خاصة في ينبُع البحر([5]). ويذكر أيضاً أن شمال هؤلاء الأشراف على ساحل البحر"قبيلةُ حرب"، وهي واصلةٌ لحدود ينبُع البحر التابعة لجُهينة ([6]). وكان النبي ε قد أعطي جُهنيا يُدعى كُشد بن مالك الجُهني أرضاً هناك ([7]). وتذكرالمصادر أن "بئر بَدر" كانت لرجلٌ من جُهينة ([8]). وتبعُد البئرُ حوالي ثمانية بُرَد عن المدينة ([9]). ويذكر البكريُّ (ت: 487هـ/1094م) أن بدراً كانت من منازل جُهينة ([10]).

---

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص38

(2) الإصطخري: مسالك الممالك، ص19

(3) صورة الأرض: ص38، وربما نظرا لوجود آل البيت في بلاد جُهينة، فإن طائفة من الشيعة الكيسانية يقدسون جبلا هناك اسمه: "جبل رضوي"، قال ابن حوقل: "وهو الجبل الذي تزعم الكيسانية أن محمد بن علي بن أبي طالب فيها حيا مقيما، ومنه يحمل حجارة المسن الي سائر الآفاق.." (صورة الأرض: ص38)

(4) الخطيب: تاريخ جُهينة، ص17، أما النفس الزكية هو محمد بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بايعه بنو هاشم أيام الدولة الأموية، ولما تولى العباسيون الخلافة اختفي النفس الزكية بالمدينة في خلافة أبي جعفر المنصور، ثم أعلن الثورة على العباسيين (انظر السمرقندي: أنساب الطالبيين، تحقيق: د. عبدالكريم إبراهيم الجنابي، مكتبة الثقافة الدينية، 2006م، ص59)

(5) شرف البركاتي: الرحلة اليمانية، تحقيق: أميمة الصواف، مكتبة الثقافة الدينية، 2008م، ص109

(6) المصدر السابق، ص109

(7) وكان كُشد بن مالك الجهني قد أجار الصحابيين طلحة بن عبيدالله وسعيد بن زيد، لما أرسلهما النبي صلى الله عليه وسلم ليراقبا قافلة قريش التي كانت في طريق العودة من الشام، وكان علي رأسها أبو سفيان بن حرب قبل إسلامه، وكان ذلك قبل موقعة بدر الكبري في سنة 2هـ (حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص22)

(8) يذكر البلاذري: "وبدر ماء كان ليخلد بن النضر، ويقال: لرجل من جُهينة، واسم الوادي الذي هو به: يليل.." (أنساب الأشراف: جـ1، ص288)

(9) حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص170

(10) وكان "وادي بدر" من المقاصد المعروفة عند العرب، وكانت ترد إليه قوافل التجارة التي كانت تتجه صوب الشام قادمة من جنوبي مناطق جزيرة العرب (انظر حمد الجاسر: مرجع سابق، ص170-171).

وكان استقرار جُهينة على ساحل البحر الأحمر، أو بالقرب من الموانيء التي تُطل عليه، له دورٌ كبيرٌ في تسهيل عبور جماعات من جُهينة إلي مصر وسُودان وادي النيل، وهو ما جعل جُهينة من أكثر القبائل العربية التي سكنتْ تلك الأصقاع بعد أن فتح مصر. وظلت بلادُ ينبُع وما جاورها وطناً أصيلاً لجُهينة ([1]). وفي أيام النبي ε ، كانت توجد بلدة بالقرب من ينبع تعرف باسم "جُهينة"، وهي التي بعث إليها النبي ε سَريةً أبي عُبيدة بن الجرّاح رضي الله عنه ([2]). كما تعددت هجراتُ الجُهنيين شرقاً، فاستقروا بالعراق، وتُعرَف لهم مواطنٌ كثيرةٌ في البَصرة والكُوفة ([3]). ويشير السمعاني إلى أن جماعات من جهينة كانت قد نزلت الكوفة، وبها محلة تنسب لهم ([4]). كما استقروا في الموصل شمالي العراق ([5]).

وعاش الجُهنيون أيضا في مدينة حلَبْ، وغيرها من مدائن الشام ([6]). كما سكنوا اليمن، ويقال إنهم هناك يَنتسبون للصحابي عبدالله الجُهني ([7]). ويشير الدكتور عون الشريف قاسم إلى أن بطون جُهينة باليمن في كثير من روايات الأنساب السودانية يختلطون بأنساب عرب الحجاز، فهم يرتبطون بقبائل ذبيان، وفَزارة، وهم من ولد عدنان ([8]). كما يذكر البَكرّي أنه في نواحي إفريقية توجد قريةٌ تحمل اسم "الجُهَنيّين"، وهى التى قال عنها: "قرية الجُهنيّين كبيرةٌ، آهلةٌ، كثيرةُ الفنادق والحوانيت.." ([9]). كما يذكر البكري أيضاً أن فيها أشجارا وفواكه، وبينها وبين مدينة القَيروّان مرحلة، وعليها جبلٌ يدعى باسم "مَمطور" ([10]).

---

(1) محمد عوض محمد: السودان ووادي النيل، مطبعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة)، دون تاريخ، ص40

(2) للمزيد عن سرية جُهينة، انظر: ابن سعد: الطبقات الكبري، جـ2، تحقيق: د.حمزة النشرتي (وآخرين)، القاهرة، دون تاريخ، ص190–191 (3) ابن الأثير: اللُباب، جـ1، ص369

(4) الأنساب: جـ3، ص439

(5) الفيروزآبادي: القاموس المحيط، جـ4، ص 293 – 240، وربما توجد بالموصل أكثر من قرية باسم "جُهينة"، يقول ابنُ خلكان عن إحداها: "وهي قرية قريبة من الموصل، تجاوز القرية التي فيها العين المعروفة باسم عين القبارة..وهي مشهورة، وجُهينة أقرب من عين القبارة.." (وفيات الأعيان: جـ2، 260)

(6) السويدي: سبائك الذهب، ص44، القلقشندي: نهاية الأرب، ص 223، كما تعرف بعض العشائر والجماعات البدوية بالأردن باسم "جُهينة"، أو "الجُهنية". وهي عشائر تتبع الجبور، وهم من الكعانبة من بني صخر، إحدى قبائل البادية التي تسكن صحراء الأردن (خالد القاسمي: معجم أنساب القبائل العربية،جـ1، مكتبة النافذة، 2014م، ص68)

(7) السمرقندي: مخطوطة أنساب عرب السودان، ورقة31، عون الشريف قاسم: معجم القبائل والأنساب في السودان، جـ1، الخرطوم، 1996م، ص508، وعن نسل عبدالله الجهني بالسودان، انظر"مخطوطة السمرقندي" بملحق الدراسة، شكل32 وإحدى أورق النسبة، شكل34

(8) عون الشريف: مرجع سابق،ص508

(9) المُغرِب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ، ص146

(10) المصدر السابق، ص 146، وسبب تسمية هذا الوادي باسم "ممطور"، لأن معاوية بن حُديج نزله، فأصاب الوادي المطر، فاشتهر الوادي بهذا الاسم بعدئذ (البكري: المُغرب، ص146).

كما يتحدثُ ابنُ حَوقل عن استقرار جُهينة بإفريقية: "فمن القَيْروان إلي الجُهنيّين قرية مرحلة" ([1]). كما سكنت جماعات أخري منهم فارس، فالفيروزآبادي يشيرُ لقلعةٌ في طَبَرِستانْ ([2]) باسم "قلعة جُهينة" ([3]). كما توجد بمصر مدنٌ وقري عدة تحملُ اسم القبيلة، وتؤكد المصادر أن جُهينة كانت أكثر القبائل استقرارا في الجنوب، قال المقريزيُ: "وهي أكثر عرب الصعيد.." ([4]). وتقول "مخطوطة السمرقندي": "أما جُهينة أكثرها بأرض النيل.." ([5]) وبالشرقية عدةُ مدنٍ وقري باسمها ومنها "دوّار جُهينة" ([6]). وكذلك قرية "جُهينة البَحرية" بالصالحية ([7]). وفي قليوب ([8]). وتوجد قريةٌ باسم "جُهينة القِبلية"، بجِرجا بسوهاج ([9]). وهو ما يشيرُ لامتداد جماعات جُهينة بمصر، وأنهم استقروا في كثير من البلدان، وحيثُما طاب لهم المُقام بأحد البلاد حتى عرفت بهم، كما اشتهرت جهينة أيضا بالأعلام، والمشهورين.

---

(1) صورة الأرض: ص87، ولعلها ذات القرية التي تحدث عنها آنفا البكري في روايته.

(2) بلاد طبرستان: وتعرف باسم آمل طبرستان في بلاد فارس، ينسب لها كثير من الأعلام ومنهم المؤرخ والمفسر المعروف محمد بن جرير الطبري (224–310هـ/838–922م)، صاحب "تاريخ الرسل والملوك"، وله التفسير المشهور باسمه (تفسير الطبري) (للمزيد انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ2، ص325)

(3) القاموس المحيط: جـ4، ص239

(4) البيان والإعراب، ص136

(5) مخطوطة أنساب عرب السودان، نسخة مصورة، 189 /18 /Misc، ورقة رقم 9

(6) علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر، جـ11، ترجمة: مني زهير، هيئة الكتاب، 2002م، ص312

(7) جُهينة البحرية: يقول عنها علي باشا مبارك: "موضوعة علي الشاطيء الغربي لمصرف بحر البقر في جنوب كياد الفتاورة بنحو ثلاثة آلاف وخمسمائة متر، وفي شمال ناحية فاقوس كذلك، وبها جامعٌ ومئذنةٌ ومنزلٌ مشيدٌ لورثة المرحوم عيدروس بيك وجنينة وأهلها من عرب جُهينة القبيلة المشهورة.." (علي باشا مبارك: الخُطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، جـ11، هيئة الكتاب، 1994م، ص155)

(8) كتاب وصف مصر، جـ1، ص35

(9) جُهينة القبلية: يقول علي باشا مبارك: "ومنها جُهينة القبلية، قريةٌ صغيرةٌ من مديرية جرجا بقسم سوهاج، في أسفل بلاد إخميم. واقعة في أطراف بساط الجبل الغربي، ممتدة جنوباً وشمالاً فوق السوهاجية في جنوب ناحية نزة علي بعد 3 آلاف كم، وفي شمال قري وديعة بنحو 9000 متر..وفيها مساجد عامرة وقد يقرأ فيها دروس العلم قليلا، وبها نخل كثير بينها وبين السوهاجية، وفيها كثير من شجر المقل. وأهلها أكثر من 10 آلاف نفس من عرب جُهينة القبيلة المشهورة، ولهم كرم زائد وشهامة وفصاحة لسان، وذكاء وفطنة وثبات جنان..ولهم غنداق واسع من الأرض الخصبة، ولهم خبرة بفلاحة الأرض، ويقتنون الجياد، وفاره الحُمر وعراب الإبل.." (الخطط التوفيقية: جـ11، ص155–156). كما توجد العديد من شوارع وميادين القاهرة الكبري العديد ممن يحمل اسم جُهينة، منها "ميدان جُهينة" بمدينة السادس من أكتوبر بالجيزة، ويوجد شارع باسم جُهينة بحي الدقي، وهو متفرع من شارع التحرير.وكانت الجيزة من المواطن الأولي لعرب جُهينة التي قطنوها بعد الفتح، خاصة ميت عقبة التي أقام بها والي مصر عقبة بن عامر الجُهني.

رابعا - أعلام جُهينة من الصحابة والعلماء:

تُعد قبيلة جُهينةُ من أكبرِ القبائل العربية، وينتسبُ لها جمٌ كبيرٌ من الصحابة، ولهذا يحلو لكثيرين من جُهينة أن يُطلقوا عليها "قبيلة الصحابة". وقد ورَد في المصادر أسماء عددٍ كبيرٍ من الصحابة والصحابيات منها، وكذلك من التابعين، وتابعي التابعين، وكبار العلماء. وقد سكن عددٌ كبيرٌ من هؤلاء الجُهنيّين مصر، وسنحاول ذكر تراجم أشهرهم. ويعد **عُقبة ابن عامر الجُهَني** (ت: سنة 58هـ/678م) أشهرُ الصحابة ممن ينتسبون لجُهينة، فهو صحابي من كبارِ رواة الحديث عن النبي ε ، واسمهُ عُقبة بن عَامر بن عِيسي بن عَدي الجُهني، ويُكني: أبا عمرو، وكذلك: أبا حماد، وكان إسلامه بعد الهجرة من مكة إلى لمدينة ([1]).

وقد ورد اسم عقبة في مَخطُوطة "أسماء الصحابة البدريين" ([2])، أي أنه كان ممن شهدوا "يوم بَدر" في سنة 2هـ/623م ([3]). وكان عقبة رضي الله عنه من أحسن الصحابة صوتاً في تلاوة القُرآن الكريم ([4]). وكان مُقرئاً مُفوّهاً، وهو يعد أيضا من فقهاء الصحابة. وكان عُقبة رسولَ الخليفة إلى عمرو بن العاص لما كتَب إليه يأمره أن يَرجِع عن فتح مصر ([5]). وقد رَوي عقبة بن عامر عن النبي ε نحو مائة حديثٍ ([6]). وشَهد فتح مصر، وكان له دورٌ مهمٌ في فتوح مدن شمالي مصر ([7]). ثم طاب لعُقبة بن عامر المُقام بمصر، وصار والياً عليها بعد ذلك ([8]). وممن ينتسب لقبيلة جُهينة أيضا من الأعلام:

---

(1) يَروي عُقبة بن عامر الجُهني رضي الله عنه قصة إسلامه قائلا: "قدمَ رسولُ الله ε المدينة وأنا في غنم لي أرعاها، فتركتُها. ثم ذهبتُ إليه فقلتُ: تبايعني يا رسول الله ؟ قال ε: ممن أنت ؟ فأخبرته. فقال ε أيما أحب إليك تبايعني بيعة أعرابية أو بيعة هجرة، قلت: بيعة هجرة، فبايعني.." (ابن الأثير: أُسد الغابة في مَعرفة الصحابة، تحقيق: أحمد بن شعبان، مكتبة الصفا، القاهرة، 2007م، ص38). وعن ترجمة ابن الأثير كاملة عن عقبة بن عامر الجُهني، انظر ملحق رقم 6.

(2) انظر صورة هذه المخطوطة وبها اسم عقبة بن عامر الجهني في الملحق، شكل رقم 8، ص264

(3) مخطوطة الصحابة البدريين: جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ورقة رقم 10

(4) روي أبوعبد الرحمن الحُبلي: "أن عُقبة كان من أحسن الناس صوتا بالقرآن، فقال له عمر بن الخطاب: اعرض علي، فقرأ (عقبة)، فبكي عمر بن الخطاب.." (انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ4، ص91)

(5) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1999م، ص294

(6) المصدر السابق، ص294

(7) البلاذري: فتوح البلدان، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ، ص257

(8) للمزيد عن ترجمة عقبة، السمعاني: الأنساب، جـ3، ص439-440)، السخاوي: تُحفة الأحباب وبُغية الطُلاب، تحقيق: محمود سبيع، وحسن قاسم، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2014م، ص345، ابن الأثير: اللُباب، جـ1، ص 369، ابن الأثير: أُسد الغابة، جـ4، ص38، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ4، ص90، ابن حجر: الإصابة، جـ5، المكتبة التوفيقية، د. ت، ص222، ابن إياس: جـ1، ص118=

– **أبوعبد الرحمن الجُهني**، أحد أعلام جُهينة، يذكره القُدامي كابن عبدالحَكَم ([1])، والذهبي، وابن الرَبيع ([2])، والسيوُطي: أبي عبد الرحمن الجُهني، وهكذا ورد في حديث ابن ماجة ([3]). بينما يذكره المُحدَثون: عبدالرحمن الجُهني ([4]). وهي تسميةٌ مأخوذةٌ عن ماكمايكل، والصحيح ما ورد عند القدامى. قال الذهبي: "يعدُ في المصريين" ([5])، إشارةٌ لطول إقامته بمصر، حتى عُدّ من أهلها. ويَنسِبُ عرب جُهينة أنفسَهم لأبي عبد الرحمن الجُهني في رأي البعض. وكان راوياً لحديث النبي ع، ولم يرو عنه غيرُ أهل مصر ([6]). قال ابنُ الرَبيع: لهم عنه حديث ([7]). وروى عنه كبارُ مُحَدثي مصر: يَزيدُ بن أبي حَبيبْ ([8])، وابن لَهيّعة ([9])، وغيرُهما ([10]).

– **زيد بن خالد الجُهني:** صاحب لواء جُهينة في فتح مكة، وتوفي بمصر(50هـ/670م) ([11]).

=المقريزي: المواعظ والاعتباروالاعتباربذكر الخطط والآثار، جـ4، مكتبة دار الآداب، د.ت، ص318، ابن عبدالبر: الإستيعاب، جـ3، مكتبة مصر، د. ت، ص58، ابن عبد الحكم: ص294، سعاد ماهر: مساجد مصر، جـ11، ص86، عبد الصبور شاهين: مصر في الإسلام، هيئة الكتاب، 2001م، ص230

(1) ابن عبدالحكم: هو شيخ المؤرخين في مصر الإسلامية، توفي سنة 257هـ/870م (للمزيد عن ترجمته ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ1، ص60–61، محمد عبدالله عنان: مؤرخو مصر الاسلامية، ص12)

(2) ابن الرَبيع الجيزي: فقيه مصري، من تلاميذ الشافعي (ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ1، ص228)

(3) سنن ابن ماجة: دار الفجر للتراث، القاهرة، 2010م، حديث 3699، انظر الحديث ملحق 7، ص272

(4) أما الفرق بين تسميتي أبي عبدالرحمن وعبد الرحمن لُغةً أن الاسم الأول (أبوعبدالرحمن) هو كُنيته، وكانت العرب تَكني الرجل في الغالب باسم ابنه الأكبر، ومن ذلك كُنية النبي بابنه الأكبر القاسم (وللمزيد عن الكُنية انظر مختار الصحاح: ص581) وعلى هذا فاسم "أبي عبدالرحمن" ليس اسمه بل هو اسم ابنه الأكبر.

(5) السيوطي: حسن المحاضرة، جـ1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص205

(6) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص205

(7) السيوطي: حسن المُحاضرة، جـ1، ص205

(8) يَزيد بن أبي حَبيبْ: يُكنى أبا رجاء المصري، وهو نوبي الأصل من دنقلة. وكان أبوه سويد الأزدي من سبي "حملة النوبة" (31هـ/652م)، وكانت أمه مولاة لتجيب. ولد يزيد حوالي 50هـ/670م، قال الذهبي: "ولد بعد سنة خمسين في دولة معاوية". ويزيد من التابعين، وهو أول من نشر العلم بمصر (وعن ترجمته انظر ابن الجوزي: تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، تقديم: د.حكمت بشير، دارالشريف للنشر والتوزيع، الرياض، 1419هـ، ص159، الذهبي: سيرأعلام النبلاء، جـ3، ص296، السيوطي: حسن المُحاضرة، جـ1، ص259، أحمد أمين: فجرالإسلام، هيئة الكتاب، 1996م، ص302–303، كرم الصاوي باز: مصروالنوبة في عصرالولاة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2006م، ص322)

(9) عبد الله بن لَهيّعة: هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان، ولد ابن لهيعة في سنة 97هـ/716م بمصر، ومات بها في سنة 174هـ/791م، وابن لهيعة فقيه ومحدثٌ وراوٍ مشهور، وهو من طبقة فقيه مصر وراويها الأكبر الليث بن سعد، وإن أكبر منه في السن ومن السابقين عليه. قال الإمام الذهبي عن ابن لهيعة: "القاضي، الإمام، العلامة، محدث ديار مصر مع الليث.." (سيرأعلام النبلاء، جـ7، ص337)

(10) ابن عبدالحكم: ص204

(11) سبائك الذهب،ص44، ابن عبدالبر: الاستيعاب، جـ1، ص262

- **عمرو بن ثعلبة الجُهني:** هو أحد الصحابة، وهو الذي مسح النبيε علي وجهه ورأسه ([1]).
- **مُعاذ بن أنس الجُهني:** صحابي ممن سكن مصر بعد الفتح العربي، وتوفي بها ([2]).
- **جابر بن أسامة الجُهني:** صحابيٌ سكن مصر بعدالفتح، وطاب له سكناها حتى وفاته ([3]).
- **عمرو بن مُرة الجُهني:** شهد فتح مصر، وهو الذي أخرج قُضاعة من عدنان، ونسبهم لليمن، عن القاسم بن معن: "إن أول من ألحق قُضاعة بحمير عمرو بن مرة الجُهني" ([4]).
- **عبدالله بن أُنيس الجُهني:** شهد العقبة الثانية، وشهد أُحد وما بعدهما، ثم سكن مصر. وهو الذي بعثه النبي ε علي رأس سَرية إلى سُفيان بن خالد الهذلي (4هـ/625م) ([5]).
- **كُشد الجُهني:** أجار طلحة بن عبيدالله وسعيد بن زيد لما بعثهما النبي ε الي أرض الحوراء من حي جُهينة قبيل "يوم بدر"، فأنزلهما كُشد الجُهني، وأحسن ضيافتهما ([6]).
- **سَنان بن وبرالجُهني:** حليف الأنصار، له مواقف يوم بني المصطلق سنة 5هـ/626م ([7]).
- **رَشدان الجُهني:** قال ابن حجر: "الذي يصح من جُهينة أن وفدهم كان بعضهم من بني غيان (رشدان) بن قيس..فقال(النبي ε): من أنتم ؟ قالوا: بنو غيان، قال ε: بل أنتم رشدان" ([8]).
- **سُبرة بن معبد الجُهني:** شهد فتح مكة، روى عن النبي ε حديث زواج المُتعة ([9]).
- **عبد الله بن صالح الجُهني:** من طبقة تابعي التابعين، هو كاتبُ الليث ابن سعد (94-175هـ/713-792م)، ولد سنة 137هـ/756م، روي عنه ابن معين والبُخاري ([10]). كما أن جهينة ارتبطت بالعديد من الأحداث المهمة في تاريخ الإسلام، وهو ما سنناقشه بعد ذلك.

---

(1) ابن القيسراني: كتاب الأنساب المتفقة، ص115

(2) وللمزيد عن ترجمته، انظر ابن حجر: الإصابة، جـ6، 114، السيوطي: دَرُ السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة، جـ1، تحقيق: حمزة النشرتي، القاهرة، دون تاريخ، ص40

(3) السيوطي: دَرُ السحابة، جـ1، ص40، عبد الصبور شاهين: مصر في الإسلام، ص296

(4) وعن ترجمته انظر البلاذري: أنساب الأشراف، جـ1، ص15، حسن المُحاضرة، جـ1، ص161

(5) شهد العقبة الثانية سبعون من الأنصار وامرأتان، بايعوا النبي عند العقبة في موسم الحج (انظرابن سعد: تهذيب السيرة، ص98-99، المسعودي: التنبيه والإشراف، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2009م، ص216، وانظر أيضا مَغلَطاي: مُختصرالسيرة النبوية، ص80، السيوطي: دَرُ السحابة، جـ1، ص41)

(6) المقريزي: إمتاع الأسماع، جـ1،وزارة الشئون الدينية، قطر، دون تاريخ، ص62

(7) انظر ابن سعد: تهذيب السيرة، ص280-281، وانظر المقريزي: إمتاع الأسماع، جـ1، ص199-200

(8) ابن حجر: الاصابة، جـ2، ص415، وانظر أيضاالسيوطي: حسن المُحاضرة، جـ1، ص159

(9) مخطوطة الذهبي، ص11، السيد سابق: فقه السنة، جـ2، الفتح للاعلام العربي، 1999م، ص325

(10) الذهبي: تاريخ الإسلام، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2014م، ص224-225، وممن ينتسب لجهينة أيضا لكنه ليس في مكانة السابقين: لُقَيط بن ناشر الجُهني، إذ إنه كا ممن شارك في مقتل الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عن ترجمته، انظر أبوحنيفة الدينوري: الأخبار الطوال، ص257)

خامساً – الأحداث التاريخية التي ارتبطت بقبيلة جُهينة:

ارتبطت قبيلة جُهينة بالكثيرِ من الأحداث قبل الإسلام، وبعده، خاصةً وأن موطنها يقعُ في منطقةٍ تُشرِفُ على البحرالأحمر، كما كانت بلادهم تقعُ علي الطريق الواقع بين مكة والمدينة، وهي منطقةٌ تُشرِفُ علي طريق التجارة بين الحجاز والشام، وإن كنا لا نعرف للجُهنيين إلا القليل من المشاركات في الغزوات قدر شهرة هذه القبيلة. وتشير كتب السيرة إلى أن جُهينة ساهمت في عدة أحداث مهمة في التاريخ الإسلامي ([1]). ولهذا أثنى النبيُ ε على قبيلة جُهينة في عدة أحاديثٍ، ومنها ما يرويه البُخاريُ ([2]) أنه ε قال: "قريشٌ، والأنصار، وجُهينة، ومُزينة..ليس لهم مَولي دونَ الله ورسوله" ([3]). ومما يشيرُ أيضاً لمكانة جُهينة أنها ارتبطت ببعض المأثورات، ومنها: "وعند جُهينة الخبرُ اليَقينْ.." ([4]). كما ترتبط ببعض اللطائف عند العرب، ومنها ما وقع لعمر بن الخطاب مع رجلٍ من جُهينة اسمه شهاب كان يسكن "الحُرقة"، ثم أنهى عمر حديثه معه قائلاً: "أدرك أهلك، فما أراك تدركهم إلا وقد احترقوا" ([5]).

---

(1) يقول عبدالكريم الخطيب: "أخذ اسم جهينة يظهر مقترنا بكثير من الأحداث السياسية..ورأيناها تساهم أفرادا وجماعات في الأحداث الهامة التي كان لها أثر كبير في نشر الإسلام.." (انظر تاريخ جُهينة: ص16)

(2) وقد جعل البُخاري في كتاب الصحيح باباً باسم: "باب ذكر أسلم وغفار ومُزينة وجُهينة وأشجع". وقد روت كتب السنة الكثير من الأحاديث عن جُهينة، ومناقبها، ومنها أن النبي ε قال: "أرأيتم إن كان جُهينة ومزينة وأسلم..من بني تميم وبني أسد..فقال رجل: خابوا وخسروا، فقال النبي ε: هم خير من بني تميم ومن بني أسد" (البُخاري: رقم 3515). وقال ε أيضاً: "والذي نفس محمد بيده ! لغفار وأسلم ومزينة ومن كان من جُهينة..خير عند الله يوم القيامة من أسد وطييء وغطفان" (صحيح مسلم: رقم 2521)، وقال ε: "أسلم وغفار ومزينة ومن كان من جُهينة خير من بني تميم وبني عامر والحليفين أسد وغطفان" (صحيح مسلم: 5221، 191). كما روي الترمذي أحاديثا في فضل جُهينة، ومنها، قول النبي ε: "الأنصار ومزينة وجُهينة وغفار وأشجع، ومن كان من بني عبد الدار موالي، ليس لهم مولي دون الله، الله ورسوله مولاهم" (سنن الترمذي: رقم 3949)، وكذلك وردت أحاديث أخرى في "سنن الترمذي"، ومنها أحاديث رقم 3959، 3960.

(3) صحيح البُخاري: رقم 3512، وهو حديثٌ متفقٌ عليه، رواه أيضاً الامام مسلم (حديث رقم 2520)

(4) وقد سبق الحديث عن هذا القول المأثور وأصله، ودلالته، ومقارنة البعض بينه وبين قول العرب "وعند جُفينة الخبر اليقين" (للمزيد، انظر الفصل الأول من هذه الدراسة، ص 4).

(5) وقد وردت تلك الرواية المشهورة في العديد من المصادر التاريخية، ومنها: "قال هشام (يقصد هشام بن محمد بن السائب الكلبي): خرج عمر إلي حرة واقم، فلقي رجلا من جُهينة، فقال له ما اسمك ؟ قال: شهاب، قال: ابن من ؟ قال: ابن جمرة، وممن أنت ؟ قال: من الحُرقة، قال: ثم ممن ؟ قال: من بني ضرام، قال: وأين منزلك ؟ قال: بحرَّة ليلي، قال: فأين تريد ؟ قال: لظي (وهي موضع)، فقال عمر: أدرك أهلك، فما أراك تدركهم إلا وقد احترقوا، قال فأدركهم، وقد أحاطت بهم النار.." (أبو سعد الآبي: نثر الدرر، جـ7، هيئة الكتاب، مركز تحقيق التراث، 1990م، ص 198، الخطيب: تاريخ جُهينة، ص5).

وتوجد بعضُ النقوشِ الصخرية المهمة لجُهينة، وهي تصورُ فيما يبدو انتصارا رمزيا لأفراد من القبيلة على أعدائهم، ومنها نقشٌ يصورُ رجلاً يَمتطي ناقةً، ويرفعُ شيئاً كالسيف، إشارةً لانتصاره ([1]). ونقشٌ آخر لرجلين يرفعان سيفيهما فرحاً بالنصر ([2]). ولا يُعرفُ علي وجه التحقيق تاريخُ تلك النقوش. والمعروفُ أن "بئر بدر" تقع في مناطق جُهينة، وكانت البئرُ ملكاً لرجلٍ من هذه القبيلة ([3]). ولذا شَرُفت أرضُ جُهينة بأول انتصارٍ حققهُ المسلمون علي المشركين في "يوم بدر" سنة 2هـ/623م. كما وقعت في هذه الأرض أيضاً "غَزوة بُواط" من أحد جبال جُهينة ([4]). ومن الأحداثِ التي ترتبطُ بهذه القبيلة، أن النبي ε بعث سَريةً إلي بلاد جُهينة في سنة 8هـ/629م يقودها أبوعُبيدة بن الجرّاح في ثلاثمائة رجل من الصحابة، وهي تُعرَفُ باسم "سَرية جُهينة" أو "سَرية الخَبَط" ([5]). وقد دعاها البلاذُريُ باسم "سَرية أبي عُبيدة إلي جُهينة القبلية" ([6]). كما ساهمت قبيلة جُهينة بقوة في فتح مكة (8هـ/629م)، إذ بلغ عدد أفرادها حوالي 1400 جندي مع النبي ε، وكان يقودها خالد بن الوليد ([7]).

---

(1) وللمزيد عن هذه النقوش انظر موقع ملتقي جُهينة التاريخي، www.tarekjohina.com، وانظر أيضاً صورة هذا النقش في ملحق هذه الدراسة، شكل رقم 6، ص262

(2) انظر أيضا موقع ملتقي جُهينة التاريخي، www.tarekjohina.com، وانظر كذلك صورة هذا النقش في الملحق، شكل رقم 7، ص263

(3) البلاذري: أنساب الأشراف، جـ1، ص288، حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص170- 171

(4) غَزوة بُواط: للمزيد عن هذه الغزوة، انظر مَغلَطاي: مُختصر السيرة النبوية، ص 70

(5) سرية جُهينة: أو "سرية الخبط"، ويُقصد به ورق الشجر، لأن الصحابة كان قد نفذ طعامهم، وقيل: إنه وقعت المجاعة، ولم يجدوا قوتا، فأكلوا ورق الشجر. قال ابن القيم: "فأصابنا جوع شديد حتي أكلنا الخبط، فسمي جيش الخبط.." (ابن القيم: زاد المعاد، التقوي للنشر، القاهرة، 2007م، ص288-289). وقال الواقدي: "وإنما سُميت..لأنهم أكلوا الخبط حتى كأن أشداقهم أشداق الإبل.." (الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ2، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ، ص175). يقول الحلَبيُ: "بعث رسول الله أبا عُبيدة بن الجراح في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار..إلي حي من جُهينة في ساحل البحر ليرصدوا عير قريش.." (الحلَبي: مختصر السيرة الحلبية، هيئة الكتاب، 2013م، ص214). وقال ابنُ سعد: "ثم سرية الخبط أميرها أبوعُبيدة..إلي حي جُهينة بالقبلية، مما يلي ساحل البحر، وبينها وبين المدينة خمس ليالٍ.." (ابن سعد: الطبقات الكبري، جـ2، ص190-191). وللمزيد عن "سرية جُهينة" انظر أيضاً ابن القيم: فقهُ السيرة، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ، ص256، البلاذري: أنساب الأشراف، جـ1، ص38، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ4، ص275، مَغلَطاي: السيرة النبوية، ص97).

(6) أنساب الأشراف: جـ1، ص 38، وقد ذكرها الحافظ ابنُ كثير بقوله: "سَرية أبي عُبيدة إلي سيف البحرِ" (انظر البداية والنهاية: ج4، ص275)

(7) الخطيب: تاريخ جُهينة، ص16

كما بعث النبي ε أسامةَ بن زيدٍ بعد "غزوة مُؤتة" سنة 8هـ/629م على رأس سَريةٍ لموضعٍ يقع في أرض جُهينة اسمه "الحُرقات" ([1]). ويُعرف أيضاً في بعض المصادر بـ"الحُرَقة" ([2]). وفيها وقع موقف مشهور لأسامة بن زيد لما قتل رجلاً من جُهينة بعد أن نطق الشهادة، فلامه النبيُ ε على ذلك ([3]). كما أن النبي ε لما دعا قبائل العرب في سنة 9هـ/630م لنصرة الدين قبل "يوم تَبوك" ([4])، بعثَ رافع بن مَكيثْ إلي حي جُهينة ليدعُوهم لقتالِ الروم ([5]). وعن ذلك قال المقريزيُ: "وبعثَ إلى القبائل وإلى مكة يستَنفِرَهُم إلى عدوِهم..فبعثَ رافِع ابن مَكيثْ..إلى جُهينة.."([6]). وفي عام الوُفُود (9هـ/630م)، كانت جُهينة ممن قَدُم إلى النبي ε بالمدينة ([7]). وقد جعل النبي ε كَعبَ بن مالك على صدقات جُهينة ([8]). ولما وقعت الرِدّة بعد النبي ε، بقيت جهينة على الإسلام ([9]). ثم تأتي لحقبة مهمة في تاريخ هذه القبيلة مع هجرات جماعات جهينة إلى أرض مصر بعد الفتح العربي.

---

(1) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ4، ص276، روي الطبراني عن سرية الحرقات في حي جُهينة، عَنْ أُسَامَةَ بن زيد، قَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً إِلَي الْحُرُقَاتِ» (الطبراني: المعجم الكبير، باب الألف، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1994م، حديث رقم381).

(2) الآبي: نثر الدُرر، جـ7، ص198

(3) وفي هذه السرية قال النبي ε لأسامة بن زيد: "يا أسامة أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله ؟". فقال أسامة بن زيد بعدها: "تمنيتُ أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم" (ابن كثير: البداية والنهاية، جـ4، ص276).

(4) يوم تَبوك: معركة تُعرَف باسم "غزوة العُسرة"، سببها أن النبي بلغه أن هرقل ملك الروم يجمع الجيوش في الشام لحرب المسلمين. وفي هذا اليوم أنفق عثمان بن عفان ألف دينار و300 بعير بأحلاسها وأقتابها لاعداد جيش المسلمين (للمزيد انظر: ابن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، جـ4، تحقيق: كليمان هوار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010م، ص240، ابن هشام: السيرة النبوية، جـ4، ص56، ابن سعد: الطبقات الكبري: جـ2، ص218، القسطلاني: المواهب اللدنية، جـ1، ص418، ابن القيم: زاد المعاد، جـ2، ص363، تاريخ اليعقوبي: جـ2، ص44، البلاذري: فتوح البلدان، ص92)

(5) وللمزيد، انظر المباركفوري: الرحيق المختوم، ص364

(6) المقريزي: إمتاع الأسماع، جـ1، ص446

(7) عام الوُفود: وقدوم وفد قبيلة جُهينة للنبي ε، للمزيد عن ذلك، انظر ابن إسحاق: جـ2، ص637، ابن هشام: جـ4، ص140، تاريخ اليعقوبي: جـ2، ص52–53، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ص 154، المقريزي: إمتاع الأسماع، جـ1، ص446، المباركفوري: الرحيق المختوم، ص380–381، محمد حسين هيكل: حياة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996م، ص380

(8) وقيل: كانت صدقاتُ جُهينة وحدها لرافع بن مَكيثْ (انظر البلاذري: أنساب الأشراف، جـ1، ص531).

(9) المقريزي: إمتاع الأسماع، جـ1، ص540، يقول المقريزي: "ثم خرج أبوبكر يُشيع أسامة..فخرج فوطيء بلاداً هادئة لم يرجعوا عن الإسلام، جُهينة وغيرها من قُضاعة" (إمتاع الأسماع: جـ1، ص540)

سادساً – هجرات جُهينة إلى مصر بعد الفتح العربي (21هـ/641م):

يُعد فتح مصر ([1]) مرحلةً فارقةً في تاريخ قبيلة جهينة واستقرارها بمصر، فإن عدداً كبيرًا منهم قدموا إلى مصر مع عمرو بن العاص ([2])، ومنهم من أتى إليها بعد الفتح العربي، وطاب لهم المقام بها. ثم توغلَت جماعات منهم بعد ذلك جنوباً، وزادت أعدادهم حتى صارت بطون جهينة أكثر جماعات العرب بالصعيد. وقد لعبت هجراتُ الجُهنيين دوراٌ كبيراً في تَعريب مصر وشعبها، وكذلك بلاد النوبة. وقيل إن أعداد العرب بمصر أيام الدولة الأموية (40-132هـ/660-751م)، وتحديداً في خلافة معاوية بن أبي سفيان (40-60هـ/660-680م) بلغت حوالي 40 ألفاً ([3]). وبلغت حامية الإسكندرية سنة 43هـ/663م حوالي 12 ألفا من العرب، ثم بلغ عددهم حوالي 27 ألفا أيام معاوية بن أبي سُفيان ([4]).

---

(1) انتهى فتح مصر يوم 10 ذو الحجة سنة 21هـ/9 نوفمبر 641م (وللمزيد، انظر ابن عبدالحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص53، حسن أحمد محمود: مصر الإسلامية، القاهرة، 1990م، ص21).

(2) عَمرو بن العاص: اسمه عَمروُ بن العَاص بن وائل السَهميّ، أحد كبار الصحابة، وفاتح مصر. تولي الإمارة بها في خلافة عمر بن الخطاب (13-23هـ/634-643م)، ثم عزله الخليفة "عثمان بن عفان" رضي الله عنه (27هـ/647م)، وعاد عمرو بن العاص للإمارة مرة أخري في أيام معاوية بن أبي سفيان (41هـ/661م). وقد عاش عمرو بن العاص عمرا مديدا، قيل: مائة سنة، وكان موته بمصر. ذكر القلقشندي: "قبره بجوار قبرعقبة بن عامر. وقال المسعودي: "وفي سنة 43هـ، مات عمرو بن العاص بمصر.."، وقال ابن عبد الحكم: "دفن عمرو بن العاص في المقطم.."، وقال ابن الأثير: "وكان موته بمصر ليلة عيد الفطر.."، وقال ابن إياس: "وقيل: دفن في سفح جبل المقطم.." (وللمزيد عن ترجمة عمرو بن العاص، انظر: الكندي: الولاة والقضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م، ص6-7، ابن الأبار: الحُلة السيراء، جـ1، تحقيق: د.حسين مؤنس، دار المعارف، 2013م، ص13-17، المسعودي: مُروج الذهب، جـ3، ص24، ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص253، الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ3، ص24، السخاوي: تُحفة الأحباب، ص345، ابن اياس: بدائع الزهور، جـ1، ص117، ابن سعد: الطبقات الكبري، جـ2، ص189، ابن الأثير: أُسد الغابة، جـ4، ص173). وللمزيد عن فتح مصر، وما ارتبط بذلك من الأحداث التاريخية، انظر البلاذري: فتوح البلدان، ص252 وما بعدها، عبدالكريم الخطيب: تاريخ جُهينة، ص24-25 حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2000م، ص13-14، رولاند أوليفر: موجز تاريخ إفريقية، ترجمة: دولت صادق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1965م، ص76، جوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مكتبة النافذة، 2012م، ص233. وعن هذا الفتح،

انظر أيضاً: انظر أيضاً: Caroline Williams: Islamic Monuments, AUC, Cairo, 2008, P. 39
Bertram Thomas: The Arabs, London , 1937, P P. 94 - 95
Philip K. Hitti: The Arabs A Short History , Princeton University Press , U S.A , 1943 , P. 56-57 , Shaban: Islamic History, Cambridge Press, 1971, PP. 31-32

(3) عبدالمجيد عابدين: دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، عالم الكتب، القاهرة، 1961م، ص31

(4) المرجع السابق، ص31، للمزيد عن هجرة قبيلة جهينة لمصر بعد الفتح، انظر ملحق 5، ص249

(أ) – خُطَط الفُسطاط:

لما استقر الفاتحون العربِ بمصر، كان عليهم أن يُقيموا حاضرةً جديدةً بها، فاختار عمروُ بـن العـاص موقـع مدينـة الفُسـطاط ([1]). خاصـةً بعـد أن نهـاهُ عُمـر بـن الخطـاب عـن اتخـاذ الإسكندرية عاصـمةً، وكـان عمروُ قـد رأي "بيوتها وبنائها مفرُوغاً منها، فهَّم أن يَسكُنها" ([2]). فبَعثَ له الخليفةُ قائلا: "لا أُحبُ أن تُنزِل المسلمين مَنزلاً يَحولُ الماءُ بيني وبينهم.." ([3]). عندئذ اتخذ عمرو بن العاص الفُسطاط عاصمة، ثَم شَرعتْ القبائلُ تُقيمُ لها خُططاً في المدينة الجديدة حول المسجد الذي بناه عمرو بالفسطاط وبيت الإمارة. وكانت تلك الخُطَطُ فيما يذكر المقريزيُ كتابه "الخطط" ([4]) بمنزلة "الحارات" التي كانت في زمانه بالقاهرة ([5]).

---

(1) الفُسطاط: يقول المقريزيُ: "وإنما سُميت الفسطاط لأن عمرو بن العاص لما أراد التوجه إلى الإسكندرية لقتال الروم أمر بنزع فسطاطه، فإذا به يمام قد فرخ، فقال عمرو: لقد تحرّم منا بمُتحرم. فأمر به فأقر كما هو..فلما قفل المسلمون من الأسكندرية قالوا: أين ننزل ؟ قالوا: الفسطاط، لفسطاط عمرو الذي كان خلفه.." (انظر المسعودي: التنبيه والإشراف، ص317، المقريزي: الخُطط، جـ2، ص76، وللمزيد انظر: ستانلي لينبول: سيرة القاهرة، ترجمة: د.حسن ابراهيم حسن، هيئة الكتاب، 1997م، ص53، حسن الباشا: مدخل إلي العمارة والفنون الإسلامية، معهد الدراسات الإسلامية، دون تاريخ، 37-53، عبد الرحمن الرافعي وسعيد عبد الفتاح عاشور: مصر في العصورالوسطي، دار النهضة العربية، القاهرة، ص40، عبدالرحمن زكي: بُناة القاهرة في ألف عام، هيئة الكتاب، 1998م، ص11، سعاد ماهر: القاهرة القديمة وأحياؤها، المكتبة الثقافية، 1962م، ص5، شحاتة عيس إبراهيم: القاهرة، هيئة الكتاب، 1999م، ص21-22، وكذلك:

Caroline Williams: Islamic Monuments, A.U.C, Cairo, 2008, P. 39

(2) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص91

(3) المصدر السابق، ص 91، وانظر أيضاً السيوطي: حسن المُحاضرة، جـ1، ص106

(4) خُطط الفُسطاط: يقسم المؤرخون مؤرخي الخطط بمصر الي أربعة مراحل، الأولي: "الخُطط ما قبل المقريزي"، وأول مؤرخي تلك المرحلة ابن عبد الحكم (ت: 257هـ/870م)، وهو رائد مؤرخي الخطط لمصر والقاهرة، وأقدم مؤرخي مصر الإسـلامية. كمـا تضـم تلـك المرحلـة الكنـدي (ت: 350هـ/961م) وابـن زولاق (ت: 387هـ/997م)، والمسـبحي (ت: 420هـ/1092م) والقضـاعي (ت: 454هـ/1062م)، وابـن عبـد الظـاهر (ت: 692هـ/ 1292م)، وابـن المتـوج (ت: 730هـ/1330م). الثانية: خطط المقريزي (ت: 845هـ/1441م) وهو أعظم من صنف في الخطط. والثالثة: "الخطط ما بعد المقريـزي"، وتضم السيوطي (ت: 911هـ/1505م)، وابـن ايـاس (ت: 930هـ/1523م)، وابـن أبـي السـرور (ت: 1060هـ/1650م). المرحلة الرابعة: "الخطط التوفيقية"، صنفها علي مبارك (ت: 1311هـ/1893م) (للمزيد، انظر محمد عبدالله عنان: مصر الأسلامية وتاريخ الخطط المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م ، ص43-82)

(5) الخُطط، جـ2، ص76، وانظر: كرم الصاوي باز: مصر والنوبة في عصر الولاة (دراسة لتاريخ مصرالاجتماعي في ضوءلأوراق البردي العربية)، مكتبة الأنجلو، 2006م، ص55، السيد طه أبو سديرة: القبـائل اليمنية في مصر، مكتبة الشعب، 1988م، ص7، وعن توزيع القبائل انظرخريطة3، ص238

وعن بناء الفُسطاط، تذكر الروايات أن عمرو بن العاص لما عاد من فتح الإسكندرية، ونزل موضع فُسطاطه، انضمتْ قبائلُ العرب بعضها إلى بعض، وتَنافسوا في المواضع ([1]). ثم ولّى عمرو أربعة نَفَرٍ في سنة 21هـ/641م ليجعلوا لكل قبيلة خُطة ([2]). أما القبائلُ ذات العدد القليل، ولم يكن عددها يكفي ليكون لها خُطةٌ مُنفردةٌ، فعُرِفَتْ باسم "أهل الراية"، وهي التي كانت تضمُ قبيلة جُهينة ([3]). ولعل أهم الخُطَط التي كانت بالفُسطاط وقتئذ، وسكنت بها القبائل: خُطة بَلي ([4])، وخُطة مِهرَة ([5])، وخُطة حِمير ([6])، وخُطة لَخمْ ([7])، وخُطة اللَفيف ([8])، وخُطة الأزدْ ([9])، وكذلك خُطة تُجَيبْ ([10])، وخُطة "الحَمرَاوات الثلاثة" ([11])،

---

(1) السيوطي: حسن المُحاضرة، جـ1، ص106، عنان: مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، ص16

(2) المقريزي: الخُطط، جـ2، ص76

(3) ولنا حديث مفصل عن خطة "أهل الراية" التي كانت تضم جُهينة، انظر صفحة: 25 من هذه الدراسة.

(4) خطة بَلي: وهم من بني قُضاعة، جدهم: بلي بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة، ولذا فهم من أقارب جُهينة، مثل: مهرة وبني سُليم وبني خُشين وبني سعد هذيم (انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص486).

(5) خطة مِهرة: جدهم مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة، وهم من أقارب جُهينة. وكان موقع خطتهم قبلي خطة "أهل الراية". اختط مهرة أيضاً علي سفح "جبل يشكر"، ويقال إن خطتهم التي كانت قرب "أهل الراية" كانت حوزا لهم يربطون فيها خيلهم (المقريزي: الخُطط، جـ2، ص77)

(6) خطة حِمير: وهم من قبائل اليمن، وكانت خطتهم قبلي "خطة خولان" وشرقي بديعة من مذحج، وكانت خطة يحصب من المعافر حتي قطعوا الجبل (ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص 126)

(7) خطة لَخم: وهم بنو لخم بن عدي بن الحارث، وهم من بني كهلان، واسم لخم: مالك، وقيل: كان قد لُطم فعرف بذلك، فاللخم في لغتهم: أي اللطم (ياقوت الحموي: المُقتضب، ص 222). وقد انضمت إليهم جماعات من اللفيف في بادىء الأمر (كرم الصاوي باز: مصر والنوبة، ص60).

(8) خطة اللَفيف: عُرفوا بذلك لالتفاف بعضهم ببعض، وكان عمروُ بن العاص لما فتح الإسكندرية علم أن مراكب الروم أبحرت صوب الإسكندرية لقتالهم، فبعث رجلاً من الأزد ليأتيه بالخبر. ولما أسرعت القبائل بعد أن أذن لهم عمرو، ولما رآهم الأزدي، استكثرهم، وقال: تالله ! ما رأيت قوماً سدوا الأفق مثلكم، وإنكم كما قال الله تعالي: "فإذا جاءَ وَعدُ الآخرةِ جِئنَا بِكم لَفيفاً" (المقريزي: الخُطط، جـ2، ص78).

(9) خطة الأزد: وهم بنو الأزد، واسمه: دراء (الأزد) بن الغوث بن نبت، وينتهي نسبه إلى كهلان بن سبأ، وإليه تنسب قبائل الأنصار بالمدينة (يثرب) (الهمداني: عُجالة المبتدي، ص10)

(10) خطة تُجَيب: وهم بنو عدي وسعد بن الأشرس بن شبيب بن السكن، ينتهي نسبهم إلي قبيلة كندة، وهم ينتسبون لأمهم، واسمها: تُجيب، وكانت خطتهم تلي خطة مهرة (المقريزي: الخُطط، جـ2، ص77)

(11) خطة الحَمرَاوات الثلاثة: وكانوا ممن ساروا مع جيش عمرو بن العاص من الشام لفتح مصر، وهم من عجم الروم ممن كانوا قد أسلموا خاصة من أهل قيسارية. ويذكر المؤرخ القضاعي أن خطتهم سميت "الحمراء"، لنزول الروم بها (انظر المقريزي: الخُطط، جـ2، ص79). وقد اختطت بيوتهم من حصن بابليون حتي "جبل يشكر" في مكان جامع أحمد بن طولون (ستانلي لينبول: سيرة القاهرة، ص56)

وكذلك خُطة مَذحَج ([1])، وغير ذلك من الخُطَط التي أقامتها القبائل بالفُسطاط ([2]). أما في الإسكندرية، فلم يكن بها خُطَطٌ للقبائل العربية على غِرار الخطط التي كانت للعرب بمدينة الفُسطاط فيما تذكر المصادر التاريخية، وإنما كانت مساكنُ القبائل والجماعات العربية هناك عبارةً عن "أخائذ"، فمن اتخذَ من العرب بيتاً، سكن فيه، وبنو أبيه ([3]).

(ب) - جُهينة وخُطة أهل الراية:

تُعد هذه الخطةُ من أهم الخُطط التي تهتم بها هذه الدراسة، حيث كانت تضمُ جماعات جُهينة ممن شاركوا في الفتح العربي ([4]). وكانت بطون من القبائل جاءت مع جيش عمرو، ولم يكن لهم عددٌ يكفي لتكون لكل منهم تدوينٌ في "ديوان العطاء"، مثل القبائل التي شاركت بعددٍ وافرٍ من الجُند ([5]). وقد كرِه هؤلاءُ أن يقفوا تحت رايةٍ أخرى غير قبيلتهم التي ينتمون لها ([6])، وهو ما يدل على اعتزاز الجُهنيين بنسبهم، ولهذا قال عمروُ: "أنا أجعلُ رايةً لا أنسُبها إلى أحدٍ أكثر من الراية التي تقفون تحتها فرضوا بذلك.."، "فكان كل من لم يكن لقومه عدد وقف تحتها" ([7]). وفي رواية قال عمرو: "يكونُ موقفكُم تَحتها (أي تحت رايته).." ([8]).

---

(1) خُطة مذحج: وهم بنو مالك (مذحج) بن أُدَد بن زيد بن يشجب بن عَريب، وهم من قبيلة كهلان بن سبأ، وهم من اليمن (ابن حجر: نُزهة الألباب، ص256). سُمي جدهم بهذا الاسم، لأنه وُلد علي أكمة حمراء باليمن، كان يقال لهما مذحج (الهمداني: عُجالة المبتدي، ص111)

(2) وللمزيد عن خُطط القبائل العربية بالفُسطاط، انظر المقريزي: الخُطط، جـ2، ص77، السيوطي: حسن المُحاضرة، جـ1، ص106، شحاتة عيسي إبراهيم: القاهرة، ص21-22، أحمد محمد عوف: مدينة الفسطاط (وعبقرية المكان)، سلسلة العلم والحياة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003م، ص28.

(3) للمزيد، انظر السيوطي: حسن المُحاضرة، جـ1، ص106

(4) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص116، المقريزي: الخُطط، جـ2، ص76، حسن الباشا: مدخل إلي العمارة والفنون الإسلامية، ص42، كرم الصاوي باز: قبيلة جُهينة ودورها الحضاري في دعم روابط الاتصال بين مصر والنوبة منذ الفتح العربي حتي نهاية العصر الفاطمي، المؤتمر الدولي عن العلاقات المصرية السودانية عبر العصور، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 2009، ص13، كرم الصاوي باز: مصر والنوبة، ابن الكندي: الولاة والقضاة، ص56

(5) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص116

(6) وعن أهل الراية وخطتهم بالفسطاط، يقول المقريزي: "أهل الراية، جمَّاعة من قريش والأنصار وخزاعة، وأسلم وغفار، وأشجع، وجُهينة، وثقيف، ودوس، وعبس بن بغيض، وحرش بن كنانة، وليث بن بكر، والعتقاء منهم إلا أن منزل العتقاء في غير الراية. وإنما سموا أهل الراية، ونسبت الخطة إليهم، لأنهم جمَّاعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ما ينفرد بدعوة من الديوان، فكره كل بطن منهم أن يُدعي باسم قبيلة غير قبيلته. فجعل لهم عمرو بن العاص راية، ولم ينسبها إلي أحد.."(الخُطط: جـ2، ص76-77)

(7) ابن عبدالحكم: المصدر السابق، ص116

(8) المقريزي: الخطط: جـ2، ص77

وقد مالت القبائلُ إلى رأي عمرو بن العاص، وطابتْ له قلوبُهم. وحسب بعض الروايات، كان عددُ هذه القبائل الصغيرة التي انضوت تحت لواء خطة أهل الراية "أربعة عشرة" قبيلة ([1]). وقيل: كانوا ثلاثة عشرة ([2]). وكانت الرايةُ لهذه البطون كالنَسبِ الجامع لما انضوى تحتها، وكان ديوانُهم عليها. وهذه القبائل: بطونٌ من قُريشٍ، ومن الأنصار، ومن خُزاعة، ومن أسلُم، ومن غَفار، ومُزَينة، وجُهينة، وثَقيف، ودوس، وعَبس، وجرش من بني كِنانة، ومن لَيثْ من بني بَكر([3]). وتعد جُهينة من أبرز قبائل "أهل الراية"، وكانت خُططُهم تُحيط بجامع عمرو بالفُسطاط من جميع أركانه، فابتَدأوا من المَصّف الذي كانوا عليه لما حاصروا الروم عند باب "حصن بابليون" (باب الشمع) ([4]). ثم امتدت خُطتهم لما يُعرَف بـ"حمّام الفار"، ثم اتجهوا غرباً حتى نهرالنيل، "فإذا بلغتَ إلى النحّاسين فالجانبان لأهل الراية إلى باب المسجد الجامع، وهو المعروف باسم باب الورّاقين، ثم يسلك إلى حمّام شمول، وفي هذه الخُطة زُقاق القنَاديل، ثم إلى تُربة عَفّان، ثم إلى سوق الحمام، ثم إلى باب القصر([5]).

وثمة رواية تشير إلى أن عمرو بن العاص اختط جامعه في خُطة "أهل الراية" ([6])، وهو ما قد يُشير إلي أن هذه الخُطة كانت موجودةً قبل بناء مسجده بالفُسطاط، وهي روايةٌ قد يُؤخَذ بها بكثير من الحَذَر، لأن الذائع أن مسجد عمرو أُقيم بالفُسطاط أولاً، وقبل أن يتخذ العرب الخُطَط، وهو ما تعارفَ عليه المسلمون في عمارة المُدن الجديدة. وفي خلافة عُمر بن الخطاب زادت أعدادُ القُضاعيين بمصر، وعن سبب ذلك، أن رجلا من بَليّ وهى من قبائل قُضاعة بالشام نادى في قومه قائلا: يآل الشام ! فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فكتبَ لعامله أن يُسّير ثُلثيّ قُضاعة إلى مصر، فنظروا، فإذا بَليّ ثُلث قُضاعة، فسُيّروا إلي مصر ([7]).

---

(1) كرم الصاوي باز: قبيلة جُهينة، ص13

(2) القلقشندي: صُبح الأعشي، جـ3، ص331

(3) المقريزي: الخُطط، جـ2، ص76–77، أما القلقشندي، فقد ذكر أن القبائل التي كانت تحت خطة أهل الراية، هي: "قريش، والأنصار، وخزاعة، وأسلم، وغفار، ومزينة، وأشجع، وجُهينة، وثقيف، ودوس، وعبس بن بغيض، وجرش، وليث بن بكر" (صبح الأعشي: جـ3، ص331)

(4) حصن بابليون: يقال إنه شيد بعد خراب البلاد على يد بختنصر، وكان يوقد عليه الشمع رأس كل شهر إذا حلت الشمس بأحد البروج، ولذا عرف بقصر الشمع (انظر المقريزي: الخُطط، جـ2، ص61، وص77)

(5) المصدر السابق، ص77، وعن حدود خطة "أهل الراية"، يقول شحاتة عيسى إبراهيم: "وتمتد من جامع عمرو جنوباً، حتى قصر الشمع.." . كما ذكر أيضاً أن خُطة "أهل الراية" كانت تلاصق "خطة اللفيف" (للمزيد انظر شحاتة عيسى إبراهيم: القاهرة، ص22).

(6) القلقشندي: صُبح الأعشي، جـ3، ص340

(7) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص116

وخُطة أهل الراية كانت أول خُطةٍ لعرب جُهينة بمصر بعد الفتح العربي، وهي تُشير إلى أن عددهم آنذاك لم يكُن كبيراً، ولهذا فلم يكن لهم ديوان منفرد، وهو ما جعلهم ينضمون إلى أهل الراية حتى لا يَنضوا تحت لواء قبيلةٍ أُخرى لها ديوانٌ مستقلٌ، ثم يُنسَبون لها غير قبيلتهم. غير أن أعداد جُهينة زادت تدريجياً مع كثافة هِجراتهم لمصر بعد ذلك، ولهذا انفصلوا عن خطة أهل الراية، ثم صار لهذه القبيلة ديوانٌ مستقلٌ كباقي القبائل الكبرى.

جـ - خُطة عُقبة بن عامر الجُهَني بالجيزة:

ويمكن القول بأن قبيلةُ جُهينة شهدت حدثاً كبيراً خلال العِقد الخامس من القرن الهجريّ الأول، لما بلغ أحد أفرادها سُدَة الإمارة والحكم بمصر، وهو عُقبة بن عامر الجُهَني ([1]). وتشير المصادرُ إلى أن عُقبة اختط لنفسه داراً بالفُسطاط كباقي كبار الصحابة، ومنهم: الزُبيرُ بن العَوّام، وسَعدُ بن أبي وقّاص، والمِقدادُ بن الأسود، وعَمروُ بن العاص ([2]). وكذلك يَعقوُب القِبطي، وجَبر القبطي، وهما من حملا هدية المقوقس للنبي ε ([3]).

1 - إمارته على مصر (44-47هـ/664-667م):

تولي عُقبةُ بن عامر ولاية مصر في سنة 44هـ/664م إبان خلافة مُعاوية، وكانت إمارته بعد عُتبة بن أبي سُفيان ([4]). وتذكر الروايات أن عبدالله بن عمرو بن العاص كان قد تولاها بعد أبيه، ثم تولاها عُتبة بن أبي سفيان، ثم صارت بعده لعُقبة بن عامر([5]). وكان عُقبة قد طاب له المُقام بمصر بعد الفتح، وعاش بها مدةً طويلةً حتى عدّه المؤرخون من زُمرة أهل مصر، ولهذا يُنعت: أبو الأسد المصري ([6]). وقال ابنُ الأثير عنه: "ولي مصر، وسكنها.." ([7]). وقال ابنُ عبدالبر: "سكَن عُقبةُ مصر، وكان والياً عليها، وابتني بها داراً.." ([8]).

---

(1) أما عن نسب عقبة بن عامر الجُهني كاملا إلي جده الأكبر جُهينة: فهو عقبة بن عامر بن عيسي (عبس) بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عدي بن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جُهينة (المقريزي: الخُطط، جـ1، ص336)، انظر أيضاً: الكندي: الولاة والقضاة، ص36-37

(2) القلقشندي: صُبح الأعشي، جـ3، ص333

(3) حسن الباشا: مدخل إلي العمارة والفنون الإسلامية، ص42

(4) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ1، ص118

(5) ابن الأبار: الحلة السيراء، جـ1، ص17، ابن إياس: المصدر السابق، ص118

(6) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ4، ص90

(7) أُسد الغابة: جـ4، ص38

(8) الاستيعاب، جـ1، ص58

ودامت ولاية عُقبة بمصر ([1]) حوالي سنتين وثلاثة أشهر ([2]). وقيل: كانت إمارته ثلاث سنوات ([3]). قال المقريزيُ: وكان صَرفهُ لعشرٍ بقين من ربيعِ الأول سنة سبعٍ وأربعين.." ([4]). وتُوفي عُقبة بن عامر في سنة 58هـ/678م ([5]). وقيل مات في ذات اليوم الذي توفيت فيه أُم المُؤمنين عائشة رضي الله عنها ([6]). والراجح أنه دفُن بـ"قرافة الفُسطاط" عند سفح جبل المُقَطم ([7]). ثم صارت الإمارةُ من بعده إلى مَسلمة بن مَخلد ([8]).

---

(1) وقد اختلفت الروايات التاريخية التي وردت في المصادر فيمن كانت له الإمارة بمصر قبل عُقبة بن عامر الجهني، فابن زولاق يذكر أن عُتبة بن أبي سفيان أخي معاوية صارت له إمارة مصر بعد عمرو بن العاص، ثم تولاها عُقبة بن عامر بعده. ويذكر ابنُ زولاق أن ولايته كانت سنتين وثلاثة أشهر (انظر ابن زولاق: تاريخ مصر، ص56–57). بينما يذكر المقريزي أن عبد الله بن عمرو بن العاص تولي الامارة بعد موت أبيه، وقيل: كانت الإمارة لخارجة بن حذافة، ثم تولاها عتبة بن أبي سفيان، ثم صارت بعدئذ إلي عُقبة (الخُطط: جـ2، ص82–83). وقيل: تولي عتبة بن أبي سفيان بعد عمرو، ثم تولي من بعده عقبة بن عامر (انظر ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، دار الكتب والوثائق، مركز تحقيق التراث، 2014م، ص30)

(2) ابن زولاق: تاريخ مصر، ص57 (3) سعاد ماهر: مساجد مصر، جـ1، ص85

(4) للمزيد، انظر الخُطط: جـ2، ص83–84، وانظر أيضاً ابن إياس: بدائع الزهور، جـ1، ص118، وكذلك عبدالصبور شاهين: مصر في الاسلام، جـ1، ص260

(5) السمعاني: الأنساب، جـ3، ص440، القلقشندي: تُحفة الأحباب وبُغية الطُلاب، ص 345،

(6) سعاد ماهر: مساجد مصر، جـ1، ص86، انظر صور شاهد قبر عقبة بن عامر الجهني، وكذلك صورة المسجد الذي يحمل اسمه في ملحق هذه الدراسة، أشكال رقم 9 ، 10، ص265

(7) ابن الأثير: اللُباب، جـ1، ص319، وعن قبر عقبة بن عامر، يذكر ابن عبد الحكم: "وتوفي بمصر في خلافة معاوية.." (فتوح مصر وأخبارها: ص294). وقال الذهبي: "وقبرهُ بالمقطم.." (سير أعلام النبلاء، جـ4، ص90). وتشير بعض الروايات إلى أنه لا يوجد قبر صحابي مقطوع به في سفح جبل المقطم سوى قبر عقبة، ومن ذلك يقول ابن تغري بردي: "وليس في الجبانة قبر صحابي مقطوع به إلا قبر عقبة، فإنه زاره الخلف من السلف.." (سعاد ماهر: مساجد مصر، جـ1، ص86). ويُروي أن حَرملة بن عُمران (صاحب الشافعي) رأي في سفح المقطم قبر كل من عقبة بن عامر وعمرو بن العاص، وكذلك رأي قبر أبي بصيرة الغفاري (المقريزي: الخُطط، جـ2، ص318). وقال ابن إياس: "ودفُن (عُقبة) بالقرافة الكبري.." (بدائع الزهور: جـ1، ص118). وذكر ابن يونس: "ودفن (عُقبة) في مقبرتها بالمقطم.." (القلعاوي: مشاهد الصفا، مكتبة الثقافة الدينية، 2002م، ص41). وفي أيام صلاح الدين هدم المبني المقام علي قبر عقبة بن عامر، وأقام مكانه قبةً كبيرةً تولاها الملوك من بعده بالاهتمام والعناية (سعاد ماهر: مساجد مصر، جـ1، ص87). وحسب بعض الروايات كان قبر عُقبة في ذات المكان الذي به قبر عمرو بن العاص (القلقشندي: تُحفة الأحباب، ص345). ويُروي أن عبدالله بن عمرو قال: "رأيتُ أبي في المنام، فقلتُ له: ما فعل الله بك ؟ قال: غفر لي، قلتُ ما فعل الله بعُقبة، قال: بخٍ بخٍ ! تركته في الفردوس الأعلي والملائكةُ تحُفه.."(سعاد ماهر: المرجع السابق، ص87)، وانظر السمعاني: الأنساب، جـ3، ص440

(8) الكندي: الوُلاة والقُضاة، ص38

2 – مِيتْ عُقبة (موطن جُهينة الأول بمصر):

اختط عُقبةُ بن عامر داراً كباقي الصحابة ممن طاب لهم المُقام بمصر بعد الفتح ([1]). وكانت هذه الدارُ قبل تولي الإمارة، ثم اشتراها مُعاويةُ بن أبي سُفيان، واختطَ له في الفضاء، قُبالة الطريق المؤدي لدار مَحْفوظ بن سُليمن (سُليمان)، وكانت من الخِط الأعظم إلى البحر(أي النيل) ([2]). ويشير ابنُ عبد الحكم إلى أن مسلمة بن مخلد أقطعَها عُقبة، فحبَسها على ابنتهِ أُم كُلثوم. وقيل: إن مسلمة أقطَعَ عُقبة هذه الدار بأمر مُعاوية عُوضاً له عن الدار التي أخذها منه ([3]). وكانت دارعقبة تقع بجوارالمِقداد بن الأسوَد، وكانا يسكنان بجوار دارالرمل، ثم ابتاع عُقبةُ دارَ المقداد، ثم هدمهما، وجعلهما داراً لرملة بنت مُعاوية. ثم كتب مُعاوية له: "لا حاجة لنا بها، فاجعلها للمسلمين"، ولهذا سُميت باسم "دار الرمل". وقيل: عُرِفَت بهذا بسبب ما كان يُنقل إليها من الرمل الذي كان يُستخدم في دار الضَرب ([4]). وعن دار عُقبة بن عامر بمصر، قال المقريزيُ: "وكان والياً عليها، وابتني بها داراً.." ([5]).

ولعل هذه الرواية تُشير إلى أن عقبة بن عامر اختط داراً بعد الإمارة. ثم كتب لمُعاوية يسأله أرضاً ليبني فيها منزلاً، فأمر له بأرض رقعتها ألف ذراع في ألف ذراعٍ غرب النيل بالجيزة، وهي التي سميت "مِنيَة عُقبة" ([6]). ثم صارت "ميتْ عُقبة"، وكلمة "منية" تَعني الميناء لأنها تقعُ على شاطيء النيل الغربي ([7]). قال المقريزيُ: "هذه القريةُ بالجيزة، عُرِفَت بعُقبة بن عامر.." ([8]). ويقول صاحب "تاريخ جُهينة": "وتنسب إليه قرية ميت عقبة التي صارت حيا من أحياء مدينة الجيزة، وكانت تلك القرية تضم أرضا كان معاوية قد منحه إياها.." ([9]).

---

(1) قال ابنُ عبدالحكم: "واختطَ معهم عُقبةُ بن عامر الجُهني.." (انظر فتوح مصر وأخبارها، ص100)

(2) المصدر السابق، ص100

(3) المصدر السابق، ص100

(4) المصدر السابق، ص101، الراجح أن هذه الدور كانت توجد بمدينة الفسطاط، وهي التى اختط بها الصحابة دورا لهم بجوار دار الوالي في ذلك الوقت عمرو بن العاص بعد أن تم لهم فتح مصر.

(5) انظر الخُطط: جـ1، ص337

(6) منية عقبة: يذكر محمد رمزي في قرية أخرى باسم "منية عقبة"، وهي غير التي شادها عقبة بن عامر الجهني، وهي من أعمال الشرقية (محمد رمزي: القاموس الجغرافي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2010م، ص444، وللمزيد، انظر: سعاد ماهر: القاهرة القديمة وأحياؤها، ص110، علي مبارك: الخطط التوفيقية، جـ11، ص129، المقريزي: الخُطط، جـ1، ص336، حسن المُحاضرة: جـ1، ص108

(7) سعاد ماهر: مساجد مصر، جـ1، ص86، كرم الصاوي باز: قبيلة جُهينة، ص15

(8) الخُطط، جـ1، ص336

(9) عبد الكريم الخطيب: ص25

ويرى الباحث أن ميت عُقبة صارت خلال إمارة عُقبة بن عامر الجُهني موطناً للعديد من جماعات قبيلة جُهينة، إذ آثر الكثيرون منهم الإقامة بجوار هذا الأمير الذي ينتسب لقبيلتهم. وهو ما لعب دورا كبيرا في تشجيع جم غفير من جُهينة على القدوم إلى أرض مصر في ذلك الوقت. وهو ما قد يُفسر لنا أيضا إقامة عددٍ كبيرٍ من جماعات هذه القبيلة وبطونها بمصر بعد الفتح العربي، وكان من بينهم عدد الصحابة ممن أقاموا بمصر. ويؤيد ذلك ما أشار إليه "ماكمايكل Macmichael الذي يرى وجود ثمة ارتباط بين وجود أحد الولاة بمصر ممن ينتسبون إلى إحدى القبائل العربية ([1])، وزيادة أعداد جماعات هذه القبيلة بأرض مصر ([2]). وهو ما ينطبق أيضاً على حالة قبيلة جُهينة بمصر، وعلى هذا لعبت العصبية القبلية دورا في توافد وزيادة أعداد عرب جُهينة القادمين لمصر.

---

(1) يذكر ماكمايكل أنه بعد موت الأمير عمرو بن العاص في سنة 43هـ/663م، تولي إمارة مصر من بعده ولاة بلغ عددهم: ثلاثة وثمانين والياً، إذ تولي الإمارة منهم منذ بداية "العصر الأموي" (40–132هـ/660–751م)، وحتي سنة 750م أو 751م (أي حوالي سنة 131هـ أو سنة 132هـ) 22 والياً، كان منهم سبعة من الولاة ينتسبون إلى "قبيلة قريش" وبطونها، ومثلهم من قبيلة "قيس عيلان"، ووالٍ واحد ينتسب لقبيلة "قبيلة جُهينة" (وهو الوالي عقبة بن عامر الجهني)، وكان من بينهم اثنان من الولاة من قبيلة "الأزد اليمنية"، وثلاثة من الولاة من ينتسبون إلى "قبائل حمير" اليمنية، وواحد من "قبيلة لخم"، ووالٍ آخر من هؤلاء الولاة لم يتم التعرف على قبيلته علي وجه التحقيق، ويقال: إنه لم تدون قبيلته تاريخياً. وللمزيد عن ذلك، انظر:

A History of the Arabs in the Sudan , Vol. I , P. 159

وحسب بعض الدراسات التي قام بها بعض الباحثين، فإن عدد القبائل العربية وبطونها التي قدمت إلي أرض مصر بعد الفتح العربي وذلك إبان القرون الثلاثة الأولي كانت قرابة 244، وكان منها من القبائل ممن ينتسب إلي "عرب عدنان" 30 قبيلة و30 بطناً، ومن قبائل عرب قحطان حوالي 61 قبيلة و111 بطناً. هذا إضافة إلى وجود "قبائل غير معروفة" أو مجهولة يبلغ عددها تسعة، وكذلك وجود "تجمعات خاصة" بلغ عددها ثلاثة. كما تشير الدراسات إلي أن عرب قحطان كانوا يشكلون حوالي ثلاثة أضعاف "عرب عدنان" بمصر (وللمزيد، انظر عبدالله خورشيد: القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولي، ص72–73). ويشير بعض المؤرخين إلى أن بني قُضاعة كانوا يشكلون العدد الأكبر في جيش عمرو بن العاص رضي الله عنه (انظر الفحل الفكي الطاهر: تاريخ وأصول العرب بالسودان، ص118). كما يشير البعض إلى أن كثرة أعداد الجماعات من قبائل اليمن ضمن الجيش العربي الذي رافق عمرو بن العاص في فتح مصر، وكان سبب ذلك أن أهل اليمن كان لهم خبرة قديمة في حصار الحصون والقلاع، وكذلك معرفة كاملة بفنون الحرب وصناعة السفن، والدفاع عن القواعد العسكرية، وهو ما شاهده العرب في فتوح بلاد الشام، خاصة لما حاصر الجيوش العربية الحصون التي تقع على سواحل بلاد الشام، ومن ثم آراد قادة الجيش العربي القادم إلى مصر أن يستفيد من خبرة القبائل اليمنية في الحروب لمساعدتهم في فتح مصر (وللمزيد، انظر حسن أحمد محمود: مصر الإسلامية منذ "لفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية، ص24–25).

(2) Macmichael: Op. Cit. , PP. 159 – 160

سابعاً- خروج جُهينة عن خُطة أهل الراية في القرن 2هـ/8م:

وقد شهدت هذه المرحلة تطورا مهما في تاريخ استقرار قبيلة جهينة بأرض مصر، وتحولها من مجرد جماعات قليلة إلى أن صارت قبيلة كبيرة العدد، ومن ثم انفصلت هذه القبيلة عن خطة "أهل الراية" التي كانت قد ارتبطت بها منذ قدومها إلى مصر، ومن ثم صار لهذه القبيلة تدوين منفرد في "ديوان العطاء" على غرار القبائل الكبرى.

ويُعد القرن 2هـ/8م من أهم الحقب في تاريخ قبيلة جُهينة بأرض مصر، خاصة بعد إمارة عقبة بن عامر الجهني، إذ صارت جُهينة قبيلةً كبيرة العدد، وصارت تُقارعُ القبائلَ العربية الأخري من حيث العَدد والكَثرة. وصار بديهياً أن يكون لقبيلة جُهينة وباقي القُضاعيين خُطة منفردة تختص بهم، بعيداً عن خطة "أهل الراية"، وهو ما يعرف تاريخياً باسم "التَدوين الرابع" في سنة 101هـ/720م ([1]). وقد تم هذا التدوين أيام أحد الوُلاة المصريين من قُضاعة، وكان يُدعى بِشرُ بن صَفوان ([2]).

وقد رأى الوالي بشر بن صفوان تَشتُتَ الجماعات التي تنتسب إلى قُضاعة بين القبائل العربية الأخرى، ولهذا كتب إلى الخليفة ليجمع قومه في ديوان خاص بهم. يقول ابن الكِنديُ: "ولما رأى بشرُ..افتراق قُضاعة في القبائل، كتبَ إلي يزيد بن عبدالملك يسأله الإذنَ في استخراج من كان في القبائل منهم، فيجعلهم دعوةً مُنفردةً، فأذِن له.." ([3]). فأخرج بشر جماعات قُضاعة من بين القبائل العربية الأخرى، فأخرج "قبيلة مِهرة" من كِندة، و"قبيلة تَنوُخ" من الأزد، وآل كَعب من قُريش، كما أخرج بشر بن صفوان "قبيلة جُهينة" من خطة "أهلِ الراية"، ثم جعل بطون قُضاعة في "تدوينٍ مُنَفردٍ" ([4]).

---

(1) انظر الكندي: الولاة والقضاة، ص71، كرم الصاوي باز: قبيلة جُهينة، ص13، الخطيب: تاريخ جُهينة، ص24

(2) بشر بن صفوان الكلبي: ينتسب هذا الوالي لقبيلة بني كَلبْ، وهم من بطون قُضاعة المعروفة. وكانت ولايته في أيام الخليفة الأموي "يزيد بن عبدالملك" (101-105هـ/720م-724م)، إذ بدأت إمارته يوم 17 رمضان سنة 101هـ/720م. وقد تولى بشر بن صفوان إمارة مصر ثلاثَ مراتٍ، كان آخرُها في سنة 128هـ/747م في خلافة "مروان بن محمد" (127-132هـ/746-751م) آخر أمراء بني أمية (وللمزيد عن ترجمته، انظر المقريزي: الخُطط، جـ2، ص86، ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص31، ابن إياس: بدائعُ الزهور، جـ1، ص126)

(3) الوُلاة والقُضاة، ص70، كرم الصاوي: مصر والنوبة، ص67، السيد أبو سديرة: القبائل اليمنية، ص135

(4) الكندي: الولاة والقضاة، ص70

وهو ما يُعرف تاريخياً باسم "التدوين الرابع"، وكان عمروُ بن العاص قام بالتدوين الأول، وتم "التدوين الثاني" أيام عمر بن عبد العزيز(99-101هـ/718-720م)، وقام بـ"التدوين الثالث" قُرّة بن شَريك. وهو ما يشير إلى أنه كلما وفدت جماعات من قبيلةٍ ما وكانت لها بطونٌ تسكن مصر قبلها، وكانوا يشتركون مع قبائل أخرى، ثم تزداد أعدادهُم، كان يتم إفراد خُطةٍ منفردة لجماعات تلك القبيلة، وهو ما حدث لجُهينة ([1]). وفي إمارة بِشر نُقل بنو قيس أو عرب عدنان لمصرسنة 128هـ/747م ([2]). قال المقريزي: "ويقال لسائر بني عدنان: المُضرية والنزارية، وهي قيس.."([3]). وعلي هذا صار لجُهينة وجود كبير بمصر منذ بدايات القرن 2هـ/8م، إذ صارت قبيلة كبيرة تقارع أندادها من القبائل.

هكذا يتضح لنا من خلال هذا الفصل عراقة قبيلة جُهينة، باعتبارها واحدة من أكبر القبائل التي سكنت جزيرة العرب قبل الإسلام، وكان مركزها الرئيس في ما يعرف باسم "أرض ينبع"، أو "بلاد جُهينة"، وما جاورها. وهي قبيلة تنتسب إلى عرب قُضاعة، والراجح أنهم من "عرب الحجاز"، وهم "عرب عدنان"، من ولد النبي إسماعيل عليه السلام، هذا رغم أن بعض المصادر تشير إلى أن العرب من نسل قُضاعة، ومنهم قبيلة جُهينة، ينتسبون لعرب قحطان"، وهم "عرب اليمن". وينتسب لقبيلة جهينة أيضاً عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم، ولهذا يحلو للجهنيين وصف قبيلتهم بأنها "قبيلة الصحابة". كما ينتسب لها جم من أعلام التابعين، وكذلك تابعي التابعين، وكذلك العلماء والفقهاء.

وقد ارتبطت قبيلة جُهينة بالكثير من الأحداث المهمة في تاريخ الإسلام، والتي كان لبعضها أثرٌ كبيرٌ في تغيير مجرى الأحداث، خاصة ما يرتبط بسيرة النبي ع ، وهو ما كنا قد ناقشناه تفصيلاً في ثنايا هذا الفصل. كما أن عرب جُهينة شاركوا في "فتح مصر" (21هـ/641م) مع الجيش العربي، وكانت لهم أعداد لا بأس بها آنذاك. ثم استقروا بمصر بعد ذلك، وكانت لهم خُطة في مدينة الفسطاط، ثم أخذوا ينتشرون في مدن مصر وقراها بعدئذ، خاصة في الصعيد، حتى صارت قبيلة جُهينة واحدة من أكبر القبائل العربية وجوداً في قرى ومدن الصعيد، وهو ما سوف نناقشه تفصيلاً في الفصل التالي.

---

(1) ابن الكندي: الولاة والقضاة، ص70-71، كرم الصاوي باز: مصر والنوبة، ص67، انظر أيضاً عبدالرحمن زكي: الجيش المصري في العصر الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2015م، ص17

(2) ابن زولاق: تاريخ مصر، ص 58، الكندي: الولاة والقضاة، ص71، يقول ابن زولاق: "ثم تولي من بعده بشرُ بن صَفوان، وهو الذي نقل بني قيس إلي مصر في سنة مائة وثمان وعشرين، في خلافة مروان.." (ابن زولاق: تاريخ مصر، ص58)

(3) للمزيد انظر المقريزي: التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، ص77

الفصل الأول

"استقرار قبيلة جُهينة في صعيد مصر"

أولا – هجرة القبائل العربية إلى الصعيد

ثانيا – أسباب هجرة عرب جُهينة إلى الصعيد:

(أ)– إرتباع الجند العرب في الريف المصري

(ب)– إسقاط جُهينة من ديوان العطاء (218هـ/833م)

(جـ) – حملة العُمري إلى بلاد البجة (255هـ/869م)

ثالثا – قدوم عرب جُهينة إلى الأشمونين:

(أ)– الفتنة بين جُهينة وقريش في الأشمونين إبان العصر الفاطمي (358–567هـ/969–1171م)

(ب) – الصراع بين قبيلة جُهينة والفاطميين

ثالثا – عرب جُهينة في أخميم:

(أ) – قرابة النسب بين قبيلة جُهينة وبلي

(ب) – النزاع بين قبيلة جُهينة وبلي

رابعا – شواهد القبور كدليلٍ على استقرار جُهينة بمصر

يتناول هذا الفصل هجرة عرب جُهينة إلى بلاد الصعيد، وأسباب تلك الهجرة، وكذلك علاقة الجُهنيين بالقبائل العربية الأخرى التي كانت قد استقرت في مدن الصعيد، وما وقع هناك من أحداث ووقائع بين بعض تلك القبائل أيام "الدولة الفاطمية" (358–567هـ/969–1171م). ولعل أبرز ما يناقشه هذا الفصل من أحداث تلك الحقبة ما وقع من صراعات بين قبيلة جُهينة وبطون قريش في الأشمونين، ودور خلفاء الدولة الفاطمية في هذا الوقت. كما يناقش إشكالية العلاقة بين عرب جُهينة والدولة الفاطمية، وسياسة هذه الدولة ذات الفكر الديني المتطرف تجاههم، كما أنه يعالج هجرة قبيلة جُهينة بعد ذلك إلى مدينة أخميم، والأحداث العدائية التي وقعت هناك بين الجُهنيين وبين عرب بلي رغم قرابة النسب بينهما، كما يتناول أهمية شواهد القبور في تأكيد الوجود الجهني في كل من مصر وبلاد النوبة.

أولاً – هجرة القبائل العربية إلى الصعيد:

صارت مصر مقصداً للقبائل والجماعات العربية بعد أن فتح القائد عمرو بن العاص مصر في سنة 21هـ/641م، وقد أضحت مصر بعد ذلك ولاية عربية، ثم أقبل عليها المهاجرون العرب من كل حدب وصوب، قادمين من شبه الجزيرة العربية. وكان ولاة مصر العرب الذين يعينهم

خلفاء الدولة الإسلامية، سواء من دمشق أم من بغداد، يرافقون معهم بعض الجماعات من قبائلهم ممن بهدف الاستقرار بمصر ([1]). وكانت غاية الولاة أن تكون تلك الجماعات سنداً يتكأون عليه في حكم مصر، وأن يكونوا داعمين لهم، والمؤكد أنه كانت قد زادت هجرات عرب جُهينة إلى أرض مصر خلال ولاية عُقبة بن عامر منتصف القرن الأول الهجري (السابع الميلادي). وعلى هذا فإنه بمرور الحقب التاريخية، أخذت القبائلُ والبطون العربية ترحل إلى أرض مصر في تياراتٍ هادرةٍ لا تتوقف، إما بحثاً عن مستقر جديد، أو سعياً وراء أسباب الرزق، وفوق كل ذلك كانت غايتهم الكبرى نشر رسالة الإسلام في البلاد التي دخل إليها الفاتحون المسلمون ([2])، وكان ذلك نتيجة طبيعية للهجرات العربية لمصر.

---

(1) وللمزيد عن هجرة القبائل العربية لمصر بعد الفتح العربي، انظر ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص91 وما بعدها، المقريزي: البيان والإعراب، ص125، مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص115، عبدالله خورشيد البري: القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولي للهجرة، هيئة الكتاب، 1992م ص72-73، وللمزيد عن ارتباط الولاة بهجرة قبائلهم إلى مصر، انظر:

H. A. Macmichel: A History of the Arabs in the Sudan , Vol. I , P. 159

(2) عبد الرحمن الرافعي: مصر في العصور الوسطي، ص41

وثمة رواياتٌ تشير إلى أن أحد الولاة نقل أعداد كبيرة من "القبائل القيسية"، وهم من "عرب الحجاز"، إلى مصر ([1]). كما يشير البعض إلى أنه في سنة 43هـ/663م هاجر قرابة اثني عشر ألفاً من بلاد العرب لمصر ([2]). والمعروف أن خلفاء بني أمية كانوا يرتابون في ولاء القحطانيين، وكانت لديهم خشية من أن يستبدوا بحكم مصر دون الحجازيين، خاصةً وأن أكثرالقبائل التي رافقت الجيش الذي قاده عمرو بن العاص كانوا من قحطان ([3]). ويؤيد ذلك ما يشير إليه بعض المؤرخين إذ يذكرون أن أكثرالقبائل التي كانت قد شهدت فتح مصر، تنتسب لكل من لَخم ([4])، وجُذام ([5])، وهما من القبائل القحطانية ([6]). ولهذا عمل الخلفاء الأمويون على زيادة هجرات "القبائل القيسية" (العدنانية)، ليسكنوا مدن وقرى مصر، ليكونوا داعمين لهم في الحكم، لاسيما وأن الأمويين ينتسبون إلى قبائل عدنان الحجازية ([7]).

---

(1) انظر أيضا ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص91 وما بعدها، البلاذري: فتوح البلدان، ص252، المقريزي: الخطط، جـ1، ص128، المقريزي: البيان والإعراب، ص125 وما بعدها.

(2) عبدالله خورشيد: القبائل العربية في مصر، ص72، الرافعي: المرجع السابق، ص41، وهي ذات السنة التي مات فيها عمرو بن العاص، ولعل هذا الوالي الذي شجع قبائل العرب علي القدوم الي مصر هو عتبة بن أبي سفيان الذي تولي إمارة مصر بعد موت عمرو بن العاص حسب ما ورد في بعض المصادر(انظر ابن زولاق: تاريخ مصر، ص56). وربما يكون هذا الوالي الصحابي عبدالله بن عمرو بن العاص هو الذي تولي

إمارة مصر حسب رواية ابن إياس والواقدي وغيرهما من المؤرخين، في سنة 43هـ/663م، قال ابن إياس: "ثم إن معاوية أرسل تقليداً إلي عبدالله بن عمرو، بولايته علي مصر، عوضاً عن أبيه، قال الواقدي: أقام عبدالله علي ولاية مصر بعد أبيه دون السنة"(بدائع الزهور: جـ1، ص118).

(3) عبدالله خورشيد: القبائل العربية في مصر، ص72، السيد طه أبو سديرة: القبائل اليمنية، ص13

(4) قبيلة لخم: وهم ولد مالك بن عدي بن الحارث بن مُرة بن أدد بن زيد بن يشجب. وقيل إنه سمي بهذا الاسم لأنه لُطم، واللخمة: أي اللطمة (الهمداني: عجالة المبتدي، ص109). ومن ولد لخم: جزيلة ونمارة وعدي أو عمم، وهو أول من اعتم، وعمرو، ومحلب، وحبيب والهجن، وغير ذلك من الأولاد (ياقوت الحموي: المقتضب، ص222). وللمزيد انظر أيضاً ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص426)

(5) قبيلة جذام: وبنو جذام، هم بنو عمرو بن عدي بن الحارث، ومن أبنائه: حرام وجشم، وبنو حرام بن جذام: غطفان وأفصي، وهما بطنان كبيران، ومن ولد أفصي: روح بن زنباع بن روح بن سلامة (ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص424)، وجذام من بني كهلان بن سبأ، أي أنه من عرب اليمن أو عرب قحطان، وتجمع بنو جذام القرابة بعرب لخم، فكلتا القبيلتين من ولد عدي بن الحارث، إذ إن كلاً من لخم وجذام كانا أخوة (انظر الهمداني: عجالة المبتدي، ص38–39)

(6) H. A. Macmichel: A History of the Arabs, Vol. I ,P. 157 ، وانظر حسن أحمد محمود: مصر الإسلامية، ص24–25

(7) الكندي: الولاة والقضاة، ص70، المقريزي: الخطط، ص128

وربما يُفسر لنا ذلك قدوم أعدادٍ كبيرةٍ من عرب عدنان خاصةً من قَيس آوائل القرن 2هـ/8م. وقد أخذت قبائل كاملة تنتشر في مدن مصر وقُراها شمالاً وجنوباً، حتى بلغ بعضُهم في هجرته أقصى الصعيد. يقول المقريزي: "وفي ولاية الوليد ابن رفاعة الفَهمّي علي مصر، نُقلت قيس إلى مصر في سنة تسعٍ ومائة، ولم يكن بها أحدٌ منهم قبل ذلك.." ([1]). وهو ما يشير بالفعل لقلة القبائل الحجازية، مقارنة باليمنيين. وقد سأل الوالي ابنُ الحبحاب هشام بن عبدالملك (105–125هـ/724–744م) أن ينقل قيس لمصر، ثم نُقل حوالي ثلاثة آلاف منهم، وصار ديوانهم بها، ونزلوا الحوف الشرقي ([2]). ويشير البعض إلى أن عدد القبائل التى استقرت بمصر سواء إبان الفتح أو بعده بلغت نحو 244 قبيلة، منها 30 قبيلة من عدنان وكذلك 30 بطنا منهم ([3]). بينما كان تضم 61 قبيلة قحطانية، و111 بطنا منهم ([4]).

وثمة سياسةٌ اتبعتها الدولة الاسلامية بعد الفتح كانت تقوم على ألا يختلط العرب ومنهم جُهينة بالمصريين، لأن العرب كانوا لايزالون في "مرحلة الجهاد"، أو ما يعرف بـ"التجنيد الإجباري". ومن ثم لم يعملوا بالزراعة، أو أي مهنة أخرى، كما أنهم لم يمتلكوا الأراضي بمصر([5]). وعلى هذا احتكرت القبائلُ العربية لنفسها شرف الخدمة العسكرية، وارتقاء المناصب العُليا في البلاد، كما تمتعوا بالحصول على العطاء من "بيت المال" ([6]). ويشير البعض إلى أن عمر بن الخطاب هو الذي منع العرب بمصر من العمل بالزراعة، أو أن يمتلكوا الأراضي، إذ لم يكونوا يعنون بغير السياسة، والحكم، والحرب. وعلى هذا "لم يختلط العربُ بالمصريين في

البداية، ولم يكن لهم تأثيرٌ يُذكرعلى الأقباط" ([7]). كما تمتع العرب أيضاً بامتيازاتٍ أخرى، ومنها الإعفاء من الخراج في حال الملكية الزراعية، وهو ما جعلهم يشكلون "طبقة متميزة" ([8]). وهو لا يعني تعاليهم على أقباط مصر، أو اضطهادهم في ذلك الوقت، بقدر ما كان ذلك موافقا لطبيعة هذه المرحلة من الفتح العربي.

---

(1) الخطط: جـ1، ص128، وللمزيد انظر أيضا مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص116

(2) المقريزي: الخطط، جـ1، ص128، كما تذكر المصادر أن بشر بن صفوان نقل هو الآخر الجماعات العربية من قبيلة قيس إلي مصر في حوالي سنة 101هـ/720م (انظر ابن زولاق: تاريخ مصر، ص 58). بينما يذكرابن إياس أن نقل الجماعات القيسية إلي مصر تم في أيام الوالي "حنظلة بن صفوان"، وهو أخو بشر ابن صفوان، ولم يكن للعرب من بني قيس وجود في أرض مصر قبل ذلك (بدائع الزهور: جـ1، ص127).

(3) عبدالله خورشيد: القبائل العربية في مصر، ص72

(4) المرجع السابق، ص72

(5) مصطفي مسعد: الاسلام والنوبة، ص116

(6) الرافعي: مصر في العصور الوسطي، ص41

(7) سيدة إسماعيل الكاشف: عبدالعزيز بن مروان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005م، ص161

(8) الرافعي: المرجع السابق، ص41

وأدت تلك السياسة التي انتهجتها الخلافة والتزمت بها القبائل العربية لتأخر انتشار الإسلام لحد ما بين أهل مصر لعدة قرونٍ بعد الفتح ([1]). وثمة رأيٌ يذهب إلى أن الإسلام لم ينتشر بشكل كامل من الدلتا شمالاً حتى أقصى الصعيد جنوباً، إلا بعد نحو خمسة قرون من الفتح العربي ([2]). وهذا لا يعني أن الإسلام لم ينتشر بمصر خلال ذلك الوقت أي قبل القرن 5هـ/11م، بل المؤكد أن الإسلام كان موجودا بقوة في ذلك الوقت حتى تحولت مصر للإسلام بشكل رسمي، وصار أكثر سكانها من المسلمين. ويمكن القولُ بأن الضرورة اقتضت بأن يقوم الفاتحون بالجهاد، وتأمين تخوم مصر وثغورها، ولهذا وضعوا قواتٍ تُرابط عند السواحل والثغور لحمايتها ([3]) تُعرف بـ "الرباط" ([4]). ولعل هذا ما يؤكد في ذات الوقت سلمية الدعوة الإسلامية بمصر، وأن العرب لم يجبروا الأقباط على اعتناق دينهم.

---

(1) وعن دور القبائل العربية في انتشار الإسلام بمصر، يقول الدكتور مصطفي مسعد: "وإذا كان العرب في أول عهود الفتح لم يختلطوا بالمصريين، فذلك لأنهم كانوا لا يزالون في شبه تجنيد، ولهذا منعوا من امتلاك الأراضي والاشتغال بالزراعة. ثم لم يلبث هذا أن تغير بعد أن استتب الأمر.." (الإسلام والنوبة: ص116). بينما يقول الرافعي: "ومن الواضح أن القبائل العربية التي نزحت الى مصر كانت في أول الأمر متعالية علي أهل البلاد احتكرت لنفسها شرف الخدمة العسكرية، وارتقاء المناصب..وجميع هذه الامتيازات جعلت من العرب طبقة ممتازة بفصلها عن عامة أهل البلاد فواصل وحواجز واضحة. ولكن، ما كاد ينتهي القرن الأول للهجرة حتي ازداد انتشار العرب في قرى مصر، وتغلغلهم في صميم بيئتها.." (مصرفي العصور الوسطي: ص41). أما الدكتور سليمان حزين: "فإن الإسلام لم ينتشر من رأس الدلتا

الي الصعيد، ثم إلى النوبة إلا بعد انقضاء نحو خمسة قرون علي دخول الإسلام إلي مصر في منتصف القرن السابع الميلادي.." (أرض العروبة، هيئة الكتاب، 2007م، ص149).

(2) سليمان حزين: أرض العروبة، ص149

(3) عبدالفتاح مقلد الغنيمي: عروبة مصر قبل الإسلام، القاهرة، 1993م، ص175

(4) الرباط: هو ما تُربَطُ فيه الخيل استعدادا للجهاد في سبيل الله والزود عن بلاد المسلمين، واستعملت الكلمة في بواكير الإسلام دلالة علي حصن ديني وحربي. والرباط حصن تقيم فيها الجيوش في نقاط مكشوفة على تخوم المسلمين. ويتكون من سور محصن يحيط به، وبه حجرات للمعيشة، ومستودعات للأسلحة، ومخازن للمؤن، وبرجاً للمراقبة. وكان في بلاد ما بين النهرين 10 آلاف ربط أكثرها علي السواحل والثغور(جب وكالمرز: الموسوعة الاسلامية الميسرة، جـ1، ترجمة: راشد البراوي، هيئة الكتاب، 2013م، ص403-404). يقول القرطبي: "المُرابط في سبيل الله عند الفقهاء هو الذي يشخص إلى ثغرٍ من الثغور ليرابط فيه مدة..وأما سكان الثغور فهم وإن كانوا حماة فليسوا بمرابطين.." (الجامع لأحكام القرآن، جـ3، تحقيق: عماد البارودي وخيري سعيد، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ، ص287). وفي فضل الرباط قال رسول الله ع "من رابط يوماً وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه، لا يفطر، ولا ينفتل عن صلاته إلا لحاجة" (الزمخشري: تفسير الكشاف، جـ1، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ، ص526). وقال ع أيضاً: "من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة" (انظر تفسير البيضاوي، جـ2 المكتبة التوفيقية، دون تاريخ، ص254).

ويرى البعضُ أنه ما كاد ينتهي القرنُ الأول الهجري (7م) حتى زاد انتشار العرب في مدن مصر وقراها، وازداد توغلهم بين أهل البلاد، مما أدى لمزيدٍ من التقارب بين الطرفين عن طريق الزواج والمصاهرة ([1]). ولم تلبث الجماعات العربية أن بدأت تُقبل على العمل بالحرف ومنها الزراعة، وهو ما لم يكن يحدث من قبل، كما ازدادت أيضاً أعداد من يعتنق الإسلام من أقباط مصر بفضل التقارب بين العرب والمصريين ([2]). كما أدت الأحداثُ السياسية وتطوراتها لمزيدٍ من الهجرات العربية، وتوغلها في الصعيد خاصة إبان العصر العباسي (132-656هـ/751-1258م) ([3]) الذي شهد الكثير من الأحداث، لاسيما وأن سياسة العباسيين كانت تقوم على إيثار الأتراك دون العرب في إمارة الولايات.

وعلى أية حال اتجهت قبيلة جُهينة كغيرها من القبائل للصعيد، حيث ارتحلت جماعات كبيرة منها، وانتشروا في المدن والقرى بالجنوب، ثم زادت أعدادهم بمرور الوقت حتي صارت جُهينة أكبر القبائل العربية هناك، وأكثرها عدداً، وهو ما تؤكده العديد من الروايات ([4]). وإلى جانب قبيلة جُهينة سكنت قبائل أخرى الصعيد، ومنها: بنو هلال، وعرب بلي، وقريش، ولواتة، وبنو كلاب..الخ ([5]). وعن قبيلة جُهينة وانتشارها في الصعيد، يقول المقريزي: "وهي قبيلةٌ عظيمةٌ، وفيها بطونٌ كثيرةٌ، وهم أكثرُ عرب الصعايدة.."([6]).

---

(1) الرافعي: مصر في العصور الوسطي، ص41

(2) المرجع السابق، ص41

(3) العصر العباسي: ينقسم هذا العصر الي فترتين، إحداهما "العصر العباسي الأول"(132-232هـ/751-846م)، وهي حقبة دامت قرن من الزمان، شهدت قوة وازدهار حكم بني العباس، وتنتهي هذه الفترة بحكم الواثق بالله بن المعتصم بن الرشيد(227-232هـ/841-846م). أما الحقبة الثانية، فهي "العصر العباسي الثاني"(232- 656هـ/846 – 1258م): شهدت ضعف الخلافة وانقسامها مع استقلال الكثير من الولايات. وتبدأ هذه الفترة بحكم "المتوكل على الله" (232-247هـ/846-861م)، وتنتهي بحكم "المستعصم بالله" (640-656هـ/1242-1258م) الذي قتله علي يد المغول (للمزيد عن الدولة العباسية، انظر: ابن طباطبا: الفخري: الفخري في الآداب السلطانية، مكتبة محمد علي صبح، القاهرة، 1962م، ص109-110، تاريخ اليعقوبي: جـ2، ص243، المسعودي: مروج الذهب، جـ3، ص252، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص207، علي الخربوطلي: تاريخ العالم الاسلامي، معهد الدراسات الاسلامية، القاهرة، 1976م، ص132-133).

(4) القلقشندي: قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، ص23، المقريزي: البيان والاعراب عمن في أرض مصر من قبائل الأعراب، ص136، عبدالله خورشيد: القبائل العربية في مصر، ص239-240، ممدوح عبد الرحمن الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر، مكتبة مدبولي، دون تاريخ، ص96-97

(5) الشيخ عبدالله الأمين الضرير: العربية في السودان،جـ1، الكتاب اللبناني، بيروت، 1967م، ص11، وللمزيد، انظر أيضا عبدالله خورشيد: القبائل العربية في مصر، ص87

(6) البيان والإعراب: ص136، وانظر أيضا سبائك الذهب: ص44، القلقشندي: قلائد الجمان، ص23

وكانت الجماعات القُضاعية تشكل أكثر القبائل العربية التى شاركت في الجيش العربي الذي كان قد ذهب إلى الجنوب، وحتى بلاد النوبة. ويؤكد ذلك الفحل الفكي الطاهر الذي يشير إلى أن عرب قُضاعة كانوا يمثلون العدد الأكبر في جيش المسلمين الذي فتح الصعيد، وكذلك هم الذين ذهبوا إلى بلاد النوبة سنة 20هـ/640م، ومن ثم استوطنت جماعات من قُضاعة مدن الصعيد منذ ذلك الوقت ([1])، ومنهم قبيلة جُهينة بالطبع، وهو ما يشير أيضاً لقدم وجود هذه القبيلة العربية بالصعيد منذ صارت مصر تحت الحكم العربي.

ثانياً – أسباب هجرة عرب جُهينة إلى الصعيد:

ارتبطت هجرة جماعات جُهينة إلى الصعيد ببعض الأحداث المهمة التي جعلتهم يؤثرون الذهاب إلى أرض الصعيد بهدف الإقامة والاستقرار هناك. ولعل من أهم تلك الأسباب:

أ – ارتباع الجند العرب في الريف المصري:

اعتادت القبائلُ العربية ومنها جُهينة "الإرتباع" في الريف المصري، فكان العربُ يخرجون بدوابهم خلال "فصل الربيع" في كل سنةٍ للرعي والإرتباع، وكان يؤثر بعضهم الاستقرار والإقامة في تلك البقاع التي كانوا يرتبعون فيها بعد ذلك ([2]). حيث كانوا يجدون فيها مأربهم، وما كانوا يبحثون عنه من المراعي والمروج التي يحتاجون لها لتربية دوابهم وماشيتهم، وهو ما كان له أثرٌ كبيرٌ في زيادة الوجود العربي بالريف في ذلك الوقت.

(1) تاريخ وأصول العرب بالسودان: ص118، وعن وجود قبيلة جهينة بالصعيد، انظرملحق رقم5، ص249

(2) ارتباع الجند العرب: تروي المصادر أنه لما كان يحل فصل الربيع علي جند العرب بعد الفتح، كان عمرو بن العاص يقول لهم إذا قفلوا من غزوهم: "إنه قد حضر الربيع، فمن أحب منكم أن يخرج بفرسه يُرْبِعهُ فليفعل، ولا أعلم ما جاء رجل قد أسمن نفسه وأهزل فرسه، فإذا حمض اللبن، وكثر الذباب، وقوي العود، فارجعوا الي قيروانكم.." (للمزيد انظر ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص139، السيوطي: حسن المحاضرة، جـ1، ص122). كما يروي أيضاً أن عمرو بن العاص كان يأمر الجند العرب أن يذهبوا للارتباع بخيلهم في الريف: "يا معشر الناس، إنه قد نزلت الجوزاء، وذكت الشعري، وأقلعت السماء، وارتفع الوباء، وقل النداء، وطاب المرعي، ووضعت الحوامل، ودرجت السخائل، وعلي الراعي حُسن النظر لرعيته، فحيّ لكم علي بركة الله ريفكم، تنالوا من خيره ولبنه، وخرافه وصيده، وأربعوا صيدكم، وأسمنوها وصونوها وأكرموها، فإنها جُنَّتكم من عدوكم، وبها مغانمكم وأثقالكم، وأستوصوا بمن جاورتموهم من القبط خيرا.." (السيوطي: حسن المحاضرة، جـ1، ص122–123). كما أفاض المقريزي عن ارتباع العرب في ريف مصر، وجعل به بابا باسم "ذكر نزول العرب بريف مصر واتخاذهم الزرع معاشا" (الخطط: جـ1، ص128)،. وللمزيد انظر أيضاً عبدالمجيد عابدين: دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ص32–33، كرم الصاوي: قبيلة جُهينة، ص13.

وعلى هذا ساعد الارتباع قبيلة جُهينة وغيرها على اكتشاف المدن والقرى المصرية، ومعرفة الكثير من غموضها، وإدراك مدى ثراءها، ومن ثم أقامت بعض القبائل في المناطق التي كانت ترتبع فيها. وكان ارتباع القبائل العربية في الريف يمتدُ بامتداد وجود "نبات البرسيم"، وكذلك الحشائش في الحقول، وهو الطعام الرئيس للإبل والماشية، وقد تأخذ جزءاً غير قليل في فصل الصيف ([1]). وقد أدى "الارتباع" خاصةً في مناطق الصعيد لمزيدٍ من الاتصال، وتوثيق وشائج العلاقات بين العرب وأهالي الصعيد ([2]).

وكانت بعض القبائل تفضل بعض المناطق في الريف دون غيرها من أجل الارتباع فيها، ومن ثم ارتبطت بعض تلك القبائل ببعض هذه المدن، فكانت قبيلة بلي القُضاعية، على سبيل المثال، ترتبع في منف وطرابية ([3]). بينما كانت مرابع كل من قبيلة غفار وليث في أتريب (بنها)، وأقامت مدلج مرابعها في خربتا، واتخذوها منزلاً لهم، وكان معهم نفر من قبائل حمير اليمنية ممن حالفوهم ([4]). وكانت قريش ترتبع في كل من كورة منف وأوسيم ([5]).

ويذهب البعضُ إلى أن "الارتباع" لعب دوراً مهماً في ظهور شعورٍ داخلي بالاختلاط بين العرب والمصريين، وأوجدَ حالةً من القبول من جانب المصريين للتقارب مع العرب، إضافةً لعوامل أخرى إجتماعية ودينية، وكذلك ثقافية أدت بعرب جُهينة الإقامة في بقاع بعينها. كما أن العامل المناخي والاقتصادي كانا من أهم العوامل التي حفزت العرب على الهجرة جنوبا، وكانت مناجم الذهب في الجنوب عامل جذبٍ كبيرٍ لهم. وكان الخلفاءُ يقومون بتعيين الولاة على أسوان لضمان الإشراف على الذهب، وحماية مناجمه، وهو ما شجع جُهينة وغيرها من القبائل على الهجرة للصعيد ([6]). وهو ما تشير إليه مخطوطة "كاتب الشونة" إذ تقول": "ثم كثر المسلمون في المعدن، فخالطوهم (أي البجاة)، وتزوجوا منهم.." ([7]).

---

(1) وعن ارتباع العرب في قرى مصر يقول صاحب "تاريخ جُهينة": "واعتادت تلك القبائل جميعاً، ومنها جُهينة، الارتباع في الريف المصري، أي الخروج بدوابهم في فصل الربيع من كل عام للرعي، ثم استقرت في مناطق ارتباعها بعد ذلك.." عبدالكريم الخطيب: تاريخ جهينة، ص24، وللمزيد انظر أيضا عبدالفتاح الغنيمي: عروبة مصر قبل الإسلام، ص175

(2) للمزيد، انظر المقريزي: الخطط، جـ1، ص131، السيوطي: حسن المحاضرة، جـ1، ص123، عبدالفتاح الغنيمي: المرجع السابق، ص175

(3) عبدالمجيد عابدين: مرجع سابق، ص32

(4) المرجع السابق، ص32

(5) عبدالله خورشيد: القبائل العربية في مصر، ص86

(6) عبد الفتاح الغنيمي: المرجع السابق، ص177–178

(7) مخطوطة كاتب الشونة: ص126، وانظر أيضا تاريخ الطبري: جـ5، ص354

ب – إسقاط جُهينة من ديوان العطاء (218هـ/833م):

ومن أهم الأسباب الأخرى التى أدت لهجرة جُهينة للصعيد ما وقع أيام المُعتصم بالله ([1])، الذي أسقط جُهينة وباقي العرب من الديوان ([2])، حيث قُطع العطاء الذي كان يناله العربُ بعد الفتح باعتبارهم مجاهدين ([3]). وتذكر المصادر أنه وَرَد على كيدر بن نصر أمير مصر كتابُ المعتصم ببيعته، ويأمره بقطع العطاء عن العرب ([4]). قال المقريزي: "كتبَ إلى كيدر..يأمره باسقاط من في ديوان مصر من العرب.." ([5]). وكان مروان بن محمد قد قطع العطاء عن العرب بمصر سنةً، ثم كتب معتذراً: "إنما حبست عنكم العطاء في السنة الماضية لعدوٍ حَضرني، فاحتجتُ إلي المال.."([6]). ثم وجه بعطائّي السنتين الماضية والجديدة وقال: أعوذُ بالله أن أكونَ أنا الذي يُجري الله قطع العطاء علي يديه ([7]).

---

(1) المُعتصم بالله (218–227هـ/833–841م): هوالخليفة العباسي أبو إسحاق محمد بن الرشيد بن المهدي(للمزيد ابن ماجه: كتاب تاريخ الخلفاء، مكتبة الثقافة الدينية، 2000م، ص26، الزركلي: تراجم الأوائل والخلفاء، هيئة الكتاب، 2014م، ص181–182، الدينوري: الأخبارالطوال، ص401–406، الطبري: جـ5، ص230، المسعودي: مروج الذهب،جـ4، ص46–64، ابن مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، اختصار: عبدالرحمن الشيخ، هيئة الكتاب،2007م، ص262–265، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص253– 257).

(2) الديوان: ويقصد به "ديوان الجند" أو "ديوان العطاء"، وينقسم "ديوان السلطنة" إلى 4 أقسام: ما يختص بالجيش من اثبات وعطاء، وما يختص بالأعمال من رسوم وحقوق، وما يختص بالعمال من تقليد وعزل، وما يختص ببيت المال من دخل وخراج. وشروط الاثبات في ديوان الجند يراعي فيها أمور، منها البلوغ، فالصبي من جملة الذراري والأتباع، فلم يجزأن يثبت في الديوان. وتقدير العطاء للجند معتبر بالكفاية حتي يستغني بها. والكفاية معتبرة في أمورأحدها: عدد من يعوله، الثاني: عدد من يرتبطه من الخيل والثالث: الموضع الذي يحله في الغلاء والرخص، فيقدر كفايته وكسوته ونفقته لعامه كله، فيكون هذا المقدر في عطائه، وتعرض حاله كل عام، فإن زادت رواتبه زيد، وإن نقص نقص

(الماوردي: الأحكام السلطانية، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ، ص351–353). ويذكر المقريزي: "الديوان محفوظ يحفظ ما تعلق بحقوق السلطنة من الأعمال والأموال، ومن يقوم بها من الجيوش والعمال، وفي تسميته ديوانا..أن كسري اطلع ذات يوم علي كتاب ديوانه فرآهم يحسبون مع أنفسهم فقال: ديوانه، أي مجانين، فسمي موضعهم بهذا الاسم". ويقال إن أول من وضع "ديوان الجند" بخيلهم الملك "كهراسف"، وهو من ملوك الفرس، وكانوا قبله يأخذون العُشر من الغلات، وصرفها في أرزاق الجند (الخطط: جـ1، ص147–148). وكان عمر بن الخطاب(13–23هـ/634–643م) أول من اتخذ الديوان فى تاريخ الإسلام (انظر السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص126). وانظر أيضا عبدالرحمن زكي: الجيش المصري في العصر الإسلامي، ص17–18

(3) رجب عبد الحليم: العروبة والاسلام في دارفور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دون تاريخ، ص50

(4) الكندي: الولاة والقضاة، ص194، النجوم الزاهرة: جـ2، ص223

(5) الخطط: جـ1، ص151

(6) انظر الكندي: الولاة والقضاة، ص 194، الخطط: جـ1، ص151

(7) الخطط: جـ1، ص151– 152

وكان إسقاط قبيلة جُهينة ديوان العطاء بمصر يعني "إلغاء الإمتيازات" التي كانت تتمتع بها تلك القبيلة وأفرادها، وأنه سقطت عنهم "صفة الجُندية"، وأنهم لم يعودوا في "رباط الجهاد" كما كانوا منذ الفتح العربي، ولهذا تمردت بعضُ القبائل بسبب ذلك، وقاد هذا التمرد جماعات من قبائل لخم وجذام ([1]). وأرادت هاتان القبيلتان شق عصا الطاعة على الخلافة العباسية، ثم تجهز الوالي كيدر بن نصر لقتالهم، لكنه توفي سنة 219هـ/834م ([2]). ثم تولى بعده ابنه المظفر، ثم قاد التمرد ابن الوزير، وقالت العرب: "هذا أمرٌ لا يقوم فينا أفضل منه"، وقاتله المظفر عند تنيس ([3])، وهُزم العرب، ووقع ابن الوزير أسيراً ([4]).

عندئذ كان على عرب جُهينة أن يسيحوا في مدن مصر بحثاً عن بقاع تطيبُ لهم. وكان الصعيد مقصداً رئيساً لهم، فأرضه تشبه جزيرةَ العرب، إذ تغلب عليها البداوة التي اعتادوها في مواطنهم. لقد كان إسقاط العرب من العطاء ضربة موجعة لهم، خاصةً وأنه قرارٌ يعبرُ في ذات الوقت عن سياسة الدولة العباسية التي تظهر العداء للعرب، بينما تتقرب في ذات الوقت من الأتراك ([5])، وجعلهم في مناصب الدولة العُليا. ويقول المقريزيُ عن نتائج تلك السياسة: "فانقرضتْ دولةُ العرب من مصر، وصار جُندُها للعجم والموالي من عهد المعتصم الى أن ولي الأميرُ أبو العباس أحمد بن طولون مصر، فاستكثَر العبيد.." ([6]).

---

(1) ابن تغري بردي: النجوم، جـ2، ص223، الخطط، جـ1، ص152

(2) الخطط، جـ1، ص152

(3) تنيس: يقول الاصطخري: "ومن الفرما إلي تنيس نحو فرسخين في البحيرة، وبتنيس تل عظيم مبني من أموات منضدين بعضهم علي بعض..ويشبه أن يكون ذلك من قبل موسى.."(مسالك الممالك: ص44). وقيل سميت بهذا الاسم نسبة لـ تنيس بن حام بن نوح (على مبارك: الخطط التوفيقية، جـ11، ص98). والفرسخ حوالي 5762م (انظر الرازي: كتاب زهر الربيع، ص84 حاشية رقم 8، وكذلك ص85 حاشية رقم 4)

(4) المقريزي: الخطط، جـ1، ص152

(5) أقام المعتصم بالله عاصمة اسمها "سامراء" بدلا من "بغداد" ليعيش فيها الأتراك الذين أقبل بشدة علي شرائهم، وعن ذلك قال المسعودي: "وكان المعتصم يحب جمع الأتراك وشراءهم من أيدي مواليهم، فاجتمع له منهم أربعة آلاف.." (مروج الذهب: جـ4، ص53). وقال السيوطي: "وذلك أنه اعتني باقتناء الترك..وذل فيهم الأموال وألبسهم أنواع الديباج، ومناطق الذهب، فكانوا يطردون خيلهم في بغداد، ويؤذون الناس، وضاقت بهم البلد، فاجتمع اليه أهل بغداد وقالوا: إن لم تخرج عنا بجندك حاربناك.." (تاريخ الخلفاء، تحقيق: أحمد بن شعبان، مكتبة الصفا، القاهرة، 2005م، ص254). وقال ابن طباطبا: "إن المعتصم استكثر من المماليك، فضاقت بهم بغداد، وتأذي بهم الناس وزاحموهم في دورهم، وتعرضوا للنساء، فكان في كل يوم ربما قتل منهم جمَّاعة.." (الفخري، ص188).

(6) وللمزيد، انظر الخطط: جـ1، ص152، وانظر شوقي عبد القوي عثمان: العلاقات التجارية بين مصر والدول الأفريقية في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1975م، ص40

وكان عنبسة بن إسحاق الضبي "آخر الولاة العرب" ممن ارتقى الإمارة بمصر، وكان آخر أمير صلى بالمسجد الجامع ([1]). وكان العباسيون يختارون ولاة مصر من بين الأتراك الأكثر كراهيةً للقبائل العربية، ولهذا استبد الولاة الأتراك بمصر([2]). إذ اشتد هؤلاء الولاة في فرض الضرائب والمكوس على العرب خاصة، وهو ما أثار سخطهم. ثم كان طبيعياً أن يقوم العرب بثورات ضد هذا البطش، قمعها الأتراك بعنف ([3]). ولهذا آثرت أكثر القبائل العربية الإتجاه نحو الجنوب، حيث تقل سلطة الولاة الأتراك، وبحثاً عن موارد جديدة لهم بعد أن انقطع عنهم ما كان يأتيهم من "ديوان العطاء".

جـ - حملة العُمري إلى بلاد البجة (255هـ/869م):

تُعد هذه الحملة أحد أهم الأسباب التي أدت لهجرة قبيلة جُهينة إلى الجنوب، وكان إرسالها فرصةً سانحةً لأعداد كبيرة من جماعات هذه القبيلة من أجل البحث عن مستقر جديد يروق لهم، إذ بعث أحمد بن طولون في سنة 255هـ/869م ([4]) حملة إلى بلاد البجة بقيادة العُمري ([5])، وكانت تضم العديد من القبائل والبطون العربية التي آثرت الذهاب للجنوب ([6]).

---

(1) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ2، ص239، بداية إمارة عنبسة بن إسحاق سنة 238هـ/852م، ثم تولي بعده الوالي يزيد بن عبد الله سنة 243هـ/857م (انظر ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص39).

(2) رجب عبد الحليم: العروبة والاسلام في دارفور، ص51

(3) المرجع السابق، ص51، وانظر حسن إبراهيم حسن وآخرون: المجمل في التاريخ المصري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2014، ص143

(4) أحمد بن طولون: ارتقى إمارة مصر سنة 254هـ/686م، وهو الذي استقل بحكم مصر عن الخلافة العباسية، كان جوادا شجاعا متواضعا، أقام مسجده المشهور بالقاهرة، وفرغ منه سنة 266هـ/879م، مات سنة 270هـ/883م ودفن عند سفح المقطم (للمزيد انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ10، ص486–487، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ1،

ص95–96، ابن الأثير: الكامل، جـ6، ص191، الرافعي: مرجع سابق، ص85، حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية في العصر الطولوني، ص43–44).

(5) العُمري: هو أبوعبد الرحمن عبد الله بن عبد الحميد العُمري، وكان رجلاً من أتقياء الناس وأكثرهم ورعا، كما كان من أهل العلم. قضي شطرا كبيرا من حياته في بلاد المغرب، وخاصة في مدينة القيروان، وحاز ثقة واسعة. وقد عرف باسم العُمري، لأنه ينتسب الي نسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واسمه كاملا: عبدالله بن عبدالحميد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب (للمزيد عن ترجمته، انظر تاريخ اليعقوبي: جـ2، ص355، مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص125، حسن أحمد محمود: حضارة مصر الاسلامية في العصر الطولوني، ص43)، للمزيد عن العمري، انظر ملحق رقم 12

(6) محمد غيطاس: حملة اليونسكو وأضواء جديدة علي تاريخ النوبة، دار المعرفة الجامعية، 1987م، ص112، مصطفي مسعد: البجة والعرب، ص36، انظر أيضاً Abd Al Magid Abdin; Some General Aspects of the Arabisation of the Sudan, S. N. R., Vol. XXXIX, 1958, P.59

وكان منهم جماعات كبيرةٍ من جُهينة رافقت هذه الحملة إلى بلاد البجة، وحسب البعض بلغ عدد الجهنيين بها حوالي 869 شخصاً [1]، وهو عددُ ليس بالقليل لجماعات من قبيلةٍ واحدةٍ، وهو ما يشير لكثرة أعداد الجهنيين المهاجرين للجنوب بصفة عامة، وعلى هذا ساهمت هذه الحملة في زيادة الوجود الجهني بالبجة. وعن وجود جُهينة في تلك الحملة، تذكر مخطوطة "كاتب الشونة": "وفد إليهم..الُعمري بعد محاربته النوبة في سنة خمس وخمسين ومائتين، ومعه ربيعة وجهينة وغيرهم من العرب" [2]. ثم استقرت في ذات الوقت جماعات من قبيلة جهينة في بعض مدن الصعيد، ولعل أهمها مدينة الأشمونين.

ثالثاً – قدوم عرب جُهينة إلى الأشمونين [3]:

وعلى هذا تدفقت الهجراتُ العربيةُ للصعيد، وكانت جُهينة من أكثر الجماعات التي آثرت الإستقرار هناك، ثم زادت جماعاتهم بمرور الزمن، وصاروا الأكثر انتشاراً [4]. يقول السويدي: "وهم (أي بنو جُهينة) أكثرُ عرب الصعيد" [5]. ويؤكد المقريزي ذات الأمر عن زيادة جماعات جُهينة "وهي أكثرُ عرب الصعايدة" [6]. وثمة رأيٌ يرى أن جُهينة كانت من أقدم القبائل بالصعيد، ويُعتقد أنهم ربما استقروا هناك منذ القرن الأول الهجري (القرن7م) [7]. وهو ما يعني أن وجود جُهينة بالصعيد بدأ حتى قبل اسقاطها من الديوان. وربما كانت جماعات قليلةٌ منهم اتجهت للصعيد، ولما أُسقِط عنهم العطاءُ زادت هجراتُهم كثافة.

---

(1) المقريزي: الخطط، جـ2، ص569، وللمزيد انظر أيضا:
Macmichael: A History of the Arabs , Vol. I , P. 138

(2) مخطوطة كاتب الشونة: ورقة 127، انظر أيضا مصطفي مسعد: البجة والعرب في العصور الوسطي، مقال منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، عدد 21، المجلد الثاني، ديسمبر 1959، ص36

(3) الأشمونين: وهي من مدن محافظة المنيا، يذكرها المسعودي باسم "الأشمون": "ويقال إنها مدينة في شرقي مصر، كان طولها اثني عشر ميلا، وجعل عليها حصنا بني فيه قصرا عظيما، (و) الأعلام والملاعب. واتخذ في سفح الجبل

مدينة يقال لها طهراطيس، وجعل فيها من العجائب شيئا كثيرا. وجعل لها أربعة أبواب، من كل جهة باب واحد.." (أخبار الزمان، ص151). وقال عنها الاصطخري: "وأما الأشمونين فإنها مدينة صغيرة، عامرة، ذات نخيل وزروع، ويرتفع من الأشمونين ثياب كثيرة.." (مسالك الممالك: ص44).

(4) المقريزي: البيان والإعراب، ص136، السويدي: سبائك الذهب، ص44، ممدوح الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر، ص96–97، عبدالله خورشيد: القبائل العربية في مصر: ص239–240، السيد طه أبو سديرة: القبائل اليمنية، ص26–27، كرم الصاوي باز: قبيلة جُهينة، ص13–14

(5) سبائك الذهب: ص44، القلقشندي: قلائد الجمان، ص23

(6) البيان والإعراب: ص136، وللمزيدعن رواية المقريزى عن وجودجهينة بالصعيد،انظرملحق5، ص249

(7) ممدوح عبدالرحمن الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر، ص96

ولعل من أهم المدن التي استقروا بها في أرض الصعيد: الأشمونين، وأخميم، وكذلك سكنت جماعات منهم مدنا أخرى هناك، مثل: "منفلوط وأسيوط، وبها أقوامٌ منهم" ([1]). ثم وقعت لقبيلة جهينة بعض الأحداث المهمة بالصعيد، خاصة في مدينة الأشمونين.

أ- الفتنة بين جُهينة وقريش في الأشمونين إبان العصر الفاطمي (358–567هـ/969–1171م)

تُعد الأشمونين من أقدم المدن التي سكنت بها قبيلة جُهينة بالصعيد، حيث لعبت هذه القبيلة هناك دوراً كبيراً حتي عصر الدولة الفاطمية (358–567هـ/969–1171م) ([2]). ويرجح أن الفاطميين لما شعروا بكثرة جماعات جُهينة بالصعيد عامةً، وفي الأشمونين خاصة، خشوا أن يكون ذلك نزير خطرعلى دولتهم. ولهذا تعاونوا مع بعض البطون التي تنتسب لقريش لطرد الجُهنيين من مدينة الأشمونين. ولعل أهم تلك البطون القرشية التي كانت قد استقرت هناك: "بنو زُهرة، وبنو سهم، وبنو الزبير، وبنو شيبة، وبنو طلحة" ([3]). وتشير "الوثائق الطولونية" التي ترجع لمنتصف القرن 3هـ/9م، وهي عبارة عن أوراق بردي جمعها جروهمان، إلى وجود العديد من البطون العربية في الأشمونين، خاصةً من عرب جُهينة وقريش ([4]). وكانت القرابة الظاهرية التي تجمع الفاطميين والقرشيين تحديدا من بين الأسباب التي جعلت الفاطميين يقدمون يد العون للقرشيين دون غيرهم من العرب ضد جُهينة في الأشمونين، لاسيما وأن الفاطميين يزعمون أنهم من نسل آل البيت ([5]).

---

(1) القلقشندي: قلائد الجمان، ص23، وتشير حولياتُ "وصف مصر" Description d'Egypte لعلماء الحملة الفرنسية إلى وجود مدينة باسم "جُهينة" بأسيوط. وهو ما يؤكد أيضا وجود الجماعات الجُهنية في الصعيد (علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر، جـ11، ص223)

(2) عبدالله خورشيد: القبائل العربية في مصر، ص239، كرم الصاوي باز: قبيلة جُهينة، ص13

(3) رجب عبدالحليم: العروبة والاسلام في دارفور، ص167

(4) وثيقة رقم 38، وهى وثيقة تؤرخ إلى حوالي سنة 259هـ/872م، انظر مجموعة جروهمان من الوثائق الفاطمية (حسن أحمد محمود: العصر الطولوني، ص201)

(5) نسب الفاطميين: وعن أقوال المؤرخين في نسب خلفاء الدولة الفاطمية، يقول ابن فضل الله العُمري: "فأما نسبهم، فللناس فيه اختلاف كثير، فأما هم ادعوا أنهم من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق. وأما الناس فمنهم من أفرط حتي قال: إنهم من ولد رجل يهودي.."(مسالك الأبصار: جـ4، ص186). ويقول خواندامير: "يرجع نسبهم حسب أكثر المؤرخين إلي إسماعيل بن جعفر الصادق.." (خواندامير: دستور الوزراء، ترجمة: حربي أمين، هيئة الكتاب، 1980م، ص302). وقال عبد القاهر البغدادي: "وهؤلاء ساقوا الامامة الي جعفر (الصادق)، وزعموا أن الامامة بعده لابنه إسماعيل..." (البغدادي: الفرق بين الفرق، مكتبة دار التراث، القاهرة، 2007 م، ص70). وانظر أيضاً ابن الأبار: الحلة السيراء، جـ1، ص190 وما بعدها.

أما القُرَشيّون ([1]) فهم ولد فِهر بن مالك بن النضر ([2])، وفهر من أسلاف هاشم بن عبد مناف جد النبي ε. يقول المقريزي: "وكانت مساكنهم (يقصد جُهينة) في بلاد قريش، فأخرجتها قريش بمساعدة الخلفاء الفاطميين.."([3]). وقد شجع الفاطميون العرب القرشيين، خاصة من آل البيت والعلويين على الهجرة للصعيد ومنهم: بنو جعفر، والحيادرة، والحسنيين، والزيانية، وطاب لهم المقام بالأشمونين، وكانت الغاية من ذلك دعم الفاطميين بالصعيد ([4]).

وقد رحب الفاطميون بجماعات قريش دون غيرهم للقدوم لمصر لاسيما من كان منهم على مذهبهم، وكان بعضهم استقر في شكل أحلاف تجمع بيوتاً مختلفة من قريش ومواليهم ([5]). وكانت بعض مدن الصعيد منذ أيام علي بن أبي طالب وقفاً للعلويين، ومنها قفط ([6]). والمؤكد أن عرب بلي، وهم ذو قرابة بجُهينة، أيدوا جُهينة في هذا الصراع ([7]). ويشير المؤرخون إلى أنه إبان الفتنة التى وقعت بين جُهينة وبلي من جانب وقريش من جانب آخر، انضم خلالها عسكر الفاطميين إلى قريش ضد جُهينة وحليفتها بلي في الصعيد الأعلى ([8]).

---

(1) قريش: القرش أو التقرش، بفتح القاف، تعني: "التجمع" و"الاجتماع، ومنها جاء اسم قريش. وعن سبب هذه التسمية، قال ابن عباس: "لأمر بين مشهور بداية في البحر تسمي قريشا..". قال الأزرقي: "سميت قريش قريشا، أنها كانت تجارا تكتسب وتتجر وتحترش، فشبهت بحوت البحر..". ويقال إن قريشا هو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، ويرجع نسبه الي عدنان، أي أنه من ولد إسماعيل. وقيل: إن كل من ينتسب الي النضر بن كنانة، فهو قرشي. ويذكر الزبير بن بكار أن جمَّاع قبائل قريش وبطونها في مكة، هم ولد فهر بن مالك، ومنه تفرقت قبائل قريش كافة (الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، مكتبة النافذة، 2013م، ص55-56، شهاب الدين الحموي: التاريخ المظفري، تحقيق: حامد زيان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989م، ص52، المقريزي: البيان والاعراب، ص137). وقال أبومصعب الزبيري: "قالوا: اسم فهر بن مالك: قريش، ومن لم يلد فهر، فليس من قريش.." (نسب قريش: ص12). وقال ابن حزم: "إن جمَّاع قبائل قريش وبطونها التي كانت تسكن مكة، هم من فهر بن مالك..ومنه تفرقت قبائل وبطون قريش كافة.." (جمهرة أنساب العرب: ص464-465). وقال الأزرقي: "ويقال: كان يقال لقُصي القرشي، ولم يُسمْ قرشي قبله.." (أخبار مكة:مصدر سابق، ص55).

(2) شهاب الدين الحموي: التاريخ المظفري، ص52

(3) البيان والإعراب: ص 136، عبدالله خورشيد: القبائل العربية في مصر، ص239

(4) عبد الرازق عبدالمجيد سليم: العلاقات بين مصر والنوبة في العصر الفاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1978م، ص244

(5) دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل: ص46، انظر ملحق الدراسة، خريطة رقم10

(6) عبدالمنعم ماجد: صلاح الدين الأيوبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص80

(7) ممدوح الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر، ص96

(8) المرجع السابق، ص96، وعن ذات الشأن، يقول عبد الكريم الخطيب: "فوقع بينهم واقع أدي إلي دوام الفتنة، فلما أتي العسكر المصري لانجاد قريش علي جُهينة (يقصد الفاطميين) خافت بلي، فانهزمت إلي أعلي الصعيد.." (تاريخ جُهينة: ص25)

ولا ريب أن انضمام الفاطميين لجانب قريش كان سبباً رئيساً في هزيمة قبيلة جُهينة، وحلفائها من البلويين، ثم اضطرت القبيلتان للرحيل قسراً عن الأشمونين، ثم اتجهتا للجنوب بعيداً عن قريش. وعلى هذا صارت السيطرة لبطون قريش في الأشمونين، وصارت تعرف باسمهم، إذ أطلق عليها اسم "بلاد قريش" ([1]). قال القلقشندي عن النتائج التي ترتبت على هزيمة قبيلة جُهينة أمام قريش: "إلى أن أديلت قريش، وملكت أماكن جُهينة.." ([2]). واللافتُ أن المصادر العربية لم تذكر لنا تحديداً العام الذي وقعت فيه الفتنة بين قبيلة جُهينة وجماعات قريش في الأشمونين، ثم ظلت الأشمونين مرتبطة بالطالبيين خاصة من ولد الإمام جعفر (الصادق) بن محمد (الباقر) بن علي (زين العابدين) بن الإمام الحسين ([3]).

(ب) – الصراع بين قبيلة جُهينة والفاطميين:

وعلى أية حال فإننا نعرف من خلال ذات المصادر أن العلاقة لم تكن وديةً بين جُهينة والفاطميين، وكان يَشوُبها الكثيرُ من التوتر، والمؤكد أن الناحية العقائدية والاختلاف المذهبي كان من أهم أسباب هذا الصراع. والإشارات التاريخية عن العداء بين الطرفين عديدة، وغير خافية. فالمعروف أن الخلفاء الفاطميين وولاتهم عاملوا العرب خاصةً قبيلة جُهينة بقسوة شديدة، وأفرطوا في ذلك ([4]). ربما لرفض الجهنيين لعقائدهم خاصة تلك التى تسب الصحابة، وأمهات المؤمنين. وتمدنا المصادر بالعديد من الأحداث التي شهدت قتالاً عنيفاً بين الطرفين. ومن ذلك ما وقع سنة 415هـ/1024م، أيام الظاهر لإعزازدين الله (411–427هـ/1020–1035م) ([5]) حيث وقعت مواجهات عنيفة بين قبيلة جُهينة وحلفائها من جانب والفاطميين من جانب آخر بالصعيد، بسبب استبداد وبطش "مُتوليّ الصعيد" ضد العرب ([6]).

---

(1) انظر القلقشندي: قلائد الجمان، ص24، كرم الصاوي باز: قبيلة جُهينة، ص13، وعن جماعات بني قريش بالصعيد، يذكر القلقشندي: "وهم أمراء بني زيد، ومساكنهم نويرة دلاص، قال: وكان قريش هذا عبدا صالحا، كثير الصدقة، ومن أولاده سعد الملك المشهور بنوه هناك.." (صبح الأعشي: جـ4، ص68)

(2) قلائد الجمان: ص24

(3) انظر القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص68

(4) عبد الرازق عبد المجيد سليم: العلاقات بين مصر والنوبة في العصر الفاطمي، ص244

(5) الظاهر لإعزاز دين الله: هو علي بن الحاكم بأمر الله، ارتقي سدة الحكم وهو لم يتجاوز السابعة من عمره، وهو الرابع من الخلفاء الفاطميين. قال ابن تغري بردي: "عدل في الرعية، وأحسن السيرة، وأعطي الجند والقواد الأموال، واستقام له الأمر مدة.." (النجوم الزاهرة: جـ4، ص247–248، وللمزيد انظر ابن إياس: بدائع الزهور، جـ1، ص211، المقريزي: الخطط، جـ2، ص169، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1992م، ص119–123)

(6) المقريزي: إتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، جـ2، تحقيق: د.محمد حلمي محمد أحمد، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلي للشئون الإسلامية، القاهرة، 1996م، ص137

وعن ذلك يقول المقريزي: "ورد من أهل الريف زيادة عن خمسة آلاف رجل فارين من عدة الدولة وعمادها رفق الخادم، متولي السيارة بأسفل الأرض لعسفه. وقدم الخبر باجتماع العرب الهلاليين..وجُهينة علي الخارجي بالصعيد. وبعث حيدرة بن نقيابان متولي الصعيد يطلب عسكراً، فسير اليه خلقٌ من العبيد.." ([1]). كما تشير المصادر لوقوع غلاء شديد، ومجاعة، وبلاء عظيم، قالت عنه بعض المصادر: "فحش أمره، وشنع ذكره" ([2]). وقد ضرب هذا البلاء مصر سنة 457هـ/1064م أيام المستنصر بالله (427–488هـ/1035–1095م) ([3])، ودام سبع سنين، وهو المعروف بـ"الشدة المستنصرية" ([4]). وكان من أسبابه "ضعف المملكة، واستيلاء الأمراء علي الدولة، واتصال الفتن بين العرب" ([5]).

وتلك إشارة ذات دلالة لما وقع بين الفاطميين والعرب، خاصة جُهينة، وهي أمور شديدة، صارت كالفتن الكبرى في ذلك الوقت. وتشير بعض المصادر إلى أن الوزراء الفاطميين كانت لهم الكلمة العليا في الحكم، وتجاوزت سلطتهم الخلفاء، ويؤيد ذلك ما قام به الوزير بدر الجمالي ([6]) ضد العرب. ففي سنة 469هـ/1076م وقع قتال شديد في الصعيد بين الفاطميين بقيادة بدر الجمالي وأعداد كبيرة من قبيلة جُهينة، إلى جانب من انضم إليهم من العرب، وكانت مدينة "طوخ" بالصعيد ([7]) ميدان هذه المعركة الضروس ([8]).

---

(1) إتعاظ الحُنفا: جـ2 ص137

(2) علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية، جـ20، ص281

(3) المستنصر بالله: اسمه أبوتميم معد بن الظاهر لدين الله بن الحاكم بأمر الله، وهو خامس الخلفاء الفاطميين من حيث الترتيب الزمني. وقد اشتهرت أيام الخليفة المستنصر بالله بوقوع ما تعرف باسم "المجاعة الكبري"، وهي التي يطلق عليه المؤرخون اسم "الشدة المستنصرية" (للمزيد عن ترجمته، انظر ابن إياس: بدائع الزهور، جـ1، ص215، أبو الفداء: المختصر، جـ2، ص21، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ5، ص24 وما بعدها، علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية، جـ20، ص281، أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص125، إبراهيم العدوي: تاريخ العالم الاسلامي، جـ1، دارالاتحاد العربي، 1983م، ص262)

(4) علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية، جـ20، ص281، قال المقريزي عن هذا البلاء: "وأكلت الكلاب والقطط حتى قلت الكلاب، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير، وتزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا..فكانت طوائف تجلس بأعلى بيوتها ومعهم سلب وحبال..فإذا مر بهم أحد ألقوها عليه، ونشلوه في أسرع وقت، وشرحوا لحمه وأكلوه.." (إغاثة الأمة: ص52-53) (5) المصدر السابق، ص281

(6) بدر الجمالي: قائد أرمنى، وهو من أصل مسيحي، كان مملوكا لدى جمال الدولة بن عمار، ولهذا حمل اسم الجمالي بعد ذلك، تولي إمارة عكا أيام الفاطميين، واستعان به المستنصر بعد أن وقعت المجاعة بمصر، ويجعله البعض منقذا للدولة الفاطمية أيام "الشدة المستنصرية" (للمزيد انظر ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ2، ص448، النجوم الزاهرة: جـ5، ص122 أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر، ص143)

(7) طوخ: قرية تقع بالصعيد، وتعرف أيضا بـ"طوخ الجبل"، وهي من أعمال مدينة أخميم، وهي غير طوخ القليوبية (انظر محمد رمزي: القاموس الجغرافي، جـ1، ص316)

(8) إتعاظ الحنفا: جـ2، ص316

ويعد المقريزي أكثر المؤرخين الذين اهتموا برواية تلك الأحداث التي وقعت بين الفاطميين وعرب جُهينة بالصعيد. إذ يقول عن الوقائع التي حدثت بمدينة طوخ بالصعيد في سنة 469هـ/1076م: "فيها اجتمع بمدينة طوخ من صعيد مصر عدد كبير من عرب جُهينة...لمحاربة أمير الجيوش، فسار إليهم حتى قرب منهم...وأمر بضرب الطبول، وزعقت البوقات، واشتعلت المشاعل، وقد تزايد وقود النيران. وجَّد في السير، والعساكر لها صرخات وصيحات متتابعة في دفعة واحدة.." ([1]). وقد اشتد بدرالجمالي في معاملة الجهنيين ومن كان معهم، وضربهم جميعاً دون رحمةٍ، فوقع منهم الكثير من القتلى والضحايا. وهذا الوزير اشتهر بشدته، حتى قيل عنه: "كان جبارا، يقتل العلماء، ويسب الصحابة" ([2]). ووصفه ابن تغري بردي بأنه: "من مساوئ الدنيا.." ([3]). وعن الذي وقع بجُهينة من تنكيل على يديه، يقول المقريزي: "فأفني أكثرهم قتلاً، وفرّ منهم طوائف فغرقوا، ولم ينج منهم إلا القليل، وأحاط بأموالهم، فحاز منها ما يتجاوز الوصف كثرة، وسيرها إلى المستنصر.." ([4]). ولعل تلك الرواية تشير في ذات الوقت إلى ثراء الجُهنيين من ساكني الصعيد آنذاك، حتى أنها تذكر أن بدر الجمالي نال من متاعهم "ما يتجاوز الوصف" من كثرتها. ولعل ثراء الجهنيين كان سببا في محاولتهم الاستقلال بالمناطق التي يقطنوها. وتؤكد الرواية في ذات الوقت سوء العلاقة بين قبيلة جُهينة والفاطميين، وشدة الصراع بين الطرفين، وأنه كان صراعا دمويا عنيفا، سقط فيه الكثير من القتلى من جهينة. ويذهب البعض إلى أن المستنصر بالله كان ينتهج سياسةً تآمريةً ضد القبائل العربية، وكانت الدولة آنذاك تقوم بكل ما من شأنه الإيقاع بين قبائل العرب بعضها البعض. ولعل من مظاهر تلك السياسة أن الفاطميين كانوا يؤيدون بعض القبائل العربية نكاية في قبائل أخرى، مثلما فعلوا خلال الصراع بين قبيلة جُهينة وقريش في الصعيد ([5]). ومن ذلك أيضاً ما قام به الفاطميون في سنة 443هـ/1051م، لما أرادوا ابعاد بعض الجماعات العربية من قبيلة "بني قُرة" من مساكنهم التي كانوا يقطنون بها في "إقليم البحيرة". وكان بنو قرة قد مالوا إلى التمرد والشغب ضد

الفاطميين، وأعلنوا الخروج عليهم. وقد شهدت سنة 442هـ/1050م ذروة ذلك الصراع بين الطرفين، وكانت جماعات بني قرة من القوة والشوكة حتى تمكنوا من أن يوقعوا الهزيمة بجيوش الدولة الفاطمية ([6]).

---

(1) إتعاظ الحنفا: جـ2، ص316

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ5، ص120

(3) المصدر السابق، ص120

(4) إتعاظ الحنفا: المصدر السابق، ص316

(5) عبدالمجيد عابدين: دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ص43

(6) المقريزي: البيان والإعراب، ص128، وانظر عبدالمجيد عابدين: المرجع السابق، ص43

وكان سبب العداء بين الطرفين أن هؤلاء العرب بايعوا ثائراً من بني أمية، يدعي "أبا ركوة"، وأيدوه في تمرده ضد الفاطميين، وكان أبو ركوة قد بعث إليهم من برقة يدعوهم للثورة ضد "الحاكم بأمر الله" (386-411هـ/996-1020م)، فأعلنوا له البيعة، وهزموا والي الحاكم، ثم انضمت إليهم جماعات من كُتامة، وحققوا انتصارات كبيرة على الجيوش الفاطمية بمصر ([1]). غير أن بني قرة تخلوا عن أبي ركوة، وربما كان ذلك سبباً في هزيمته بعد ذلك بالفيوم، مما اضطره للهروب إلى بلاد النوبة فيما بعد ([2]).

ومع ذلك دام العداء بين الفاطميين وبني قرة حتى أيام المستنصر بالله، إذ أحدث بنو قرة اضطرابات، وجمعوا لمحاربة الفاطميين، وانتصروا عليهم. وعظم ذلك على المستنصر، فأوعز إلى بعض القبائل ومنها سنبس ([3])، وطيء (طيىء) ([4])، وبنو كلب ([5])، لمحاربة بني قرة. وأعانهم بالرجال والعتاد لإيقاع الهزيمة بهم. وهو ما يعضد الرأي القائل باتجاهات الفاطميين العدائية ضد القبائل العربية بمصر، ومحاولة زرع الفتن بينهم ([6]). وقد أسكن الفاطميون جماعات من قبيلة سنبس مكان بني قرة، وأقطعوهم أرضهم وديارهم ([7]).

---

(1) أحمد الحفناوي: سودان وادي النيل في ظلال الإسلام، دار المعارف، القاهرة، 1983م ، ص66

(2) المرجع السابق، ص66

(3) قبيلة سنبس: وهم بنو سنبس بن معاوية بن جرول بن ثُعل بن عمرو بن الغوث بن طيىء، والنسبة إلى قبيلتهم: السنبسي. ومن الصحابة ممن ينتسبون لهذه القبيلة: أبو رافع، وهو عميرة بن جابر بن حارثة..بن لبيد بن سنبس، له صحبة ورواية عن النبي (للمزيد، انظر الهمداني: عجالة المبتدي، ص75-76).

(4) قبيلة طيء: وتكتب أيضاً طيىء هكذا يذكرها ابن الكلبي وياقوت، وهو ولد طىء بن أدد، وقد أنجب طىء: فطرة، والغوث والحارث، وأمهم: عدية بنت الآمري من قبيلة مَهرة (للمزيد عن تلك القبيلة، انظر ابن الكلبي: جمهرة النسب، جـ2، ص73، وكذلك ياقوت الحموي: المقتضب، ص238)

(5) بنو كلب: قبيلة من قُضاعة (جد جهينة)، وهو كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن إلحاف (إلحافي) بن قُضاعة، ومن أولاد كلب: ثور، وكلد، وأبوحباحب (انظر ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص457، ياقوت الحموي:

المقتضب، ص252–253). وينتسب لقبيلة بني كلب جم من الصحابة والعلماء، لعل أشهرهم: زيد بن حارثة الكلبي حب رسول الله، وهو خادمه المقرب، ومن السابقين في الإسلام، استشهد يوم مؤته سنة 8هـ/629م (انظر ترجمته: الصفدي: الوافي بالوفيات، ص254، ودحية بن خليفة الكلبي، الذي كان ينزل جبريل عليه السلام في صورته، نظرا لجمال وجهه (للمزيد انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ4، ص141، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ8، ص49، ابن عبدالبر: الإستيعاب، جـ1، ص229، السيوطي: حسن المحاضرة، جـ1، ص156). وبنوكلب غير بني كلاب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك (للمزيد انظر مصعب الزبيري: نسب قريش، ص13، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص132).

(6) عبدالمجيد عابدين: دراسات في تاريخ العروبة، ص43

(7) وللمزيد عما وقع بين قبيلتي سنبس وبني قرة وتأييد الحكام الفاطميين لقبيلة سنبس، انظر البيان والإعراب، ص128

ويمكن القول بأنه لم تكن تلك آخر الصراعات التي وقعت بين جُهينة وغيرها من القبائل ضد الفاطميين، فالمصادر تذكر أيضا في أخبار السنة الآنفة (أي 469هـ/1076م) وقوع قتال آخر بين جيوش الفاطميين وبعض القبائل، وإن لم تذكر الروايات صراحةً اشتراك جماعات جُهينة في هذه الواقعة، إلا أن وقوع القتال في ذات السنة ربما يوحي بوجود مشاركة من نوع ما لعرب جُهينة في هذا النزاع بجانب القبائل الأخرى، حتى لو أغفلت المصادر ذلك. يقول المقريزي: "فبينا أمير الجيوش بدر في ذلك، إذ بلغه اجتماع عرب قيس وسُليم وفزارة، فخرج إليهم، وأوقع بهم، وأكثر من القتل فيهم، وفر من بقي إلى برقة.." ([1]). هكذا اشتد الخلفاء الفاطميون، وكذلك وزراؤهم، وعمالهم في المدن، وبطشوا بعرب جُهينة، وكافة القبائل العربية الأخرى خاصةً بعد قدوم الوزير الأرميني بدر الجمالي. ولهذا يرى البعض أنه لم يطب للكثير من الجماعات العربية الإقامة بمصر أيام الدولة الفاطمية، إذ كانت حقبة معاناة، وكانت أيام محن واضطهاد شديد لهم ([2]).

ويبدو أن الأمور كانت قد صارت أكثر هدوءاً واستقراراً بعد ذلك، خاصة بعد أن تغلب الفاطميون على جماعات جُهينة، ومن كان يؤيدهم من القبائل. ثم أدرك العرب بعد ذلك أنه لا طائل من الصراع مع الفاطميين، نظرا لبطشهم، وقسوتهم في معاملة الجماعات العربية. وربما يُفهم ما نتج عن ذلك، إذ تشير المصادر إلى أنه بعد هزيمة الفاطميين لـ "كنز الدولة" بأسوان ونواحيها في سنة 469هـ/1076م، هدأت الأمور من جانب القبائل العربية "فكانت هذه الواقعة آخر الوقائع التي قُطع فيها دابر المفسدين، وخمدت جمرتهم" ([3]).

والراجح أن عرب جُهينة أخذوا ذات الموقف مثل باقي القبائل، لأنهم لن يتمكنوا من مواجهة الفاطميين وحدهم. وتذكر المصادر أيضاً أنه في سنة 469هـ/1076م، وقع نزاع دموي بين كل من الفاطميين وبين عرب الكنوز، رغم ما كان بين الطرفين من علاقات ووشائج طيبة منذ أيام الخليفة "الحاكم بأمر الله"، حيث أعلن كنز الدولة بأسوان التمرد والثورة ضد الدولة

الفاطمية، وتغلب هناك على الفاطميين، وكثر أتباعه، فسار إليه أمير الجيوش بعساكره، فالتقي معهم وحاربهم محاربة طويلة، أسفرت عن قتله، وهزيمة أصحابه بعد أن قتل منهم أعدادا كبيرة ([4]). وعلى أية حال، لم تنته الأحداث المهمة التي ترتبط بقبيلة جهينة خلال العصر الفاطمي في أقاليم الصعيد، ومنها ما حدث في مدينة أخميم.

---

(1) إتعاظ الحنفا: جـ2، المصدر السابق، ص318

(2) عبدالرازق عبدالمجيد سليم: العلاقات بين مصر والنوبة في العصر الفاطمي، ص244

(3) إتعاظ الحنفا: جـ2، ص316

(4) المصدر السابق، ص316، انظر أيضا عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ص51 وما بعدها

ثالثا – عرب جُهينة في أخميم:

وعلى أية حال اتجهت قبيلة جُهينة إلى مدينة أخميم بعد أن أجبرت جماعات هذه القبيلة على مغادرة الأشمونين خلال منتصف القرن 5هـ/11م، بسبب الفتنة التي وقعت مع بطون قريش ([1]). ويعتقد أن اختيار الجُهنيين لهذه المدينة على وجه التحديد يرجع إلى أنها كانت موطن جماعات كبيرةٍ من قبيلة بلي، وكانت لهم بها شوكة وسطوة، إذ يقول المقريزي عنها في روايته: "إن بلي وبطونها كانت لهذه الديار (يقصد لأخميم).." ([2]). كما يقول أيضا: "وببلاد الصعيد عدة قبائل من العرب..وفي بلاد أخميم وما تحتها بلي.." ([3]). بينما يذكر القلقشندي: "أنهم (أي البلويون) كانوا ببلاد أخميم.." ([4]).

وتشير هذه الروايات التاريخية إلى سيطرة البلويين على مدينة أخميم، وهو ما شجع عرب جُهينة على القدوم إليها. ولهذا كانت مدينة أخميم تعد بمثابة أفضل البقاع لهم. وقد زاد وجود الجُهنيين هناك بمرور الوقت، ولهذا قال الهمداني: "وهم (أي جهينة) أكثر عرب الصعيد، ومنهم قوم ببلاد أخميم.." ([5]). ولعل هذه الإشارة قد يُفهم منها أن عرب جهينة كانوا قد ارتحلوا من بلاد الأشمونين إلى أخميم عن طيب خاطر منهم، ودون إجبار من الفاطميين. وهذا غير صحيح، إذ إن أكثر المصادر تؤكد وقوع النزاع الذي حدث بين قبيلة جُهينة وجماعات قريش، وتأييد الفاطميين للقرشيين ضد جُهينة.

---

(1) أخميم: هي من مدن الصعيد المشهورة (محافظة سوهاج حاليا)، وكانت قد اشتهرت بمعبدها القديم، وهو البربا، قال المقدسي: "وأخميم مدينة كثيرة النخيل علي بعض شعب النيل، ذات كروم ومزارع، منها كان ذو النون الزاهد، وهذه الدورة أعلي أرض مصر، وفيها يخرج النيل.." (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن، مطبعة بريل، 1909م، ص201). بينما قال القلقشندي: "ومنه بربا أخميم، وهي بظاهر مدينة أخميم من الوجه القبلي، كانت أعظم البرابي، وأحسنها صنعة، وأكبرها حكمة، ولم تزل عامرة إلي أوساط المائة الثامنة، فأخذ في هدمها والعمارة بأحجارها خطيب أخميم، ولم يبق إلا آثارها.." (صبح الأعشي: جـ3،

ص328). وانتسب لأخميم الكثير من العلماء والزُهاد، ومنهم ذو النون، قال القفطي: ""ذو النون الأخميمي المصري، من طبقة جابر بن حيان في انتحال صناعة الكيمياء.." (القفطي: تاريخ الحكماء، تحقيق: يوليوس ليبرت، ترجمة: د. عوني عبدالرءوف، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008 م، ص185)، ومنهم أيضاً: ناصر الدين الأخميمي، قال عنه السخاوي: "أحد أئمة السلطان.." (الذيل علي رفع الإصر، تحقيق: د. جودة هلال، هيئة الكتاب، 2000م، ص219).

(2) البيان والإعراب: ص136

(3) المصدر السابق، ص136

(4) قلائد الجمان: ص24

(5) السويدي: سبائك الذهب، ص44، وللمزيد انظر أيضا القلقشندي: قلائد الجمان، ص24

ويذكر القلقشندي في موضع آخر إشارة تؤكد تأييد الفاطميين لقريش نكايةً في جُهينة: "فوقع بينهم واقعٌ أدي إلي دوام الفتنة، فلما أتي العسكر المصري (يقصد الفاطميين) لانجاد قريش علي جُهينة.." ([1]). وهو ما يؤكد وقوع الصراع بالفعل، وإن لم يذكر ذلك صراحة. ثم سكن الجهنيون بعد ذلك شمالي وجنوبي أخميم، وانتشرت جماعاتهم بها نظراً لكثرة أعداد المهاجرين من هذه القبيلة من الأشمونين، وفيما يبدو لحقت بهم جماعات جهنية أخرى كانت تسكن غير بعيد عنهم لما علموا بهجرتهم إلى أخميم، ولهذا يقول صاحب "قلائد الجمان": "فسكنوا (أى جهينة) أعلاها وأسفلها.." ([2]). ويمكن القولُ بأن تلك الروايات الآنفة تؤكد علي الوجود الكبير لجُهينة وجماعات تلك القبيلة في الكثير من مدن الصعيد عامة، وهو ما تبدو شواهده جليةً ([4]). وتشير بعض الروايات الأخرى إلى أن الكثير من جماعات جُهينة التي سكنت أخميم كانوا ينتسبون لقبيلة رفاعة الجهنية تحديداً ([5]). ومن الرفاعيين خرج أيضا العركيون والقواسمة والعبدلاب ([6]). واللافت أنه رغم وجود قبيلة هوارة الكبير بالصعيد، إلا أن المصادر لم تتحدث بشكل واضح عن العلاقة التي جمعت بين قبيلة جهينة وهوارة.

---

(1) القلقشندي: قلائد الجمان، ص24

(2) المصدر السابق، ص24، ولا تزال محافظة سوهاج التي تقع بها مدينة أخميم واحدة من أكثر المحافظات بالصعيد التي تضم مدنها وقراها العديد من الجماعات والبطون الجُهنية، كما يوجد بها أيضاً بعض المدن والقري التي تحمل اسم هذه القبيلة العربية الكبيرة، بل إن أحد أكبر المراكز التي توجد بهذه المحافظة لا يزال يحمل اسم قبيلة جُهينة حتى يومنا هذا (للمزيد انظر عبدالكريم الخطيب: تاريخ جُهينة، ص26-27)

(4) وعن تواجد جماعات كبيرة من عرب جُهينة في مدن الصعيد، وغيرها من بقاع بلادنا حتي يومنا هذا، يقول الدكتور رجب عبد الحليم: "والجدير بالذكر، أنه مازال بالصعيد حتي الآن أماكن تسمي بجُهينة، وما زال فيه رجال من قبيلة جُهينة يعيشون علي الساحل الصحراوي لدشنا، وهناك قبائل من جُهينة سكنت الشرقية والقليوبية وقنا. وفي مركز فاقوس بالشرقية قرية قديمة تسمي دوار جُهينة، وفي محافظة القليوبية في مركز شبين القناطر بلدة تسمي نزلة عرب جُهينة.." (انظر العروبة والإسلام في دارفور، ص117-118، حاشية رقم 19). كما يذكر علي باشا مبارك قرية باسم "جُهينة القبلية": تقع في سوهاج قرب أخميم، ولعل أهلها يرتبطون بقرابة ونسب مع عرب جُهينة القدامي الذيين وفدوا

إلي أخميم إبان العصر الفاطمي: "قرية من مديرية جرجا بقسم سوهاج، من أسفل بلاد أخميم، واقعة في أطراف بساحل الجبل، ممتد جنوبيا وشمالا فوق السوهاجية في جنوب ناحية نزة علي بعد ثلاثة آلاف متر، وفي شمال قري وديعة بنحو تسعة آلاف متر.." (علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية، جـ11، ص155). كما تحدث أيضاً عن وجود قرية باسم "جُهينة القبلية"، وهي تقع بمركز الصوالح (لعله يقصد مركز الصالحية) بمحافظة الشرقية، يقول عنها: "موضوعة علي الشاطيء الغربي لمصرف بحر البقر، جنوب كياد الفتاورة.." (انظر، علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية، جـ1، ص155).

(5) انظر القزويني: مخطوط أسماء قبائل العرب، ورقة 4، وللمزيد عن قبيلة رفاعة انظر ملحق9، ص251

(6) عبدالقادر محمود: الفكر الصوفي في السودان، دار الفكر العربي، 1968م، ص44

أ – قرابة النسب بين قبيلة جُهينة وبليّ:

ترتبطُ قبيلتا جُهينة وبلي برابطة نسب قوية، إذ إن كلتيهما تنتسبان إلى ذات الجد البعيد، فكلتاهما من قُضاعة. وعن بلي قال القزويني: "قبيلةٌ من قُضاعة، والنسبة إليهم بلوي.." ([1]). والمعروف أن بلي هم أبناء: بلي بن عمرو بن إلحاف (الحافي) بن قُضاعة ([2]). أما عرب جُهينة، فهم بنو جُهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلُم بن إلحاف بن قُضاعة ([3]).

وعلي هذا فإن هاتين القبيلتين تلتقيان معاً في جدهما "إلحاف" (وفى بعض الروايات يذكر باسم: إلحافي). وإن كان بنو بلي يُعدون أقدم من أقاربهم من قبيلة جُهينة، فإلحاف هو جد عرب بلي المباشر، بينما هو الجد الرابع للجُهينيين. ومن ثم فإن قبيلة بلي من الناحية الزمنية تعد أكثر قدماً من قبيلة جُهينة، غير أن قبيلة جُهينة تفوقها مكانةً وشهرةً من حيث ارتباطها بالكثير من الأحداث الكبرى فى التاريخ الإسلامي، وهو ما تحدثنا عنه آنفاً، وينتسب إلى قبيلة بلي جمٌ غفيرٌ من الصحابة والتابعين ([4]).

وتُعد قبيلة بلي واحدةً من من القبائل العربية الكبيرة، ولهذا قال المقريزي: "وبلي قبيل عظيم، فيه بطونٌ كثيرةٌ.." ([5]). أما عن موطنهم الأول، فالمعروف أنهم كانوا يسكنون قبل القدوم إلى مصر بعد الفتح (21هـ/641م) في جزيرة العرب Arabian Peninsula ، وكانت أرضهم تقع شمال "بلاد جُهينة". وكانت تخومها تمتد لـ"عَقبة إيلة"، عند العدوة الشرقية من بحر القلزم ([6]). وهو ما يشير إلي أن مساكن البلويين في بلاد العرب كانت تقع بالقرب من مساكن جُهينة، وهو ما يؤكد أن هاتين القبيلتين كانت تربطهما قديماً قرابة النسب والجوار في ذات الوقت. وعن موطن بلي في أيامه يقول العُمري: "ومنازلهم الآن بالداما، وهي ماء دون عيون القصب إلى أكرى فم المضيق..وعليهم درك الحجيج هناك.." ([7]).

---

(1) مخطوط أسماء قبائل العرب، ورقة رقم 4، وانظر أيضا القلقشندي: قلائد الجمان، ص24

(2) عون الشريف قاسم: موسوعة القبائل والأنساب في السودان، جـ2، ص979، خالد القاسمي: معجم أنساب القبائل العربية، جـ1، ص27

(3) الهمداني: عجالة المبتدي، ص27، ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، جـ1، ص201، المقريزي: البيان والإعراب، ص135، ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص116

(4) ولعل أشهر الصحابة رضي الله عنهم ممن ينتسب لهذه القبيلة: كعب بن عجرة البلوي، وأبو الهيثم بن التيهان البلوي (وللمزيد انظر ابن الأثير: اللباب، جـ1، ص201، القلقشندي: قلائد الجمان، ص24)

(5) البيان والإعراب: ص135

(6) خالد القاسمي: المرجع السابق، جـ1، ص27

(7) انظر رواية ابن فضل الله العمري نقلا عن القلقشندي: قلائد الجمان، ص24، عن موقع كل من قبيلة بلي وقبيلة جهينة في بلاد العرب، انظر خريطة رقم 1 و2، ص236-237

ويذهب البعضُ إلى أن عرب بلي كان لها وجود قوي قبل الإسلام عند تخوم مصر الشرقية، خاصة في بلاد البجة، فكانوا يقومون بعمليات تجارية عبر كل من البحر الأحمر ونهر النيل ([1]). ثم اختلط البلويون بعد ذلك بقبائل البجة لاسيما سكان شمالي هذه البلاد، ومن ثم صارت لهم الزعامة والقيادة بعد ذلك، بفضل نظام الوراثة المعروف في هذه البلاد باسم "وراثة الأم". ويعتقد أن عرب بلي الذين سكنوا البجة هم من تشير إليهم روايات مؤرخي اليونان والرومان بـ "البليميين" Blemmyes ([2]). وقد ذكرتهم بعض المصادر العربية باسم "البلويين" ([3]). وهو ما يشير إلى أن اسم البليميين مأخوذ من الكلمة العربية "البلويين".

وتشير المصادر إلي أن بطون قُضاعة كانت تسكن الشام، فنادي رجلٌ هناك: "يا آل قُضاعة". فلما بلغ ذلك الأمر عمر بن الخطاب أمر عامله في الشام أن يُسيّر ثُلث قبائل قُضاعة وبطونها إلى مصر نظراً لكثرتهم هناك. وربما رأى الخليفة أن كثرة وجود جماعات عربية في بلد ما من قبيلة واحدة أمر قد يهدد استقرار الدولة. ثم نظر الناس بعد ذلك، فإذا بلي بمصر يمثلون ثلثي جماعات قُضاعة ([4]). وهو ما يشير لكثرة جماعات بلي بين القضاعيين. ولهذا زادت أعدادهم بمصر منذ ذلك الوقت خاصةً في مدن وقرى الجنوب، ولهذا يقول السويدي: "ومنازلهم (أي بلي) بصعيد الديار المصرية.." ([5]). والراجح في رأى البعض أن البلويين هاجروا لمصر عبر سيناء ([6])، وربما ذلك بسبب وقوع موطنهم الأول شمالي جزيرة العرب، وكذلك في بلاد الشام، ولهذا كان لهم وجود واضح في مناطق شرقي مصر.

---

(1) مصطفي مسعد: البجة والعرب في العصور الوسطي، مقال منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد رقم 21، المجلد الثاني، ديسمبر 1959م، ص13، وللمزيد، انظر: السيد طه أبوسديرة: القبائل اليمينة في مصر، ص67

(2) المرجع السابق، ص13

(3) يذكرالإدريسي شعباً في البجة باسم البلويين، وهي بالتأكيد تسمية نسبة لقبيلة بلي، ولعله يقصد "البليميين"، وقال عنهم: "وبين أرض النوبة وأرض البجة قوم رجالة يقال لهم البلويين، ولهم صرامة وعزم.." (الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس: ص37) المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس: ص37

(4) المقريزي: البيان والإعراب، ص136

(5) سبائك الذهب: ص42، كما يتحدث المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي وجود عرب من قبيلة بلي في بعض مدن إقليم الجيزة ونواحيها، ومنها وسيم (أوسيم)، إذ يقول: "وأما قيطاس بك ومن معه فإنه رجع الي مصر، ووأرسل الي ابن حبيب بأن يجمع نصف سعد وعرب بلي، ويرسلهم مع ابنه.." (الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، جـ1، دراسة وتقديم: د.أحمد زكريا الشلق، تحقيق: حسن محمد جوهر وعمر الدسوقي والسيد إبراهيم سالم، هيئة الكتاب، 2013م، ص141).

(6) حسن الباشا: تاريخ وآثار سيناء في العصر الإسلامي، ندوة آثار سيناء عبر العصور، المجلس الأعلي للثقافة، لجنة الآثار، 2002م، ص78

ويشير "بازل دافيدسون" Basil Davidson إلى أن البليميين سكنوا شمالي السودان، ثم أخذوا يستقرون في مدن الكوشيين Kushites ([1]). ثم تزاوجوا وانصهروا مع أهل تلك المدن بعد ذلك، وهو ما أدى لحدوث الاختلاط بين هؤلاء البليميين وسكان تلك البلاد ([2]). وتشير الروايات القبطية إلى أن البليميين كانوا يتسمون بالعنف والبطش ضد المسيحيين الذين كانوا يسكنون في بلاد البجة، أو بالقرب منها. وكانوا يعتدون على أديرة الصحراء الشرقية ([3]). وكانوا يقومون بنهب تلك الأديرة، وربما كانوا يقتلون من كان يقطن بها من الرهبان ([4]). وربما يؤيد ذلك ما تذكره إحدى أوراق البردي التي ترجع لآواخر حكم الامبراطور الروماني "ثيودسيوس" (378–395م) أن "أسقف أسوان" كان قد أرسل إلى إمبراطور روما يحثه على أن يبعث إليه بقوة عسكرية لحماية الكنائس من اعتداءات البليميين والنوبيين ([5]). كما تشير بعض المتون القديمة التي كشف عنها في منطقة كلابشة والتى تؤرخ إلى أيام الملك النوبي "سيلكو" Silko منذ القرن 6م، أنه أرسل حملة عسكرية إلى البليميين تمكنت من هزيمتهم، وطردهم من منطقة وادي النيل ([6]).

ويرى البعض أنه توجد ثمة علاقةٌ بين البليميين وبعض الجماعات العربية التي سكنت المنطقة التي تقع بين ساحل بحر القلزم والضفة الشرقية لنهر النيل، خاصة من جماعات قبيلة بلي. وهو رأي له وجاهته، وهو ما يتفقُ مع السياق التاريخي للأحداث في تلك المنطقة، لاسيما وأن بعض الجماعات العربية تُدعي باسم "البلو" كانت قد هاجرت، ثم سكنت شمال الحبشة ([7]). وهي المنطقة التي تقع في بلاد البجة، أو بالقرب منها، حسب المصادر العربية. وأقام هؤلاء البلويون علاقات قوية مع قاطني البجة الشماليين، وامتزجوا بهم، ثم بسطوا سيطرتهم على أكثر القبائل هناك عن طريق التزاوج والمصاهرة. وقد استفادت جماعات بلي من نظام "وراثة الأم" السائد هناك، ثم صاروا حكام بلاد البجة، وهم الذين أطلق عليهم مؤرخو اليونان والرومان بعد ذلك اسم "البليميين" ([8]).

---

(1) Basil Davidson: The Growth of African Civilization , Longman , London , 1970 , PP. 81 – 82

(2) Ibid , P. 82

(3) الأنبا مارتيروس: الرهبنة القبطية (الأم لرهبانيات العالم) مكتبة مارجرجس، القاهرة، 2002م، ص180

(4) المرجع السابق، ص180

(5) F. F. Gadallah; The Egyptian Contribution to Nubian Chrisianity, Sudan Notes & Records , Vol. XXXIX , 1958, P. 38

(6) Crawford: Sudan Antiquities Service, No. II,Op. Cit. , P. 176

(7) مصطفى مسعد: البجة والعرب، ص13

(8) المرجع السابق، ص13

ويذكر الشريف الإدريسي (ت: 548هـ/1153م) هذه الجماعات التي تنتمي لعرب بلي باسم "البليون" (البليين) ([1])، وهي تسمية تؤكد أيضا نسبة هؤلاء لقبيلة بلي. ويؤيد تلك العلاقة أيضاً أن اللغة العربية في اقليم التيجرة ([2]) الذي يقع في كل من الحبشة وبلاد البجة تعرف باسم "بلويت"، وهى تعني: "اللغة البلوية" نسبةٌ إلى قبيلة بلي. وهو ما يؤكد الارتباط بين لفظي البليميين والبليين. ولعل ذلك يؤيد الرأي الذي يذهب إلى أن جماعات بلي لعبوا دوراً كبيراً في نشر العروبة في بلاد البجة قبل الإسلام بعدة قرون ([3]).

---

(1) المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس: ص37

(2) إقليم التيجرة: لعل تسمية هذا الإقليم ترجع في الأصل إلى "لغة التيجري"، وهى إحدى اللغات السامية، وكان يتكلم بها سكان "مملكة أكسوم" القديمة Kingdom of Aksum، وهى التى قامت في بلاد الحبشة إبان القرون المتأخرة قبل الميلاد. وهذه اللغة كانت قد ذاعت خلال القرن 15م، لكن لا يُعرف لها أداب مشهورة، إلا ما ورد في بعض الرسائل والسجلات (للمزيد، انظر عبدالمجيد عابدين: بين الحبشة والعرب، ص27–27) وللمزيد عن مملكة أكسوم القديمة وحضارتها، انظر حندوقة إبراهيم فرج، الحضارات الأفريقية القديمة وآثارها، القاهرة، 2002م، ص196، عبدالمجيد عابدين: بيت الحبشة والعرب، ص26–27، يقول الدكتورعبدالمجيد عابدين: "وطالما خلط المؤرخون بين قبائل البجة والبليميين، ولكن من المؤكد أن الأخيرين ليسوا من مجموعة تلك القبائل، فالاسم القديم Blemmyes لم يتحور إلى بجة، إنما تحور إلى البليين..." (وللمزيد، انظر عبدالمجيد عابدين: بين الحبشة والعرب: ص220).

(4) رجب عبد الحليم: ميناء عيذاب ووادي العلاقي وأثرهما في علاقة مصر بالسودان حتي نهاية القرن 9هـ/15م، ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلي للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، هيئة الكتاب، 1999م، ص243 ، ويرى البعض أن البليميين كانوا قد تأثروا أيضاً ببعض العادات والتقاليد التي أخذوها عن "حضارة مروي" القديمة، أو ما يعرف باسم "الثقافة المروية" Meroitic Culture التي هيمنت على بلاد النوبة، وما جاورها منذ حوالي سنة 300 ق.م. وتبدو الكثير من التأثيرات المروية في عدد من المناطق التى تقع في بلاد النوبة، خاصة في منطقة "قصر أبريم" Qasr Ibrim، وهي

التي شهدت العديد من "التأثيرات المروية"، وتحديدا في موقع الجبانة التى تحمل رقم: B 192، حيث توجد بها ثلاثة مواقع مروية في "الجبانة الشمالية" لقصر إبريم، وهي التي تم الكشف عنها خلال "حملة اليونسكو" في بلاد النوبة التي تمت خلال النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي. وللمزيد عن التأثيرات المروية الثقافية والحضارية فى بلاد النوبة، انظر:
W.B. Emery & A. J. Mills: The Cemetries of Qasr Ibrim A report of the Excavation, Egypt Exploration Society, London, 1982, P. 41
Peter Geiser: The Egyptian Nubians A Study in Social Symbiosis , The American University Press , Cairo , 1989 , P. 20 يذكر المؤرخ الروماني ديودور الصقلي Deodore of Scilly (95-35 ق.م) أن الملك الفارسي قمبيز هو الذى بنى مدينة مروي، ودعاها باسم والدته (ديودور الصقلي في مصر، ترجمة: وهيب كامل، دار المعارف، 2013م، ص64).

وعلى أية حال، فقد زادت أعداد البلويين في أخميم في العصر الإسلامي حتى ورد في بعض المصادر: "وبطونها كانت لهذه الديار.." ([1]). كما سكن عرب بلي "قوص" بالصعيد، وصارت لهم الزعامة هناك في بيتين من بيوتهم، تقول رواية القلقشندي: "وكانت الإمرة بها (أي قوص) في بيتين من بلي من قُضاعة.." ([2]). وهو ما يشير إلى انتشار جماعات البلويين في العديد من مدن الصعيد. وقد لعبت قرابة النسب دوراً في التقارب بين قبيلتي جُهينة وبلي إبان استقرارهما في مدينة الأشمونين، وهو ما جعل البلويين ينضمون لعرب جُهينة في نزاعهم ضد قريش، وربما كان وازع القرابة والنسب قد جعل البلويين لا يفكرون في مآلات انضمامهم إلى بني عمومتهم، رغم مساندة الدولة الفاطمية لقُريش آنذاك.

ولاريب أن اشتراك الفاطميين مع قريش كان له أثرٌ كبيرٌ في نهاية ذلك الصراع بهزيمة القبيلتين القُضاعيتين، ومن ثم أُجبرت كلتاهما على ترك مدينة الأشمونيين قسراً، والذهاب إلى أخميم والتي كانت واحدة من مراكز جماعات قبيلة بلي الرئيسية بالصعيد، وكانت تسكنها أعدادٌ كبيرةُ منهم، وذلك حسب ما ورد في المصادر التاريخية ([3]).

(ب) – النزاع بين قبيلة جُهينة وبليّ:

وقد تبدّلت الأحوال على ما يبدو بين القبيلتين بمرور الزمن، وبدأت بوادرُ الفتن تقع بينهما، وأخذت تشطر جماعاتهما، رغم وشائج القرابة والنسب القوية بينهما، وهو أمرٌ يبدو طبيعياً بين كافة الجماعات البشرية. واللافت للنظر أن المصادر التاريخية تكاد تكون صامتة عما وقع بين القبيلتين، إذ لا تعطينا مزيداً من الأخبار عن أصل تلك الفتنة، وأسبابها، ولا حتى عن تفاصيل ما وقع ([4]). ويبدو أنه كان صراعاً من قبيل ما يحدث عادة بين القبائل العربية في ذلك الوقت، والراجح أنه كان يرتبطُ بنزاعٍ حول امتلاك الأراضي في إقليم أخميم، أو بسبب عصبيةٍ قبليةٍ، أو غير ذلك من الأمور المعتادة بين قبائل العرب، وهي أمور ذاعت بين العرب منذ أيام الجاهلية، وظلت بعض بقاياها معهم حتى بعد الإسلام.

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشي، جـ4، ص68، قلائد الجمان، ص24

(2) صبح الأعشى: جـ4، ص67

(3) المصدر السابق، ص68

(4) وللمزيد، انظر المقريزي: البيان والاعراب، ص136، القلقشندي: قلائد الجمان، ص24، عبدالله خورشيد: القبائل العربية في مصر، ص 240، ممدوح الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر، ص96، كرم الصاوي باز: قبيلة جُهينة، ص14، رجب عبد الحليم: العروبة والاسلام في دارفور، ص117

ويرجح أن عرب جُهينة اشتموا من البلويين استبداداً في مدينة أخميم، على اعتبار أن لهم السبق في المقام، والاستقرار بها، وأن الجُهنيين وفدوا عليهم بعد الأحداث التي وقعت في الأشمونين، فأراد البلويون أن يظهروا سطوتهم في أخميم، ويعتقد أنهم أظهروا شيئا من الاجحاف في عطاء الأرض، فوقع النزاع بين جماعاتهما حول امتلاك الآراضي ([1]). غير أنه ليست لدينا تفاصيل عن ذلك، فالمصادر لا تخبرنا إلا بما نتج عن هذا النزاع، ولعله لم يكن دموياً كغيره من النزاعات القبلية، ولهذا كان التصالح بينهما. ولعل الحوداث التي وقعت بين جماعات القبيلتين لم تزد عن مجرد مشاجرات، أو مشاحنات بين أفراد كل منهما حول إمتلاك بعض الأراضي في إقليم إخميم لا أكثر، لذا كان الصلح سريعاً على ما يبدو.

وقد أدرك طرفا هذا الصراع أن تطوره إلى حد أكثر من ذلك، سيكون ضاراً بمصالح كل منهما، ولهذا فإن الراجح أنه لم تطل مدة النزاع بين الجُهنيين والبلويين، لأن القبيلتين كانتا تدركان موقف الفاطميين تجاههما، وهو ما بدا جلياً في أحداث الأشمونين. ولهذا مال الطرفان إلى التصالح حتى لا تتدخل أطرافٌ أخرى من خارج جماعات القُضاعيين في هذا النزاع، وهو ما سيكون سببا في تعقيد الأمور. ولهذا يقول القلقشندي: "ثم حصل بينهم جميعاً الصلح على مساكنهم التي هم بها الآن، وزالت الشحناء من بينهم.." ([2]).

والمؤكد من ثنايا هذه الرواية التاريخية أن سبب النزاع بين القبيلتين كان بسبب الأراضي والبيوت التي كان يسكن فيها الجهنيون والبلويون في أخميم. وتتفق رواية القلقشندي مع ما يذكره المقريزي الذي يقول: "ثم حصل بينهم الصلح على مساكنهم.." ([3]). ثم يردف أنه زالت الشحناء" من بين عرب جُهينة وبني عمومتهم من قبيلة بلي ([4]). والمؤكد أن القرابة بينهما، وكذلك زعماء كل منهما، لعب دوراً كبيراً في التقريب بين جماعات القبيلتين، إذ حرص كل منهما على الصلح، وإنهاء الخلاف.

---

(1) وقد وقعت مثل تلك النزاعات ذات الطابع القبلي بين بعض القبائل العربية في مصر بعد الفتح العربي، ومنها ما وقع بين كل من جُهينة وربيعة حول أرض العلاقي (بلاد الذهب)، حيث حاولت ربيعة بعد أن تمكنت ربيعة من تلك البلاد عن طريق المصاهرة بزعماء البجة، وصارت لبني ربيعة القيادة والحكم هناك، ومن ثم

أجبرت ربيعة قبيلة جُهينة علي الرحيل عن تلك البلاد (للمزيد، انظر أبو الحسن المسعودي: مروج الذهب، جـ2، ص16). كما تذكر المصادر أيضاً أنه وقع نزاع بين وبلي من جانب، وبطون قريش من جانب آخر كما أنف القول. وكان النزاع بسبب أمور متشابهة حول الأرض وملكيتها، وهو ما يجعلنا نعتقد أن مثل تلك الأمور كانت السبب في النزاع أو الفتنة التي وقعت بين قبيلتي جُهينة وبلي في بلاد أخميم.

(2) قلائد الجمان: ص24

(3) البيان والإعراب: ص136

(4) المصدر السابق، ص136

ثم اتفقت القبيلتان على الأراضي التي تكون من حق جماعات وبطون كل منهما، فكانت لقبيلة جُهينة الأراضي التي تقع إلى الشرق من منطقة "عقبة قاو" ([1])، وحتى أرض عيذاب علي ساحل بحر القلزم ([2]). أما أراضي قبيلة بلي، فإنها كانت تمتد من "جسر سوهاج" إلى الغرب من "قمولة" ([3]). وبذلك الصلح انتهى الخلاف بين قبيلتي جهينة وبلي.

رابعا – شواهد القبور كدليلٍ علي استقرار جُهينة بمصر:

تعد "شواهد القبور" Tomb Stones من أهم المصادر التي تمد الباحثين بمزيد من الأخبار عن هجرة العرب إلى مصر ([4]). وتدلنا الشواهد علي قدم وجود جهينة بمصر. ولعل شواهد القبور من المصادر التي يصعب الريبة أو الطعن في مصداقية ما ورد بها من أخبار، ومن خلالها يمكن معرفة المزيد مما لم يرد في المصادر المعاصرة ([5]). وقد ارتبطت شواهد القبور بمصر منذ بواكيرالفتح، حتى أن أقدم أثرٍ إسلامي عثر عليه بها شاهد قبر مصنوع من الحجرالجيري Limestone ([6])، وهو يرجع لحوالي سنة 31هـ/651م ([7]).

---

(1) عقبة قاو: وهي منطقة اندرست الآن، وكان موقعها في نواحي مركز البداري، وهو أحد المراكز التي تقع في محافظة أسيوط (رجب عبد الحليم: العروبة والاسلام، ص117). وقد ذكر الدكتور عبد المجيد عابدين هذه المنطقة باسم "عقبة قاو الخراب" (انظر، دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل: ص50)

(2) القلقشندي: قلائد الجمان، ص24، رجب عبد الحليم: العروبة والاسلام، ص117

(3) المصدر السابق، ص24، وانظر رجب عبد الحليم: ميناء عيذاب ووادي العلاقي وأثرهما في علاقة مصر بالسودان، ندوة الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ، هيئة الكتاب، 1999م، ص241

(4) شواهد القبور: تعرف أيضاً باسم "النقوش الشاهدية"، وهي النقوش التي سجلت علي المقابر والمدافن، وهي نوع من الآثار التي ذاعت إبان العصر الإسلامي. وتضم الشواهد نقوشا بها البسملة وتعريفا بالميت، وعبارات التوحيد وتاريخ الوفاة وطلب الرحمة والمغفرة وغير ذلك (للمزيد انظر أمال أحمد العمري: زخارف شواهد القبور الإسلامية قبل العصر الطولوني، حوليات هيئة الآثار المصرية، 1986م، ص1–2، محمد حمزة الحداد: النقوش الآثارية مصدرا للتاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، المجلد الأول، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، دون تاريخ، ص16–17، علاء الدين عبدالعال: شواهد القبور الأيوبية والمملوكية، مكتبة الإسكندرية، 2013م، حسن الباشا: مدخل إلي العمارة والفنون الاسلامية، معهد الدراسات الاسلامية_القاهرة، دون تاريخ، ص182–184، حسني نويصر: الآثار الاسلامية،

مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، 1996م، ص343–346، حسين مراد: تاريخ دهلك وحضارتها في القرون الستة الأولى من الهجرة من خلال شواهد القبور، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، العدد 87، مايو 2008م

(5) علاء الدين عبدالحميد: شواهد القبور، ص37، انظر شكل رقم 16، ص271

(6) يقول الدكتور حسن الباشا عن ذلك الشاهد الأثري: "وربما يكون أقدم أثر إسلامي وصلنا هو شاهد قبرمن الحجر الجيري من مصر، عليه نص جنائزي مؤرخ سنة13هـ، باسم عبدالرحمن بن خير الحجري"(العمارة والفنون الاسلامية، ص184).

(7) حسن الباشا: مرجع سابق، ص184

ويمكن القول بأن مصر الإسلامية تميزت بغزارة ما عثر عليه من شواهد القبور رغم عدم استحباب المبالغة في إقامة القبور، والإفراط في زخرفتها، أو الكتابة عليها من الناحية الشرعية، ومع ذلك بالغ المسلمون بالعناية بشواهد القبور ([1]). ولعل أهمية الشواهد تبرز من خلال معرفة تطور الخط العربي على الحجر، إضافة لقيمتها التاريخية التى لا غنى عنها ([2]). وتُظْهر الشواهد التي كُشف عنها في كل من أسوان والفسطاط بعض السمات، ومنها أن اسم المتوفي كان يُتبع باسم قبيلته إبان القرنين الأول والثاني الهجريين (السابع والثامن الميلاديين) ([3]). ومنذ القرن 3هـ/9م بدأ ظهور اسم الإقليم أو البلد التي ينتسب إليها المتوفى بدلاً من اسم القبيلة ([4]). وتشير الأبحاث الأثرية إلى وجود جاليات عربية وإسلامية في منطقة "خور نبتة" على بعد حوالي 70 ميلاً غرب سواكن ([5]).

وقد تم العثور هناك على شواهد عربية تؤرخ للقرون الهجرية الأولى ([6]). إذ عُثر في هذه المنطقة على واحدةٍ من أقدم الهجرات العربية إلى بلاد البجة التي وصلت إلينا آثارها، وتؤكد ذلك شواهد القبور التي كشف عنها هناك ([7]). كما تم الكشف أيضاً عن شواهد أخرى لجماعات عربية فى العديد من المواقع النوبية ومنها: تافة Taffa، وهي تؤرخ للنصف الأول من القرن 3هـ/9م، وكذلك وجدت شواهد في منطقة كلابشة Kalabsha تؤرخ للقرن 4هـ/10م ([8]). كما عثر على شواهد فى قرطاسي Qertassi تؤرخ لآواخر القرن 4هـ/10م، وغير ذلك من المناطق في بلاد النوبة ([9]). وهو ما يؤكد أن مظاهر العروبة في كل من مصر والنوبة ترجع إلى حقبة زمنية بعيدة، وذلك منذ أوائل القرون الهجرية بفضل الهجرات العربية، وفي مقدمتها هجرة قبيلة جُهينة وبطونها.

---

(1) أمال أحمد العمري: زخارف شواهد القبور الإسلامية قبل العصر الطولوني، ص1

(2) المرجع السابق، ص1

(2) كرم الصاوي باز: مصر والنوبة في عصر الولاة، ص93

(4) المرجع السابق، ص93

(5) محمد عبدالله النقيرة: انتشار الإسلام في شرقي أفريقية ومناهضة الغرب له، دار المريخ، الرياض، دون تاريخ، ص95

(6) ترجع هذه الشواهد تحديداً الى سنة 113هـ/732م (النقيرة: المرجع السابق، ص95)

(7) وتؤرخ هذه الشواهد للقرن 2هـ/8م، للمزيد انظر Abd Al Magid Abdin; Some General Aspects of the Arabisation of the Sudan, P.59 ، وعن هذه الهجرات، انظرمصطفي مسعد: البجة والعرب، ص27، وعن أحد شواهد القبورالتي عثر عليها في خور نبت، انظر تفريغ هذا الشاهد شكل رقم 16

(8) O. G. S. Crawford: Sudan Antiquities Service, No. II, Castles & Churches in the Middle Nile Region, Khartoum, 1953, P. 265

(9) Ibid, P.265، وعن شواهد بني الكنز بأسوان انظر عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز، ص150

كما كُشف عن عدد كبير من الشواهد في أطلال الفسطاط، وفي منطقة عين الصيرة جنوبي القاهرة، وكذلك بالصعيد خاصة في مدينة أسوان ([1]). أما بخصوص الشواهد التى عثر عليها في أسوان، فإنه قد ورد عليها أسماء العديد من القبائل التي استقرت بمصر بعد الفتح، سواء دون عليها أسماء قبائل تنتسب لقحطان، أم لعرب عدنان، وكذلك بطونها، وأفخاذها التي هاجرت إلى مصر ([2]). ولعل من أهم القبائل التي وردت عليها: جُهينة، وقريش، وقيس، والمعافر، وخولان، وحضرموت، والأزد، وغافق، ومُراد، والصَدف، وكِندة، وتُجيب، ورعين، وكنانة، وبنو زُهرة، وحمير، وعامر، والليث، وبنوكلب (وهم من قُضاعة)، وهُذيل، وخُزاعة، وسهم، ولخم..الخ". وهو ما يتفق مع ما ورد في العديد من المصادر ([3]).

أما عن شواهد القبور التي حملت أسماء بعض الجُهنيين، وهى التى تهمنا في المقام الأول في هذه الدراسة، فقد عثر علي الكثير منها، وهي تؤكد وجود الجماعات من عرب جُهينة بمصر منذ القرون الهجرية الأولي، خاصة تلك الشواهد القبرية التي كُشف عنها في جبانة_أسوان الإسلامية، وكذلك غيرها من المدن المصرية، وهي شواهد محفوظة في "متحف الفن الإسلامي" بالقاهرة، ومن أهم تلك الشواهد التى ورد عليها أسماء أشخاص من جهينة:

- شاهد قبر باسم: "عيسي بن أبي عيسي الجُهني"، وهو المتوفي في سنة 253هـ/867م ([4]).
- شاهد قبر باسم: "خازم بن أحمد بن خازم بن محرز بن سمرة الجُهني"، وهو شخص متوفي في شهر شعبان من سنة 357هـ/967م، وهو مسجل برقم 2721/524 ([5]).
- شاهد قبر باسم: "مرزوق بن خازم بن محرز بن سمرة الجُهني"، وهو المتوفي في شهر رمضان من سنة 396هـ/1005م، وهذا الشاهد مسجل برقم 2721/1004 ([6]). وهو فيما يبدو ابن صاحب الشاهد المدعو "خازم بن أحمد الجهني" الذي ذُكر آنفاً.

---

(1) كرم الصاوي باز: قبيلة جُهينة، ص5، وعن شواهد لقبور بأسوان انظرعطية القوصي: تاريخ دولة الكنوزالإسلامية، ص150

(2) كرم الصاوي باز: المرجع السابق، ص6

(3) وللمزيد عن القبائل العربية وشواهد القبور، انظر سعاد ماهر: مدينة أسوان وآثارها في العصر الاسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م، ص45-109، كرم الصاوي باز: قبيلة جهينة، ص6، وكذلك انظر:

El-Hawary H. M. , ETR: Catalogue General du Musee Arabe du Caire (Stele Funeraires) , Tome I , Le Caire , 1932 , PP. 2 -4

(4) كرم الصاوي باز: قبيلة جُهينة، ص7

(5) حسن مدني حسن محمود: دراسة تاريخية وأثرية للجماعات العربية في أسوان والنوبة نهاية العصر الأيوبي علي ضوء مجموعة شواهد القبور المكتشفة بجبانة أسوان، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1997م، ص153

(6) المرجع السابق، ص153

– شاهد قبر باسم: حُسنة بنت سليمان بن شمل الجُهني، وهو شاهد غير مؤرخ، إذ لم تنقش عليه سنة الوفاة، وهذا الشاهد مسجل برقم: 1506/151 ([1]).

وتشير شواهد القبور إلى أن الجماعات العربية التي كانت قد هاجرت إلى أرض مصر ظل أفرادها يحتفظون بنسبهم إلى القبيلة التي ينتمون إليها زهاء قرنين من الزمان ([2]).ـوهو ما تشير إليه الشواهد التي تم الكشف عنها في كل من جبانتي الفسطاط وأسوان، حيث إن اسم الشخص المتوفي كان يُتبع غالبا باسم قبيلته، وذلك إبان القرنين الأول والثاني الهجريين (القرنيين السابع والثامن الميلاديين) ([3]).

ومنذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وجد الباحثون أن الأسماء العربية التي كشف عنها كانت لأشخاص متوفين، نقشت أسماؤهم على شواهد القبور، وكانت بعض الألقاب التى حملها المتوفون تحمل اسم البلاد التي نشأوا بها، أو موطن القبيلة الأصلي التي ينتسب لها، ولعل من تلك الألقاب التي وردت على شواهد القبور مع المتوفي: الإدفوي، والأسواني، والكوفي، والبصري. كما أن البعض منها لم يكتب عليها نسب المتوفي، سواءاً اسم القبيلة التى ينتسب إليها الشخص، أم موطنه الأول ([4]).

وهذا ما ينطبق أيضاً على تلك الشواهد التي تُنسب إلى بعض الأفراد من قبيلة جُهينة، حيث كشف عن بعض الشواهد يحمل فيها الشخص المتوفي اسم قبيلة جُهينة، منها ما يرجع إلى حوالي سنة 253هـ/867م، وكذلك إلى سنة 396هـ/1005م، وكذلك إلي سنة 357هـ/967م. وهو ما يشير إلي أن الجُهنيين ظلوا يحملون اسم قبيلتهم حتى القرن 4هـ/10م، وربما خلال القرون التالية أيضاً.

---

(1) حسن مدني: دراسة تاريخية وأثرية للجماعات العربية في أسوان والنوبة، ص153

(2) كرم الصاوي باز: قبيلة جُهينة، ص8-9

(3) كرم الصاوي باز: المرجع السابق، ص8، حسن مدني: المرجع السابق ، ص93

(4) كرم الصاوي: المرجع السابق، ص8-9، وانظر أيضا حسن مدني: المرجع السابق ، ص93

(5) وعن قيمة شواهد التي كشف عنها في جبانة أسوان الإسلامية، وما ورد بها من إشارات مهمة عن قبائل العرب، وكذلك وجودها في مصر وبلاد النوبة خاصة من خلال الكتابات التي نُقشت عليها يقول حسن مدني:

"علي أية حالٍ أكدت شواهد القبور ما ورد في المصادر التاريخية فيما يتعلق باستقرار القبائل والجماعات العربية بأسوان والنوبة، فقد ورد اسم المتوفي مذيلاً بالإنتساب الي قبيلته العربية التي ينتسب إليها، وخاصة في تلك الشواهد التي ترجع إلي القرنين الأول والثاني الهجريين، وليس هذا معناه أن كتابة اسم المتوفي منتسباً إلى قبيلته قد توقف عند نهاية القرن 2هـ/8م، بل امتد حتي القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.." (حسن مدني: مرجع سابق، ص93)

ويشير آركل Arkell إلى أن الدراسات التى قام بها الباحثون علي شاطيء البحر الأحمر كشفت عن وجود عربي لاسيما لقبيلة ربيعة، كما عثر هناك علي العديد من الشواهد ([1]) مدونة بالخط الكوفي ([2])، تؤرخ إلى القرن 4هـ/10م، وهي محفوظةٌ حالياً بمتحف الخرطوم ([3]). هكذا تؤكد شواهد القبور تواجد جُهينة، وغيرها من القبائل العربية في كل من: الفسطاط، وأسوان، وبلاد البجة، والنوبة، وغيرها، وذلك منذ القرون الهجرية الأولي. ويرى كرافورد Crawford أن شواهد القبور التى كشف عنها النوبة في تافة، وقرطاسي، وكلابشة، وغيرها تؤكد علي فكرة الطابع السلمي للهجرات العربية للنوبة، وأن الكثير من الجماعات العربية استقرت هناك بشكل سلمي، ودون أي من أشكال العنف ([4]). وهو ما يدحض بعض الروايات التى تحدثت عن بعض مظاهر العنف التي رافقت هجرات جهينة للنوبة ([5]).

ويتضحُ لنا من خلال دراسة هذا الفصل أن قبيلة جهينة زادت هجراتها للصعيد بعد إسقاطها وباقي القبائل من ديوان العطاء، ولهذا ذهبت جماعات من جهينة إلى مدن الصعيد، واستقروا هناك، وصارت جهينة بعد ذلك أكبر قبائل العرب في الصعيد، خاصة في الأشمونين، وغيرها. وربما كان ذلك سبباً في رغبة الدولة الفاطمية في طرد عرب جهينة من الأشمونين، ولهذا ساعدوا قريش هناك نكاية في قبيلة جهينة. ولما هُزم الجُهنيون هناك، آثروا الرحيل إلى مدينة أخميم حيث كانت بها جماعات كبيرة من عرب بلي.

ولم تخل إقامتهم هناك أيضاً من بعض المشاحنات بين بعض الجماعات من الجهنيين والبلويين حول ملكية الأرض، ثم تم التصالح بين القبيلتين. كما تؤكد شواهد القبور أن جماعات جهينة كان لهم وجود كبير في صعيد مصر وبلاد النوبة منذ القرون الهجرية الأولى. والمعروف أن ربيعة وجهينة كانتا من أهم القبائل التي هاجرت للبجة خلال القرن 3هـ/9م، وعلى هذا سوف نتحدث عن هجرة جماعات جهينة إلى بلاد البجة في الفصل التالي.

---

(1) ممدوح الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر، ص89

(2) الخط الكوفي: ينقسم إلي نوعين رئيسيين، هما الأول: وهو خط يميل إلي الليونة والتقوير، وكان أكثر استخداما في أمرو الحياة اليومية، كما كان يستخدم علي ورق البردي، ولهذا عرف بالخط اللين. أما الثاني فهو الخط الكوفي

التذكاري: وهو يميل إليالتزوية والبسط، وكان يستخدم أكثر في الالكتابات الأثرية والتذكارية والمصاحف (وللمزيد عن الخط الكوفي، وسماته، انظر علاء الدين عبدالعال: شواهد القبور، ص38– 39).

(3) المرجع السابق، ص89، ولعل من أهم تلك الحفائر تلك التي تمت في منطقة الريخ التي تقع علي ساحل البحر الأحمر، وتم الكشف خلالها علي أربعة من شواهد القبور، والشواهد كافة تنتسب لأفراد من قبيلة بني ربيعة، وهو تؤرخ إلي القرن الرابع الهجري (ممدوح الريطي: المرجع السابق، ص89).

(4) Crawford: Sudan Antiquities Service, No. II, Castles & Churches in the, P. 265

(5) انظر روايات كل من ابن خلدون: العبر، جـ5، ص491، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ5 ، ص277

الفصل الثاني:

"هجرة قبيلة جُهينة إلى بلاد البجة في القرن 3هـ/9م"

أولا – بلاد البجة

(أ)– الموقع وأصل السكان

(ب) – إرهاصات الهجرة العربية إلى البجة

(جـ) – الحداربة (الحضارمة)

ثانيا – أسباب هجرة جُهينة إلى بلاد البجة

ثالثا – مراحل الهجرة والحملات العسكرية:

(أ) – حملة ابن الجهم علي البجة سنة 232هـ/841م

(ب) – هجرة جُهينة إلي البجة خلال النصف الأول من القرن 3هـ/9م

(جـ) – حملة القُمي على البجة سنة 241هـ/854م

(د) – جُهينة وحملة ابن طولون على البجة (255هـ/869م)

رابعا – استقرار قبيلة جُهينة في وادي العلاقي:

(أ) – وادي العلاقي (أرض المعدن)

(ب) – جُهينة وتجارة الذهب في العلاقي

(جـ)– دور جُهينة في عُمران وازدهار التجارة في العلاقي

خامسا – مجتمع جُهينة في بلاد البجة:

(أ) – مراكز الجُهنيين في بلاد البجة

1 – منطقة ميزاب

2 – منطقة رحم

(ب) – عثمان بن سعدان (زعيم جُهينة في بلاد البجة)

يتناول هذا الفصل الهجرة العربية إلى بلاد البجة، كما يتحدث عن موقع تلك البلاد، وسكانها، وأصلهم، ثم يتحدث عن هجرة قبيلة جُهينة إلى بلاد البجة، وأسبابها، ودور الحملات العسكرية في تشجيع القبائل العربية ومنها قبيلة جُهينة على الهجرة إليها. كما يتناول استقرار جماعات جُهينة في منطقة "وادي العلاقي"، والعمل في استخراج الذهب، وتجارته، وكذلك دور عرب جهينة في عمران البجة وازدهارها. ثم يناقش هذا الفصل أيضا وجود ما يمكن أن نطلق عليه "مجتمع جُهينة" في هذه البلاد، وبعض مظاهر هذا المجتمع.

أولا – بلاد البجة:

نتحدث بداية عن جغرافية بلاد البجة، وسكان تلك البلاد، وأصلهم، وروايات المصادر عنهم، وكذلك الجماعات العربية التي تعرف بـ "الحداربة"، وعلاقتهم بهذه البلاد.

(أ) – الموقع وأصل السكان:

يُعرف ساكنو هذه البلاد باسم "البجاة" ([1]). وكذلك: "البُجَا" (بضم الباء الموحدة، وفتح الجيم، وألف في الآخر) ([2]). كما عُرفوا أيضا باسم "البجاوة" ([3]). وقد ورد اسم البجة في أحد "النقوش الأكسومية" يؤرَّخ لحوالي القرن 4م، حيث يذكر المتن هذه البلاد باسم "بوجايتاي" Bugaitae ([4]). وتمتد أرضُ البجة من أسوان شمالاً إلى الأطراف الشمالية لبلاد الحبشة جنوباً، ومن البحر الأحمر شرقاً إلى نهر النيل غرباً ([5]). وقد تحدث المؤرخون القدامي عن البجة، وتركوا لنا أخبارا عنها، وعن سكانها، وأصلهم، يقول اليعقوبي (ت: 292هـ/904م): "وهم من النيل والبحر، ولهم عدة ممالك، في كل بلد ملك منفرد.." ([6]).

---

(1) ابن جبير: رحلة ابن جبير، تحقيق: محمد زينهم، دار المعارف، القاهرة، 1986م، ص75، وللمزيد عن البجة المسعودي: مروج الذهب، جـ2، ص16، اليعقوبي: كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1893م، ص37، ص142، تاريخ الطبري: جـ2، ص599، ابن حوقل: صورة الأرض، ص56–59، المقريزي: البيان والإعراب.

(2) القلقشندي: صبح الأعشي، جـ5، ص273

(3) انظر الواقدي: فتوح الشام، جـ2، ص56

(4) مصطفي مسعد: البجة والعرب، ص4

(5) المرجع السابق، ص4

(6) تاريخ اليعقوبي: جـ1، ص165، يقول اليعقوبي عن ممالك البجة:"ومدينة المملكة يقال لها: هجر ولهم قبائل وبطون كما تكون للعرب..والمملكة الثانية..يقال لها: بقلين، كثيرة المدن، واسعة، يضارعون في دينهم المجوس..ثم المملكة الثالثة يقال لها: بازين، وهم يتاخمون مملكة علوة من النوبة، ويتاخمون بقلين..الرابعة يقال لها: جارين، ولهم ملك خطير، وملكه ما بين بلد يقال له باضع، وهو ساحل البحر الأعظم..الخامسة يقال لها: قطعة، وهي آخر ممالك البجة، ومملكتهم واسعة من حد موضع يقال له باضع..السادسة..مملكة النجاشي..بلد واسع، عظيم الشأن، ومدينة المملكة كعبر، ولم تزل العرب تأتي إليها للتجارات، ولهم مدن عظام، وساحلهم دهلك.." (انظر تاريخ اليعقوبي: جـ1، ص165–166).

ويشير اليعقوبي إلى أن البجاة كانت لهم حياة مستقرة، وأنهم عرفوا نمطاً سياسياً قريباً من "النظام الملكي"، إذ كانت لهم بعض الممالكٌ يحكمها ملوك، وإن كانت بطبيعة الحال ممالك صغيرة ([1]). وربما كانوا جميعا خاضعين لملك أكبر، ويبدو مما أوردته المصادر أن البجاة كانوا يعرفون نظم الحكم الوراثية كسائر الشعوب التي حققت نوعاً من الاستقرار السياسي، أو شيئاً قريباً منه. بينما يذكر البُغدادي: "وأما الاقليم الثاني، واسمه أسوان، وهي المدينة التي علي تخوم البجة وأرض مصر.." ([2]). وعلى هذا فالبغدادي يجعل حدود البجة خارج الأراضي المصرية، أو

أنه أراد الإشارة إلى أن هذه البلاد كان لهم حاكم مستقل، ولم يكن خاضعا لحاكم مصر، بينما يعدّ الاصطخري البجة ضمن تخوم مملكة الحبشة ([3]).

والمعروف أن جزء من أرض البجة كان يقع ضمن تخوم بلاد الحبشة، ولهذا قال ابنُ خرداذبة: "وفي أعلي مصر النوبة والبجة والحبشة.." ([4]). وهو ما يشير إلى أن أرض البجة قد تكون خارج تخوم مصر، وهو ما يتفق مع رواية الاصطخري. بينما يقول اليعقوبي: "ومن العلاقي إلى أرض البجة..خمس وعشرون مرحلة.." ([5]). وثمة رواية لابن فضل العُمري (ت: 749هـ/1348م) يتحدث فيها عن موقع بلاد البجة، وأنهم نزلوا فيما بين بحر القلزم ونيل مصر ([6]). أما المقريزي، فإنه يحدد بداية تخوم أرض البجة من قرية تعرف بالحزية، بها معدن الزمرد في صحراء قوص ([7]) وبين هذا الموضع وبين قوص مسافة تبلغ نحو ثلاث مراحل ([8]).

---

(1) تاريخ اليعقوبي: جـ1، ص165–166

(2) الخراج وصنعة الكتابة، مكتبة الثقافة الدينية، دون تاريخ، ص230

(3) مسالك الممالك، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2011م، ص45

(4) المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ، ص83

(5) كتاب البلدان، ص37

(6) مسالك الأبصار في ممالك الأبصار (المختصر)، الجزء الرابع، اختصار وتقديم: عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2012م، ص245

(7) قوص: هي مدينة تقع في صعيد مصر الأعلي، وقيل في بعض الروايات عن أهمية تلك المدينة: ليس بأرض مصر بعد الفسطاط مدينة أعظم منها، وهي فرضة التجار من عدن، ويقال لها أيضاً: قوص بربر، وكذلك قوص الأقصرين، ودعاها الرومان باسم "أبلونوبوليس باروا". وكانت مدينة قوص في الأعصر الخالية من المدائن الشهيرة جدا، وكان يسكنها خلق من "المريس"، وهم من أهل النوبة. وبين قوص ومدينة قفط فرسخ، وقيل كلنت المسافة بين المدينتين سبعة أميال (للمزيد عن مدينة قوص، انظر علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية، جـ14، ص400)

(8) الخطط: جـ1، ص313

واشتُهر ملوك البجة بالبأس حتى أن بعض المصادر تنعتهم بأنهم "فراعنة البجة" ([1]). ربما تشبيهاً لهم بملوك مصر القدامي، وهي بلا ريب إشارة تُظهر ميلهم إلى البطش والقوة. ويشير ابن بطوطة إلى أنه لما زار البجة (حوالي سنة 726هـ/1325م)، كانت ثُلثا بلادهم للسلطان "الناصر محمد بن قلاوون"، بينما كان ثلث هذه البلاد فحسب تحت سلطان ملك البجة، وهو المعروف آنذاك باسم "الحدربي"، وجمعها: الحداربة ([2]). أما النسبة إلى كلمة البجة، فهي: البجاوي ([3]). وتذكر المصادر اليونانية والرومانية سكان بلاد البجة باسم "البَلّيميين" Blemmyes، فالمؤرخ

استرابون Strabo ([4]) يشير إلى أنهم كانوا يسكنون الضفة الشرقية للنيل، في منطقة جنوبي الجندل الأول، وتمتد شرقاً إلي البحر الأحمر ([5]).

ويُعتقد أن تسمية "البليميين" لم تكن تطلق على كافة سكان البجة، وإنما علي جماعات منهم فحسب، خاصةً من كان يقطن منهم قرب تخوم مصر الجنوبية، وهم الذين كانوا يسيطرون على مناجم الذهب والزمرد بالصحراء الشرقية ([6]). ويُعتقد أنهم كانوا يمثلون طبقةً ثرية، أرستقراطيةً، بفضل تحكمهم في الذهب وتجارته. وقد تمكنوا بما لديهم من سماتٍ حربيةٍ أن يسيطروا على مجموعة كبيرة من البجاة الشماليين مدة ثمانية قرونٍ على الأقل، ثم استعانوا بهم على تحقيق مصالحهم الاقتصادية والعسكرية التوسعية إبان العصر اليوناني الروماني. ولما ضعفت شوكة البليميين ابان القرن 6م، عاد الاسم القديم وهو البجة لتلك البلاد ([7]).

---

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص56

(2) ابن بطوطة: تحفة النظارفي غرائب الأمصار وعجائب الأبصار، تعليق: محمد السعيد محمد الزيني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د. ت، ص49، وللمزيد عن الحدارية وأصلهم انظر ملحق رقم 9، وانظر كذلك شكل رقم 30 وفيه متن مخطوطة السمرقندي عن الحدارية، وهجرتهم لسواكن أيام الحجاج بن يوسف الثقفي.

(3) مصطفي مسعد: البجة والعرب، ص2، ويذكر ابن الأثير أن بجاوي هي أيضاً نسبة لمدينة تعرف باسم "بجاية" في بلاد المغرب العربي، ويقول: "البجاوي: بكسر الباء الموحدة، وفتح الجيم، وفي آخرها واو، هذه النسبة الي بجاية، وهي من بلاد المغرب، واليها تنسب الجمال البجاوية.." (اللباب: جـ1، ص134)

(4) استرابون: هو جغرافي ومؤرخ إغريقي معروف، عاش استرابون حوالي 59 سنة، وكان ذلك في الفترة من (64 ق.م–23م)، أي أنه عاش ما بين آخر القرون من قبل الميلاد، وأول القرون الميلادية. ولد في مدينة أماسيا Amasia، في بونتوس. وقد كانت له مؤلفات مشهورة، غير أنه لم يبق من كتابه المعروف باسم: "الجغرافية" Geographica سوي 17 مجلدا فقط، بينما كان الكتاب يضم في الأصل 47 مجلد. ويعد كتابه هذا من أهم المصادر عن جغرافية وبلدان العالم القديم. وللمزيد عن ترجمة استرابون، انظر:

The Cambridge Paperback Encyclopedia: P. 824
The New American Desk Encyclopedia: P. 1127

(5) مصطفي مسعد: البجة والعرب، ص5

(6) مصطفي مسعد: الاسلام والنوبة، ص49

(7) مصطفى مسعد: البجة والعرب: ص7

وقد اختلفت المصادر التاريخية حول البجاة، وأصلهم، ويعتقد أنهم من "الشعوب الحامية" Hamitic Peoples ([1]) أي ينتسبون لنسل "حام بن نوح" عليه السلام ([2]). ويشير البعض إلى أن بعض الجماعات الحامية كانت عبرت بحر القلزم قادمة من بلاد العرب منذ عصور مبكرة، ثم استقرت على الساحل فيما بين بحر القلزم ونهر النيل ([3]). وفي رأي البعض، فإن البجاة ينقسمون لمجموعتين الأولي: جمَّاعةٌ جنوبيةٌ حافظت على نقاء أصلها الحامي، لكنها

تأثرت بالساميين لغوياً، أما الثانية: فاستقرت شمال البجة، ثم اختلطت بالعرب، وهم أكثر ارتباطاً بالتقاليد الحامية من المجموعة الأخري ([4]).

---

(1) A. Paul: A History of the Beja Tribes of the Sudan, Cambridge University 1954, P. 20

(2) وعن حام بن نوح، يقول النبي ع: "ولد نوح ساما وحاما ويافث، فسام أبو العرب، وحام أبوالزنج" (ابن الجوزي: تنوير الغبش، ص33)، وفي رواية أخرى، يقول النبي ع: "وأما حام فأبو هذه الجلدة السوداء" (ابن الجوزي: تنوير الغبش، ص34). بينما تذكر "رواية التوراة" عن نسل حام بن نوح: "هذه مواليد بني نوح. سام وحام ويافث. وولد لهم بنون بعد الطوفان..وبنو حام كوش ومصرايم وفوط وكنعان. وبنو كوش سبأ وحويلة وسبتة.." (تكوين-10). كما تذكر أيضاً: "وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك ساما وحاما ويافث. وحام هو أبوكنعان. هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح. ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض.." (تكوين-19). بينما يذكر المؤرخ أبوالحسن المسعودي في روايته: "يقول أهل الأثر: إن نوحا عليه السلام دعا عليه (أي حام) بتشويه الوجه وسواده، وأن يكون ولده عبيداً لأبناء أخيه سام. فولد له بعد كنعان كوش، فكان أسود..وكان آخر أمر حام أن هرب إلي مصر، وتفرق بنوه، ومضي على وجهه يؤم المغرب حتي انتهى إلي السوس الأقصى، إلى موضع يعرف اليوم بأصيلا.." (أخبار الزمان: ص96). بينما تذكر إحدى الروايات أن حاما واقع إمرأته في سفينة أبيه توح وقت الطوفان، فدعا عليه أبوه أن يشوه أبناؤه، فولد له ولد أسود، وهو جد السودان (انظر ابن كثير: قصص الأنبياء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفي الباز، الرياض، 2004م، ص67-68)، وللمزيد انظر الثعلبي: عرائس المجالس، مكتبة الإيمان، المنصورة، دون تاريخ، ص70، وللمزيد عن الجنس الحامي وكافة الأجناس الأخرى انظر: دي بورج: تراث العالم القديم، هيئة الكتاب، 2008م، ص45-53

Raymond Firth: Human Types (An Introduction to Social Anthropology) , A Mentor Book , Printed in U.S.A , New York , 1958 , P. 24
H. G. Wells: A Short History of the World , Pelican Books (Penguin Books) , Great Britain , 1982 , P 33
Renouf: Outlines of General History , London , 1910 , PP. 5-6
The New American Desk Encyclopedia: P. 513
The Cambridge Paperback Encyclopedia: P. 773
Encyclopedia of Universal Knowledge: P. 535
The Teach Yourself Concise Encyclopdia of General Knowledge , London , 1958 , P. 232

(3) A. Paul: Op. Cit. , P. 20

(4) مصطفي مسعد: البجة والعرب، ص3، انظر شكل رقم 16 في ملحق هذه الدراسة، وهو يظهر صورة لبعض الأفراد من عائلة بجاوية

ويشير ماكمايكل Macmichael إلى أن البجاة كانوا في الأصل قوماً تغلبُ عليهم البداوة، وتقاليدها ([1]). أما البليميون Blemmyes، فيما يرى "ماكمايكل" أيضاً، فكانوا على ما يبدو أحد فروع البجة الذين استقروا قرب نهر النيل، ثم هجروا حياة البداوة، وصارت مظاهر حياتهم أكثر مدنية من أندادهم من باقي قبائل البجاة ([2]). بينما يذهب يان زاهوريك Jan Zahorik إلى أن أن قبائل البجة تنتمي لأقدم الأمم القديمة المعروفة، ليس في بلاد السودان فحسب، بل بين كافة

الشعوب الأفريقية ([3]). ويذهب أيضاً إلى أن وجود شعب البجاة يرجع فيما يبدو إلى أقدم العصور التاريخية ([4]). وإن كنا نعتقد أن في رأيه إفراطاً من حيث جعله البجاة أقدم الشعوب الأفريقية القديمة، وتجاوزه المصريين القدماء الذين كان لهم قدم السبق الحضاري بين كل الشعوب التي سكنت قارة أفريقيا منذ القدم.

وثمة رأي آخر يشير إلى أن اسم "بجا" أو "البجة" مشتق في الأصل من الكلمة المصرية القديمة "مجا"، وهي تعني: "رجال الشرطة" ([5]). كما تشير روايات أخرى إلى أن البجاة كانوا يعملون كجنود في الجيش المصري ([6]). وقد ورد اسم البجة للمرة الأولي في المصادر العربية القديمة في "رواية الواقدي" (وهو المتوفي سنة 207هـ/822م)، وتذكرهم بعض المصادر التاريخية باسم "البجاة" و"البجاوة"، كما نُعت ملكهم باسم: "ملك البجاوة" ([7]). وكان اسم ملك البجاة أيام الفتح العربي لمصر: "مازع بن قيس" ([8]). وهو اسمٌ ربما يشيرُ إلى أنه من أصول عربية، وربما كان ينتسب لإحدى الجماعات العربية التي سكنت تلك البلاد قبل الإسلام، وخاصة من قبيلة بلي العربية.

---

(1) A History of the Arabs in the Sudan , Volume II , P. 38

(2) Ibid , P. 38

(3) Jan Zohorik: The Islamization of the Beja until the 19 th Century , Beitrage zur I . Kolner Afrikawissenschaftlichen Nachwuchstagung (Kant I) , PP. 1-2

(4) Ibid , P. 2

(5) محمد عوض محمد: السودان ووادي النيل، ص39

(6) المرجع السابق، ص 39

(7) الواقدي: فتوح الشام، جـ2، ص56

(8) المصدر السابق، ص56، وتشير "رواية الواقدي" عن البجاة أن بعض قادة جيش الروم اقترحوا علي "المقوقس" حاكم مصر الروماني أن يطلب العون من "ملك البجة" (وكان يدعى: مازع بن قيس) حتى يتمكن المقوقس من انقاذ ابنته "أرمانوسة" من حصار المسلمين. تقول الرواية: "قالوا: ايها الملك ! نرى لك من الأمر أن تنفذ جيشا إلى الملكة (أرمانوسة) ينصرها علي عدوها، وتنفذ الي جلباب ملك البرية تستنصر به علي هؤلاء العرب، وتنفذ الى مازع بن قيس ملك البجاوة ينفذ لك جيشا، وتنفذ الي الاسكندرية يأتون، والي مدن الصعيد يأتون، فإذا اجتمعت اليك هذه الأمم فالق بهم الي العرب.." (الواقدي: فتوح الشام، جـ2، ص56).

وقد أفاضت المصادرُ أيضا في الحديث عن البجاة وسماتهم، ولعل من أهم ما ورد بها ما يذكره الرحالة الأندلسي ابن جبير إذ يشير إلى أن البجاة قوم من السودان ([1]). ويذكر القلقشندي أنهم من أصفي السودان لوناً ([2]). بينما يقول المقريزي: "وهم باديةٌ يتبعون الكلأ حيثما كان..وأنسابهم من جهة النساء، ولكل بطنٍ منهم رئيس.." ([3]). كما عدّ أبوالفداء البجاة من أمم السودان، وقال عنهم: "وهم شديدو السواد، عُراة.." ([4]). ولعل إشارة اليعقوبي إلى أن أهل البجة

كانوا يسكنون الخيام، هو مما يؤيد طبيعتهم البدوية كالعرب، وهو ما يتفق أيضا مع ما يذكره المقريزي، وغيره، إذ يقول: "والبجة ينزلون خيام جلود.." ([5]).

وعلى هذا كان البجاة يصنعون خيامهم من الجلود، وليس من القطن أو الكتان، كما هو ذائع عند البدو العرب. وهو ما يشير إلي وجود تأثيرات عربية لدى البجاة. وفي رواية ابن حوقل: "وألوانهم أشدُ سواداً من الحبشة في زي العرب، ولا قُري لهم، ولا مدنٌ، ولا زرعٌ.." ([6]). وقال الطبري: "وهم جنسٌ من أجناس الحبش بالمغرب، وبالمغرب من السودان.." ([7]). وهي روايةٌ تشيرُ لانتساب البجاة للأحباش، لكن الذي لا يُفهم من هذه الرواية، قوله: "بالمغرب"، لأنه لا تُعرف ثمة علاقة حقيقية بين البجاة والمغرب، ومع ذلك نجد أن "رواية ابن كثير" تؤيدُ ما يذهب إليه الطبري، إذ يقول: "والبجة طائفة من سودان بلاد المغرب.." ([8]). بينما يشير المقريزي إلى أنهم شعب من "أصول بربرية" ([9]). غير أنه لا توجد لدينا ثمة أدلةٌ ماديةٌ أو أثريةٌ واضحةٌ على وجود علاقة ما تربط بين البجاة وبلاد المغرب، والراجح أنه كانت قد حدثت بعض الهجرات من المغرب إلى بلاد البجة.

---

(1) رحلة ابن جبير: ص75، ويقول أيضاً: "وأهلها (أي سكان عيذاب) الساكنون بها من قبيل السودان الذين يعرفون بالبجاة، ولهم سلطان علي أنفسهم، يسكن معهم في الجبال المتصلة بها.." (ابن جبير: ص75)

(2) صبح الأعشي: جـ5، ص273

(3) الخطط: جـ1، ص313

(4) المختصر في أخبار البشر، جـ1، تحقيق: د. محمد زينهم محمد عزب، دار المعارف، القاهرة، 1998م، ص122- 123

(5) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص 336

(6) صورة الأرض: ص 55

(7) تاريخ الطبري: جـ5، ص355

(8) البداية والنهاية: جـ10، ص338، وتضيف "رواية ابن كثير" أيضاً أن أهل النوبة وشنون وزغرير ويكسوم (ربما يقصد هنا سكان مملكة أكسوم القديمة: وهم الأحباش) أنهم من ذات أصل البجة، ثم يضيف ابن كثير إلى ذات الأصل: "وأمم كثيرة لا يعلمهم إلا الله.." (البداية والنهاية: جـ10، ص338)

(9) الخطط، جـ1، ص313

وثمة رأيٌ يذهب إليه "شتايندورف" Steindorf و"ستيل" Steele، إذ يشير كلاهما إلى أن بعض الجماعات القديمة استقرت في منطقة الكنوز Kenoz Region، وهي أرض البجة. ويشير هؤلاء إلى حدوث هجرات قامت بها جماعات أوروبية، عبرت مضيق جبل طارق إلى شمالي أفريقيا ([1]). ثم اتجهت بعد ذلك إلي الواحات في صحراء مصر الغربية، واستقروا في منطقة "النوبة السفلي" بين أسوان والبجة، وهي ذات المنطقة التي كانت تسكن بها الجماعات

الحامية ([2]). ولعل الرأي الآنف يشيرُ إلى أن البجاة يشكلون خليطاً إثنياً، وإن كان أكثرهم يرجعون إلى الأصل الحامي، ثم اختلطوا بالعرب قبل الإسلام، خاصةً مع البلويين الذين لعبوا دوراً مهماً في نشر العروبة هناك. كما تحدثت المصادر أيضاً عن سمات البجاة الشخصية، وبعض طبائعهم، وتقاليدهم، فالاصطخري يشير إلى أن ألوانهم تقترب من ألوان العرب، وأنهم ما بين السواد والبياض ([3]). وأشار ابن حوقل الى أنهم أشدُ سواداً من الأحباش ([4]). كما نعتهم الرحالة ابنُ بطوطة بأنهم سود الألوان، ويَشدون علي روؤسهم العصائب ([5]).

واشتد البعضُ في ذم البجاة وقدحهم، وأسرف في ذلك، ومن القدامي أيضاً من أثني عليهم. ولعل ممن قدحهم ابنُ جبير الذي يعدهم أشّر من الدواب، وأنهم قوم لا دين لهم ([6]). وربما قابل ابن جبير في هذه البلاد بعض شرار البجاة، فأسأوا معاملته، ومن ثم اشتد في ذمهم وقدحهم. وممن مدحهم ابنُ حوقل: "وفيهم كرمٌ وسماحةٌ في إطعام الطعام" ([7]). وأثنى عليهم أيضاً أبوالفداء: "وهم أهلُ أمنٍ، وحسنُ مُرافقة للتجار" ([8]). بينما ينعتهم آخرون بأنهم أهل خراب ودمار، وكثيراً ما كانوا يقومون بإيذاء أهل الصعيد ([9]). ولهذا قال المسعودي: "وتتصل سراياهم ومناسرهم على النجب إلى بلاد النوبة، فيُغيرون، ويسبون.." ([10]).

---

(1) (2)Peter Geiser: The Egyptian Nubians , Op. Cit. P. 20
Ibid , P. 20

(3) مسالك الممالك، ص 30

(4) صورة الأرض: ص 55

(5) رحلة ابن بطوطة: ص49، وفي إحدى الروايات أن سبب سوادهم وغيرهم من الحاميين أن نوح عليه السلام لما انكشفت عورته، فلم يغطها ابنه حام، فاسود. وقيل: إن بن حام نزلوا مجرى الجنوب والدبور فتغير لونهم (للمزيد انظر ابن الجوزي: تنوير الغبش، ص34-35). وكثير من ذلك مأخوذ من رواية التوراة.

(6) ابن جبير: الرحلة، ص 76

(7) صورة الأرض: ص 56

(8) المختصر في أخبار البشر: جـ 1، ص 123

(9) المقريزي: الخطط، جـ1، ص 315

(10) مروج الذهب: جـ 2، ص 16

وكان البجاة يعتدون علي أهل الصعيد، وينهبون ديارهم، فالمقريزي يقول: "وفي البجة شرٌ، وتسرعٌ إليه، ولهم في الإسلام وقبله أذيةٌ على شرق صعيد مصر، وخربوا هناك قرى عديدةً.." ([1]). وقال ابنُ تغري بردي: "وبلغ بهم الأمر حتى اتصلت غاراتهم بأعالي الصعيد، فانتهبوا بعض القرى.." ([2]). وكان المسلمون قد عقدوا صلحاً قديماً معهم، قالت عنه المصادر: "وكانت (البجة) قبل ذلك لاتغزو بلاد الإسلام لهدنةٍ قديمةٍ.." ([3]). وكان من البجاة من يدينُ بالوثنية،

ومنهم النصراني، ومال كثيرٌ منهم إلى الإسلام، حتى ذاع وفشا بينهم ([4]). ويذكر أبوالفداء أنهم كانوا يعبدون الأوثان ([5]).

ويذكر ابن حوقل أنهم ظلوا يعبدون الأصنام حتى سنة31هـ/651م، ويُعتقد أنه لما فتح عبدالله بن سعد النوبة، وعُقدت "معاهدة البَقط" ([6])، ذاع الإسلامُ بينهم، وإن لم يتخلوا عن عاداتهم الوثنية كافة "وأسلم أكثرُ البجة إسلام تكليفٍ، وضبطوا بعض شرائط الإسلام، وظاهروا بالشهادتين، ودانوا ببعض الفرائض" ([7]). ويبدو أن اعتناق بعضهم للنصرانية كان بتأثيرٍ من بلاد الحبشة، ولوجود ممالك النوبة المسيحية المقرة وعلوة. بينما يشير المسعودي إلى أن الحدارية هم المسلمون من بين سائر البجة، وباقي البجة يعبدون الأصنام ([8]). ويبدو أنه في أيامه انحسرت النصرانية، وذاع الإسلام بينهم، كما ظل بعضهم يعتنق الوثنية.

---

(1) الخطط: جـ1، ص315

(2) النجوم الزاهرة: جـ2، ص295- 296

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ6، ص120

(4) القلقشندي: صبح الأعشي، جـ5، ص273

(5) المختصر: جـ1، ص123

(6) وعن معاهدة البقط قال الطبري: "إن المسلمين لما فتحوا مصر، غزوا نوبة مصر، فقفل المسلمون بالجراحات، وذهاب الحدق من جودة الرمي، فسموا رماة الحدق، فلما ولي عبدالله بن سعد...صالحهم علي هدية عدة رؤوس منهم، يؤدونهم إلى المسلمين في كل سنة، ويهدي اليهم المسلمون في كل سنة طعاما مسمي وكسوة من نحو ذلك..وأمضي ذلك الصلح عثمان، ومن بعده من الولاة والإمراء، وأقره عمر بن العزيز نظرا منه للمسلمين.." (انظر تاريخ الطبري: جـ2، ص599). وانظر مصطفي مسعد: معاهدة البقط نمط فريد في مجال العلاقات الدولية في الإسلام، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد بن سعود، الرياض، العدد 5، 1975م). ويعتقد أن صاحب رواية البقط يزيد بن أبي حبيب (53-128هـ/673-747م) وكان قد أخذها عن أبيه سويد الذى حارب في تلك المعركة، وكان قد أسر فيها (انظر عبدالرحمن عوض: العلماء السودانيون بمصر ودورهم في العلوم الشرعية في القرن الأول الهجري الإمام يزيد بن أبي حبيب نموذجاً، العلاقات المصرية السودانية عبر العصور، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، 2009م، ص52).

(7) ابن حوقل: صورة الأرض، ص56

(8) مروج الذهب: جـ2، ص16

(ب) - إرهاصات الهجرة العربية إلى بلاد البجة:

استقرت الجماعات العربية في صحراء مصر الشرقية حيث تقع بلاد البجة، وكذلك في بلاد النوبة والحبشة منذ القرن الأول الميلادي. وكان الرومان منذ استيلائهم على مصر يجردون الحملات ضد الجماعات العربية التي تسكن تلك البلاد، لوقف هجماتهم على تخوم مصر باعتبارها ولاية رومانية ([1]). وتشير المصادر إلى أن الهجرات العربية زادت وتيرتها إلى بلاد

البجة بعد ظهور الدعوة الإسلام، خاصةً مع بدايات القرن 3هـ/9م ([2]). وكانت أكثرُ القبائل التي هاجرت هناك: ربيعة ([3])، ومُضر ([4])، وجُهينة ([5])، وغيرهم.

ويذكر ماكمايكل أن قبيلتي جُهينة وربيعة كانتا تشكلان القوة الرئيسية للجيش العربي الذي قدم من مصر إلى البجة في سنة 256هـ/869م ([6]). ولعل شهرة هذه البلاد بالذهب كان سبباً رئيساً في جذب العرب إليها "وسكن جمَّاعةٌ من المسلمين معدن الذهب والعلاقي وعيذاب" ([7]). وكان لربيعة اليد الطولى بين القبائل التي كانت تسكن بلاد البجة، فصاهروا زعماء البجة "وقويت ربيعة بالبجة على ما ناوأها" ([8]).

---

(1) الشيخ عبدالله الأمين الضرير: العربية في السودان، ص11

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص58

(3) ربيعة: هم بنو ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان (وللمزيد، انظر ابن حزم: جمهرة النسب، ص297، مصعب الزبيري: نسب قريش، ص6، البلاذري: أنساب الأشراف، جـ1، ص23، الإصطخري: مسالك الممالك، ص21، ابن حوقل: صورة الأرض، ص142، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ4، ص203). ومن أقوال العرب عن ربيعة: "الجاهلية لليمن، والإسلام لمُضر، والفتنة لربيعة" (ابن عبدربه: العقد الفريد، تحقيق: فؤاد أفرام البستاني، بيروت، دون تاريخ، ص65). ومن أسباب هجرة ربيعة إلى مصر وسودان وادي النيل سوء تدبير أحد حكام بلاد اليمامة التي كانت تسكنها جماعات من ربيعة، وكان يدعي: محمد بن يوسف الحسني الأخيضر (القرن 3هـ/9م)، إذ تميز عصره بالظلم والبطش (انظر يوسف فضل حسن: دراسات في تاريخ السودان، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، الطبعة الأولي، 1975م، ص55)

(4) مضر: وهم بنومضر بن نزار بن معد بن عدنان وهم من عرب الحجاز. ومن ولده إلياس الذي أنجب مدركة، وهو أبوخزيمة الذي أنجب كنانة جد النبي. ومضر هم أخوة ربيعة بن نزار (للمزيد، انظرالمقريزي: البيان والإعراب، ص54، مصعب الزبيري: نسب قريش، ص10، البلاذري: أنساب الأشراف، جـ1، ص37، ياقوت الحموي: المقتضب، ص54). وقالوا في فضل مضر: "فاخر بكنانة، وكابر بتميم، وحارب بقيس ففيها الفرسان والنجوم، وأما أسد ففيها ذل وكيد.." (ابن عبدربه: العقد الفريد، جـ1، ص65).

(5) مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص 126

(6) H. A. Macmichael: Tribes of Northern & Central Kordofan , Cambridge University Press , 1922 , P. 181

(7) انظر المسعودي: مروج الذهب، جـ2، ص 16

(8) المصدر السابق، ص16

(جـ) – الحداربة (الحضارمة):

كان زعماء البجة إبان قدوم جُهينة يُعرفون باسم "الحداربة" أو "الحدارب"، ومفردها: "الحدربي" (بفتح الحاء المهمل، وإسكان الدال، وراء مفتوحة، وباء موحدة) ([1]). وتذكرهم بعض المصادر: الحدارية ([2])، والحدربية ([3])، ويُقال لهم أيضاً الحدرات ([4])، ولعلها تصحيف للأصل. واسم الحداربة نسبة إلى "الحضارمة"، أو "حضرموت" ([5])، وهم من أصول عربية، جاءوا من

حضرموت جنوبي جزيرة العرب Arabian Peninsula ([6]). ويقال إن جدهم يُدعي: حضرموت بن قيس بن معاوية بن جُشَم ([7]). وقيل: حضرموت كان لقبا له، أما اسمه: عامر ([8]). ولكن في نسبه اختلاف، حيث تنسبه بعض الروايات لبني إسماعيل ([9]). وقيل إن حضرموت هو ابن يقطن (يقطان)، أخي قحطان جد اليمن ([10])، وهذا هو الراجح. وقد اشتُهر الحضارمة في الجاهلية بالزعامة، "وكانت فيهم رياسةٌ إلى الإسلام" ([11]).

---

(1) ابن بطوطة: تُحفة النظار، ص49

(2) المسعودي: مروج الذهب، جـ2، ص16

(3) ابن حوقل: صورة الأرض: ص61

(4) تاريخ اليعقوبي: جـ1، ص165

(5) حضرموت: يقال إن حضرموت لم يكن يحضر حرباً إلا كثر فيها القتل والدماء، وكان كل من يراه يقول: حضرموت، أي: حضر الموت مع قدومه، ومن ثم ارتبط اسمه بالموت (انظر ابن حجر: نُزهة الألباب، ص100). وللمزيد عن حضرموت، انظر خليل يحيي نامي: العرب قبل الإسلام، دار المعارف، 1986م، ص105–106 وحسب ما يذكره الرحالة "بوركهارت" Burkhardt (1784–1817م)، فإن شعب حضرموت كان يشتهر بميله إلى الهجرة، وكثرة الترحال، ولهذا أقاموا لأنفسهم مستوطنات في كافة مدن بلاد الحجاز واليمن. وظل الحداربة يحكمون بلاد البجة مدة طويلة حتى أيام بوركهارت، الذي يذكر أن "حاكم سواكن" كان يعرف في أيامه باسم "أمير الحداربة". انظر:

Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan , Volume I , P. 346 ، وللمزيد عن الحداربة، وأصلهم، وارتباطهم بالحضارمة، انظر: A. Paul: The Hadareb Astudy in Arab Beja Relationship, S. N. R., Vol XXXIX, 1958, P. 75

(6) ابن الأثير: اللباب، جـ1، ص431، وانظر أيضاً:

John Meddileton (& Others): Encyclopedia of Africa South of the Sahara , Volume I , Macmillan Library Reference USA , New York , 1997 , P. 66

(7) الهمداني: عجالة المبتدي وفضالة المنتهي، ص49، أما اسم حضرموت كاملا إلي جده سبا: حضرموت بن بن قيس بن جُشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن حَيدان بن قَطن بن عريب الأكبر بن الفِرز بن نَبَت بن أيمن بن الهَميسع بن حمير بن سبأ (الهمداني: المصدر السابق، ص49)

(8) ابن حجر: نزهة الألباب، ص100، وعن أصل الحداربة من مخطوطة أحمد بن الفكي معروف، ملحق 8

(9) وحسب ما ورد في إحدي الروايات: "عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ: أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ نِسْبَةِ حَضْرَمَوْتَ: أَنَّ حَضْرَمَوْتَ بْنَ غُرِّ بْنِ نَبْتِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ" (ابن وهب: الجامع في الحديث، جـ1، رقم 83)

(10) ابن خلدون: العبر، جـ2، ص244

(11) المصدر السابق، ص244

وتشير بعض أوراقُ النسبة (Nisbas) إلى أن العرب الحضارمة كانوا قد وفدوا إلى أرض البجة إبان القرون الأولى بعد الإسلام ([1]). وقد جاءت جماعات منهم إلى هذه البلاد في حوالي سنة 73هـ/692م، ويعتقد أن أصحاب تلك الهجرات هم "أجداد الحداربة" ([2]). ثم استقر الحضارمة بين قبائل وجماعات البجة، ثم حدث تحالف بينهم بالقرب من ثغر سواكن Suakin ([3]). ويشير المستشرق "أ. بول" A. Paul إلى أن هجرة العرب الحضارمة إلى بلاد البجة ترجع

إلى ما قبل بداية الدعوة الإسلامية ([4]). ويضيف أيضاً أن هؤلاء الحضارمة تحالفوا مع زعماء البجة المحليين عن طريق الزواج والمصاهرة، ومن ثم صارت لهم القيادة والزعامة في تلك البلاد ([5]). وعلي هذا شكل الحدارية العرب بمرور الوقت عنصراً بارزاً بين كافة سكان بلاد البجة، وأقاموا طبقةً أرستقراطية حاكمةً، تمكنت من اخضاع أكثر سكان تلك البلاد ([6]).

وتذكر بعض المصادر أن قبائل الحدارب كانت لهم أيضاً عدة بطون، ولعل من أهمها: العريتيكة، والسوبتاروا، والحوتمة، والعنكبيرا، والنجريروا، والجنيتكة، والحريبب، والواخيكة ([7]). وكانت توجد قبائل وجماعات أخرى في بلاد البجة غير هؤلاء الحدارية، ومنهم: قبائل الزنافج، ورسفة، والعماعر، وعريربعة ([8]). ويطلق المؤرخ اليعقوبي على جماعات الزنافج اسم "الزنافجة"، وقال عن موطنهم في هذه البلاد أيضاً: "ومن العلاقي إلى أرض البجة الذين يقال لهم الزنافج خمس وعشرون مرحلة، والمدينة التي يسكنها ملك الزنافجة يقال لها: بقلين، وربما صار المسلمون إليها للتجارات.." ([9]).

---

(1) انظر Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan , Vol I , P.346

(2) عطية القوصي: تاريخ ميناء باضع في القرون الخمسة الأولي للإسلام، مجلة الدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، عدد 11، 1982م، ص5، وعن الحدارية انظر شكل29، ص282، وملحق8، ص251

(3) Macmichael :Op. Cit. , P. 346 ، وتشير الخرائط الجغرافية إلي وجود ميناء جنوبي منطقة "حلايب" جنوبي مصر التي تطل على البحر الأحمر باسم "رأس حدربة"، وهو ما يشير الي تأثير الحدارية الواضح في هذه البلاد يومنا هذا (الأطلس العربي: وزارة التربية والتعليم، القاهرة، 1985م، ص18)

(4) The Hadareb Astudy in Arab Beja Relationship, P. 75

(5) Ibid, P. 75

(6) مصطفي مسعد: البجة والعرب، ص40

(7) المصدر السابق، ص61

(8) تاريخ اليعقوبي: جـ1، ص165

(9) كتاب البلدان: ص 336، ويقول عنهم اليعقوبي أيضاً: "ومذهبهم مثل مذهب الحدارية، وليس لهم شريعة، انما يعبدون صنما يسمونه ححاخوا.." (كتاب البلدان، ص336-337)

ثانياً – أسباب هجرة جُهينة إلي بلاد البجة:

ويمكن القول بأنه كانت للهجرة التي قام بها عرب جُهينة إلى بلاد البجة العديد من الأسباب التي حملتهم على الذهاب إلى تلك البلاد النائية، ولعل تلك الأسباب تتنوع ما بين أسباب سياسية، أجبرتهم على الرحيل إلى الجنوب، وكذلك الأسباب الاقتصادية القاسية التي واجهت الجماعات العربية بصفة عامة، وعرب جُهينة بصفة خاصة، بعد أن استقروا في مصر بعد أن تم الفتح العربي (21هـ/641م)، ويمكن القول أيضا بأن الطبيعة فى مناطق الجنوب كانت تلاءم

القبائل العربية، ونظم حياتهم التى كانوا قد اعتادوها فى جزيرة العرب أكثر مما وجدوا في أقاليم الدلتا.

وقد شهدت بلاد البجة خلال النصف الأول من القرن 3هـ/9م هجرات كثيفة من جماعات وبطون قبيلة جُهينة، وكان ذلك بالطبع بسبب الظروف السياسية، والاقتصادية التي واجهتها كافة القبائل العربية في أرض مصر بعد الفتح العربي. ولعل من أهم تلك الأسباب التي أثرت في هجرة قبيلة جهينة إلى بلاد البجة أنه في سنة 218هـ/833م، أمر "المعتصم بالله" (218-227هـ/833-841م) باسقاط القبائل العربية، ومن بينها بالطبع قبيلة جهينة، من "ديوان العطاء"، أو "ديوان الجند" ([1]).

---

(1) وللمزيد عن "ديوان العطاء" وكيفية توزيع الأموال على الجند العرب من خلاله، انظر أبو الحسن الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: عماد البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ، ص351-353، وانظر المقريزي: الخطط، جـ1، ص147-148.

(2) وكان الخليفة العباسي المعتصم بالله قد أرسل إلى والي مصر "كيدر بن نصر الصفدي" أن يُسقط جميع العرب من "ديوان الجند" (أو ديوان العطاء)، ومنهم بطبيعة الحال عرب جُهينة. وكان الخليفة المعتصم بالله يميلٌ إلى إيثار الجند الأتراك، وكان يقدمهم علي الجند العرب، ومن ثم ثبتهم في "الديوان" بدلا من العرب. وعن ذلك يقول ابن تغري بردي: "وَرَد علي كيدر كتابُ المعتصم ببيعته، ويأمره بإسقاط من في الديوان من العرب، وقطع العطاء عنهم، ففعل كيدرُ ذلك..". وكان المعتصمُ بالله يخشي من الجنود العرب، وكان لا يثق في ولائهم إلى دولة بني العباس. ولهذا قال ابنُ طباطبا: "فلما كانت أيامُ المعتصم، خاف من بها من العسكر (العرب)، ولم يثق بهم..". وقد أدى إسقاط العرب من الديوان إلى شعورهم بالسخط والغضب تجاه الدولة العباسية، ثم قاموا بأعمال شغب، تظهر تمردهم اعتراضا على هذا القرار. بينم قال جلال الدين السيوطي عن عدد من كان يخدم الخليفة العباسي المعتصم بالله من الجند الأتراك: "وبلغت غلمانه الأتراك بضعة عشر ألفا.." (انظر تاريخ الخلفاء: ص253) (وللمزيد عن ذلك الذي حدث أيام المعتصم بالله، وإثاره للعنصر التركي على العرب، انظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ2، ص223، ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص188، مصطفي مسعد: البجة والعرب، ص33)

وكانت جماعات من لخم وجذام هي التي قادت هذا التمرد ([1]). غير أن الوالي كيدر وافته المنية في ذلك الوقت، ثم تولي الإمارة من بعده ابنه، وهو الذي اشتد في معاملة القبائل العربية، وتمكن من القضاء على التمرد بكل حزم وبطش، وقبض على قادة التمرد ([2]). ومنذ ذلك الوقت صار الولاة بمصر يُختارون من بين الأتراك وحدهم ([3]). وقد أدت سياسة العباسيين الجديدة لوقوع العداوة بين العرب والولاة الأتراك، ومن ثم زاد اضطهاد الأتراك للعرب، واشتدوا في ذلك، كما فرضوا عليهم المزيد من الضرائب والإتاوات بما لا يطيقونه، وهو ما أثار سخط العرب، ولهذا قاموا بعدة ثورات في العديد من المدن المصرية، قمعها الأتراك بعنفٍ ([4]). وعلى

هذا اضُطرت الجماعات العربية بسبب اضطهاد الولاة الأتراك بمصر إلى الهجرة جنوباً لعلهم يجدون هناك حياة أفضل بعد أن ضاقت بهم السبلُ، وزادت أزماتهم الاقتصادية، خاصةً مع إسقاطهم من الديوان، وبطش الولاة الأتراك بهم. وكانت قبيلة جُهينة وبطونها في مقدمة تلك القبائل التي آثرت الهجرة إلي مناطق الجنوب، إلى جانب جماعات من قبائل ربيعة، وبلي، ومضر، وغيرها من القبائل العربية، وذلك حتى يكونوا بعيدين عن سلطة الولاة الأتراك ([5]). كما لعبت الظروف الطبيعية أيضاً دورا مؤثرا في هجرة العرب للجنوب، حيث وجدوا في بلاد البجة مستقراً طيباً لهم، لاسيما وأنها تتمتع بثروات طبيعية كبيرة، خاصةً شهرتها بمناجم الذهب التي توجد بـ"العلاقي" ([6]).

---

(1) النجوم الزاهرة: جـ2، ص222، وانظر أيضا مصطفى مسعد: البجة والعرب، ص33

(2) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ص223

(3) ويذهب ستانلي لينبول إلى أن السبب في اختيار العباسيين للأتراك في الولاية والإمارة لأن لهم قدرات في الحكم والسياسة تفوق أندادهم من العرب، كما يقول: "والواقع أن العرب لم يبتكروا في الفن شيئاً..كذلك في مصر، فإننا لا نجد أي أثرٍ للفن الإسلامي إلا حينما أخذ الخلفاء يقلدون مصر ولاة من الأتراك..فإن أحداً لا يستطيع أن ينكر أن التركي يستطيع أن يحكم، ذلك أنه في العصور الوسطي كان يبدو أن الأتراك هم الشعب الوحيد الذي يمتلك أساليب الحكم.." (ستانلي لينبول: سيرة القاهرة، ص79). وهو رأي وإن كان يحمل بعض الحقيقة، غير أنه يعج بالأسراف في إظهار قدة الأتراك علي الحكم والإدارة، وكأنهم موهوبون بالفطرة دون غيرهم. كما يحمل تحاملا فجا علي العرب، ولا أقل من القول بأن بداية استعانة العباسيين بالأتراك في الحكم كان سببا رئيسا في ضعف دولتهم، حيث ما لبث أن استقل الأتراك بولاياتهم عن الخلافة.

(4) مصطفي مسعد: البجة والعرب، ص33

(5) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطي، دار الثقافة للنشروالتوزيع، القاهرة، دون تاريخ ، ص 49-50 ، وانظرحسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية في العصر الطولوني، دار الفكر العربي، القاهرة، دون تاريخ، ص 200

(6) رجب عبد الحليم: ميناءعيذاب، ص242-243

ثالثا – مراحل الهجرة والحملات العسكرية:

تمت هجرة قبيلة جُهينة إلى بلاد البجة على الراجح عبر عدة مراحل، ارتبط أكثرها بالحملات العسكرية التي كان يرسلها الولاة المصريون، والمؤكد أن تلك الحملات لعبت دوراً كبيراً في هجرة القبائل العربية عموما لهذه البلاد، وقبيلة جهينة خاصة، واكتشاف ثرائها:

(أ) – حملة ابن الجهم علي البجة سنة 232هـ/841م:

أُرسلت هذه الحملة سنة 232هـ/841م، حيث بعث بها "المأمون" (198-218هـ/813-833م) رداً على اعتداءات "كنون بن عبدالعزيز" زعيم البجة. وكان البجاة اعتدوا على أسوان، وكانوا يؤذون المسلمين بلادهم ([1]). تقول مخطوطة "كاتب الشونة": "كثرت أذيتهم (أي البجة) على المسلمين، فرُفِع أمرهم إلى أمير المؤمنين المأمون، فأخرج لهم عبدالله بن الجهم، فكان لهم معهم وقائع، ثم وادعهم.."([2]). وقد رافقها بعض القبائل العربية، والراجح أن بعضا من جماعات جُهينة كان من بينها، وإن لم يرد ذلك في المصادر بشكل واضح.

(ب) - هجرة جُهينة إلى البجة خلال النصف الأول من القرن 3هـ/9م:

تشير المصادر إلى أنه في سنة 238هـ/852م بلغ الوجود العربي ذروته في أرض البجة، حيث صارت هذه البلاد تعج بالعرب إذ وجدوا فيها مأربهم من حيث الأمن والاستقرار، ولهذا يقول ابن حوقل: "وتكامل بالعلاقي قبائلُ ربيعة ومضر، وهم جميع أهل اليمامة في سنة ثمان وثلاثين ومائتين.." ([3])، وفيما يرى البعض كانت قبيلة جهينة وبطونها من بين تلك الجماعات العربية التي سكنت بلاد البجة في ذلك الوقت ([4]).

---

(1) وعن أسباب الهجرة العربية لبلاد البجة، يقول الدكتور مصطفي مسعد: "كان لهذا الضغط السياسي والاقتصادي أسوء الأثر في نفوس العرب، وبدأت جماعات كثيرة منهم تسعى للرحيل والهجرة، ولم يكن أمامهم سوى جنوباً وغرباً، بعيداً عن ضغط الأتراك في مصر.." (مصطفي مسعد: البجة والعرب، ص36)، وانظر أيضا مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص119، وللمزيد عن حملة ابن الجهم أيام الخليفة المأمون، انظر عبدالله الأمين الضرير: العربية في السودان، ص7-8

(2) أحمد بن الحاج أبوعلي: مخطوطة كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية، تحقيق: الشاطر بصيلي عبدالجليل، مراجعة: د.محمد مصطفي زيادة، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة الارشاد القومي، 1961م، ص126، انظر الورقة الأول لهذه المخطوطة، شكل رقم 33 ، ص286

(3) صورة الأرض: ص58

(4) مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص121

ويبدو أن الجماعات العربية كانت تتناقل فيما بينها الروايات عن كثرة المناجم والمعادن في أرض البجة، ومدى ثراء تلك البلاد بها، وهو ما شجع الكثيرين منهم على الهجرة إليها. وعن هجرة جُهينة إلى بلاد البجة وارتباطها بشهرة تلك البلاد بالمناجم، يشير البعض إلى أنه لم يكد يمضي أكثر من ست سنوات على "حملة ابن الجهم" على هذه البلاد حتى وفدت جماعات من كل من قبيلتي ربيعة وجُهينة في سنة 238هـ/837م إلى هذه البلاد بعد أن وصلتها الأنباء عن ثراءها بالمعادن ([1]).

(جـ) - حملة القُمّي على البجة سنة 241هـ/854م:

ثم وقع نزاعٌ بين أحد العرب ورجل من البجة، فقام البجاوي بالاعتداء على العربي، وتجاوز في حق النبي ε.، ولهذا هاجت ثائرة العرب الذين كانوا يسكنون تلك البلاد ضد البجاة، ثم بعثوا بهذا الذي وقع لهم إلى الخليفة العباسي "المتوكل على الله" (232-247هـ/846-861م) ([2])، فأرسل الخليفة "حملة القُمّي" في سنة 241هـ/854م، والقمّي ينتسب لنسل الصحابي أبي موسي الأشعري ([3]). وفيما يرى البعضُ أن هذه الحملة كانت بهدف تأديب قبائل البجة على أفعالهم، وبسبب اعتداءاتهم التي لا تكاد تنقطع على تخوم مصر الجنوبية، ولهذا يقول الطبري: "وفي هذه السنة (أي 241هـ/855م) غارت البجةُ على حرس من أرض مصر، فوجه المتوكل لحربهم محمد بن عبدالله القمّي.." ([4]). بينما يشير ابن الأثير إلى أنه في هذه السنة أغارت جماعات البجة على أرض مصر، وكانت قبل ذلك لا تغزو بلاد الإسلام ([5]).

---

(1) مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص121

(2) المتوكل علي الله: هو الخليفة العباسي جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد، ولد حوالي سنة 205هـ/820م، أمه: أم ولد، تولي بعد الواثق، من مآثره أنه نصر السنة، ورفع المحنة، وأبطل القول بأن القرآن مخلوق (، محمد بن يزيد بن ماجه: كتاب تاريخ الخلفاء، ص 27، ابن طباطبا: الفخري، ص191 وما بعدها، انظر السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص260-261، الزركلي: تراجم الأوائل والخلفاء، ص182)

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص58، وعن هذه الحملة تقول مخطوطة "كاتب الشونة": "فندب لحربهم محمد بن عبدالله القمّي، فسأل أن يختار من الرجال من أحب، ولم يرغب إلى الكثرة لصعوبة المسالك، فخرج إليهم من مصر في عُدة قليلة، ورجال مُنتخبة.." (انظر مخطوطة كاتب الشونة، ص126)

(4) تاريخ الطبري: جـ5، ص354-355

(5) الكامل في التاريخ: جـ6، ص120، انظر أيضاً ستانلي لين بول: تاريخ مصر فى العصور الوسطى، ترجمة: أحمد سالم، مراجعة: أيمن فؤاد سيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2015م، ص114-115

وحسب روايات أخرى، فإن سبب هذه الحملة أن البجاة لم يلتزموا بدفع ما كان مقرراً عليهم من الجزية ([1]). بينما يذكر ابن حوقل: "ووقع بين رجلٍ منهم ورجلٌ من البجة شحناء، فسب البجاوي النبي ε.." ([2]). وكان والي مصر هو الذي بعث للخليفة ليخبره بذلك ([3]).

(د) - جُهينة وحملة ابن طولون على البجة (255هـ/869م):

وفي سنة 255هـ/869م أرسل أحمد بن طولون ([4]) "حملة العُمري" ([5])، وكانت تضم العديد من قبائل العرب ([6]). وهي تعد مرحلة فارقة في تاريخ وجود جُهينة بأرض البجة ([7]). ويبدو أن جماعات كبيرةٍ من عرب جُهينة رافقت تلك الحملة، وحسب البعض، فإن عددهم بلغ حوالي 869 شخصاً ([8])، وهو عددُ ليس بالقليل لجماعات من قبيلةٍ واحدةٍ. وعن ارتباط قدوم

قبيلة جهينة لأرض البجة بهذه الحملة أكثر من غيرها، تقول مخطوطة "كاتب الشونة": "وقدم إليهم أبوعبدالرحمن بن عبدالله بن عبد الحميد العُمري بعد محاربته النوبة في سنة خمس وخمسين ومائتين، ومعه ربيعة وجُهينة وغيرهم من العرب.." ([9]).

---

(1) انظر ابن كثير: البداية والنهاية، جـ10، ص338
(2) صورة الأرض: ص58
(3) وعن ذلك يقول ابن تغري بردي في روايته: "فلم يمكن عنبسة كتمُ هذا الخبر عن الخليفة، فكتب إليه بجميع ما فعلته البجاة" (النجوم الزاهرة، جـ2، ص265–296)
(4) أحمد بن طولون: للمزيد عن ترجمته، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ10، ص486 – 487، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ1، ص95 – 96، ابن الأثير: الكامل، جـ6، ص191، الرافعي: مصر في العصور الوسطي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990م، ص85 وما بعدها، حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية في العصر الطولوني، ص43 – 44،
(5) العُمري: هو أبوعبد الرحمن عبد الله بن عبد الحميد العُمري، وكان العُمري رجلا من أتقياء الناس وأورعهم، كما كان من أهل العلم. قضي العُمري شطرا كبيرا من حياته في بلاد المغرب، وخاصة في القيروان، وحاز ثقة واسعة. وقد عرف باسم العُمري، لأنه ينتسب الي نسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واسمه كاملا: عبدالله بن عبدالحميد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب (للمزيد عن ترجمته، انظر تاريخ اليعقوبي: جـ2، ص355، مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص125، حسن أحمد محمود: حضارة مصر الاسلامية في العصر الطولوني، ص43)، انظر ملحق رقم 12
(6) محمد غيطاس: حملة اليونسكو وأضواء جديدة علي تاريخ النوبة، دار المعرفة الجامعية، 1987م، ص112، مصطفي مسعد: البجة والعرب، ص36
(7) البجة والعرب: ص36
(8) Macmichael: A History of the Arabs, Vol. I , P. 138
(9) مخطوطة كاتب الشونة: ص127

وثمة رأي يذهب إلى أهمية هذه الحملة في جلب الهجرات العربية إلى البجة أكثر من غيرها من الحملات، وفي مقدمتهم قبيلة جُهينة. وعلي هذا، تشكل "حملة العُمري" مرحلةً جديدةً من مراحل انتشار العروبة والإسلام في أرض البجة، لاسيما وأن قبيلة جُهينة لعبت دوراً مهماً في نجاح الحملة، ثم استقرار العرب في تلك البلاد. ويرى البعضُ أن رواد تلك المرحلة كانوا من العرب الساخطين على اضطهاد الولاة الأتراك بمصر، وكذلك من العرب المغامرين، ممن كانوا يبحثون عن الثراء ([1])، هذا إضافة إلى جانب رغبة الجماعات العربية في الجهاد في سبيل الله، ونشر الإسلام في هذه البلاد.

ولم تكن "حملة العُمري" إلى بلاد البجة بهدف تأديب هؤلاء البجاة، وعقابهم فحسب، بل إنها كانت تهدف أيضاً إلى البحث عن مناجم المعدن بعد أن تسارعت الأخبار إلى قبائل العرب حول ثراء تلك البلاد، وكان من أهداف هذه الحملة أيضا أنها كانت سعياً وراء البحث عن

مواطنٍ جديدةٍ تتسع للمهاجرين العرب ([2]). وفي رأي البعض، فإن أبوعبدالرحمن العُمري، وكان رجلاً معروفا بالتقوى والورع، أراد أن تكون هذه الحملة جهاداً في سبيل الله، لوقف اعتداءات الوثنيين البجاة التي لم تكن تنقطع ([3]) على المسلمين القاطنين في بلادهم ([4]). ونظرا لاشتهار أرض البجة بالمناجم، وذاع ذلك الأمر بين القبائل والجماعات العربية، ولهذا كان تركيز الوجود العربي علي الاقامة في العلاقي أكثر من غيره من مناطق بلاد البجة.

---

(1) مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطي، ص125، وعن وجود جُهينة في حملة العمري على بلاد البجة، يقول "ويليام آدامز" William .Y. Adams: "أما الجماعتان العربيتان اللتان شملتهما هذه الحركة (أي حملة العُمري) في المقام الأول، فهما ربيعة وجُهينة، وكلاهما في الأصل من قبائل الحجاز، استوطنت مصر العليا قبل هجرتها إلى الجنوب.." (النوبة رواق إفريقيا، ترجمة: محجوب التيجاني، القاهرة، 2005م، ص486).

(2) انظر مصطفي مسعد: المرجع السابق، ص125

(3) ويعتقد أن سبب العداء التاريخي القديم بين البجاة والمسلمين في بدايات الوجود العربي في أرض البجة بعد فتح مصر، يعود إلى أيام الخليفة المأمون (198-218هـ/813-833م)، وخاصة إبان زيارته التى قام بها إلى مصر. فلما جاء المأمون أرسل ملك النوبة وفدا يشكو اليه من أن الضياع التي اشتراها المسلمون كانت مملوكة لعبيده من النوبيين، وباعوها للمسلمين بغير وجه حق، لأن البائعين عبيد له، فالأرض تعتبر أرضه. ورأى المسلمون أن يفسدوا على ملك النوبة محاولته، فأوصوا البائعين أن يقروا أمام الوالي وأتباعه أنهم ليسوا عبيدا للملك، بل هم أحرار، وعلاقتهم به كعلاقة المسلمين بملوكهم. فلما جمعهم الوالي أقروا بذلك، فسقطت حجة ملك النوبة، واعُتبر البيعُ قانونيا. وهو ما أسخط ملك البجة، ولهذا كثرت غاراتهم على مدن الصعيد (انظر شوقي الجمل: تاريخ سودان وادي النيل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2008م، ص217).

(4) حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية في العصر الطولوني، ص43-44

رابعاً- استقرار قبيلة جُهينة في وادي العلاقي:

يذهب البعض إلى أن اسم "وادي العلاقي" نسبة لإحدى القبائل العربية التي سكنت تلك المنطقة، وكانت تُدعى "العُليقات"، وقيل: "العقيلات" ([1]). فيما يرى آخرون أن هذا الاسم مشتق من "العليقات"، وهم جماعات عربيةٌ من نسل الصحابي عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه، أي أنها ليست قبيلة كبيرة حسب هذا الرأي، بل هى إحدى البطون الصغيرة التي تنتسب للطالبيين كانت قد سكنت أرض العلاقي، ثم حملت المنطقة اسمهم بعد ذلك ([2]). ويُنطق "العلاقي" بفتح العين المهملة، واللام المشّددة، ثم ألف، وقاف مكسورة، ثم ياء مثناة من تحت ([3]). ويقع وادي العلاقي غير بعيد عن ميناء عيذاب على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) ([4]).

---

(1) انظر عباس مصطفي عمار: المدخل الشرقي لمصر (أهمية شبه جزيرة سيناء لطريق المواصلات وعبر للموجات البشرية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2014م، ص186، ويقال إن اسم هذه القبيلة الأصلي: "عقيلات"، وليس

"عليقات"، وهم ينسبون أنفسهم إلى نسل "عقيل بن أبي طالب" رضي الله عنه، وهو أخو الإمام "على بن أبي طالب" رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين، وابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وختنه، وربما كان ذلك على سبيل التشريف والتعظيم. وتسكن جماعات من قبيلة "العليقات" في شبه جزيرة سيناء (وللمزيد، انظر عباس مصطفي عمار: المدخل الشرقي لمصر، ص186–187).

(2) ممدوح الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر، ص284

(3) القلقشندي: صبح الأعشي، جـ5، ص274، وقد ورد في كتاب "وصف مصر"Description d'Egypte العلاقي باسم: "العلاقات" وهذا الكتاب وضعه علماء الحملة الفرنسية الي رافقت نابليون بونابرت إلى مصر سنة 1798م (للمزيد انظر وصف مصر: تأليف علماء الحملة الفرنسية، المجلد الحادي عشر، ترجمة: مني زهير الشايب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002م، ص206)

(4) عيذاب: كان أول ذكر لعيذاب في المصادر في كتاب "فتوح البلدان" للبلاذري (ت: 279هـ/892م) (محمد غيطاس: النوبة، ص14). وعن عيذاب يقول ابن بطوطة: "وهي مدينة كبيرة، وكثيرة الحوت (أي السمك)، واللبن، ويحمل إليها الزرع والتمر من صعيد مصر، وأهلها البجاة، وهم سود الألوان، يلتحفون بملاحف صُفر، ويشدون على رؤوسهم عصائب يكون عرض العصابة أصبعا.." (انظر تحفة النظار: ص49). وقد حدد بعض الجغرفيين الغربيين موقع عيذاب إلى الجنوب من "ميناء بيرنيكي" Berenice، وهو ثغر يرجع إلي العصر البطلمي، أي أن موقع ميناء عيذاب القديم، حسب هذا الرأي، ليس ميناء رأس بنياس حالياً (انظر كرم الصاوي باز: طرابلس – أسوان – عيذاب دنقلة طريق نحو التقارب والانفتاح الاقتصادي، المؤتمر الدولي لمركز البحوث السودانية بعنوان "المثلث الذهبي– امكانات التكامل والتنمية"، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، المجلد الأول، جامعة القاهرة، 2013م، ص285–286، وانظر أيضاً سوزي أباظة: النوبيون بين مصر والسودان في العصر الفاطمي، ندوة الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، هيئة الكتاب، 1999م، ص152).

وتشير المصادر أن أرض العلاقي تقع على بعد "خمسة عشرة" مرحلةً من النيل، وأقرب العمارة إليه أسوان ([1]). وبين منطقة العلاقي وميناء عيذاب على بحر القلزم "ثمانية" مراحل ([2]). والراجح أن شهرة العلاقي بالمعادن بلغت الكثير من الجماعات العربية. وهو ما كان سببا رئيسا في قدوم أعداد كبيرة من القبائل العربية وبطونها، بهدف الإقامة بالقرب من "مناجم الذهب" Gold Mines، وخاصة في المنطقة التي كانت تعرف باسم "أرض المعدن" ([3]) للعمل في هذه المناجم. والمؤكد أن جماعات قبيلة جُهينة كانت في مقدمة القبائل والجماعات العربية التي آثرت الذهاب إلى أرض العلاقي أكثر من غيرها من مناطق بلاد البجة حسب ما ورد في المصادر التاريخية ([4]).

(أ) – وادي العلاقي (أرض المعدن):

أفاضت المصادر في الحديث عن ثراء البجة بالمعادن النفيسة، وخاصة منطقة العلاقي. ويحدد البعضُ "أرض المعدن" جغرافيا بأنها المنطقة التي تقع بين قوص، وبربر، والبحر الأحمر ([5]). حيث يقول الطبري: "وفي بلاد البجة معادنُ الذهب.." ([6]). بينما يذكر ابن الأثير: "وفي بلادهم، معادن يقاسمون المسلمين عليها.." ([7]). ويقول العُمري: "وفي أرضهم معادن الذهب.."

([8])، وهو ما تؤكده العديد من الروايات الأخرى. والمعروف أنه كان يوجد بجانب الذهب معدن الزمرد، وغيره من المعادن، ولهذا يذكر ابن حوقل: "وينتهي في حدهم..معدن الزمرد والذهب.." ([9]). وعن اشتهار بلاد البجة بالذهب والمعادن الأخرى، تقول مخطوطة "كاتب الشونة": "وفي أرضهم معادن الذهب، هو التبر ومعادن الزمرد...وسكن جمَّاعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب.." ([10]).

---

(1) المقريزي: الخطط، جـ1، ص319

(2) القلقشندي: صبح الأعشي، جـ5، ص274

(3) عبدالله الأمين الضرير: العربية في السودان، ص7، وحتى يومنا لا تزال تشتهر تلك المنطقة بوجود مناجم الذهب، ولعل أشهرها "منجم السكري" الذي يعد من أكبر مناجم الذهب في العالم.

(4) انظر مخطوطة كاتب الشونة: ص127، اليعقوبي: كتاب البلدان، ص333-335

(5) يوسف فضل حسن: دراسات في تاريخ السودان، ص55

(6) تاريخ الطبري: جـ5، ص355

(7) الكامل: جـ6، ص 120

(8) مسالك الأبصار: جـ4، ص245

(9) صورة الأرض: ص55-56

(10) مخطوطة كاتب الشونة: ص127

بينما يشير اليعقوبي: "وفي بلادهم المعادن من التبر، والجوهر، والزمرد.." ([1]). ويذكر المسعودي أيضا: "وفي أرضهم معادن الذهب، والتبر، ومعادن الزمرد.." ([2]). وتوجد روايات أخرى عديدة وردت في المصادر عن شهرة أرض البجة بالمناجم ([3]). والمعروف أن معدن الذهب يرتبط في بلاد البجة بـ"أرض العلاقي" أكثر من غيرها، وهي منطقةٌ كانت قد ذاعت شهرتها بالمعدن النفيس ومناجمه منذ العصور القديمة ([4]).

---

(1) تاريخ اليعقوبي: جـ1، ص165

(2) مروج الذهب: جـ2، ص16

(3) وللمزيد عن الذهب في بلاد البجة، انظر البلاذري: فتوح البلدان، ص281-282، المقريزي: الخطط، جـ1، ص313، القلقشندي: صبح الأعشي، جـ5، ص274. وللمزيد أيضاً عن معدن الذهب وطبيعته كمعدن وخواصه، انظر الموسوعة الثقافية: مؤسسة دار الشعب، القاهرة، 1972م، ص471، محمد فتحي عوض الله: رحلات جيولوجية في صحراء مصر الشرقية، هيئة الكتاب، 2008م، ص407

D. G. A. Whitten & J. R. V. Brooks: Dictionary of Geology , Penguin Books , London , 1975 , P. 210
E. B. Uvarov & D. R. Champan: A Dictionary of Science , Penguin Reference Books , London , Great Beitain , 1962 , P. 103
The New American Desk Encyclopedia: New York , 1984 , P. 480

The Cambridge Paperback Encyclopedia , Edited by: David Crystal , Cambridge University Press , 2000 , P.
The Great Encyclopedia of Universal Knowledge , London , No Date , P 505
The Teach Yourself Concise Encyclopedia of General Knowledge , London , 1958, P. 21

(4) وللمزيد عن اهتمام فراعنة مصر إبان العصور القديمة بمناجم الذهب في وادي العلاقي، انظر جـ. هـ. برستد: تاريخ مصر من أقدم العصور إلي الفتح الفارسي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م، ص281–282، أحمد فخري: مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1995م، ص361، عبدالحليم نورالدين: مواقع ومتاحف الآثار المصرية، القاهرة، 2005م، ص 114، وانظر أيضاً: Toby Wilkinson: Dictionary of Ancient Egypt , Thames & Hudson World of Art , Printed in China , 2008 , P. 93 – 94 ولعل من أهم المتون التي وردت في المصادر القديمة، التي تتحدث أهمية منطقة "وادي العلاقي" وشهرتها بالذهب منذ أيام الفراعنة، واهتمامهم بجلب الذهب من هناك، وإصلاح الطريق المؤدي إليها، وشق آبار الماء لعمال المناجم، ويؤرخ ذلك المتن إلى عصر الملك "رمسيس الثاني" (1290–1223ق.م)، وهو من ملوك الأسرة "التاسعة عشرة"، يقول عالم المصريات جيمس هنري برستد (J. H. Breasted): "ودلتنا آثار منف أن جلالته (أي رمسيس الثاني) اجتمع في السنة الثالثة من حكمه مع وزرائه وشاورهم في تعمير مناجم وادي العلاقي (علاكي) الذهبية بالنوبة واصلاح الطريق الموصل لذلك الوادي..ولهذا السبب وقف احضار الذهب من تلك الجهات..وأمر رمسيس والي كوش أن ينصب بجهة كوبان مبدأ طريق وادي العلاقي حجرا أثريا منقوشا عليه تاريخ هذا المشروع.." (انظر برستد: تاريخ مصر، ص281–282). وقد عمل المصريون القدماء خريطة نادرة لمواقع الذهب في أرض العلاقي من أيام الملك "سيتي الأول" (وللمزيد، انظر أحمد فخري: مصر الفرعونية، ص361).

وحسب بعض المصادر، فإن المسافة بين المناجم وادي العلاقي ومدينة أسوان بأنها كانت تُقطع في حوالي "خمسة عشر" يوماً ([1]). والمسافة بين منطقة العلاقي وثغر عيذاب تُقدر بحوالي 240 كم ([2]). أما عن اهتمام الجماعات العربية وغيرها بالمناجم في العلاقي، والإقامة بالقرب منه، يقول اليعقوبي: "ووادي العلاقي وما حواليه معادن للتبر، وكل ما قرب منه يعتمل فيه الناس.." ([3]). ونظرا لقرب العلاقي من مدينة أسوان، فإن الزُهري الجغرافي المشهور ([4]) لما تحدث عن مدينة أسوان، قال في روايته: "وقد يوجد في الجبال التي على أسوان أحجار الزمرد الغالي، وهو أغلى الزمرد، وأطيبه.." ([5]). وتوصف المناطق حيث تقع بها مناجم المعدن بأنها "أرضٌ مبسوطةٌ، لا جبل فيها، وإنما هي رمالٌ ورضراض" ([6]). وعلى هذا كان وادي العلاقي مركزاً رئيسا لتجارة الذهب في كافة بلاد البجة، ولهذا صار مقصدا مهما لأكثر الهجرات العربية، وكان في مقدمتها قبيلة جُهينة. ولهذا تشير المصادر التاريخية إلى أن "مجمع تجارات أهل المعدن بالعلاقي" ([7]).

---

(1) الاصطخري: مسالك الممالك: ص45، ويقول الاصطخري أيضاً: "أما معدن الذهب فمن أسوان إليه خمسة عشر يوما، والمعدن ليس في أرض مصر، ولكنه في أرض البجة، وينتهي إلي عيذاب. ويقال إن عيذاب

ليست من أرض البجة، وإنما هي من مدن الحبشة.." (مسالك الممالك: ص45). وعن موقع العلاقي، يقول القلقشندي: "وهي بالقرب من بحر القلزم..وبجبلها معدن ذهب، يُتحَصل منه بقدر ما يُنفَق في استخراجه.." (صبح الأعشي: جـ5، ص274)

(2) الرازي: كتاب زهر الربيع، تحقيق: مصطفي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2011م، ص84، والمعروف أن المرحلة تقدر بحوالي 30كم، أما الفرسخ فهو حوالي 5762م، أي حوالي 5كم وربع الكيلو (انظر: أبوبكر الرازي: كتاب زهر الربيع، ص84 حاشية رقم 8، وكذلك ص85 حاشية رقم 4)

(3) كتاب البلدان، ص335

(4) الزُهري: هو أبوعبدالله محمد بن أبي بكر الزُهري، وهو جغرافي مغربي شهير، توفي في حوالي منتصف القرن 6هـ/ 12م (للمزيد، انظر ترجمته في مقدمة كتاب الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ، ص3-6)

(5) الزُهري: كتاب الجغرافية، ص44، كما يقول أبو عبدالله الزُهري أيضاً عن قيمة الزمرد الذي يستخرج من مناجم تلك المنطقة: "وقد أجمعت الفلاسفة علي أن من لبس منها (أي من الزمرد) حجرا أمن من اللَسَع والصرَّع، واختبال العقل، والله أعلم بذلك كله.." (كتاب الجغرافية: ص44)

(6) الإصطخري: مسالك الممالك، ص45

(7) صورة الأرض: ص 159، وأشار الرحالة ابن بطوطة إلى أنه لما زار بلاد البجة، وسار في صحرائها، كانت بريةٌ كثيرة الغزلان والنعام، ثم قابل هناك جماعات من قبيلة جُهينة (تحفة النظار، ص255)

ويمكن القول بأنه حتى منتصف القرن الثامن الهجري (القرن 14م)، ظلت بعض الجماعات من عرب جُهينة في بلاد البجة، والراجح أنهم ظلوا يشتغلون في استخراج المعدن من المناجم حتى ذلك الوقت بعد هجرة عدد من القبائل للبجة، لكن بضوابط تتفق مع سادة تلك البلاد آنذاك. ولهذا لم يكن من المستغرب أن يشير ابن بطوطة إلى أن هذه الجماعات من قبيلة جُهينة كانت تدين بالطاعة لملوك البجة ([1]). كما تؤكد "شواهد القبور" أن الوجود الإسلامي في بلاد البجة يرجع إلى حقبة بعيدة، إذ تشير بعض هذه الشواهد إلى أن المسلمين سكنوا هناك منذ سنة 143هـ/760م ([2]). وعن الوجود العربي في مناجم العلاقي، تقول "مخطوطة كاتب الشونة": "ثم كثر المسلمون في المعدن، فخالطوهم، وتزوجوا منهم، وأسلم كثير من الجنس المعروف بالحدارب إسلاماً ضعيفاً.." ([3]).

وكان العرب يعملون في المناجم، ومع زيادة هجراتهم لهذه المنطقة، وهو ما كان سبباً في وقوع النزاعات بين العرب والبجاة حول استخراج الذهب، أخذ بعضها الطابع الدموي، وسقط ضحايا على أثرها ([4]). ولعل من تلك الأحداث ما وقع أيام "المتوكل على الله"، حيث نشب نزاعٌ بين العرب وبعض الجماعات من شعب البجة، وهو ذلك النزاع الذي قال عنه ابن جرير الطبري في روايته: "فقتلوا عدة من المسلمين ممن كان يعمل في المعادن، ويستخرج الذهب والجوهر، وسبوا عدة من ذراريهم ونسائهم، وذكروا أن المعادن لهم في بلادهم، وأنهم لا يأذنون للمسلمين في دخولها، وأن ذلك أوحش جميع من كان يعمل في المعادن من المسلمين.." ([5]).

(1) تُحفة النظار، جـ1، ص255
(2) رجب عبد الحليم: ميناء عيذاب ووادي العلاقي، ص246
(3) مخطوطة كاتب الشونة: ص126
(4) تاريخ الطبري: جـ5، ص 354
(5) المصدر السابق، ص354، وهذه الروايةُ المهمة تشير إلى زيادة الهجرات العربية إلى أرض البجة رغبة منهم في الاستقرار في تلك البلاد. ولعل كثرة الوجود العربي قرب المناطق التي توجد بها "مناجم الذهب" كان مما أثار سخط البجاة، ومن ثم وقعت الصراعات والنزاعات بين الطرفين، وهو ما أدى لتدخل الدولة العباسية التي أرسلت الحملات العسكرية خلال القرن 3هـ/9م لتأديب البجاة منذ أيام الخليفة المأمون الذي أرسل "حملة ابن الجهم" (216هـ/831م). ثم أرسل الخليفة المتوكل على الله "حملة القمي" (241هـ/855م). كما بعث ابن طولون أيضاً "حملة العُمري" (255هـ/869م). وهو ما ساعد على استقرار الوجود العربي هناك خلال هذه الحقبة، وأوقف اعتداءات البجاة على العرب بفضل حماية الدولة العباسية لهم، وقد فصلنا ذلك آنفا (وللمزيد عن هذه الحملات العسكرية، انظر ابن حوقل: صورة الأرض، ص 58، تاريخ الطبري: جـ5، ص355، وانظر رجب عبد الحليم: ميناء عيذاب ووادي العلاقي، ص246).

(ب)- جُهينة وتجارة الذهب في العلاقي:

ومما لا شك فيه أن القبائل العربية لعبت دوراً مهماً في أرض البجة، وفي زيادة عمران هذه البلاد، إذ تذكر تصف المصادر العلاقي بأنه كان أشبه بـ"المدينة العظيمة"، وأنه كان يعج بالسكان، وكانت به أخلاط لا تحصى من العرب والعُجم ([1]). وهو ما يشير لكثرة ساكني تلك المنطقة، كما كانت تنتشر بالعلاقي "الأسواق التجارية"، وكانت به العيون والينابيع التي كانت مصدر الماء العذب لأهل تلك البلاد ([2]). وهو ما يتفق مع شهرة العلاقي بالذهب، وأنه صار مركزاً رئيساً لتجارته منذ القرن 3هـ/9م.

ولعل الإشارات التي توردها المصادر عن العلاقي، وكثرة ساكنيه وأسواقه، تؤكد على حالة الازدهار العمراني والتجاري في بلاد البجة عموما في ذلك الوقت بفضل القبائل العربية ودورها في ازدهار تجارة الذهب، وكان في مقدمتهم جُهينة. ويذكر الإدريسي عن كثرة تجار الذهب بالعلاقي: "وبه معادن الذهب والفضة، وإليه تجتمع طوائف من الطُلاّب لهذه المعادن.." ([3]). وهو ما يشير لكثرة أعداد التجار الراغبين في استخراج هذا المعدن والاتجار به، خاصة من العرب بعد أن دانت لهم السيطرة على تلك البلاد في ذلك الوقت. كما أن بلاد البجة كانت تشتهر أيضاً بجانب الذهب بوجود مناجم الفضة، وكذلك الزمرد، وغيرهما من المعادن.

ولا ريب أن وجود هذه الثروات الطبيعية في هذه البلاد كان يشكل بيئة إقتصادية مثالية تجذب أصحاب التجارات من كل حدب وصوب، وفي مقدمتهم العرب، وهم قوم ارتبطوا بالتجارة، وكذلك الأسفار بطبعهم. وعن مناجم الزمرد وأهميتها في أرض البجة، يقول الإدريسي: "ولا يوجد

الزمرد في شيء من الأرض بأجمعها إلا ما كان منه.." ([4]). ولا شك أن وجود الذهب تحديدا أدى إلى ازدهار الموانيء التجارية التي تقع على بحر القلزم، ومنها: سواكن وباضع وعيذاب، وكانت تتبع بلاد البجة. ويوصف ميناء "باضع" خاصة بأنه "ميناء الذهب" ([5]). وكان البجاة يصدرون ما كانوا يستخرجونه من الذهب عبر هذا الميناء، خاصة عبر القوافل القادمة من مملكة "جارين"، وهي المملكة الرابعة من ممالك البجة، وكانت هذه المملكة تشتهر بانتاجها الوفير من معدن الذهب ([6]).

---

(1) للمزيدعن وصف العلاقي وازدهارها، انظراليعقوبي: كتاب البلدان: ص334، وانظر ملحق11، ص252
(2) المصدر السابق، ص334
(3) المغرب وأرض السودان ومصر، ص33
(4) المصدر السابق، ص 33، وعن مناجم الزمرد انظر المقريزي: الخطط، جـ1، ص319
(5) عطية القوصي: تاريخ ميناء باضع، ص16
(6) المرجع السابق، ص17

وكان التجار العرب يفضلون العمل بالمناجم غُرة الشهر العربي، فكانوا يذهبون للمواضع التي يعتقدون أن بها المعدن، ثم يبحثون في الرمال ليلاً، وكانوا ينظرون في الصخور التي يستخرجونها من الأرض، فإذا كان بها المعدن أضاء في ظلمة الليل ([1]). ثم كان العمال يتركون في الموضع الذي وجدوا به المعدن علامةً يُعرف بها، ثم يبيتون بجواره. وفي الصباح يبحث كل تاجر ومن يرافقه من العمال عن العلامة التي تركوها. ثم يأخذ التُجار هذه القطع إلى أقرب ماء من المناجم لغسلها في "جفنة عود"، ثم تُستخرج قطع المعدن من بين المواد الأخرى التي تحيط بها "ثم يؤنقه بالزيبق، ويسبكه بعد ذلك" ([2]).

وكان التجار العرب لديهم أعدادٌ وفيرةٌ من العبيد والرقيق الذين تم جلبهم فيما يبدو من بلاد السودان ليعملوا في "مناجم الذهب" ([3]). ربما لخبرة أهل السودان الغربي تحديداً في العمل في استخراج الذهب، بسبب شهرة بلادهم به، خاصة "أهل غانة" التي كانت بلادهم تُعرف بـ"أرض الذهب". وكان العبيد يقومون بالحفر في الصخر الذي توجد عنده المناجم، ثم يستخرجون المعدن في حالة تشبه "الزرنيخ الأصفر"، ثم يقومون بسبكه، وكان يُنقل بعد ذلك إلى المراكز التجارية القريبة منه لبيعه، خاصة تلك التي تقع قرب وادي العلاقي بهدف توفير النفقات ([4]). وهي رؤية اقتصادية صائبة في ذلك الوقت، وهو ما ساعد على وجود العديد من الأسواق التجارية للذهب في هذه البلاد، وغيره من المعادن.

وبعد أن يتم استخلاص المعدن من الصخور، وسبكه، تشير المصادر: "فما اجتمع لهم منه تبايعوه فيما بينهم، واشتراه بعضهم من بعض، ثم يحمله التجار إلى سائر الأقطار، فهذا

شغلهم دأباً، لا يفترون عنه، ومن ذلك معايشهم" ([5]). وهو ما يشير إلى أن هذه التجارة كانت من أهم الأعمال التي يقبل عليها التجار العرب في بلاد البجة أكثر من غيرها من أنماط التجارة الأخرى ([6]).

—

(1) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر، ص36

(2) المصدر السابق، ص36

(3) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص 334

(4) وعن كيفية استخراج الذهب من هذه المناجم، يقول المؤرخ اليعقوبي: "لكل قوم من التجار وغير التجار عبيد سودان يعملون في الحفر، ثم يخرجون التبر كالزرنيخ الأصفر، ثم يُسبك. ومن العلاقي إلى موضع يقال له وادي الحمل مرحلة. ثم إلي موضع يقال له كمار يجتمع الناس به لطلب التبر.." (كتاب البلدان: ص334-335)

(5) الإدريسي: المصدر السابق، ص36-37

(6) وللمزيد، انظر اليعقوبي: كتاب البلدان، ص333-335، الادريسي: المصدر السابق، ص36، المقريزي: المقفي الكبير،جـ4، ص164

(د) – دور جُهينة في عُمران وازدهار التجارة في العلاقي:

وعلى أية حال فإن الحملاتُ العسكرية التي أرسلت إلى البجاة لتأديبهم، وإيقاف اعتداءتهم على المسلمين، مكنت في ذات الوقت قبيلة جُهينة، وغيرها من القبائل والبطون العربية من الإقامة والاستقرار بأمان في هذه البلاد، ثم العمل في أرض المعدن. ولهذا لم يكن مستغرباً أن يطيب للعديد من تلك القبائل المقام هناك بعد أن بدأوا يشعرون بالأمان، وأن البجاة صاروا يحسنون معاملتهم لحد كبير، وصاروا لا يمانعون في وجودهم في بلادهم، سواء عن طيب خاطر منهم، أو بسبب هيبة الدولة العباسية. والمؤكد أن الجُهنيين اختلطوا بالبجاة، وعاش الجميع في حالة من الهدوء والسلام، ولهذا اقول المصادر: "ثم كثر المسلمون في المعدن، فخالطوهم، وتزوجوا فيهم" ([1]).

وتؤكد المصادر أن الأمور كانت قد هدأت بين العرب والبجاة، خاصة بعد "حملة القُميّ": "فلما كثر المسلمون في المعادن، واختلطوا بالبجة، قلّ شرُهم، وظهر التبر لكثرة طلابه، وتسامع الناس به، فوفدوا من البلدان" ([2]). وهو ما يشير إلى أنه كلما هدأت الأمور، ازدهرت تجارة الذهب في تلك البلاد، وبلغ قبائل العرب الأخري التي لم تأت إلي بلاد البجة أخبار الآخرين، مما حفزهم علي مزيد من الهجرة لتلك البلاد. ويمكن القول بأنه برزت طوائف من التجار العرب، خاصةً من كل من قبيلتي جُهينة وربيعة ([3]).

ومما لاشك فيه أن التجار الجُهنيين صار لهم دور كبير في ازدهار التجارة، خاصة الذهب ([4]). والمعروف أن العرب لعبوا دوراً تجارياً، واقتصادياً كبيراً في بلاد البجة قبل الإسلام بقرون

بعيدة، وقد أكد المؤرخون المسلمون هذه العلائق التجارية القديمة بين البجاة وبعض الجماعات العربية التي هاجرت إلى أرضهم قبل الإسلام وبعده، وعلى هذا فالمؤكد أن نشاط العرب واشتغالهم بالوساطة التجارية، واحتكاكهم بالجانب الأفريقي المواجه لأوطانهم كان سابقا على ظهور كل من المسيحية والإسلام ([5]).

---

(1) المقريزي: الخطط، جـ1، ص315، وانظر أيضا رواية مخطوطة كاتب الشونة: ص127،

(2) المقريزي: المصدر السابق، ص317

(3) محمد عبدالله النقيرة: انتشار الإسلام في شرق أفريقية ومناهضة الغرب له، دار المريخ، الرياض، دون تاريخ، ص94، كرم الصاوي باز: مصر والنوبة في عصر الولاة، ص302

(4) وعن دور تجار جهينة في تجارة الذهب بالعلاقي يقول الدكتور محمد عبدالله النقيرة: "وبدأ فريقٌ من تجار العرب من ربيعة وجُهينة يختلفون إلي بلاد البجة، ليقيموا بها إقامةً متصلة، بل وجدت بعضُ البطون العربية في أرض البجة سلاماً من اضطهاد ورزقاً مُيّسراً" (النقيرة: المرجع السابق، ص94)

(5) عطية القوصي: تاريخ ميناء باضع، ص4

وقد برز دور جماعات من قبيلة جُهينة أكثر من غيرهم من القبائل العربية في بلاد البجة منذ أن استقروا في هذه البلاد، فكما شارك الجهنيون في الفتح العربي لهذه البلاد، فإنهم أسهموا أيضاً في عُمرانها، وازدهار حركة التجارة بها. ويمكن القول إنه لم يكن ينازع قبيلة جُهينة هذه المكانة في أرض البجة سوى قبيلة ربيعة، خاصةً وأنه يرجع الفضل إلى هاتين القبيلتين العربيتين في نشر الكثير من مظاهر الثقافة العربية في تلك البلاد أكثر من غيرهم من القبائل التي سكنت هناك ([1]).

وتؤكد المصادر أن عرب جُهينة تحديدا زادوا من حركة العمران في بلاد البجة وكذلك ازدهارها، كما أنهم ساهموا أيضا في زيادة حركة القوافل التجارية التي كانت تمر عبر المؤانيء التي تقع على بحر القلزم بين مصر وشعب البجة، كما ازدهرت حركة نقل البضائع التجارية بين أسوان وباقي بلاد البجة. وأدى ذلك بالطبع إلى زيادة الحركة التجارية عبر موانيء وثغور بحر القلزم، مثل: عيذاب وباضع وجزر دهلك. كما تشير المصادر أيضاً إلي أن القوافل التجارية كانت لا تنقطع عبر هذا البحر منذ أن استقروا هناك ([2]).

وكان التجارُ الجُهنيون قد توسعوا في نشاطهم في بلاد البجة ([3])، حيث أدرك أرباب التجارة منهم أهمية هذه البلاد تجارياً واقتصادياً، ولهذا آثر الكثيرون منهم البقاء بها، ويرجح أنهم لعبوا دوراً مهماً في الوساطة التجارية بين التجار المصريين وتجار ممالك شرقي أفريقيا عبر موانيء البجة ([4]). ويمكن القولُ بأن عرب جُهينة ساهموا بشكلٍ كبير في إحداث تطور حضاري واضح لدى البجاة، حيث تحول المجتمع البجاوي في تلك الحقبة لمجتمع مزدهر تجاريا

واقتصاديا. وهو ما تؤكده المصادر التاريخية، ولعل من ذلك ما تذكره مخطوطة "كاتب الشونة": "ومعه (أي العُمري) ربيعة وجُهينة وغيرهم من العرب، فكثرت بهم العمارة في البجة، حتى صارت الرواحل التي تحمل الميرة إليهم من أسوان ستين ألفا.." ([5]). وهو ما يؤكد أيضا الدور الذي قامت به أسوان كحلقة تجارية مهمة في طريق القوافل التي كانت تقوم بالتجارة بين كل من مصر وبلاد البجة.

—

(1) محمد عوض محمد: السودان ووادي النيل، ص49، كرم الصاوي باز: قبيلة جُهينة، ص14

(2) المقريزي: الخطط، جـ1، ص317–318، وعن جزر دهلك وأهميتها، انظر حسين مراد: تاريخ دهلك وحضارتها في القرون الستة الأولى من خلال شواهد القبور، مرجع سابق، ص2–3

(3) محمد كريم إبراهيم: أثرالعرب في بلاد البجة وجزر دهلك علي انتشار الإسلام والثقافة العربية في شرق أفريقيا، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، عددI، 1997م، ص63

(4) المرجع السابق، ص63

(5) مخطوطة كاتب الشونة: ص127، وانظر يوسف فضل: دراسات في تاريخ السودان، ص61–62

وتُعد "رواية المقريزي" من أهم المصادر التي أشارت لدور الجُهنيين في حدوث هذه الحالة من الرواج الاقتصادي والتجاري في هذه البلاد، مقارنةً بحالهم قبل قدوم العرب، والمؤكد أن مؤلف مخطوطة "كاتب الشونة" نقل عنه هذه الرواية، إذ يذكر المقريزي: "وقدم عليهم العُمري (أي إلى البجاة) بعد محاربته النوبة..ومعه ربيعة وجُهينة، وغيرهم من العرب، فكثرتْ بهم العمارةُ في البجة، حتي صارت الرواحل التي تحمل الميرة إليهم من أسوان ستين ألف راحلةٍ غير الجلاب التي تحمل من القلزم إلى عيذاب.." ([1]). ويمكن القول بأنه من النادر أن تتحدث المصادر العربية عن حركة الإزدهار التي قام بها العرب في بلاد البجة، كما أبرزتها "رواية المقريزي" الآنفة (2).

ومن المعروف أن البجاة نالوا شهرة كبيرة في العمل كأدلة للقوافل التجارية خلال عبورها الطرق والمسالك الصحراوية التي تحيط ببلادهم ([3])، نظراً لمعرفتهم أكثر من غيرهم بتلك المسالك الوعرة والنائية، وخبرتهم بكيفية المرور الآمن من خلالها. وهو نوعٌ من العمل ربما يتوافق مع طبيعة بلاد البجة وحياة قاطنيها، فهي بلاد تقع بالقرب من البوادي الشاسعة، ذات التخوم الممتدة، ومن ثم كانت كثيراً ما تعبرها القوافل التجارية، سواء تلك القادمة عبر بحر القلزم من ثغور عيذاب، وسواكن، ومصوع، وباضع، وغيرها، أو تلك التي كانت تأتي من المراكز التجارية الأخرى التي تقع في بلاد السودان، أو تلك القوافل القادمة من المدن المصرية بالصعيد، ولعل أهم تلك المدن: أسوان، وقوص، وأسيوط ([4])، وغيرها من المدن التي نالت أهمية تجارية إبان حقبة العصر الإسلامي.

---

(1)المقريزي: الخطط، جـ1، ص317-318، وانظر أيضاً "رواية المقريزي" عن ذات الأمر، إذ يذكر أيضا عن قبيلة جُهينة وغيرها من قبائل العرب: "فكثرت العمارة حتى صارت الرواحل التي تحمل الميرة إليهم ستين ألف راحلة غير الجلاب.." (مصطفي مسعد: المكتبة السودانية العربية، ص366)

(2) وعن دور عرب جهينة فى عمران بلاد البجة يقول الدكتور عبدالعزيز أمين: "فغزاهم العُمري، وأخضعهم، وترك وراءه من بني جُهينة وربيعة، من اقاموا وأكثروا العمارة.."عبدالعزيز أمين عبدالمجيد: التربية في السودان، وزارة المعارف، المطبعة الأميرية، 1949م، ص24

(3) Jan Zahorik: The Islamization of the Beja until the 19 th Century , P. 1

(4) وكانت أسيوط ترتبط بطريق "درب الأربعين" الذي كان يربط بين كل من مصر بسودان وادي النيل، وكان ينتهي عند "إقليم دارفور"، ولذا كانت القوافل التجارية تعبره قاصدة الجنوب بهدف التجارة وغير ذلك من جوانب العلاقات بين مصر وأقاليم الجنوب. وتعد "رحلة التونسي" إلى إقليم دارفور من أهم المصادر التي ألقت الضوء على هذا الطريق، والمراكز التجارية التي ارتبطت به (للمزيد عن طريق درب الأربعين وأهميته، انظر محمد بن عمر التونسي: تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق: د.خليل محمود عساكر، مصطفي محمد مسعد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة التراث، 2007م)

خامساً – مُجتمع جُهينة في بلاد البجة:

يمكن القول بأنه مع استقرار قبيلة جهينة وبطونها في بلاد البجة، بدأت تظهر معالم لما يمكن أن نطلق عليه اسم "مجتمع جُهينة" في بعض مناطق هذه البلاد، وكان بلا شك مجتمعا له سماته وخصائصه، حيث بدأت تظهر بعض المراكز العمرانية التي ترتبط بوجود جماعات جُهينة أكثر من غيرهم من الجماعات العربية الأخرى. وربما شاركت بعض القبائل الأخرى التي تنتسب لقضاعة ذلك المجتمع. كما تتحدث بعض المصادر عن وجود بعض الزعماء من جُهينة كان لهم ما يشبه أمور الحكم في تلك المناطق التي كان يقيم بها الجُهنيون ([1]). ورغم أن تلك المصادر لا تذكر الكثير عن هذا المجتمع الجهني، وما يمكن أن يشفي غلة الباحثين، إلا أننا سنحاول الحديث بإيجاز عن ذلك بقدر ما هو متاح لنا من الأخبار النادرة التي قد نجدها متناثرة في ثنايا الروايات. ولعل من بعض مظاهر هذا المجتمع:

(أ) – مراكز الجُهنيين في بلاد البجة:

كان اشتهار وادي العلاقي بالمعدن من أهم الأسباب التي جذبت عرب جُهينة إلى القدوم إلى تلك البلاد، والمعروف أن العرب كانوا يشتهرون منذ القدم بأنهم قوم تجارة وأسفار ([2]). وهو ما جعل بعض المناطق التي كانت تشتهر بمناجم المعدن، تستقر بها العديد من التجمعات الجُهنية بالبجة، إذ كثرت أعدادهم في بعض تلك المناطق أكثر من غيرهم، ولعل منها:

1 – منطقة ميزاب:

تذكر بعض المصادر التاريخية أن قبيلة جُهينة وبطونها سكنت في منطقة كانت تشتهر بالذهب في أرض البجة، وكانت تعرف باسم "ميزاب"، وكانت تسكن بعض الجماعات القضاعية الأخرى بجانب جُهينة في تلك المنطقة، خاصة من "عرب بلي" ([3]). وعن تلك المنطقة يقول اليعقوبي: "وإلى معدن يقال له ميزاب، تنزله بلي وجُهينة أربع مراحل.." ([4]).

—

(1) للمزيد انظر اليعقوبي: كتاب البلدان، ص335، مخطوطة المقريزي: المقفى كتاب في تراجم وتاريخ أهل مصر، جـ4، دار الكتب المصرية، رقم 5372، نقلا عن مصطفى مسعد: المكتبة السودانية، ص355

(2) يقول "آدامز" Adams عن دور الذهب في جذب العرب: "كانت حُمي الذهب واحدة من البواعث الزعيمة لهجرة العرب الباكرة.." (النوبة رواق إفريقيا، ص484)، انظر رواية اليعقوبي كاملة عن جهينة بالعلاقي، ملحق رقم 11، ص252

(3) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص335، وللمزيد انظر أيضا مصطفى مسعد: المكتبة السودانية، ص12–15

(4) كتاب البلدان، ص335، وللمزيدعن مراكز جهينة بالبجة، انظر ملحق 11، 12، ص252–253

وحسب تلك الرواية النادرة، فإن "ميزاب" كانت تشتهر بوجود مناجم المعدن، وهو ما جعلها هدفا رئيسا تقصده جماعات جُهينة، ثم الاستقرار هناك بهدف العمل في مناجم الذهب التي تشتهر بها تلك المنطقة. كما أن قبيلة بلي القضاعية لعبت هي الأخرى أيضاً دوراً مهماً في استخراج الذهب وتجارته فى هذه المنطقة، ومن ثم استقرت هناك بجوار مساكن جُهينة ([1]). ولعل ذلك فيما يرى الباحث يشير في ذات الوقت إلى وشائج العلاقات الطيبة التي بين جماعات كل من قبيلة جُهينة وعرب بلي في بلاد البجة، إذ كانت هاتان القبيلتان من أكثر القبائل العربية تقارباً في ذلك الوقت، وهو الأمر الذي ستبدو مظاهره فيما بعد عندما تتحالف قبيلة بلي مع جُهينة خلال صراع كل منهما ضد قبيلة ربيعة.

2 – منطقة رَحم:

والمؤكد أن منطقة "ميزاب" لم تكن الوحيدة التي سكنت بها قبيلة جُهينة في بلاد البجة، حيث انتشرت بطون وجماعات هذه القبيلة فيما يبدو في أكثر من منطقة أخرى، خاصة تلك التي كانت تشتهر بوجود "مناجم المعدن". ولعل من أهمها منطقة تذكرها بعض المصادر التاريخية باسم "رَحم"، وهي تقع على بعد "ثلاثة" مراحل من موضع آخر كان يدعى "الخربة" ([2]). ويقول المؤرخ اليعقوبي في روايته عن هذه المنطقة، وما كان يجاورها من مناطق أخرى: "وموضع يقال له الرّيفة، وهو ساحل بحر خربة الملك، وكل هذه معادن تبر. ومن الخربة إلى معدن يقال رحم معدن تبر ثلث مراحل. وبرحم قوم من بلي وجُهينة، وغيرهم من أخلاط الناس.." ([3]). وهو ما يشير إلى أن بعض القبائل والجماعات العربية الأخرى كانت قد استقرت بجوار عرب جُهينة، وباقي الجماعات القضاعية الأخرى مثل بلي في منطقة "رحم". وهذه المنطقة على الراجح كانت

تتمتع بازدهار تجاري واقتصادي كبير، ولهذا كان التجار تحديدا يقصدونها بهدف العمل بها، وكانت "رحم" تقع قرب من منطقة أخرى تحدثت عنها بعض المصادر، وذكرتها باسم "العلاقي الأدني" ([4]). والمؤكد أنه كان بها بعض الأسواق التجارية التي كان التجار الجهنيون وغيرهم يقومون بأعمالهم بها.

---

(1) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص333، وعن العلاقة بين قبيلة جهينة وبلي في أرض المعدن، يقول الدكتور رجب عبدالحليم: "كما هاجر بعض من هذه القبيلة (يقصد بلي) إلى وادي العلاقي، واشتغلوا هناك باستغلال التبر الموجود فيه منذ زمن مبكر. دليل ذلك، ما أشار إليه ابن رستة وابن خلدون وعرب فقيه عن وجودهم في أرض المعدن مع جُهينة.." (انظر ميناء عيذاب ووادي العلاقي، ص227)

(2) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص 333

(3) المصدر السابق، ص333، وللمزيد انظر أيضا مصطفى مسعد: المكتبة السودانية، ص12-13

(4) اليعقوبي: المصدر السابق، ص333

(ب) - عُثمان بن سَعدان (زعيم جُهينة في بلاد البجة):

والـلافت للنظر أن المصادر لم تحدثنا بأخبار واضحة عن أحوال قبيلة جهينة بأرض البجة إلا فيما ندر، ولهذا فلا نعرف طبيعة المجتمع العربي هناك، ولا تنظيماتهم، ولا زعماؤهم، إلا ما يخص قبيلة ربيعة تحديدا التي قامت بتأسيس إمارة عربية في هذه البلاد، ولهذا اهتم المؤرخون بالحديث عن أهم أمرائها، وأحوالهم، وتراجمهم. أما باقي القبائل وتحديداً قبيلة جُهينة، فلا نعرف عنها شيئاً ذا بال، إلا من نتف متناثرة هنا أوهناك لا تغني ولا تسمن. ولعل كتاب "المقفى الكبير" للمقريزي يعد من المصادر النادرة التي حدثتنا في هذا الشأن الذي لم تشر إليه أي من المصادر الأخرى، إذ يشير إلى أن القبائل العربية التي استقرت في أرض البجة جعلت لكل منها زعيماً، يكون له الأمر والقيادة على باقي أفراد وجماعات تلك القبيلة، خاصة في الحقبة التي كانت معاصرة لحملة العُمري، أو بعدها بقليل. فكان على حكم ربيعة رجل يدعى "أشهب"، وهو من بني حنيفة، وهي إحدى بطون ربيعة. وكان على زعامة العرب الذي جاءوا من بلاد الشام رجل من "سعد العشيرة" ([1]).

ولعل ذلك يشير إلى حالة ما من الاستقرار التي تمتعت بها القبائل العربية في تلك البلاد، وأنه صار لكل منها زعيم من بينهم، يقوم على أمر قبيلته، وإدارة شئونها. أما عن زعيم جُهينة أيام قدوم حملة أبي عبدالرحمن العُمري إلى البجة في منتصف القرن 3هـ/9م، فكان اسمه حسب بعض الروايات: "**عثمان بن سعدان**" ([2]). غير أننا لا نعرف الكثير عن سيرة هذا الزعيم الجُهني، نظراً لشح ما ورد عنه في المصادر التي لم تخبرنا بشيء ذي بال عن حياته. وإن كانت قد وقعت في أيامه بعض المنازعات بين القبائل العربية بعضها ببعض، وظهر ما يشبه

الأحلاف بين هذه القبائل، لاسيما بين طرفين رئيسيين وهما قبيلتا جُهينة وربيعة، وانضم لحلف كل طرف منهما بعض القبائل العربية الأخرى ([3]).

---

(1) للمزيد انظر مخطوطة المقريزي: كتاب المقفى، نقلا عن مصطفي مسعد: المكتبة السودانية العربية، ص366، انظر متن المقريزي عن جهينة ومجتمعها في بلاد البجة في ملحق الدراسة، ملحق رقم 12

(2) قال عنه المقريزي: "وكان علي الجُهنيين رجل يعرف بعثمان بن سعدان.." (انظر رواية المقريزي نقلا عن مصطفى مسعد: المرجع السابق، ص366 ، وللمزيد عن زعيم عرب جُهينة في بلاد البجة "عثمان بن سعدان"، انظر أيضاً يوسف فضل حسن: دراسات في تاريخ السودان، ص61)

(3) مصطفى مسعد: المرجع السابق، ص367، انظر ملحق رقم 12، ص253

وحسب البعض فإن "عثمان بن سعدان" زعيم جهينة كان قائدا لقوات جُهينة في البجة ([1]). وهو ما لا يناقض رواية المقريزي التي يُفهم منها أنه كان زعيما لجهينة وبطونها، كما أنه بالطبع كان قائدا لقوات جُهينة في ذات الوقت، إذا وقعت الحرب مع قبيلة أخرى، فشيخ القبيلة يعد رئيسا لها، يدبر أمر القبيلة وشئونها، كما كان يعد قائدا حربيا إذ وقع القتال مع الأعداء، وهذا هو الراجح، خاصة أن المقريزي يشير بعد الحديث عن زعيم جهينة، وكذلك عن زعيم الشاميين في البجة بقوله: "ورؤساء دون هؤلاء.." ([2]). وهو ما يشير ربما أن باقي زعماء القبائل كانوا أدنى مكانة ممن ذكرهم المقريزي في روايته، وأنهم لم يكونوا بقوة زعيم جُهينة ولا سطوته. وهذه الرواية تشير إلى أنهم لم يكونوا مجرد قادة للحرب فحسب لتلك القبائل، بل كانوا بمثابة رؤساء لها في البجة. ثم يردف المقريزي بقوله: "فكثرت بهم العمارة في البجة.." ([3]). وهو ما يدل على مكانة هؤلاء الرؤساء والزعماء العرب في بلاد البجة، ودورهم في عمران هذه البلاد، وازدهار التجارة بها، وهو ما يؤكد أن عثمان بن سعدان كان رئيسا لقبيلة جهينة وبطونها في بلاد البجة، وأنه لم يكن مجرد قائد عسكري لهم.

وبعد فإنه يمكن القول بأن جهينة كان لها دور مهم في ازدهار الحياة في البجة خاصة النشاط الاقتصادي والتجاري والعمراني من خلال نشاطهم الكبير في استخراج الذهب، والاتجار به. كما كان لهذه القبيلة مجتمع متميز، يجمع جماعاتهم وبطونهم، إضافة لبعض القبائل الأخرى التى تربطها بجهينة وشائج ودية، مثل بلي. وكان لهذا المجتمع الجهني بعد المدن والمناطق التي تركز فيها وجودهم، ومن طاب لهم المقام بها من الجماعات العربية الأخرى. وعلى أية حال فإنه كان لمجتمع الجهينة زعيم يقوم على أمر هذه القبيلة في هذه البلاد، وكان المنوط بتدبير حالهم، وكان يسوس أمرهم كأي حاكم، أو حتى كان في صورة زعيم قبيلة كبيرة

كما هو ذائعٌ عند كافة القبائل. ولعل أشهرهم: عثمان بن سعدان. ولا ريب أن هذا المجتمع كانت له علاقات بالجماعات العربية الأخرى، شهدت بعضها الكثير من التنافس على امتلاك "مناجم الذهب" في البجة، وهو ما جعل هذا التنافس يأخذ صورة أشد قسوة، وصلت في بعض الأحيان إلى حالة الصراع بين عرب جُهينة ومنافسيهم، وهو ما سوف نناقشه بشىء من التفصيل في سطور الفصل التالي.

---

(1) عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ص34، هامش رقم 1، يقول الدكتور عطية القوصي عن عثمان بن سعدان: "كان يرأس قوات ربيعة رجلان..وكان على الجهنيين رجل يعرف بعثمان بن سعدان، وكان على الشاميين رجل من سعد العشيرة (تاريخ دولة الكنوز: ص34، هامش 1)

(2) المقريزي: المقفي، جـ4، ورقة 164

(3) المقفي، جـ4، وقة 164

الفصل الثالث

"العلاقة بين قبيلة جُهينة والقبائل العربية في بلاد البجة"

أولا – الصراع بين قبيلة جُهينة وبني ربيعة في أرض العلاقي:

(أ) – أسباب الصراع

(ب) – دور الحداربة في هذا الصراع

ثانيا – عرب جُهينة ودورهم في قيام إمارة الكُنوز العربية

ثالثا – العلاقة بين جُهينة ورِفاعة في سوَاكنْ (680هـ/1281م):

(أ) – سواكن

(ب) – علاقة النسب بين جُهينة ورفاعة

(جـ) – بداية الصراع بين القبيلتين

(د) – تدخل حاكم سواكن في الصراع

رابعا – جُهينة ودورها الحضاري في تعريب بلاد البجة

يتناول هذا الفصل إشكالية العلاقات التي جمعت بين كل من قبيلة جُهينة والقبائل العربية الأخرى التي سكنت بلاد البجة، ومن أبرز النماذج التي سيتم تناولها في هذا الفصل نموذجان تحدثت عنهما المصادر التاريخية، وهما العلاقة بين كل من قبيلتي جُهينة وربيعة. وسنحاول تتبع العلاقة بين هاتين القبيلتين، ثم تحولها بعد ذلك لشكل من صور التنافس، ثم ما لبث أن تحولت هذه المنافسة بمرور الزمن إلى صراع بين جماعات القبيلتين، ودور زعماء الحداربة خلال هذا الصراع ([1])، وكانوا سادة بلاد البجة في هذا الوقت، في حسم هذا الصراع لصالح أحد هاتين القبيلتين على الأخرى المنافسة. ثم يناقش هذا الفصل ما تمخض عن هذا الصراع من نتائج، أثرت بلا شك على مصير كل من هاتين القبيلتين، ووجودهما في بلاد البجة.

وثمة صراع آخر لا يقل أهمية عن الصراع السابق سوف يتناوله هذا الفصل ذلك الذي وقع بين كل من قبيلة جُهينة ورقبيلة فاعة، وكان الرفاعيون من بني عمومة الجُهنيين، فكلاهما من القبائل القُضاعية. وعلى هذا، فإن هذا الصراع كان يختلف في طبيعته إلى حد ما عما وقع بين قبيلة جُهينة وقبيلة ربيعة. كما نتناول أسباب قيام هذا الصراع في أرض سواكن، ودور حاكم سواكن خلال مراحل هذا الصراع، وكذلك النتائج المهمة التي ترتبت عليه، ثم ينتهي الفصل بالحديث عن دور عرب جهينة في تعريب بلاد البجة، ونشر مظاهر الثقافة والتقاليد العربية في هذه البلاد.

أولاً – الصراع بين قبيلة جُهينة وبني ربيعة في أرض العلاقي:

يمكن القول إن مظاهر التنافس بين القبائل العربية تنوعت صورها، وأنماطها، حسب كل قبيلة، وأخرى، وخاصة ما يرتبط بقوة هذه القبيلة، ونفوذها في مواجهة المنافسين الآخرين، كما يرتبط ذلك بقدر ما كان لهذه القبيلة من تحالفات مع القبائل الأخرى، وكذلك وجود وشائج المصاهرة، أو قرابة نسب بين بعض هذه البطون والجماعات العربية الأخرى بعضها البعض. وهو ما يضيف رصيدا من القوة والمِنعة لهذه القبيلة في مواجهة أندادها ومنافسيها ([2]).

---

(1) وللمزيد عن الحدارية وأصلهم، انظر ملحق رقم 8، ص249

(2) للمزيد عن مظاهر الصراعات بين القبائل العربية في بلاد البجة، انظر المسعودي: مروج الذهب، جـ2، ص16، ابن حوقل: صورة الأرض، ص59–60، المقريزي: الخطط، جـ1، ص319، المقفي، جـ4، ص164، يوسف فضل حسن: دراسات في تاريخ السودان، ص62، عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز، ص35، مصطفى مسعد: المكتبة السودانية، ص366

وقد وجدنا له العديد من الإشارات في المصادر عن بعض أشكال تلك الصراعات التي وقعت بين القبائل العربية في أرض البجة. خاصة ما يرتبط منها بجماعات قبيلة جُهينة التي تعد الموضوع الرئيس الذي نتناوله في ثنايا هذا الفصل. ويمكن القول إن العلاقات الودية بصفة عامة هي التي جمعت بين العرب في بداية استقرارهم في بلاد البجة، وإن اختلفت مظاهر تلك العلاقة بين قبيلة وأخرى ([1]). وكان بديهياً أن تتعاون القبائل العربية فى بداية استقرارها هناك حتى يترسخ الوجود العربي في تلك البلاد النائية، خاصة وأن العرب كانوا قوما غرباء على أهل تلك البلاد، وكان يحكمها "الحدارية"، وهم ليسوا من بني جلدتهم رغم أصولهم العربية القديمة، ، لكنهم صاروا في ذلك الوقت أقرب للعجم أكثر من كونهم عربا بسبب طول استقرارهم هناك، واختلاطهم بالبجاة. ولأن جُهينة وربيعة كانتا أقوى القبائل في ذلك الوقت، فقد ظهرت بوادر

التنافس بين القبيلتين أكثر من غيرهما، وكان العُمري قد تمكن من السيطرة على بلاد البجة، واستطاع أن يُحكم قبضته على كافة القبائل التي سكنت تلك البلاد، ومنها جهينة وربيعة، وأظهر له الجميع الولاء والطاعة ([2]).

غير أن زعماء ربيعة انقلبوا على العُمري، وتحالفوا ضده مع زعماء البجة ([3]). ثم جرت بين الطرفين معركتان في موضعين بالبجة، يُعرف أحدهما باسم "ميزج"، والآخر يُدعى "بكيا"، قتل فيهما ألوف من الناس، وانتهت الحرب بهزيمة حلف ربيعة والبجة ([4]). وكان الخلاف قد وقع بعد أن طلب العُمري من زعماء ربيعة مساعدته في الانتقام ممن قتل أخاه من البجاة باعتبارهم حلفاء لهم، فرفضت ربيعة، ولهذا نشب القتال بينهما ([5]). وقد ظلت الأمورُ في بلاد البجة تحت سيطرة العُمري، ودانتْ له قبائلُ العرب بالطاعة حتي قُتل غدراً على يد أفراد من قبيلة مُضَر، وهم من حلفاء قبيلة ربيعة. ثم بدأت بعد ذلك بوادر التنافس بين القبائل العربية بعضها البعض على امتلاك "مناجم المعدن" في أرض البجة ([6]).

---

(1) انظر اليعقوبي: كتاب البلدان، ص335، المقريزي: الخطط، جـ1، ص315، المقفي، جـ4، ص164، عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز، ص34-35

(2) المقريزي: المقفي، جـ4، ص164 ، وللمزيد انظر مصطفى مسعد: المكتبة السودانية، ص366، عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز، ص34-35، وعن سيطرة العمرى على القبائل العربية في بلاد البجة يقول الدكتور رجب عبدالحليم: "وهناك بَسَط (أي العُمري) سيطرته علي قبائل جُهينة وسعد العشيرة وربيعة.." (ميناء عيذاب ووادي العلاقي: ص254).

(3) انظر عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز، ص34-35، أحمد الحفناوي: سودان وادي النيل، ص62

(4) يوسف فضل حسن: دراسات في تاريخ السودان، ص62، عطية القوصي: المرجع السابق، ص35

(5) عطية القوصي: المرجع السابق، ص35، للمزيد عن العلاقات بين القبائل أيام العمري انظر ملحق12

(6) يوسف فضل حسن: المرجع السابق، ص62

(أ)- أسباب الصراع:

لما استقر العرب في بلاد البجة، برزت منهم قبيلتان صارتا أقوى القبائل هناك، وهما جُهينة وربيعة، والمؤكد أن الفضل يعود لهما أكثر من غيرهما في ازدهار هذه البلاد ([1]). فالحركة التجارية هناك شهدت ازدهارا لا تخطئه العين، خاصة وأن البجة تتمتع بموقع تجاري مهم على بحر القلزم، وهو ما ساهم في ازدهار النشاط التجاري والاقتصادي ([2]). لكن العلاقة تحولت بين القبائل من مرحلة الود والتعاون، إلى مرحلة يغلب عليها التنافس والصراع. وخاصة وأن قبيلة ربيعة زاد نفوذها على حساب القبائل الأخرى بفضل علاقتهم بالحدارية زعماء البجة في ذلك الوقت، "وهم شوكة القوم ووجوههم" ([3]).

ويذهب البعضُ إلى أنه من أهم أسباب وقوع الصراعات بين القبائل العربية في بلاد البجة انتقال طرق القوافل التي كانت تحمل الحجاج إلى بلاد الحجاز ([4]). وكانت قوافل الحجاج مصدرا هاما من مصادر الثراء لهذه القبائل العربية. كما لعب موكب الحج دورا كبيرا في تقوية الوجود العربي هناك، وكانت المواكب تعبر ثغور بلاد البجة إلى أرض الحجاز، ثم كانت تعود بعد انتهاء الحج بحرا عبر ذات الطريق. ولعل من الأسباب الأخرى التي أدت لوقوع مثل هذه الصراعات القبلية أيضا تدهور مكانة ثغور البجة خاصة ثغر عيذاب، وهو ما كان سببا في حدوث اضطرابات في سير القوافل التجارية القادمة من الشرق عبر بحر القلزم ([5]). وهو ما أدى لتوقف النشاط الاقتصادي الذي كانت تعتمد عليه أكثر القبائل. ومع كل ذلك، يبقى التنافس حول مناجم الذهب أهم أسباب ذلك الصراع ([6]).

—

(1) للمزيد، انظر اليعقوبي: كتاب البلدان، ص333-335، المسعودي: مروج الذهب، جـ2، ص16 المقريزي: الخطط، جـ1، ص317-317، وانظر أيضا مصطفى مسعد: المكتبة السودانية، ص366، يوسف فضل حسن: دراسات في تاريخ السودان، ص61-62، رجب عبد الحليم: ميناء عيذاب، ص246

(2) موكب الحج: كانت ثغور بلاد البجة مقصدا رئيسا لمواكب الحج، حيث كانت المواكب تعبر هذه الثغور للوصول بلاد الحجاز، وكانت المواكب تأتي من بلاد السودان، وكذلك بلاد المغرب. وقد برز دور بلاد البجة خاصة مع توقف المواكب عن طريق سيناء بسبب الحروب الصليبية (انظرسميرة فهمي على: إمارة الحج في مصر العثمانية، هيئة الكتاب، 2007م، ص67 وما بعدها، رجب عبدالحليم: ميناء عيذاب، ص246).

(3) المقريزي: الخطط، جـ1، ص315

(4) محمد محمد أمين: العبدلاب وسقوط مملكة علوة، مجلة الدراسات الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، عدد 2، 1973م، ص202 (5) المرجع السابق، ص202

(6) يقول الدكتور مصطفي مسعد عن سبب النزاع بين القبائل العربية: "استقر كثيرٌ من عرب ربيعة وجُهينة وغيرهم حول أسوان، غير أن الشقاق ما لبث أن دَّب في صفوفهم، وبدأ صراعٌ عنيفٌ بين هؤلاء جميعاً على امتلاك المعادن بالعلاقي.." الإسلام والنوبة في العصور الوسطي: ص126

ويرى الباحثُ أن الجُهنيين بعد موت العمري زاد سخطهم على عرب ربيعة، وما كانوا يقومون به في بلاد البجة، خاصة محاولاتهم الدؤوبة للتقارب والتحالف مع الحداربة لتكون لهم إمتيازات على حساب باقي القبائل العربية، وحتى يتمكنوا من السيطرة على "مناجم الذهب"، وكذلك تجارته دون أن يكون لهم منافس من القبائل الأخرى. وهو ما كان سببا رئيسا في وقوع النزاع بين جماعات الجُهنيين وربيعة، ثم انضمت بعض القبائل العربية الأخرى إلى أحد الطرفين في مواجهة القبيلة الأخرى ([1]).

(ب) – دور الحدارية في هذا الصراع:

تتحدث المصادرُ عن تحالف قوي جمع بين كل من قبيلة ربيعة وزعماء الحدارية ([2]). ولا ريب أن هذا التحالف الذي أقامته ربيعة كان موجهاً في المقام الأول لقبيلة جُهينة، ومن حالفها. بينما كان زعماء الحدارية يريدون الحصول على مساعدة قبيلة ربيعة في مواجهة ملوك النوبة، "فقويت البجة بمن صاهره ابن ربيعة، وقويت ربيعة بالبجة علي ما ناوأها، وجاورها من قحطان، وغيرهم من مُضر بن نزار ممن سكن تلك الديار" ([3]). ويشير البعضُ إلى أن زعماء ربيعة ومؤيديهم لجأوا لوسائل عدة للتقرب من الحدارية نكايةً في منافسيهم، ومنها أنهم تحايلوا على كهان البجة، ودعوهم لطاعة زعماء ربيعة، والانضواء تحت لوائهم، لتجعل منهم مؤيدين وأعوانا لهم ([4]). كما أكملت ربيعة مخطط السيطرة على بلاد البجة بمصاهرة زعماء الحدارية ليستفيدوا من "نظام الوراثة" في تلك البلاد، وهو "نظام الأمومة"، حيث ينتقل الحكم بمقتضاه لـ "ابن الأخت"، أو "ابن البنت" ([5]). وقد تحقق لهم ما أرادوا، وصاروا حكام تلك البلاد حسب رواية كل من المسعودي (ت: 346هـ/957م)، وابن حوقل (ت: 350هـ/961م)، وكان كلاهما قريبين لحد ما من الحقبة التي وقعت فيها تلك الأحداث ([6]).

---

(1) انظر المسعودي: مروج الذهب، جـ2، ص16، المقريزي: الخطط، جـ1، ص318 عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ص35، محمد غيطاس: النوبة، ص112، وعن ذلك الصراع، يقول الدكتور عطية القوصي: "وبعد موت العمري دخلت ربيعة في حرب مع جهينة ومع غيرها من القبائل النازحة هناك.." (تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ص35)

(2) انظر المسعودي: مروج الذهب، جـ2، ص16، مصطفى مسعد: البجة والعرب، ص41

(3) المصدر السابق، جـ2، ص16، وانظر أيضا المقريزي: الخطط، جـ1، ص318

(4) مصطفي مسعد: البجة والعرب، ص41

(5) المرجع السابق، ص41

(6) انظر مروج الذهب: جـ2، ص16، صورة الأرض: ص59–60

والراجح أن القبائل القضاعية أيدت قبيلة جُهينة ضد ربيعة، وكانت قبيلة رفاعة من بين القبائل التي انضمت لحلف جُهينة، بحكم القرابة التي تجمعُ بين القبيلتين، وكانت جماعات القبيلتين تسكنان بجوار بعضهما البعض ([1]). وتذكر مخطوطة "أحمد بن الفكي معروف" أن الرفاعيين سكنوا أول أمرهم في بلاد الحبشة، وبين شعب البجة، ثم ارتحلوا لوادي النيل ([2]). والمؤكد أيضا أن قبيلة بلي القضاعية التي كانت تسكن أرض البجة انضمت هي الأخرى لحلف جُهينة بداعي القرابة والنسب بينهما، وكذلك بحكم الجوار في هذه البلاد.

ومما لاشك فيه أن عرب جُهينة وحلفاءهم كانوا ساخطين على كل ما كان يقوم به عرب ربيعة في بلاد البجة، ومحاولتهم السيطرة على مناجم الذهب وتجارته دون غيرهم من العرب، وكذلك محاولتهم إقصاء المنافسين لهم من القبائل، خاصة بعض مقتل العمري ([3]). فقد انقلبت

الأمور بين الجماعات العربية، وبدت بوادرُ الشقاق واضحة بين القبائل بعضها البعض، وحاول بعضها السيطرة على المعدن دون الآخرين ([4]).

ولسنا نشك أنه كان للتحالف بين كل من زعماء ربيعة وزعماء الحدارية، إضافة إلى دور بعض الجماعات العربية الأخري ممن تحالفت معهم، لاسيما ممن ينتسبون إلى قبائل مضر وتميم، أثر كبير في ازدياد نفوذ قبيلة ربيعة، ووقدرتها على اخضاع أكثر القبائل العربية لسطوتها ([5]). وتؤكد رواية المصادر التاريخية ازدياد نفوذ ربيعة على باقي القبائل، إذ يشير المقريزي إلى تغير مقاليد الأمور والنفوذ بين القبائل العربية التي سكنت بلاد البجة بعد العُمري، ولهذا يؤكد فكرته بقوله: "فلما قُتل العُمري، واستولت ربيعة علي الجزائر، والاهم على ذلك البجة.."([6]). وهي إشارةٌ مهمة تؤكد أن زعماء البجة لما أدركوا قوة ربيعة وبطونها في بلادهم، لعبوا دوراً كبيراً في مساندة ربيعة ضد عرب جُهينة، وباقي القبائل التي تحالفت معهم، والتي كانت تعارض احتكار زعماء ربيعة لمناجم الذهب، وتجارته.

---

(1) انظر مخطوطة أحمد بن الفكي معروف Macmichael: Vol. II, P. 347، وعن العلاقة بين قبيلة جهينة ورفاعة، يقول الدكتور يوسف فضل حسن: "وشاركت (جُهينة) هي ورفاعة البجة موطنها.." (مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، جامعة الخرطوم، 1989م، ص36)

(2) يوسف فضل حسن: تاريخ الممالك الإسلامية، ص36

(3) محمد غيطاس: النوبة، ص126

(4) انظر المسعودي: مروج الذهب، جـ 2، ص 16

(5) محمد غيطاس: حملة اليونسكو، ص112

(6) الخطط: جـ1، ص318

وكان زعماء ربيعة يدركون أن الجُهنيين هم المنافس الأقوى لهم من بين سائر القبائل، وهم يشكلون عقبةً كئوداً في سعيهم لاحكام السيطرة على "مناجم المعدن"، وتجارته في أرض العلاقي. ولهذا عمل بنو بشر خاصة، وكانوا أقوى بطون قبيلة ربيعة في هذا الوقت، ما بوسعهم بهدف إجبار عرب جُهينة ومن حالفهم على الخروج من "أرض الذهب" بمساعدة الحدارية. والمؤكد أن هذا ما أرادوا فعله أيضاً مع كل من لم يخضع لسيطرتهم، أو من لم يظهر الطاعة والولاء لهم من القبائل الأخرى، حتى يخلو الطريق لقبيلة ربيعة وبطونها في احكام قبضتهم على مناجم العلاقي، واحتكار الذهب ([1]).

ولم تنته الأمور عند هذا الحد من التنافس فحسب، فما لبث أن تطور الأمر بعد ذلك إلى صراع حامي الوطيس بين القبيلتين، حيث صارت المواجهة بين الطرفين على أشدها. والمؤكد

أن هذ الصراع شق صف الجماعات العربية، حيث حاولت أكبر قبيلتين هناك أن يكون لإحداهما الحق في امتلاك الذهب، أو أن يكون لها حق السيطرة على تجارته.

والراجح، في رأي الباحث، أن هذا الصراع لم يأخذ شكلاً عسكرياً كاملاً بالمعنى المعروف، وإن لم يخل من بعض مظاهره في بعض الأحيان، غير أن الأمر يبقى محاطا بالكثير من الغموض التي تحتاج لسبر أغوارها، خاصة مع صمت المصادر التاريخية بشكل واضح حول هذا الأمر، ويمكن القول بأن هذا الصراع كان في غالبه صراع تحالفات ونفوذ، ما بين القبائل التي كانت تؤيد جُهينة من جانب، وحلفاء ربيعة من جانب آخر.

وتشير المصادر إلى أن زعماء ربيعة تمكنوا من بلوغ غايتهم، حيث تحقق لهم مأربهم في التخلص من منافسيهم العرب في بلاد البجة. وهو الأمر الذي تؤكده المصادر، فالمقريزي يقول: "فأخرجت (أي بنو ربيعة) من خالفهم من العرب.." ([2]). وهو ما يؤكد أن عرب ربيعة بطشوا بكل من حالف قبيلة جُهينة، ولم يقر لهم بال إلا بعد أن تخلصوا من كافة القبائل المناوئة لهم. وكان أحد بطون بني ربيعة هو الذي قاد التحالف مع الحداربة، ومع باقي القبائل التي تحالفت معهم ([3]). أما هذا الفخذ الذي ينتسب لقبيلة ربيعة، فهم بنو بشر حسب ما ورد في المصادر ([4]).

---

(1) انظر المسعودي: مروج الذهب، جـ2، ص16، المقريزي: الخطط، جـ1، ص318، مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص126

(2) الخطط: جـ1، ص318، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص126

(3) يقول الدكتور مصطفي مسعد: "وتمكن فخذٌ من ربيعة أن يُخرِج من خالفه من العرب بعد أن إستمال إليه البجة، وتصاهروا إلي رؤساء البجة.." (الإسلام والنوبة: ص126)

(4) ابن حوقل: صورة الأرض، ص59-60

وقد انتهى هذا الصراع بين كل من قبيلة جهينة وبني ربيعة في حوالي منتصف القرن 4هـ/10م، أو قبل ذلك بقليل، بعد أن حسم بنو ربيعة الأمر لصالحهم. ويؤيد ذلك روايات مؤرخي القرن الرابع الهجري (القرن 10م) ممن كانوا معاصرين لتلك الحقبة الذين أشاروا إلى سيطرة ربيعة على وادي العلاقي ومناجم الذهب. فالمسعودي (ت: سنة 346هـ/957م) يذكر أن حاكم البجة في أيامه كان من قبيلة ربيعة، وكان يُدعي: "أبو مروان بن بشر بن إسحاق الربيعي" ([1]). وهو الذي يوصف بأنه "صاحب المعدن" ([2]).

ولعل هذا ما يؤكد أن قبيلة ربيعة صارت تتحكم في مناجم الذهب وتجارته في ذلك الوقت، وهو ما يشير إلى ما حل بعرب جُهينة من الوهن، وكذلك ضعف موقفهم في مقابل منافسيهم الأقوياء من بني ربيعة، وهو ما يؤكد أن الصراع بين هاتين القبيلتين كان قد انتهى

بالفعل قبل قدوم أبي الحسن المسعودي إلى تلك البلاد، أي في خلال النصف الأول من القرن 4هـ/10م.

أما ابن حوقل (ت: سنة 350هـ/961م) فإنه يشير إلى أن جماعات ربيعة كانوا يسيطرون في أيامه على مناجم وادي العلاقي ([3]). كما تشير "رواية ابن حوقل" أيضا إلى أن بني بشر، وهم من بطون قبيلة ربيعة، هم الذين صاهروا زعماء الحدارية، وشكلوا "الطبقة الحاكمة" القوية من قبيلة ربيعة في بلاد البجة، ثم يصف بعضهم بأنه "صاحب العلاقي" ([4]). كما أورد لنا ابن حوقل أسماء العديد من أمراء ربيعة على بلاد البجة، وذكر بعضاً من تراجمهم، سواء من كان منهم في أيامه، أو من كان يحكم هذه البلاد قبله ([5]).

---

(1) مروج الذهب، جـ2، ص16

(2) المصدر السابق، ص16

(3) يقول ابن حوقل: "ويأخذ هذا المعدن من قرب أسوان..إلى حصن يسمى عيذاب، وبه مجمع لربيعة تجتمع إليه، يُعرف بالعلاقي..وهو معدن تبر، لا فضة فيه، وهو بأيدي ربيعة، وهم أهله خاصة.." (صورة الأرض: ص56)

(4) المصدر السابق، ص59

(5) المصدر السابق، ص59–60، ومما يذكره ابن حوقل عن بعض أمراء ربيعة في بلاد البجة، ومنهم الأمير أشهب بن ربيعة: "وأتي العلاقي، كان خلف عليها أشهب بن ربيعة، من بني عبيد بن ثعلبة الحنفي. وهو جد أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي زيد بن بشر، صاحب المحدثة، وهي المدينة التي لربيعة محادة لأسوان، أبوعبدالله هذا ابن عم أبي بكر بن إسحاق بن بشر صاحب العلاقي (صورة الأرض: ص59)

هكذا أدى انتصار ربيعة على قبيلة جُهينة إلى أن أُجبر الجهنيون على ترك بلاد البجة قسراً، وأن يتجهوا صوب الجنوب، خاصة في اتجاه بلاد النوبة والحبشة. ومن المؤكد أنه لم تترك كل جماعات جُهينة بلاد البجة، وما حولها، بعد انتهاء الصراع مع قبيلة ربيعة، فقد بقيت جماعات منهم هناك، فمنهم من استقر في سواكن، وصحراء عيذاب، وإن كانت أعدادهم لم تكن كبيرة على أية حال ([1]). والمؤكد أن هذا الصراع كانت له العديد من التأثيرات السلبية على النشاط الاقتصادي في أرض المعدن، وكذلك ضعف تجارة الذهب ([2]).

وعلى أية حال، تسبب هذا الصراع العربي في هجرة أعداد كبيرة منهم خارج أرض البجة، فأكثرهم ذهب إلى سودان وادي النيل، كما أن بعضهم آثر الرحيل لبعض مناطق بلاد الحبشة، وما جاورها، بحثاً عن موطن جديد، لعله يكون أكثر أمناً واستقراراً بعد أن أعياهم الصراع. وحسب رواية ابن بطوطة، الذي زار بلاد البجة حوالي منتصف القرن 8هـ/14م وهو في طريقه إلى الحجاز عن طريق ثغر عيذاب، فقد شاهد جماعات من قبيلة جُهينة كانت تسكن قرب عيذاب ([3]).

وقد أشار ابن بطوطة أيضاً إلى أن هؤلاء الجُهنيين الذين شاهدهم هناك كانوا يدينون بالطاعة لزعماء البجة ([4]). وهو ما يؤكد أن بعض جماعات جُهينة القليلة اضطرت إلى البقاء في بلاد البجة، على أن تدين بالولاء لحكام هذه البلاد من قبيلة ربيعة الذين كانوا قد أقاموا هناك "إمارة عربية" ([5]). ويمكن القول بأنه انتهى خلال هذه المرحلة الدور المهم الذي كان لعرب جُهينة في بلاد البجة بعد هزيمتهم أمام قبيلة ربيعة، وعلى هذا، فلم تبق سوى أعداد قليلة منهم في هذه البلاد.

---

(1) انظر ابن بطوطة: تحفة النظار، جـ1 ص255 ، القلقشندي، صبح الأعشي، جـ5، ص274

(2) ولعل من أفضل ما ورد في وصف هذا الصراع القبلي، وما نتج عنه من عواقب، وخاصة هجرة الكثير من القبائل العربية إلى خارج بلاد البجة، ما يشير إليه الدكتور محمد محمد أمين، إذ يقول: "إن العرب الذين كانوا قد استقروا في أوطان البجة، وبلاد العلاقي واقتتلوا عليها، زهدوا فيها، وتركوها إلى أرض علوة، إذ كان من نتيجة توقف التعدين، وانتقال طريق قوافل الحج، وتدهور عيذاب، واضطراب قوافل التجارة الشرقية، كان من نتيجة ذلك أن توقف النشاط الاقتصادي الذي اعتمد عليه كثير من العرب، فاضطرت أغلبيتهم إلى الهجرة إلى داخل السودان، حتى بلغوا أرض البطانة، ثم الجزيرة، وعبر بعضهم النيل الأزرق إلى كردفان.." (انظر العبدلاب وسقوط مملكة علوة، ص202)

(3) تحفة النظار، جـ1 ص255

(4) المصدر السابق، ص255

(5) انظر المسعودي: مروج الذهب، جـ2، ص16، ابن حوقل: صورة الأرض، ص59–60، المقريزي: الخطط، جـ1، ص319

ثانياً – عرب جُهينة ودورهم في قيام إمارة الكُنوز العربية:

رغم التحولات الكبيرة التي شهدتها العلاقة بين كل من جُهينة وربيعة منذ أن قدمت كلتاهما إلى بلاد البجة، ومرورها بالعديد من الأطوار ربما المتناقضة والمضطردة، إذ بدأت على الراجح في شكل علاقات ودية، يغلفها التقارب والود مع قدوم القبيلتين لأول مرة إلى تلك البلاد، مع "حملة العُمري" في بدايات النصف الثاني من القرن 3هـ/9م. لكن ما لبثت أن تحولت العلاقة بينهما إلى صراع حول الذهب، وامتلاك مناجمه بالعلاقي.

ورغم ذلك التقلب الحاد في العلاقة بين القبيلتين، إلا أن بعض الروايات التاريخية القليلة تذهب إلى أنه كانت توجد على الراجح علاقة ما بين جماعات الكنوز، وهم من قبيلة بني ربيعة في الأصل، وبين بعض الجماعات العربية من قبيلة جُهينة. ويبدو من ثنايا تلك الروايات أنه كانت لقبيلة جُهينة، أو لبعض من بطونها ممن سكنوا أرض البجة دور في تأسيس "دولة الكنوز" التي قامت في هذه البلاد. وفي هذا السياق التاريخي، تشير "رواية العُمري" (ت: 749هـ/1348م) إلى ذات الفكرة التي نرمي إليها، حيث يقول: "فيُحتمل أن أولاد الكنز من جُهينة

أيضاً.." ([1]). وهي ذات الرواية التي نقلها القلقشندي ([2]). وهي روايةٌ مهمة، إذ إنها تتحدثُ عن إحتمالية وجود علاقة بين جماعات من الجُهنيين والكنوز، وهو أمرٌ لم تتحدث عنه المصادر الأخرى، حيث عزى أكثرها قيام دولة الكنوز لربيعة وحدها. وتشير المصادرُ إلى أن بني بشر هم الذين أسسوا هذه الإمارة ([3]).

ويذكر ابن حوقل أيضاً أن حكام البجة كانوا من بني بشر وبني حنيفة، ومنهم: الأمير "أشهب بن ربيعة"، والأمير "أبوبكر إسحاق بن بشر" ([4]). هكذا تؤكد المصادر المعاصرة لتلك الحقبة سيطرة ربيعة على البجة، بينما يشير العُمري لاحتمال وجود علاقةٍ بين قبيلة جُهينة وبني الكنز. ويرى الباحث أن العُمري ربما أشار إلى أن هذه العلاقة كانت في بدايات قدوم العرب لأرض البجة، واحتمال وجود نسب بين هاتين القبيلتين، خاصة وأن العلاقةُ كانت طيبةً في ذلك الوقت قبل أن يشتد الكيد بينهما. وربما تشير أيضا تلك الرواية إلى حقبة وجود هاتين القبيلتين في النوبة بعد انتقال حكم الكنوز هناك، وهذا هو الراجح.

---

(1) انظر رواية العمري نقلا عن القلقشندي: صبح الأعشي، جـ5، ص278، (وللمزيد عن "مملكة الكنوز" التى قامت في بلاد البجة، انظر: المسعودي: مروج الذهب، جـ2، ص12، ابن حوقل: صورة الأرض، ص59–60، المقريزي: البيان والإعراب، ص143، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ14، ص179، عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز، ص38 وما بعدها، مصطفى مسعد: البجة والعرب، ص41–42)

(2) القلقشندي: المصدر السابق، ص278

(3) مروج الذهب: جـ2، ص16، ابن حوقل: صورة الأرض، ص59 (4) صورة الأرض، ص59–60

ثالثاً – العلاقة بين جُهينة ورِفاعة في سوَاكنْ (680هـ/1281م):

وسوف نتحدث فى هذا الجزء من الدراسة، عن الصراع الآخر الذي وقع بين كل من قبيلة جهينة وقبيلة رفاعة القضاعية، وكان ميدان هذا الصراع في أرض سواكن.

أ – سواكن:

استقرت جماعات من قبيلة جُهينة بالقرب من سواكن ([1]) على بحر القلزم منذ آواخر القرن 7هـ/13م ([2]). واسم سَوَاكِنْ: يُنطق بفتح السين المهملة، والواو، وكسر الكاف، ونون في الآخر ([3]). قال القلقشندي: "وهي بليدة للسودان، حيث الطوُل ثمانٍ وخمسون درجة، وعرضُها إحدي وعشرون درجة.." ([4]). وتبلغ مساحة جزيرة سواكن أقل من ميل في ميل، ويقع بينها وبين البحر الحبشي بحر قصير يخاض ([5]). ويقول عنها المقريزيُ: "وأهلها طائفةٌ من البجة تسمي الخاصة..ولهم بها ملك" ([6]). وهو ما يعني أن سواكن تعد جزءاً من بلاد البجة. والمشهور أنها جزيرة، كما توجد أيضا مدينة تقع على بحرالقلزم تُعرف بـ"سواكن" ([7]). ويذكر السويدي:

"والحدارية بطنٌ من العرب بسواكن" ([8]). وقد عثر غربي سواكن على عدد من شواهد القبور العربية تؤرخُ لمنتصف القرن 2هـ/8م ([9]).

---

(1) سواكن: وعن أصل تسمية سواكن، فإن ثمة رواية تعد أقرب إلي الخرافة أو الأسطورة منها للحقيقة، تزعم أن سواكن عُرفتْ بهذا الاسم لأن أحد ملوك الحبشة كانت لـه علاقاتٌ وديةٌ بأحد قياصرة روما، فأرسل الملك الحبشي إلـى قيصر روما سبعاً من الفتيات الأبكار الحسان هديـةً، فأقلعنَ في زورقٍ، ثم قدمن إلـي سواكن، وكان بها سبعةٌ من الجن، فمنعوهُن من الرحيل، ثم تزوجهُن، وأنجبوا منهن أبناءاً عُمرت بهم المدينة، عندئذ سميت المدينة باسم "سبع جن"، ثم حُرف اللفظ إلى "سواجن"، ثم عرفت المدينة بعدئذ باسم "سواكن" (محمد مهدي كركوكي: رحلة مصر والسودان، مطبعة الهلال بالفجالة، القاهرة، 1914م، ص351)

(2) انظر ابن بطوطة: تحفة النظار، ص255، عون الشريف قاسم: موسوعة قبائل العرب، جـ2، ص980، ممدوح الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر، ص97، رجب عبدالحليم: ميناء عيذاب، ص242

(3) ابن بطوطة: تحفة النظار، ص255

(4) صبح الأعشى: جـ5، ص274

(5) الخطط: جـ1، ص319

(6) المصدر السابق، ص319

(7) انظر القلقشندي: صبح الأعشى، جـ5، ص274، المقريزي: الخطط، جـ1، ص319، محمد عبدالله النقيرة: انتشار الاسلام في شرقي أفريقية، حاشية رقم "1"، ص99

(8) سبائك الذهب: ص120

(9) محمد كريم إبراهيم: أثر العرب في بلاد البجة، ص64

ويذهب البعضُ إلى أن قبيلة جُهينة كانت قد استقرت في جزيرة سواكن، أو بالقرب منها منذ آواخر القرن 7هـ/13م ([1]). وقد شاهد ابن بطوطة في منتصف القرن 8هـ/14م جماعات من جُهينة كانوا يسكنون قرب سواكن ([2]). كما أقامت قبائل عربية أخرى هناك مثل: "بني كاهل" ([3])، وهم بنو كاهل بن أسد بن خُزيمة ([4]). ويُعتقد أنه مع منتصف القرن 7هـ/13م، ذاعت مظاهر العروبة في سواكن، وانتشرت المدن الإسلامية في شرقي أفريقيا من سواكن شمالاً، وحتى أقصى الجنوب ([5]). وكان التجار البنادقة يعتادون القدوم إلى سواكن بهدف التجارة، وتبادل السلع والبضائع التي كانت تأتيها عن طريق القوافل التجارية، وكانت تعبر بحر القلزم خلال القرن 9هـ/15م ([6]). كما لعبت سواكن دوراً مهما في "تجارة الكارم"، وكان ميناؤها يستخدم في تصريف منتجات النوبة والحبشة ([7]). ولما استولى المماليك عليها سنة 664هـ/1265م، أدى ذلك لعواقب اقتصادية سلبية على مملكتي المقرة وعلوة، إذ فقدت كلتاهما منفذهما الرئيس على بحرالقلزم، وعلى هذا صارتا معزولتين، وأصبح من الصعب علي المسيحيين فيهما الوصول للأراضي المقدسة ([8]).

---

(1) رجب عبدالحليم: ميناء عيذاب، ص242

(2) تحفة النظار: جـ1، ص255

(3) المصدرالسابق، ص255

(4) الكواهل: وعن أصلهم، يقول القزويني: "كاهل: أبو قبيلة من أسد، وهو كاهل بن أسد بن خزيمة، وهو قبيلة قاتل امريء القيس.." (انظرمخطوط القزويني: أسماء قبائل العرب، ورقة 12). وعن الكواهل يقول السمرقندي: "وأولاد الزبير اثنين عبدالله وحسن، أما عبدالله: أولاده الكواهلة، وحسن ولده عطية، وعطية أولاده قيل: جُهينة.."(انظر مخطوطة أنساب عرب السودان: ورقة رقم 19). وحسب مخطوطة "أحمد بن الفكي معروف" فإن جماعات الكواهل ينتسبون إلى نسل الصحابي خالد بن الوليد رضي الله عنه، وقد سكن أكثرهم في صحراء البجة، وكانت لهم أعداد لاتحصى من القبائل والبطون (انظر متن هذه المخطوطة: Macmichael: A History of Arabs, Vol. II, P.345). وانظر أيضا ملحق هذه الدراسة رقم 9

(5) نوال علي محمد عبدالعزيز: العرب في شرق أفريقيا من القرن 8م وحتي تدخل البرتغال في القرن 15م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، دون تاريخ، ص49

(6) O. G. S. Crowford: The Fung Kingdom of Sennar, John Bellows LTD., Gloucester, 1951, P.105

(7) تجارة الكارم: نسبة للكارمية، وهم طائفة من كبار التجار احتكروا تجارة الهند والشرق الأقصى في التوابل، وكان المحيط الهندي مركز نشاطهم (للمزيد انظر كرم الصاوي باز: الوكالات التجارية حلقة وصل بين مجتمعات البحر الأحمر ومدغشقر وجزر القمر في الفترة من 648-923هـ/1250-1517م، ندوة إتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، البحر الأحمر عبر العالم العربى علي مر عصور التاريخ، 2003م، ص9، كرم الصاوي باز: ممالك النوبة في العصر المملوكي، ص235)

(8) عطية القوصي: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ص86

ومن المعروف أن ميناء سواكن كان يعد أحد مراكز "طريق الحج" Pilgrim Route المسيحي الذي كان يبدأ من بلاد الحبشة، ثم ينتهي إلى مدينة القدس ([1]). وقد ارتبطت سواكن أيضاً بوجود الجماعات العربية التي تنتسب إلى "الأشراف"، أو "آل البيت الطالبي" مثلما كانت ترتبط بالحدارية ذوي الأصول العربية، وهو ما يشير إلى أصالة الوجود العربي فى سواكن منذ أقدم العصور. وحسب بعض روايات الأنساب العربية، فإن أحد الأشراف ويدعى الشريف "محمد العلوى"، جاء إلى سواكن قادماً من أرض مكة، وهو يعد من أوائل الأشراف الذين استقروا فى سواكن، وطاب له المقام بها ([2]).

وقد تزوج الشريف محمد العلوى من إحدى نساء هذه البلاد، وحسب روايات قبيلة "الهدندوة" فإن ابنة هذا الشريف المعروفة باسم "فاطمة"، وهي التي يطلق عليها أيضا اسم "الشريفة العلوية"، تزوجت رجلاً كان يدعى يدعى "محمد المبارك"، وهما اللذان ينتسب إليهما جماعات قبيلة "الهدندوة" العربية ([3]). وقد حكم الأشراف جزيرة سواكن وميناءها لمدة طويلة، ونعرف من حكامها عدداً ممن ورد ذكرهم فى بعض المصادر التاريخية، ولعل من أشهرهم: "الشريف علم الدين"، وهو الذى تصفه بعض المصادر العربية باسم: "صاحب سواكن"، وكذلك "أمير سواكن".

وقد عاصر هذا الشريف أيام السلطان المملوكي "الظاهر بيبرس" (658-676هـ/1259-1277م). وقد سقطت سواكن فى أيامه تحت حكم سلاطين المماليك، كما ارتبط هذا الشريف أيضا بالصراع الذى وقع بين كل من قبيلتى جُهينة ورفاعة في سواكن سنة 680هـ/1281م ([4]). وتشير المصادر إلى أنه فى سنة 662هـ/1265م، أي خلال سلطنة الظاهر بيبرس، سادت حالة من التذمر بين التجار الذين كانوا يأتون إلى ميناء سواكن لتبادل البضائع، بسبب سوء معاملة "حاكم سواكن" لهم. حيث كان هذا الحاكم يستولى قسراً على ميراث من يموت من هؤلاء التجار فى "بحر القلزم" ([5]).

---

(1) Crowford: The Fung Kingdom of Sennar , P.105

(2) Ibid, P. 122

(3) Ibid, P. 122

(4) وللمزيد عن "الشريف علم الدين" وترجمته، انظر شهاب الدين النويرى : نهاية الإرب فى فنون الأدب، جـ30، تحقيق: دكتور محمد عبد الهادى شعيرة، مراجعة : د. محمد مصطفى زيادة، هيئة الكتاب، مركز تحقيق التراث، 1990م، ص239 – 240، وانظر أيضاً علي باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة، جـ13، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2008م، ص62

(5) علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية، جـ13، ص62

ولم يكن حاكم سواكن من يفعل ذلك الصنيع وحده، بل كان يعمل ذلك أيضاً حاكم جزيرة دهلك ([1])، وهو ما أثار غضب التجار وذووهم. وعن ذلك يقول صاحب "الخطط التوفيقية": "إنه فى سنة اثنتين وستين وستمائة، ورد الخبر بأن ملك جزيرة دهلك وملك جزيرة سواكن، يستوليان على تركات من مات من التجار، فأرسل إليهما السلطان يهددهما على هذه الفعال.." ([2]). وتذكر المصادر أن حاكم سواكن آنذاك كان من الأشراف، وكان يدعى: الشريف "علم الدين أسبغانى" ([3]). وهو ما يشير إلى قوة الوجود العربى فى سواكن في ذلك الوقت. خاصة وأنه مع منتصف القرن 7هـ/13م كانت مظاهر العروبة والإسلام قد ذاعت فى سواكن وما جاورها بطول الساحل الأفريقي ([4]).

ولم يقف رد فعل السلطان على مجرد التهديد والوعيد فحسب، إذ أرسل السلطان إلى "حاكم قوص" يأمره بأن يتوجه على رأس حملة عسكرية كبيرة لتأديب "حاكم سواكن". ثم أسرع "والي قوص" بتلبية أمر السلطان. وفى سنة 664هـ/1265م، وردت إلى الظاهر بيبرس رسالة من عامله فى "إقليم قوص"، يخبره فيها أنه بلغ ثغر "عيذاب"، وأنه فى الطريق إلى ميناء سواكن. غير أن "حاكم قوص" لما بلغ سواكن، كان حاكمها قد لاذ بالفرار من بلاده، ولهذا سقطت

سواكن في يد والي قوص، ثم عاد الوالي بعسكره إلى بلاده، بعد أن أحكم سيطرته على ثغر سواكن ([5]).

ولعل هذا ما جعل النويرى يتحدث عن هذه الواقعة، فى حوليات سنة 664هـ/1265م، واصفاً إياها: "ذكر فتوح سواكن" ([6]). وهى إشارة إلى أن سواكن صارت منذ ذلك الوقت تتبع إدارياً سلطان المماليك. أما عن "رواية المقريزى" عن ذات الواقعة: "وورد كتاب والي قوص أنه وصل إلى عيذاب، وبعث عسكر إلى سواكن، ففر صاحب سواكن، وعادوا إلى قوص، وقد تمهدت البلاد، وصارت رجال السلطان فى سواكن.."([7]).

---

(1) جزر دهلك: أرخبيل ارتيري يضم أكثر من مائة جزيرة، أهمها جزيرة دهلك، وهي تقع في مقابل ميناء مصوع على البحر الأحمر (وللمزيد عن جزر دهلك انظر حسين مراد: تاريخ دهلك وحضارتها في القرون الستة الأولى من خلال شواهد القبور، ص2-3، وانظر كذلك محمد كريم ابراهيم: أثر العرب في بلاد البجة وجزر دهلك على انتشار الإسلام، ص71)

(2) الخطط التوفيقية: جـ13، ص62

(3) النويرى: نهاية الإرب فى فنون الأدب، جـ30، ص239

(4) انظر نوال علي محمد عبدالعزيز: العرب فى شرق أفريقيا، ص49

(5) علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية، جـ13، ص62

(6) نهاية الإرب، جـ30، ص239

(7) السلوك، جـ2، ص216

وعن فتوح سواكن يقول النويري: "كان فتحها فى سنة أربع وستين وستمائة، وسبب ذلك أن صاحبها الشريف علم الدين أسبغانى كان قد تعرض للتجار، وأخذ ميراث من مات منهم فى البحر، ومنع أولادهم منه. وكوتب في ذلك، وحذر من العود إليه، فلم تغن المكاتبات شيئا.." ([1]). ويرى البعض أن المماليك وجدوا فيما يقوم به "صاحب سواكن" حجة وذريعة تسوغ لهم الاستيلاء على سواكن، ومن ثم ترك حامية هناك لتأكيد تبعيتها لهم ([2]). وقد أورد شهاب الدين النويرى الكثير من الأحداث التى ترتبط باستيلاء المماليك علي سواكن أيام السلطان بيبرس، إذ يذكر أن "مُتولّى الأعمال القوصية" (حاكم قوص) آنذاك علاء الدين الخزندار، ذهب إلى سواكن عن طريق ثغر عيذاب، ومكث فى طريقه عشرة أيام، وكان يرافقه نيف وأربعون مركباً ([3]). ثم جاء مدد عسكري آخر إليه من القصير، وكان به كلالين موسقة بالمقاتلة ([4]).

ولما علم صاحب سواكن بقدوم هذا الجيش أيقن أنه هالك لامحالة، ولهذا عزم علي الهروب من بلاده. ولهذا يقول المقريزى: "ففر صاحب سواكن.." ([5]). وعن ذلك أيضاً، يقول صاحب "الخطط التوفيقية": "فلما وصلها (حاكم قوص) تبين أن ملكها قد فر هارباً.." ([6]). ولما تمكن حاكم قوص من السيطرة على سواكن، تمهدت الأمور لجنوده هناك، ثم ترك حامية وعاد

لقوص. وعندما علم صاحب سواكن برحيله، عاد إليها مرة أخرى، وحارب حامية المماليك ([7]). ورغم قيمة هذه الرواية، إلا أنها لا تذكر بشكل واضح ما وقع بين "حاكم قوص" و"صاحب سواكن" بعد القتال الذى وقع. غير أن المصادر تذكر أن علم الدين ظل حاكماً على سواكن بعد ذلك، وكان لا يزال فيها إلى أن وقع النزاع الشهير بين جُهينة ورفاعة بسواكن في سنة 680هـ/1281م، وطلب منه السلطان أن يتدخل لوقف هذا النزاع. ويُعتقد أن سواكن ازدهرت وصارت مقصداً للسفن والقوافل التجارية بعد تدمير عيذاب، وسقوطه على يد المماليك ([8]).

---

(1) نهاية الإرب، جـ30، ص239

(2) عطية القوصى: تاريخ دولة الكنوز الإسلامية، ص86

(3) نهاية الإرب: جـ30، ص240

(4) المصدر السابق، ص240

(5) السلوك: جـ2، ص216

(6) علي باشا مبارك: جـ13، ص62

(7) نهاية الإرب: جـ30، ص240

(8) وكان تدمير ثغر عيذاب، وسقوطه علي يد المماليك في النصف الأول من القرن 9هـ/15م، للمزيد انظر: The Fung Kingdom: P.122

(ب) – علاقة النسب بين جُهينة ورفاعة:

كانت قبيلة رفاعة من بين القبائل التي استقرت أيضاً في سواكن، وهم ينتسبون للمجموعة الجُهنية، فهم من قُضاعة، ونسبهم لجد يدعي رفاعة بن نصر بن مالك بن غطفان بن قيس بن جُهينة ([1]). وهو ما يعني أن جدهم من قبيلة جُهينة، وعن القرابة بين كل من جُهينة بن زيد، و"رفاعة" جد الرفاعيين، يقول ياقوت: "فولد غطفانُ بن قيس بن جُهينة: مالكاً وعوفاً، فولد مالك نصراً..وولد نصر: كاهلاً ورفاعة" ([2]). بينما تشير بعض الروايات إلى أنهم فرعٌ من "بني سُليم بن هوازن"، هاجروا لمصر أيام الفاطميين مع بني هلال ([3]). وتذكر مخطوطة أحمد بن الفكي معروف أن رفاعة سكنوا الحبشة أول أمرهم، وأقاموا بين البجة، ثم ارتحلوا لوادي النيل ([4]).

ويشير آخرون إلى أن اسم رفاعة يرجع لقبائل تدعى "رفاعة القواسمة" ([5]). بينما تَنسبهم روايات أخرى لجدٍ يُدعى: "علي بن علي بن بجاد بن رفاعة البصري" ([6]). ولاريب أنه توجد علاقة قوية بين جُهينة ورفاعة، فالقبيلتان بينهما نسبٌ مشتركٌ، وأن رفاعة من بطون جُهينة، كما أن جُهينة قامت بدور قيادي إبان هجرة العرب للنوبة. وتمكن الجهنيون من بسط هيمنتهم على القبائل هناك ومنها رفاعة ([7]). كما أن أجداد الرفاعيين الأوائل كانوا يعيشون بجوار أجداد جُهينة في الحجاز والصعيد ([8]). والمعروف أنه استقرت جماعات من رفاعة في أخميم، كما اتجهت

جماعات منهم لأفريقية ([9]). وتوجد بطون أخرى باسم رفاعة في غير جهينة، ومنهم: ولد رفاعة بن زيد، جد بني روح من الصحابة ([10]).

---

(1) للمزيد، انظر ابن الكلبي: جمهرة النسب،جـ2، ص494–496، وللمزيدعن رفاعة ملحق 9، ص251

(2) المقتضب: ص288، وفي مخطوط الذهبي، وهو المعروف باسم: "المختلف والمتشابه في الأسماء والكني والأنساب"، يذكر الذهبي أسماء بعض الأعلام ممن ينتسبون لقبيلة عرب رفاعة، ومن هؤلاء: عبد الملك بن مهران الرفاعي، وعلي بن سليمان الرفاعي، ويزيد بن إبراهيم الرفاعي، وإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الرفاعي، وجعفر بن محمد الرفاعي، وأبو القاسم عبدالله بن محمد الرفاعي (انظر الذهبي: مخطوطة المختلف والمتشابه في الأسماء والكني والأنساب، ورقة 50).

(3) عون الشريف قاسم: موسوعة القبائل والأنساب، جـ2، ص 979

(4) انظر متن المخطوطة Macmichael: A History of Arabs, Vol. II, P.345، انظر ملحق10

(5) موسوعة وكيبيديا: الموسوعة الحرة (الانترنت)، "مادة رفاعة"

(6) انظر ابن القيسراني: كتاب الأنساب المُتفقة، ص108

(7) عون الشريف قاسم: موسوعة القبائل والأنساب، جـ2، ص979

(8) المرجع السابق، ص 980 (9) المرجع السابق، ص 979

(10) المقريزي: البيان والإعراب، ص129

وحسب إحدى الوثائق السودانية التي تتحدث عن ذهاب جُهينة ورفاعة إلى البجة. ويقول متن هذه المخطوطة: "ثم عُد لجُهينة ورفاعة التي رحلت من البجاء إلى النيل.." ([1]). وهي مخطوطةٌ يبدو منها أن العلاقة بين القبيلتين كانت على ما يُرام، وأن هاتين القبيلتين سكنتا معاً في بلاد البجة، والتي ورد اسمها في هذه الوثيقة بلفظ "البجاء"، وهو لفظ كما هو واضح يندر استخدامه. ويرجح أن جماعات جُهينة وأقاربهم من الرفاعيين عاشوا في هدوء وسلام في سواكن في باديء الأمر، خاصة وأنه كانت تجمع بين القبيلتين الكثيرُ من العلاقات والوشائج الطيبة، خاصة ما يجمع كلتيهما من قرابة النسب والأصل، وهو ما كان له أثره اللافت في ذلك التقارب ([2]).

كما يقول الدكتور عون الشريف قاسم: "فالطريق الذي سلكته جُهينة ورفاعة في السودان، وجوارهما لبعضهما يؤكد قدم هذه الصلة، ولابد أن يؤدي الجوار إلي التزاوج والتحالف، وليس من خلاف جوهري بين الأصل الرفاعي والجُهني، إذ الأول يكون جزءاً من الثاني في المعني العام.." ([3]). وهذه إشارات واضحة إلى أن العلاقة بين كل من الجُهنيين والرفاعيين كانت طيبة وودية، وأنه حدث تزاوج فيما يبدو بين جماعات القبيلتين في بلاد البجة قبل أن تقع الفتنة بينهما.

ورغم أن الدكتورعون الشريف قاسم يتحدث بتحفظ لحد ما عن الأصل والقرابة القديمة لكلتيهما، فإننا نؤكد أن القرابة التى بينهما هي من الأمور المقطوع بها تاريخياً، وذلك حسب ما

ورد في أمهات الكتب التى تتحدث عن الأنساب والقبائل العربية القديمة، خاصةً ما ورد في كل من كتاب "جمهرة النسب" للنسابة ابن الكلبي، وكذلك كتاب "المقتضب" لياقوت الحموي، وغيرهما من المصادر الأخرى ([4]). كما يؤكد المستشرق "ماكمايكل" Macmichael على علاقة القرابة والنسب بين رفاعة وقبيلة جُهينة ([5]).

---

(1) مخطوطة عن قبيلة جُهينة ورفاعة، من مجموعة محمد بن زيد، انظر شبكة الانترنت: موقع السلالات العربية، وانظر كذلك موقع www.dnaarab.com، انظر صورة هذه المخطوطة في ملحق الدراسة، شكل رقم 18، ص272

(2) يقول الدكتور رجب عبدالحليم: "ومعني ذلك أن جُهينة انتشرت في وادي العلاقي في مصر، ومنه اتجه بعضها إلي شرق السودان حتي سواكن التي هاجر إليها أيضاً عرب رفاعة.." (ميناء عيذاب ووادي العلاقي، ص242)

(3) موسوعة القبائل والأنساب، جـ2، ص980

(4) وللمزيد عن أصل النسب والعلاقة بين قبيلتي عرب رفاعة وجُهينة، انظر ابن الكلبي: جمهرة النسب، جـ2، ص494–496، ياقوت الحموي: المقتضب، ص288

(5) A History of the Arabs, Vol. I, P. 239

(جـ) – بداية الصراع بين القبيلتين:

غير أن الأمور لم تمض على ما يُرام بين قبيلة جُهينة ورفاعة، حيث وقع نزاع أو خلاف بين بعض الجماعات التي تنتمي لهاتين القبيلتين، ثم أخذ هذا الخلاف القبلي يتحول إلى صراع كبير بينهما في سواكن، أو ما تصفه بعض الروايات بـ"الفتنة" بين القبيلتين، ويعتقد الباحث أن هذا الصراع كان قد وقع بعد أن أجبرت قبيلة ربيعة جماعات جُهينة ورفاعة على ترك "أرض المعدن". وتشير بعض المصادر إلى أنه في سنة 680هـ/1281م، وقعت فتنةٌ بين القبيلتين، وما لبثت أن تحولت هذه الفتنة إلى نزاعات دموية بينهما، فيما يذكر البعض أن حروباً كانت قد وقعت بين القبيلتين ([1]).

ويرى الباحث أن لفظ الحرب قد لا يوافق ما وقع بين كل من قبيلة جهينة ورفاعة، فالحروب بمعناها العام تقع بين بلدان بعضها البعض، حيث تملك كل منها أعدادا هائلة من الجنود وكذلك العتاد الحربي، أما ما كان بين جهينة ورفاعة وهما قبيلتان تضم كل منهما ربما آلاف الأفراد لا أكثر في سواكن، فما وقع بينهما لم يكن أكثر من صراع قبلي، أو ما يعرف بـ"الفتنة"، ولعل هذا اللفظ الأخير – أي الفتنة – هو الأدق في وصف ما حدث في ذلك الوقت.

وقد وقع هذا الصراع تحديدا سنة 680هـ/1281م حسب المقريزي ([2])، إذ يقول: "وفيه (أي رجب سنة 680هـ/1281م) كانت وقعة في صحراء عيذاب بين عرب جُهينة ورفاعة.." ([3]). وحسب آخرين حدث هذا الصراع سنة 681هـ/1282م ([4]). ولعل هذا الصراع هو الذي أشار

إليه مجازاً ابن خلدون دون أن يذكر صراحة القبيلتين في روايته عن وقوع نزاعاتٍ بين القبائل ومنها جُهينة، ومن ثم تشرزموا، وصاروا شيعاً ([5]). كما قال ابن خلدون أيضاً: "وليس في طريقه شيء من السياسة الملوكية للآفة التي تمنع انقياد بعضهم إلى بعض، فصاروا (أي قبائل العرب) شيعاً لهذا العهد، ولم يبق لبلادهم رسم للمُلك.." ([6]).

---

(1) المقريزي: السلوك، جـ1، ص280، عون الشريف قاسم: موسوعة القبائل والأنساب، جـ3، ص980

(2) السلوك: جـ1، ص280

(3) المصدر السابق، ص280

(4) رجب عبدالحليم: ميناء عيذاب ووادي العلاقي، ص242

(5) العبر: جـ5، ص491

(6) المصدر السابق، ص491، أما في روايات المحدَثين، فقد ورد الحديث عن هذا النزاع القبلي صريحاً، يقول الدكتور يوسف فضل حسن: "ومن دروب الصحراء الشرقية تدفقت جُهينة إلى أرض المعدن، وشاركت هي ورفاعة البجة في موطنها، ثم تشاجرتا في صحراء عيذاب في عام 1281م.." (مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية: ص36)

كما أشار إلى هذا النزاع المستشرق "يان زاهوريك" Jan Zahorik ، وإن لم يُعط الكثير عنه ([1])، لكنه يذكر أن حقبة هذا الصراع تميزت بعدم الاستقرار، وأنها شهدت العديد من الصراعات بين القبائل العربية ([2]). وهو ما يشير ربما إلي أن الصراع بين قبيلتي جُهينة ورفاعة لم يكن إلا واحداً من تلك الصراعات العربية التي وقعت آنذاك، غير أننا لا نجد لقوله أدلة في المصادر ([3]). وكانت قبيلة رفاعةُ تسكن أيضاً أرض البجة مع قبيلة جُهينة، ويبدو أنه لما وقع الصراع بين قبيلة جُهينة وقبيلة ربيعة، كانت قبيلة رفاعة ممن تحالف مع قبيلة جُهينة، وهو أمر منطقي بحكم القرابة والنسب بينهما. ثم اضطرت هاتان القبيلتان إلى أن تهاجرا قسراً، ثم سكنتا سواكن بعد ذلك. ثم وقع النزاع بين هاتين القبيلتين، وإن لم تبلغ الأمور حالة الحرب في رأي الباحث، رغم أن البعض استخدم لفظ الحروب للإشارة لما وقع. وقد وصف المقريزي ما حدث بين القبيلتين بـ "الوقعة". وحسب البعض، فقد أدى هذا الصراع إلى سقوط الكثير من القتلى والضحايا ([4]).

(د) – تدخل حاكم سواكن فى الصراع:

ولما وقع النزاع القبلي بين كل من جُهينة ورفاعة، ونتج عنه سقوط أعداد كبيرة من القتلى والضحايا، بعث السلطان المنصور قلاوون برسالة إلى "حاكم سواكن" (أو صاحب سواكن، وكان رجلا ًمن الأشراف يُدعى "الشريف علم الدين" حتى يتدخل بين زعماء القبيلتين لانهاء الصراع بين القبيلتين ([5]).

(1) Jan Zahorik: The Islamization of the Beja , P. 8

(2) Ibid , P. 8، ولعل يان زاهوريك توصل لفكرة تعدد الصراعات القبلية بين القبائل العربية من خلال رواية ابن خلدون (العبر: جـ5، ص491)

(3) يقول الدكتور عون الشريف قاسم: "وتذكر المصادر أن حروباً وقعت بين جُهينة ورفاعة في صحراء سواكن عام 680هـ/1281م" (موسوعة القبائل والأنساب: ص980)

(4) بينما يقول المقريزي عن ضحايا هذه الفتنة: "قُتل فيها جمَّاعة.." (انظر المقريزي: السلوك، جـ 1، ص 280، ممدوح الريطي: المرجع السابق، ص 97، وقد وصفت "رواية تقي الدين المقريزي" ما وقع بين قبيلتي جُهينة ورفاعة في سواكن بالوقعة وليست الحرب، وهو ما يعني أنه اعتبرها فتنة بين القبيلتين العربيتين (انظر السلوك: جـ1، ص280)

(5) وللمزيد انظر السلوك: جـ1، ص280، عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، جـ1، دار العلم، بيروت، 1968م، ص217

ونُصِح حاكم سواكن أن يلتزم الحياد بين الطرفين، وألا يؤيد قبيلة على أخرى حتى لا تزيد الأمور فساداً واضطراباً بين الطرفين ([1]). ولهذا يقول المقريزى: "فكُتب إلى الشريف علم الدين صاحب سواكن بأن يوفق بينهم، ولا يعين طائفة على أخرى خوفاً علي فساد الطريق.."([2]). بينما أشارت المصادر إلى أن سلطان مصر آنذاك – وهو السلطان "المنصور قلاوون" (678-689هـ/1279-1290م) – تدخل بنفسه لوقف هذا الصراع الدموي ([3]). وعن ذلك يقول صاحب "الخطط التوفيقية": "فكتب السلطان إلى الشريف علم الدين أمير سواكن للوساطة بين الفريقين بدون أن يميل مع أحد منهم، لأنه يخاف من طول الحرب انقطاع الطرق.." ([4]). وهو ما يشير إلى خشية السلطان المملوكي من الآثار الاقتصادية السلبية من وجود مثل هذه الصراعات القبلية العربية.

ولعل روايتي المقريزي وعلي باشا مبارك عن هذا الصراع يتضح منهما الكثير من الأمور المهمة، ومنها أن الأمير "علم الدين" الذي تحدثنا عنه آنفا كان لايزال حاكما علي سواكن، رغم ما وقع بينه وبين سلطان مصر في سنة 662هـ/1263م، وأن الوئام فيما يبدو قد عاد بينهما مرة أخرى. كما أن طلب السلطان المملوكي من حاكم سواكن التدخل لانهاء النزاع يشير إلى ثقة السلطان فى هذا الشريف العربي، ومن ثم طلب منه أن يتدخل لوضع حد لمثل هذا الأمر القبلي الشائك.

كما تشير هذه الرواية إلى أن سلطان مصر كان يخشى أن يؤثر ذلك الصراع في حالة استمراره مدة أطول على أمن واستقرار الطرق التجارية التى كانت تعبرها القوافل، وكانت سواكن

مقصداً رئيساً لها، وهو ما قد يؤثر سلباً على اقتصاد دولة المماليك. كما خشى السلطان من تأثير ذلك الصراع العربى على "مواكب الحج" التى كانت تعبر بحر القلزم عبر سواكن إلى بلاد الحجاز، وكانت مواكب لها عائد اقتصادي كبير. ولهذا بعث السلطان المملوكي برسالة عاجلة إلى "حاكم سواكن" ليتدخل لايقاف هذه الفتنة ([5]).

---

(1) المقريزى: السلوك، جـ1، ص280

(2) المصدر السابق، ص280

(3) Jan Zahorik: Op. Cit., P. 8

(4) علي باشا مبارك: جـ13، ص62

(5) علي باشا مبارك: المصدر السابق، ص62، وعن طلب السلطان المملوكي من "صاحب سواكن" التدخل لايقاف الفتنة بين جهينة ورفاعة، يقول يقول محمد صالح ضرار: "إن سلطان مصر فى سنة 600هـ، أرسل خطابا إلى الشريف علم الدين أمير سواكن يطلب فيه أن يوفق بين عرب جُهينة ورفاعة، وأن لا يعين طائفة على أخرى خوفا من فساد الطريق.." (تاريخ السودان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ص117)

واللافت للنظر أن البعض يذكر أن السلطان بعث برسالته إلى حاكم سواكن سنة 600هـ/1203م، أى قبل حوالى ثمانين سنة من بداية الصراع الفعلي بين جُهينة ورفاعة ([1]). فالمؤكد أن النزاع بين هاتين القبيلتين حسب ما ورد فى المصادر كان قد وقع فى سنة 680هـ/1281م. أو ربما كان قد وقع نزاع قديم بين القبيلتين قبل هذا الصراع الأخير، وهو ما لا يميل إليه الباحث. ويؤكد البعض حدة هذا الصراع بسبب كثرة أعداد من وقع من الضحايا والقتلى، وأن الحروب كانت غير منقطعة بين جماعات القبيلتين ([2]).

وعلى أية حال لما وصل الكتاب الذى بعث به السلطان المنصور قلاوون إلى الشريف "علم الدين"، أرسل حاكم سواكن لزعماء كل من جُهينة ورفاعة من أجل القدوم إليه. وامتثل كلاهما لأمره رغبة في وضع حد لهذا الصراع، فمما لاشك فيه أن كليهما كان يشعر بفداحة ما وقع بينهما من قتلى وضحايا نتيجة هذه الفتنة القبلية، ولعل كلاهما كان ينتظر تدخل أطراف محايدة من خارج القبيلتين لوضع نهاية لهذا الصراع. ومن ثم فإن التصالح فيما يبدو عُقد بين القبيلتين دون مشقة، وهو ما يشير لرغبة كل منهما فى وقف سفك الدماء بينهما ([3]).

غير أن المصادر التاريخية لا تمدنا بمزيد من الأخبار فى هذه الشأن، خاصة بما حدث بعد نهاية هذا الصراع بين كل من قبيلة جُهينة وعرب رفاعة، فالأخبار عن ذلك جد شحيحة، لكنها تشير فى ذات الوقت إلى أن أكثر جماعات القبيلتين اضطرت للرحيل عن أرض البجة، والذهاب بعيداً صوب الجنوب. والراجح أن هذا الصراع كان سبباً رئيساً فى تلك الهجرة التي قامت بها قبيلتا جُهينة ورفاعة، إذ تذكر المصادر التاريخية أن جماعات من القبيلتين ارتحلت

إلى الجنوب، وتحديداً إلى بلاد النوبة وبلاد الحبشة، وطاب لهم المقام بها، وصارت لهم سطوة وشوكة هناك، خاصة عرب جُهينة الذين تصاهروا مع ملوك بلاد علوة، وانتقل الحكم لأبنائهم بعد ذلك ([4]).

---

(1) محمد صالح ضرار: تاريخ السودان، ص117، ولعل ذلك التاريخ الذي يذكره محمد صالح ضرار يشير إلى وجود خطأ مطبعي، أو في النسخ

(2) يقول محمد صالح ضرار: "وقد حدثت حروب متوالية، ووقائع متعاقبة بين هذين الرهطين، سفكت فيها دماء غزيرة بين عيذاب وبادية سواكن.." (تاريخ السودان: ص117)

(3) المرجع السابق، ص117، Jan Zahorik: Op. Cit., P. 8

(4) انظر ابن خلدون: العبر، جـ5، ص491، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ5، ص277

ويعتقد أن قبيلة جُهينة وقبيلة رفاعة لما هاجرا من بلاد البجة صوب الجنوب كانت الأمور بينهما قد هدأت، وصارت العلاقة بينهما ودية ([1]). ويرى الباحث أن هذا يشير إلى أنه بمجرد انتهاء النزاع، حاول الطرفان نسيان ما جرى بينهما من خلافات، إذ إن وشائج النسب قربت بينهما من جديد. وتعد "رواية ابن خلدون" من أهم المصادر التى تحدثت عن هجرة قبيلة جُهينة خاصة إلى بلاد الحبشة وسودان وادى النيل ([2]).

وهذه الرواية التاريخية المهمة تشير أيضاً إلى توسع "الوجود الجُهني"، وكذلك امتداد نفوذ جماعات هذه القبيلة في مناطق الجنوب. وقد بلغ نفوذهم إلى بلاد الحبشة وتخومها، وصارت لهم أحياء في تلك البلاد، كما أنهم أصبحوا أهل قوة ومنعة، وهو ما حدث أيضاً لهم في بلاد النوبة وما جاورها. ويؤكد القلقشندي ذلك التوسع الجهني في مناطق الجنوب خاصة في بلاد النوبة، إذ يقول: "ثم انتشرت أحياء جُهينة من العرب في بلادهم.." ([3]). كما يشير أيضاً إلى أن عرب جُهينة عاثوا فساداً فى الجنوب خاصة في بلاد النوبة، وأنهم تسببوا فى سقوط ممالك النوبة التى كانت تدين بالمسيحية في ذلك الوقت ([4]).

وعلى هذا فالمؤكد، فيما رأي الباحث، أن الصراع بين قبيلة جُهينة وعرب رفاعة أدى بالطبع لحدوث حالة من الفوضى وعدم الاستقرار، وكذلك وقوع اضطرابات أمنية فى هذه المنطقة، وتحديدا قرب ميناء سواكن، وما يجاوره من مناطق على ساحل بحر القلزم. إذ ضعفت حركة التجارة عبر الميناء بسبب قلة المراكب التى كانت تأتى إلى الميناء بسبب الوضع الأمني غير المستقر هناك. ومن ثم كان لهذا النزاع العربى تأثيره السلبى على اقتصاد بلاد البجة التى كان يعتمد سكانها علي التجارة عبر بحر القلزم، فالتجارة البحرية كانت في ذلك الوقت من أهم مصادر الدخل لهم، كما كان لهذا الصراع آثاره السلبية من جانب آخر على دولة المماليك في مصر والشام، ولهذا حرص السلطان قلاوون على وقفه بأي وسيلة.

(1) وعن هجرة كل من جُهينة ورفاعة من بلاد البجة، يقول صالح ضرار: "وارتحلوا (أى جُهينة ورفاعة) من إقليم البجة إلى ضفاف النيل وهم على أتم اتفاق.." (تاريخ السودان: ص117)

(2) إذ يقول ابن خلدون: "وبالصعيد الأعلي، وما وراءها، إلى أرض النوبة إلى بلاد الحبشة قبائل متعددة وأحياء متفرقة، كلهم من جُهينة إحدى بطون قُضاعة، ملؤوا تلك القفار، وغلبوا النوبة على مواطنهم وملكهم، وزاحموا الحبشة فى بلادهم، وشاركوهم فى أطرافها.." (العبر، جـ6، ص7)

(3) صبح الأعشى، جـ 5، ص277

(4) المصدر السابق، ص 277 – 278، ويذكر القلقشندى أنه نقل تلك الرواية التى يرويها فى كتاب "صبح الأعشى" عن كتاب "العبر" لابن خلدون (للمزيد انظر صبح الأعشى: جـ5، ص277)

رابعاً– قبيلة جُهينة ودورها الحضاري في تعريب بلاد البجة:

وبعد هذه الاطلالة التاريخية عن هجرة عرب جهينة إلى بلاد البجة، واستقرارهم في هذه البلاد، فإنه مما لاريبفيه أن عرب جُهينة تركوا تأثيرا حضاريا واضحا في هذه البلاد، وأنهم ساهموا بدور كبير في نشر الإسلام وتعريب البجة، وأنهم نقلوا الكثير من العادات والتقاليد العربية لأهل تلك البلاد. والمعروف أن انتشار العروبة في البجة كان سابقاً بمدة طويلة، ربما تصل لعدة قرون قبل الفتوحات الإسلامية، وذلك بفضل الهجرات العربية، وهو ما تشير إليه "معاهدة البقط" التي وقعت في سنة 31هـ/651م ([1]).

ويرى الباحث أن شعب البجة تحول بفضل قبائل العرب وفي مقدمتهم جُهينة من شعب حامي الأصل، يغلب عليه الطابع الأفريقي البدائي، إلى شعب مُستعرِب تبدو عليه الكثير من المظاهر الحضارية العربية. فقد مال غالبية البجاة إلى تقليد العادات العربية التي كانت تتوافق وتتلاءم كثيراً مع طبيعة الحياة في بلادهم، بينما بقي البعض منهم على عاداته البدائية. ومن أكثر مظاهر التقاليد العربية التي ظهرت عليهم اهتمامهم بارتداء الزي العربي، وتقليد ما كان يرتديه العرب من ثياب، فالمقريزي يذكر: "البجة قبيلة من الحبش، أصحاب أخبية من شعر..يتزيون بزي العرب.." ([2]).

وهذا ما ينطبق على غالبية البجاة الذين مالوا للتقاليد العربية، خاصة مع وجود تأثيرات عربية قديمة انتقلت إليهم عن طريق قبيلة بلي التي هاجرت لبلادهم منذ ما قبل الإسلام ([3])، وكذلك تأثير الحضارمة العرب وهم أجداد الحدارية زعماء البجة ([4]). ويشير ابن حوقل إلى التأثيرات العربية في ملابس البجاة، وتحول ثيابهم للطابع العربي: "وألوانهم أشد سواداً من الحبشة في زي العرب.." ([5]).

(1) للمزيد عن معاهدة البقط، انظرالبلاذري: فتوح البلدان، ص281، تاريخ الطبري: جـ2، ص599، مصطفي مسعد: معاهدة البقط نمط فريد في مجال العلاقات الدولية في الإسلام، ص477 وما بعدها، شوقي عبدالقوي

عثمان: العلاقات التجارية بين مصر والدول الأفريقية في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، 1975م، ص39

(2) الخطط: جـ1، ص319

(3) وعن بلي وهجرتها للبجة، انظر ياقوت: المقتضب، ص280-282، القلقشندي: قلائد الجمان، ص24

(4) وعن هجرات الحضارمة العرب وعلاقتهم بالحدارية انظر تاريخ اليعقوبي: جـ1، ص165، المسعودي: مروج الذهب، جـ2، ص16، ابن خلدون:العبر، جـ2، ص244، Macmichael: Vol. I, P. 346 ، وانظر كذلك Paul: A Hadareb, S.N.R., P. 75

(5) صورة الأرض: ص55

كما أن أثر العرب بدا جلياً في السمات الجسدية للبجاة، حيث قلت حدة البشرة السوداء، وصارت قريبة من العرب، ولهذا قال ابن حوقل: "وتقرب ألوانُهم من العرب بين السواد والبياض.." ([1]). وأشار القلقشنديُ لمعني قريب من ذلك، إذ يقول: "وهم أصفي السودان لوناً.." ([2]). ويذكرالاصطخري أن ألوانهم تقرب من ألوان العرب، وأن بشرتهم ما بين السواد والبياض ([3]). وهي إشارات لصفاء بشرة البجاة، وأنها لم تعد تشبه في سوادها الشعوب الزنجية بفضل اختلاطهم بالعرب، ومنهم جُهينة، إذ صاروا أقرب شبها للعرب من غيرهم.

ويمكن القولُ بأن البجاة قبل قدوم قبائل العرب لبلادهم كانوا كغيرهم من الشعوب الأفريقية البدائية التي تُفضل "عادة العُرّي"، إلا ما يستر العورات فحسب. ويذكر ابن الجوزي أن ربع من لا يلبس الثياب من السودان مثل جميع الناس ([4]). بينما يشير ابن تغري بردي إلي أن البجاة قبل قدوم حملة المتوكل على الله (232-247هـ/846-861م) لبلادهم بقيادة القمي (241هـ/855م)، كانوا يفضلون العُري كسائر الشعوب البدائية، ثم يقول: "غير أنهم عُراة، بغير ثياب، وأكثر سلاحهم الجراب والمزاريق.." ([5]).

وكانت هذه الحملةُ قبل توغل العرب في بلادهم، وقبل أن يغلب أثرهم على البجاة، حيث يُعد العُرّي عند العرب أمراً قبيحاً، ولا يليق الظهور به لا بين الرجال أو النساء، لأن هذه الظاهرة المقيتة تخالف الفطرة البشرية السوية التي تقوم على الحياء، ووجوب أن يستر الإنسان عورته أمام الآخرين، ولهذا أخذ كثيرمن البجاة بعادة ستر العورة كما عند العرب، كما مالوا لتقليدهم في طريقة ارتداء الثياب بعد أن اختلطوا بهم، واعتنقوا الإسلام. وربما تكون رواية العُمري أكثر دلالةً على حال البجاة قبل قدوم العرب، والاختلاط بهم، إذ يقول: "إن سكان هذه البلاد المذكور لا فرق بينهم وبين الحيوانات الوحشية، لكونهم حُفاة عُراة، وليس على أحدهم من الكسوة ما يستره..ولا يعترف أحد منهم بزوجة، ولا بولدٍ، ولا بأخٍ، أو أختٍ، بل هم علي صفة البهائم، ينزو

بعضُهم على بعض.." ([6]). هذه كانت بعض أحوال البجاة البائسة قبل أن يختلطوا بالعرب، وقبل أن يعتنقوا الإسلام، ويفشوا بينهم، ويؤثر فيهم، وهو الدين الذي يكرم الإنسان، ويوقرالفطرة الطيبة.

---

(1) صورة الأرض: ص61

(2) صبح الأعشي: جـ5، ص273

(3) مسالك الممالك: ص30

(4) للمزيد، انظر تنوير الغبش في فضل السودان والحبش: ص39

(5) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ2، ص298

(6) المصدر السابق، ص 296-297

وعلى هذا، كان الوجود العربي بمثابة مرحلة فارقة في تاريخ بلاد البجة، حيث انتقلوا بعد ذلك من حياة بدائية إلى أخرى أكثر حضارة وتطورا، مقارنة بحالهم قبل قدوم العرب. فالمقطوع به أن أحوال البجاة تبدلت بعد الاختلاط بالقبائل العربية، وصارت المظاهر والتقاليد العربية واضحة على سيماهم، ولهذا يقول العُمري: "تزوجوا (أي العرب) من البجة، وزوجوهم، واختلطوا بهم حتى بقوا كالشيء الواحد.." ([1]).

والذي لا نشك فيه أن عادة العُرّي عند شعب البجاة لم تنته تماماً حتى بعد اعتناقهم الإسلام، وبعد اختلاطهم بالعرب، فقد شاهد ابنُ جبير (ت: 614هـ/1217م) بعضهم دون ثياب إبان زيارته لبلادهم، وهو في الطريق لأداء مناسك الحج، إذ يقول: "ورجالهم ونساؤهم يتصرفون عراةً، إلا خرقاً يسترون بها عوراتهم، وأكثرهم لا يستترون.." ([2]). وربما بقي بعضهم يمارس بعض العادات الوثنية الجاهلية، والراجح أن العراة منهم كانوا من غير المسلمين، وأنهم من الوثنيين ممن لم يتأثروا بعادات الإسلام، وقيمه السامية التي تدعوا لوقار الإنسان.

كما تبدو التأثيرات العربية أيضاً في بلاد البجة وما جاورها، والتي بلغت بلاد الحبشة، بفضل هجرات العرب قبل الإسلام، وكانت "قبيلة بلي" من أكثر القبائل تأثيرا في البجة منذ حقبة ما قبل الإسلام، وظل له تأثير أيضاً بعده. و"قبيلة بلي"، وهم من بني عمومة قبيلة جُهينة، هاجروا إلى بلاد البجة، فيما يرى البعض، إبان القرن الأول الميلادي، أو قبله بقليل، وأقاموا غرب البحر الأحمر ([3]).

وعلى أية حال، فقد اختلط البلويون بالبجاة، خاصة بالقبائل التي كانت تقطن شمالي هذه البلاد، ثم تصاهروا معهم، ومن ثم انتقلت لهم أمور الحكم والقيادة بفضل "نظام الوراثة" الذائع هناك، وهو "نظام الأمومة" ([4]). وقد كونت تلك الجماعات العربية القديمة ما يمكن أن نطلق عليه "طبقة أرستقراطية"، وهي التي أطلق عليها مؤرخو اليونان والرومان اسم "البليميين" Blemmyes ([5]).

(1) مسالك الأبصار، جـ4، ص245
(2) رحلة ابن جبير: ص76
(3) انظر مصطفى مسعد: البجة والعرب، ص12-13
(4) المرجع السابق، ص13
(5) المرجع السابق، ص13

وعلى أية حال، أقام هؤلاء البليميون العرب مملكة هناك باسم "البلو"، واشتهروا باستخدام "الخيول"، وبرعوا في العناية بها، والمعروف أن الخيول تعد من الدواب التي ترتبط دوما بـ "الفروسية" عند قبائل العرب. ومما يؤكد أيضاً أصولهم العربية أن البجاة يطلقون على العربي بالتبداوية "بلاوي" (أو بلوي)، كما أن"بلويت" (بلاويت) في لغتهم تعني العربية ([1]). وهي ألفاظ مشتقة من اسم بلي العربية. كما أن جماعات من الحضارمة العرب كانوا قد هاجروا إلى هذه البلاد، وهم أجداد "الحداربة" الذين صاروا حكاما على بلاد البجة. وتؤكد "أوراقُ النسبة" Nisbas أنهم جاءوا من بلاد حضرموت جنوبي جزيرة العرب منذ السنين المبكرة للإسلام ([2]). ويشير المستشرق ماكمايكل إلى أن الحضارمة هاجروا عبر البحر الأحمر، وسكنوا بين قبائل البجة، وتصاهروا معهم، وبرزوا خاصةً في سواكن ([3]). كما أن الرحالة "بوركهارت" Burckhardt (1784-1817م) ([4])، أشار إلى أن "قوافل الحداربة" كانت تذهب إلى سنار والأُبيّض ([5]).

ولعل كل هذه الشواهد والإشارات التاريخية تؤكد أصالة التأثير العربي في شعب البجة منذ ما قبل الإسلام، وقبل مجيء عرب جُهينة وغيرهم من القبائل للاستقرار في تلك البلاد. ولاريب أن قبيلة جُهينة، وغيرها من قضاعة خاصة قبيلة بلي، ساهمت بدور فعال في تعريب البجاة ونشر الإسلام بينهم، وهو ما تؤكده المصادر التاريخية.

والمعروف أن البجاة كانوا في الأصل شعباً وثنياً قبل أن يعتنقوا الإسلام، كما كان منهم من يدين بالنصرانية، وذلك بفضل التأثيرات الحبشية، وكذلك النوبية، كما كان منهم "عبدة الأرواح"، وغير ذلك من النِحل والمُعتقدات التي ذاعت في بلادهم منذ ما قبل الإسلام. ويشير المؤرخ اليعقوبي أيضاً إلى أن إحدى الممالك التى تقع في بلاد البجة كانت تدين بديانة تشبه "المجوسية" ([6]).

(1) رجب عبدالحليم: ميناء عيذاب، ص 243، مصطفي مسعد: البجة والعرب، ص10
(2) Macmichael: A History of the Arabs , Vol. I , P. 346
(3) Ibid , P. 346

(4) بوركهارت (1784–1817م): رحالة سويسري اهتم ببلاد الشرق، ودرس اللغة العربية، وعاش ببلاد الشرق وأفريقيا، وقيل اعتنق الإسلام، رافق رحلة الحجاج الأفارقة، وأطلق لحيته (انظر موسوعة ويكيبيديا).

(5) Macmichael: O.P. Cit., P. 346

(6) تاريخ اليعقوبي: جـ1، ص 165، ويقول اليعقوبي: "والمملكة الثانية من البجة: مملكة يقال لها: بقلين، كثيرة المدن، واسعة، يضارعون في دينهم المجوس والثنوية، فيسمون الله عز وجل الزنجير، ويختتنون.." (تاريخ اليعقوبي: جـ2، ص 296–297).

ويتحدث المؤرخون عن دور قبيلة جُهينة تحديدا في تعريب بلاد البجة، وكذلك نشر تعاليم ومبادىء الإسلام بين سكان تلك البلاد، وكذلك ما ساهموا به فى تأكيد مظاهر الثقافة والتقاليد العربية في بلاد البجة، وعلى هذا تبدأ مرحلة جديدة من مراحل انتشار العروبة والإسلام إلى ما وراء حدود مصر الجنوبية، خاصة في بلاد سودان وادي النيل ([1]). ولعل ذلك يشير إلى أن قدوم جُهينة إلى بلاد البجة كان بمثابة الفتح الجديد لهذه البلاد غير العربية حتى تتشرب بالإسلام، وتنتشر مبادؤه بين سكانها، وأن يختلطوا على نحو قوي بالثقافة العربية التي حولتهم لشعب أقرب ما يكون للعرب في حياتهم وعاداتهم. بينما كانوا قبل قدوم القبائل العربية أهل وثنية، يعبدون الأوثان، والأرواح، وغير ذلك من العقائد، وهو الأمر الذي تؤكده المصادر، ومنها "رواية الاصطخري" التي تشير إلى أن البجة كانوا "قوماً يعبدون الأصنام، وأن بعضهم كان يدين بالنصرانية" ([2]).

ويشير الشريف الإدريسي لوجود النصرانية بقوة بين سكان تلك البلاد، إذ يذكر أن أكثر أهل البجة كانوا من النصاري، وهم علي "مذهب اليعاقبة" وهو مذهب "الطبيعة الواحدة"، وهو ذاته المذهب الذي اعتنقته "كنيسة الإسكندرية" ([3])، وكان قبل قدوم القبائل العربية إلى بلادهم. وقد هجر شعب البجة بعد أن اعتنقوا الإسلام الكثير من العادات والتقاليد الجاهلية التي كانت ذائعة في بلادهم، وكان الكثير منها يخالف ثوابت الإسلام وشريعته.

ولهذا تقول "رواية ابن حوقل" عن البجاة بعد اعتناقهم للإسلام: "وأسلم أكثر البجة إسلام تكليف، وضبطوا بعض شرائع الإسلام، وظاهروا بالشهادتين، ودانوا ببعض الفرائض.." ([4]). وهو ذات المعنى الذي تشير إليه مخطوطة "كاتب الشونة"، حيث تؤكد على حقيقة الوجود الإسلامي القوي في هذه البلاد: "وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجة إلى أن قوي الإسلام وظهر، وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب.." ([5]).

---

(1) وعن دور قبيلة جهينة في نشر العروبة في بلاد البجة، يقول الدكتور مصطفي مسعد: "وبدأت جماعات كثيرة منهم (أي العرب) تسعى للرحيل والهجرة..وحانت لهم هذه الفرصة عقب تأسيس الدولة الطولونية في مصر..حين أعلن عن إعداد حملة حربية إلي بلاد البجة..اشترك فيها كثير من العرب، معظمهم من ربيعة وجُهينة.." (البجة والعرب: ص36)، بينما يقول الدكتور رجب عبدالحليم عن دور عرب جهينة في نشر الدين

الإسلامي بين شعب البجة: "إن انتشار الإسلام في بلاد البجة يعود إلي عوامل عديدة، أهمها استقرار ربيعة وجُهينة، وغيرهما من القبائل العربية في هذه الديار.." (ميناء عيذاب: ص246)

(2) مسالك الممالك: ص 30

(3) المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس: ص37

(4) صورة الأرض: ص 56

(5) مخطوطة كاتب الشونة، ص127

بينما يشيرُ المقريزي إلى أن أكثر من أسلم من أهل البجة كانوا من "الحداربة" (أو الحدارب)، وهم زعماء وملوك هذه البلاد: "ثم كثر المسلمون في المعدن، وخالطوهم، وتزوجوا فيهم، وأسلم كثير من الجنس المعروف بالحدارب إسلاماً ضعيفاً.." ([1]). وربما لأن هؤلاء الحداربة كانوا من أصولٍ عربيةٍ (حضرميةٍ) في الأصل، فإنهم كانوا أكثر البجاة ممن اعتنقوا الإسلام، كما كانوا أكثر من تأثر بالعادات والتقاليد العربية. ولما زار ابن بطوطة هذه البلاد منتصف القرن 8هـ/14م، كان الإسلام قد فشا في بلادهم، وكانت مظاهره جليةً لا يمكن للعين أن تُخطئها، حيث كانت المساجد مشيدة بها، وصار عيذاب مقصداً لكبار العلماء والشيوخ، خاصةً أنهم كانوا يعبرون هذا الثغر إلى بلاد الحجاز إبان رحلة الحج. ولهذا قال: "وبمدينة عيذاب مسجدٌ للقسطلاني، شهير البركة.." ([2]).

وممن قابلهم ابن بطوطة في بلاد البجة من كبار العلماء والفقهاء: الشيخ الصالح موسي، والشيخ محمد المراكشي، وغيرهما ([3]). ولعل وجود قبر الإمام الصوفي المعروف "أبي الحسن الشاذلي" في بلادهم، وتحديداً في منطقة تدعى "الحميثراء"، مما يؤكد على أن بلاد البجة كانت مقصداً لكبار العلماء والشيوخ المسلمين ([4]). كما ارتبط أيضاً بانتشار العروبة والإسلام في بلاد البجة، أن صار أكثر شعب البجة يعرفون اللغة العربية باتقان، رغم أنهم احتفظوا أيضاً بلغتهم القومية التي تعرف بـ"التبداوية" ([5]). كما تأثرت لغتهم التبداوية ذاتها بالكثير من التأثيرات والسمات العربية، حيث دخلتها العديد من المفردات والألفاظ ذات الأصل العربي، كما أثرت اللغة العربية أيضاً في بعض الصيغ النحوية في التبداوية ([6])، وهو ما جعل بين اللغتين الكثير من التشابه.

---

(1) الخطط: جـ1، ص315

(2) تُحفة النظار: جـ1، ص49

(3) المصدر السابق، ص49

(4) أبو الحسن الشاذلي: اسمه علي بن عبدالله بن عبدالجبار الشاذلي، يكني: أبا الحسن، وهو ينتسب لقرية تدعي "شاذلة"، ونسب لها، وهي قرية من قرى أفريقية، ثم جاء الشاذلي لمصر، واستقر بها ونزل بالإسكندرية. يقول عنه الشعراني: "شيخ الطائفة الشاذلية، وكان كبيرالمقدار على المنار..الضرير الزاهد..وقد أفرده سيدي الشيخ تاج الدين بن عطاء الله هو وتلميذه أبوالعباس بالترجمة.." (للمزيد عن ترجمته، انظر عبد الوهاب الشعراني: الطبقات الكبري، جـ2،

المكتبة التوفيقية، 2011م، ص363-370). وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي يكثر من آداء مناسك الحج، وكان يحب الذهاب إلي بلاد الحجاز، وفي إحدى المرات لما كان في طرقه لأداء مناسك الحج عبر بلاد البجة، وكان يريد الذهاب عبر ميناء عيذاب، وافته المنية هناك، ودفن بها في سنة 656هـ/1258م، وعن ذلك يقول الشعراني: "وحج مرات، ومات بصحراء عيذاب قاصدا الحج، فدفن هناك في ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة.."الطبقات الكبري: جـ2، ص363)

(5) محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية، ص260

(6) المرجع السابق، ص260

وقد أشار ابنُ بطوطة أيضاً إلى أنه إبان زيارته لبلاد البجة، رأى جماعاتٍ من جُهينة كانوا لايزالون يقطنون هذه البلاد ([1]). ولا شك أن هؤلاء الجُهنيين وغيرهم من الجماعات العربية ممن سكنوا أرض البجة، وظلوا بها حتى ذلك الوقت (أي منتصف القرن 8هـ/14م) لعبوا دوراً كبيراً في إبراز الطابع العربي الإسلامي في هذه البلاد. ويرى "يان زاهوريك" أن انتشار الإسلام في البجة بدأت إرهاصاته مبكرا منذ القرن 10م (القرن 4هـ) ([2]). غير أن هذا تقدير متأخر لأن الإسلام كان معروفاً هناك منذ القرون الهجرية الأولي. ومع ذلك، اشتد بعض المؤرخين في البجة حتى وهم مسلمون، وقدحوا فيهم بشدة، ومنهم ابن جبير الذي نعتهم بقوله: "فرقة أضل من الأنعام سبيلاً، وأقل عقولا، لا دين لهم، سوى كلمة التوحيد التي ينطقون بها إظهاراً للإسلام، ووراء ذلك من مذاهبهم الفاسدة.." ([3]). كما قال أيضاً: "وبالجملة، فهم أمةٌ لا خَلاَق لهم، ولا جُناح على لاعنهم.." ([4]). وهو رأي قد يُشتَم فيه بعض الإفراط، وعدم الانصاف في ذم البجاة وقدحهم ([5]). فربما أوذي ابن جبير من بعض شرار البجاة، لكن من غير الانصاف التعميم بسوء الخلق على جميع البجاة، والإسراف في ذمهم بهذه الطريقة. ويمكن القولُ أيضاً إن البجاة تأثروا بجُهينة وغيرها من العرب خاصة ما يرتبط ببعض التقاليد التي اشتهر بها العرب، لاسيما ما عُرف عنهم من صنوف الجود والكرم. وقد تحدثت المصادرُ عن بعض مظاهرالكرم عندهم، وأنهم كانوا يُفرِطون في ذلك، فالمقريزيُ يقول: "وهم يبالغون في الضيافة، فإذا طَرَق أحدَهم الضيفُ ذبح له، فإذا تجاوز ثلاثة نفرٍ، نَحَر لهم من أقرب الأنعام إليه، سواءاً كانت له أو لغيره.." ([6]). وهو ما يشي بجودهم، وحبهم لإكرام الضيف، وهذا من حسن الخلق، وهي من العادات التي يحث عليها الإسلام، وهو ما يشير إلى أنهم لم يكونوا بالسوء الذي نعتهم به ابن جبير. ومن طرائفهم أنه إذا لم يكن لدي البجاوي ما ينحره لضيوفه، فإنه كان ينحر راحلة الضيف، "ثم كان يعوضه ما هو خير منها" ([7]). ويؤكد ابن حوقل ذلك: "وفيهم كرم وسماحة في إطعام الطعام.." ([8]).

---

(1) ابن بطوطة: المصدر السابق، ص255

(2) Jan Zahorik: The Islamization of the Beja , P. 1

(3) رحلة ابن جبير: ص76 (4) المصدر السابق، ص76

(5) ولعل ابن جبير كان إبان زيارته للبجة تعامل فيها مع بعض من شرارهم، وكان فيهم من السوء الكثير، وزادوا في أذيته والإساءة إليه، وهو ما يبدو جليا في حديثه عنهم، لكن هذا لايمكن أن يكون وصفا لشعب بأكمله، فكل الشعوب فيها الصالح والطالح، ولايوجد شعب كله شر، كما أنه لايوجد شعب من الملائكة.

وللمزيد عن رأى ابن جبير عن البجاة، انظر: The Islamization of the Beja: Op. Cit., P. 8

(6) الخطط: جـ1، ص314

(7) المصدر السابق، ص314 (8) صورة الأرض: ص56

ومن بين التأثيرات العربية الواضحة على البجاة، ظهور الإبل أو الجمال في بلادهم. والمعروف أن الإبل ترتبط دوما بالعرب، وبحياة البداوة التي تميزت بها القبائل العربية منذ أقدم العصور، ولأن جزيرة العرب يغلب عليها بيئة الصحراء، فكانت الإبل أكثر الدواب موائمة لها، ولهذا توصف بأنها "سفينة الصحراء". ويشير "جي. إس. ترمنجهام" J. S. Trimingham إلى أن قدوم الإبل إلي إفريقيا بصفة عامة كان مرتبطاً بنهاية العصر الروماني، أي تقريبا مع ظهور الإسلام ([1]). وهو ما يتفق مع حقبة الفتوحات العربية، حيث تمكن العربُ من طرد الرومان الذين كانوا يحتلون جزءاً كبيراً من شمالي إفريقيا. وعن وجود الابل عندهم، يقول اليعقوبي: "ويركبون الإبل، ويحاربون عليها.." ([2]).

وهو ما يشير إلى أن استخدم البجاة للإبل تجاوز الأمور المعتادة في حياة أهل البادية، إذ استخدموها في أوقات الحرب أيضاً. ولأن طبيعة البجة تشبه لحد كبير بلاد العرب، ولهذا أخذ البجاة عن العرب الميل لاستخدام الماشية، خاصة الإبل في شتى مناحي الحياة، ولشدة إقبالهم عليها، صاروا أشبه الشعوب بالعرب وحياتهم البداوية، ولهذا قال الطبري: "إنهم قومٌ أهل بدو.." ([3]). وهو ذات الوصف الذي قال به ابن الأثير عن البجاة: "إنهم أهل باديةٍ.." ([4]). كما قال عنهم ابن جرير الطبري أيضاً: "(هم) أصحاب ماشية، وأن الوصول إلى بلادهم صعب..لأنها مفاوز وصحاري.." ([5]). بينما يذكر ابن حوقل: "وهم بادية، متوغلون في الجبال والآجام.." ([6]). وكانت الإبل كثيرة الاستخدام لديهم، وصارت لها أهمية كبيرة عندهم كما هي عند العرب، ولهذا قال المقريزي: "وكذلك الجمالُ العراب كثيرةً عندهم.." ([7]). وعن كراء البجاة لها يذكر ابن جبير: "فيكرون منها الجمال.." ([8]).

---

(1) J. Spencer Trimingham: A History of Islam in West Africa, Glasgow University Publications, Oxford University Press, London, No Date, P. 20

وعن دخول الإبل إلى هذه البلاد، يقول الدكتور محمد عوض محمد: "وأكبر الظن أن انتشار الإبل كان من الشمال إلى الجنوب، أي أنها وصلت إلى بلاد البجة بعد أن وصلت إلي القطر المصري، وبعد انتشارها في صحراء مصر، في عهود البطالسة والرومان.." (الشعوب والسلالات الأفريقية، ص275)

(2) كتاب البلدان: مصدر سابق، ص336

(3) تاريخ الطبري: جـ5، ص354

(4) الكامل: جـ6، ص120

(5) تاريخ الطبري: المصدر السابق، ص 354

(6) صورة الأرض: ص56

(7) الخطط: جـ1، ص313

(8) رحلة ابن جبير: ص74

ويعتقد أن الإبل لم تأت هناك عن طريق بحر القلزم مباشرة، لأن الاتصال بين جانبي البحر في تلك المنطقة آنذاك لم يكن يسيراً ([1]). وذاعت لديهم أيضاً أنواع مختلفة من الإبل، ولعل أشهرها "المهاري" ([2]). وقد رأى بعض الرحالة هذه الإبل إبان زيارتهم هذه البلاد، حيث شاهدوهم وهم يركبون "المهاري"، أو "الإبل المهرية" ([3]). وهو نوع من الإبل يُنسب لقبيلة قضاعية مثل جُهينة، وهي "قبيلة مهرة" ([4]). وعن هذه الإبل يقول القلقشندي: "وإليهم تنسب الإبل المهرية..والجمع المهاري.." ([5]). وهي إبل قوية، وكانت أحسن من غيرها، ولهذا يصفها الإدريسي بقوله: "وليس يوجد علي الأرض جمالٌ أحسن منها.." ([6]).

كما استخدمت البجاة الإبل أيضاً في الجيوش، وعدوها من تجهيزات الحروب عندهم لمواجهة الأعداء، ومن أشهر حروبهم التي قاتلوا فيها بالإبل وكانت خلال "حملة القُمي" أيام الخليفة المتوكل، في سنة 241هـ/855م، ولهذا قال عنهم الطبري: "وكانت الإبل التي يحاربون عليها (أي البجاة) إبلاً زعرة (أي متفرقة)، تُكثر الفزع والرعب من أي شيء.." ([7]). واشتهر البجاة أيضا بإتقان الرمي بالحراب، مثلهم في ذلك مثل العرب، وكانوا ذوي مهارة وحذق في رمي حرابهم سواءاً في الصيد، أم في ميدان الحرب "فكانوا يرمون بالحراب فلا يُخطئون" ([8]). واللافت أن البجاة لم يكونوا يأكلون الغزلان على غير عادة العرب، وكانوا لا يقبلون على صيدها، فأنست الإقامة معهم، ولم تكن تخشاهم ([9]).

---

(1) محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية، ص275

(2) ابن بطوطة: تحفة النظار: جـ1، ص49

(3) المصدر السابق، ص49، وعن لفظ "مهر" بالعربية، قال الرازي: "والمُهْر: ولد الفَرَس، والجمع: أمهار، ومِهَار، ومِهارة بكسر الميم، والأنثي: مُهْرة، وجمعها: مُهَر.." (للمزيد انظر مختار الصحاح: ص638).

(4) قبيلة مهرة: وهم بنو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة، وهم من بني عمومة عرب جُهينة (للمزيد، انظر: ابن الكلبي: جمهرة النسب، جـ2، ص485، وكذلك: ياقوت الحموي: المقتضب، ص282). قال الهمداني: "مهرة: بطن من قُضاعة، وأكثرهم في الشام ومصر والمغرب.."(عجالة المبتدي وفضالة المنتهي: ص115). وانظر أيضاً: ابن بطوطة: تحفة النظار، جـ1، ص49، حاشية 2

(5) قلائد الجمان: ص28

(6) المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس: ص27

(7) تاريخ الطبري: جـ5، ص355، ابن الأثير: الكامل، جـ6، ص120– 121، ويقول ابن تغري بردي: "وزحفت السودان (أي البجاة) عليه (أي القمي) وهو بموقفه، لا يتحرك..ثم حمل بعساكره علي السودان حملة رجل واحد..فرجعت جمال السودان عند ذلك جافلة علي أعقابها، وقد تساقطت عن ظهورها أكثر ركابها.." (النجوم الزاهرة: جـ2، ص298).
وانظر أيضاً اليعقوبي: كتاب البلدان، ص336

(8) اليعقوبي: كتاب البلدان، ص336

(9) سليمان فياض: ابن بطوطة رحالة الإسلام، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1986م، ص26

كما عرف البجاة أيضاً عادة "الختان" كما هي الحال عند قبائل العرب وشعب النوبة، وهذه العادة عند الأولاد يسيرة أكثر من البنات، وفي رأي البعض أنها لا تكاد تختلف في تقاليدها وطريقة القيام بها في بلاد البجة عما يقوم به أهل مصر ([1]). حيث يقوم أهل البجة بعملية الختان لأطفالهم وهم لا يزالون صغارا، ويُفضل أن يكون الطفل خلال هذه العملية في عامه الأول، أو الثاني، فكلما كان الطفل صغيرا، كلما كان إجراء الختان أكثر يسرا على من يقوم بذلك الأمر. وكان الشخص المنوط به القيام بالختان، يقوم بتطهير مكان العملية مستخدما مادة "الشحم الساخن" ([2])، حتى يلتئم الجرح بسرعة.

ولا شك أن تلك العادات والتقاليد العربية وغيرها مما لا يسعنا ذكره في هذه المقام، لتُعد من الأمور التي ترسخت في وجدان الشعب البجاوي، وهم بسبب ذلك يتفاخرون بالثقافة والتقاليد العربية، خاصة من كان منهم من أصول قبلية عربية، ويؤكد ذلك الأمر أنه لايزال بعضهم يحتفظ بما يطلقون عليه اسم "نسبة"، وهي أوراقٌ مدونٌ عليها نسب الشخص "البجاوي" الذي يعود إلى قبيلة قريش، وهي القبيلة الكبرى التي ينتسب إليها النبي ε، وهو نسب يدعو إلى الشرف والفخار لديهم، كما هو ذائع عند كافة القبائل العربية التي يتفاخر أفرادها بالنسب الشريف ([3]). وعلي هذا فقد ساهم عرب جُهينة في تعريب بلاد البجة أكثر من غيرهم من القبائل العربية، ويمكن القول بأنه لم يكن ينافس قبيلة جُهينة في ذلك الدورالكبير إلا عرب ربيعة. وكانت هاتان القبيلتان من أكثر القبائل قوة وتأثيرا في تلك البلاد، وهو ما أدى إلى وقوع نوع من التنافس بين جماعات كل منهما، وهو ما لبث أن تحول إلى صراع عنيف، انتهى بانتصار ربيعة بفضل تأييد زعماء الحداربة لهم في ذلك الصراع.

والراجح أن هزيمة عرب جُهينة في هذا الصراع كانت سبباً في إجبارهم علي الخروج من بلاد البجة، ثم البحث عن مستقرٍ جديد لهم. وعلى هذا تفرقت جماعات وبطون جهينة في مناطق الجنوب، فمنهم من آثر الذهاب لأقصى الجنوب حيث تخوم الحبشة، بينما ارتحلت جماعات منهم إلى بلاد النوبة، ومنهم من طاب لهم المُقام في مدن الصعيد بمصر. ومن ثم بدأت مرحلة جديدة في تاريخ قبيلة جهينة أيام دولة المماليك (648هـ/1250م/923هـ/1517م)، شهدت أحداثًا وصراعات بين كل من عرب جهينة وسلاطين المماليك، وهو الموضوع الذي سوف نناقشه في ثنايا الفصل التالي.

(1) محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية، ص266
(2) المرجع السابق، ص 266
(3) المرجع السابق، ص 250

الفصل الرابع

"عرب جُهينة وسلاطين المماليك"

(648-923هـ/1250-1517م)

أولا – قبيلة جُهينة في الصعيد خلال العصر المملوكي

ثانيا – العلاقة بين عرب جُهينة والمماليك:

(أ) – عرب جُهينة ونظرتهم إلى سلاطين المماليك

(ب) – موقعة دروط بين العرب والمماليك

(جـ) – تمرد العَركيّين (الجُهنيين) ضد المماليك

(د) – رؤية المماليك لعرب جُهينة

ثالثا – الصراع بين قبيلة جُهينة وبني هلال (749هـ/1348م)

رابعا – قيام حلف جُهينة ودوره في الصعيد:

(أ) – ابن الأحدب وقيادة الحلف الجُهني سنة 754هـ/1353م

(ب) – حملة المماليك لمحاربة حلف جُهينة بالصعيد

خامسا – نهاية حلف جُهينة:

(أ) – انضمام بني هلال إلى جيش المماليك ضد جُهينة

(ب) – وقوع القتال بين جُهينة والمماليك

(جـ) – استسلام ابن الأحدب الجُهني

يدخل تاريخ قبيلة جُهينة مرحلةً جديدةً في وادي النيل خلال عصر المماليك (648-923هـ/1250-1517م) ([1])، وهي حقبةٌ تعُج بالأحداث التى وقعت بين أمراء المماليك وجماعات جُهينة. واللافت أن تاريخ جُهينة أيام "الدولة الأيوبية" (567-648هـ/1169-1250م) لا يعرف عنه الكثير، فلم تحدثنا المصادر عن شيء ذي بال عن أحوال القبيلة خلال تلك الحقبة. ويتناول هذا الفصل العلاقة بين المماليك والجُهنيين، ونظرة الجُهنيين لشرعية حكم المماليك، وقيام حركة التمرد العربي بقيادة عرب جُهينة وتحديدا العركيين ضد المماليك. كما يناقش الفصل على الجانب الآخر رؤية المماليك لعرب جُهينة، وكيف كانت نظرتهم إليهم، ثم وقوع الصراع بين قبيلة جُهينة وبني هلال بالصعيد (749هـ/1348م).

ثم يتناول الفصل أيضا ظهور حلف جُهينة"، ودوره في الصعيد بقيادة ابن الأحدب الجُهني، وما أحدثه من اضطرابات ضد دولة المماليك، ثم الحملة العسكرية التى بعث بها السلطان المملوكي لمحاربة هذا الحلف الذي كانت تقوده قبيلة جُهينة، وانضمام جماعات بني

هلال إلى جانب جيش المماليك ضد الحلف العربي، ثم وقوع القتال بين كل من عرب جُهينة وحلفائهم من جانب، والجيش المملوكي من جانب آخر.

---

(1) دولة المماليك: يقسم المؤرخون عصر المماليك فى مصر وبلاد الشام إلي مرحلتين رئيستين: تعرف الأولي منهما باسم "عصر المماليك البحرية" Bahari Mamluk (648-787هـ/1250-1382م). وهؤلاء المماليك الذين عاشوا آنذاك هم الذين اشتراهم الملك الصالح نجم الدين (637-648هـ/1239-1250م) آخر سلاطين الدولة الأيوبية. وعرفوا بـ "المماليك البحرية"، لأنهم سكنوا جزيرة الروضة على ضفاف نهر النيل. أما المرحلة الثانية، فهي التي تعرف باسم "المماليك الجراكسة"، أو "المماليك البرجية" Burgi Mamluk (787-923هـ/1382-1517م). وقد عُرف المماليك وقتئذ بهذا الاسم، لأن ملوك هذه الحقبة كانوا من أصول جركسية (شركسية). وتطلق بعض المصادر علي عصر المماليك كله اسم "دولة الأتراك" فيما يذكر ابن إياس وغيره، فيما تطلق مصادر أخرى علي هذا الحقبة اسم "ملوك الترك" أو "دولة الترك" فيما يذكر ابن تغري بردي وابن ظهيرة، وذكرهم المقريزي باسم "الملوك الترك" (للمزيد عن عصر المماليك، انظر المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص77، ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص44 وما بعده، ابن إياس: بدائع الزهور، جـ1، ص288، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ7، ص3 وما بعدها، السيوطي: حسن المحاضرة، جـ2، ص58 وما بعدها، كتاب وصف مصر: تأليف علماء الحملة الفرنسية، (قاهرة المماليك) جـ11، ص15 وما بعدها، عبدالرحمن الرافعي وسعيد عبد الفتاح عاشور: مصر في العصور الوسطي، ص425 – 538، سعيد عبد الفتاح عاشور: الظاهر بيبرس، سلسلة أعلام العرب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطبعة مصر، القاهرة، 1963م، ص9 وما بعدها، حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2000م، ص153 وما بعدها، وللمزيد أيضاً عن سلاطين المماليك أيضاً، ومدة حكم كل منهم، انظر:
Caroline Williams: Islamic Monuments in Cairo , P P. 18 – 19

ثم يتناول الفصل أحوال هذا "الحلف الجهني" خلال المواجهات الحاسمة التي جمعت بين قبيلة جهينة وحلفائهم وبين جيش المماليك، ثم هزيمة جهينة وضعفها، ومن ثم نهاية الحلف العربي. ثم نتحدث عن النتائج التى ترتبت على هزيمة الجهنيين خلال هذا الصراع، ثم هجرة جماعات كبيرة منهم إلى بلاد النوبة.

أولا – قبيلة جُهينة في الصعيد خلال العصر المملوكي:

ارتحل عرب جُهينة بين شتى البقاع في أرض مصر، وانتشرت جماعاتهم بين المدن والقرى بمرور الزمن، خاصة بعد أن تم إسقاطهم من "ديوان العطاء" في الربع الأول من القرن 3هـ/9م. ومما لا شك فيه أن أعددا كبيرة منهم آثرت الذهاب إلى بلاد الصعيد ([2]). بينما ذهب آخرون من جماعات هذه القبيلة إلى أرض البجة مع "حملة العُمري" التي كانت قد أرسلت منتصف القرن 3هـ/9م ([3]).

ولما وقع الصراع بين كل من الجُهنيين وبطون ربيعة، وتغلب بنو ربيعة على جماعات جُهينة، ومن حالفهم من القبائل العربية الأخرى في بلاد البجة، اضطر الجهنيون إلى الرحيل صوب الجنوب، ثم توغلت جماعات منهم إلى تخوم بلاد الحبشة ([4]). وهذا لا يعني بالضرورة أن كافة الجماعات الجُهنية كانت قد هاجرت من بلاد البجة، إذ بقيت جماعات منهم هناك حتى منتصف القرن 8هـ/14م، وكانوا لا يزالون يقطنون تلك البلاد، وكانوا يدينون بالولاء لحكام بلاد البجة ([5]).

—

(1) وللمزيد عن قيام الأحلاف العربية والأهداف التي قامت من أجلها، انظر المقريزي: البيان والإعراب، ص139، رجب عبد الحليم: العروبة والإسلام في دارفور، ص 59–63، ممدوح عبدالرحمن الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر، ص 165–167.

(2) وللمزيد عن هجرات جهينة والقبائل العربية الأخرى للصعيد، انظر المقريزي: البيان والإعراب، ص136، السويدي: سبائك الذهب، ص44، القلقشندي: قلائد الجمان، ص23

(3) انظر المقريزي: الخطط، جـ1، ص317–318، مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص 36، رجب عبدالحليم: ميناء عيذاب ووادي العلاقي، ص 236، محمد عبدالله النقيرة: انتشار الإسلام في شرق أفريقيا، ص 302

(4) للمزيد عن هجرات قبيلة جهينة، انظر ابن خلدون: العبر، جـ6، ص7، تقول رواية ابن خلدون: "وزاحموا (أي عرب جُهينة) الحبشة في بلادهم، وشاركوهم في أطرافها.." (انظر العبر: جـ6، ص7، كما يقول أبوالعباس القلقشندي: "ثم انتشرت أحياء جُهينة من العرب في بلادهم (أي الحبشة).." (صبح الأعشي: جـ5، ص277)

(5) انظر ابن بطوطة: تحفة النظار، جـ1، ص255

وعلى أية حال كانت أكثر جماعات جُهينة خلال العصر المملوكي آثرت أن تسكن في مدن الصعيد، بعدما وقع لها من صراعات وخلافات قبلية في بلاد البجة، ولهذا تكالبت أكثر جماعاتهم على القدوم إلى الصعيد بهدف الإقامة، والاستقرار هناك. ولذلك زادت أعدادهم بشكل لافت، وفاقوا غيرهم من الجماعات العربية هناك، وهو ما تؤكده المصادر، حيث قال عنهم الحمداني (ت: 584هـ/1188م) "وهم (يقصد عرب جُهينة) أكثر عرب الصعيد.." ([1]). أما المقريزي (ت: سنة 845هـ/1441م)، فإنه يقول عن قبيلة جُهينة وقوتها في بلاد الصعيد: "وهي أكثر عرب الصعايدة.." ([2]). وهو ما يؤكده أيضاً القلقشندي في روايته عن هذه القبيلة، وما بلغته من قوة وشوكة بالصعيد ([3]).

ولعل أكثر الروايات التاريخية أهميةً وعمقاً في وصف أحوال جماعات جُهينة، وتوغلهم في شتي بقاع مصر وخارجها، خاصةً في أقاليم الصعيد، ما قاله ابن خلدون (ت: 808هـ/1405م): "وبالصعيد الأعلي وما وراءها إلى أرض النوبة، إلى بلاد الحبشة قبائل

متعددة، وأحياء متفرقة، كلهم من جُهينة..ملؤوا تلك القفار.." ([4]). وهو ما يشير أيضاً إلى الانتشار الكبير لهذه القبيلة في صعيد مصر، وكذلك في بلاد النوبة، وما جاورها من القفار، ثم امتدت جماعات من هذه القبيلة أيضاً جنوباً حتى بلاد الحبشة.

هكذا تؤكد المصادر التاريخية إلى أنه خلال "عصر المماليك"، صارت جُهينة أكثر القبائل العربية من ناحية الكثرة والعدد، وكذلك من حيث القوة والشوكة في المدن والقرى بالصعيد. وكانت الظروف السياسية والاقتصادية، وكذلك الصراعات بين القبائل العربية في العديد من المناطق التي سكنت فيها جماعات جُهينة قد اضطرت أكثرهم إلى إيثار الإقامة في الصعيد على غيرها من البقاع، ثم زادت هجراتهم كثافة بمرور الزمن ([5]).

---

(1) البيان والإعراب: ص136

(2) السويدي: سبائك الذهب، ص44

(3) قلائد الجمان: ص23

(4) العبر: جـ6، ص7

(5) تشير المصادر التاريخية إلي أن عرب جُهينة وقعوا في بعض صراعات مع عدد من القبائل والبطون العربية. وكانت بعض تلك الصراعات قد وقعت حتى مع بعض البطون القضاعية من بني عمومة عرب جُهينة، مثل البلويين (بني بلي) والرفاعيين (بني رفاعة). ففي أرض البجة، تنازع عرب جُهينة مع بني ربيعة، وفي سواكن تنازعوا مع بني رفاعة، وفي الأشمونين تنازعوا مع قريش وبطونها، وفي أخميم، تنازع عرب جُهينة مع جماعات عرب بلي. وقد فصلنا الحديث عن تلك الصراعات في الفصول السابقة من خلال المصادر التاريخية. كما تنازع الجهنيون مع جماعات من الأحباش..الخ.

ويذهب البعضُ إلى أن قبيلة جُهينة ربما سكنت الصعيد منذ القرن الأول الهجري (القرن 7م)، أي قبل إسقاطهم من الديوان ([1]). ويرى الباحث أن ذلك يتفق مع ميل الجهنيين للهجرة دوما، وربما دون مبرر ([2]). ويشير الإدريسي (ت: 548هـ/1153م) لوجود إلى أن مساكن جُهينة بالصعيد كانت بجوار مساكن قبيلة بلي القضاعية ([3]). وعلى هذا استقرت جُهينة بالصعيد حتى قبل ارتحالها إلى بلاد البجة في النصف الثاني من القرن 3هـ/9م.

ثانيا – العلاقة بين عرب جُهينة والمماليك:

(أ) – عرب جُهينة ونظرتُهم إلي سلاطين المماليك:

لما قامت دولةُ المماليك (648–923هـ/1250–1517م) نظر عرب جُهينة وكافة القبائل العربية إلى أمراء المماليك نظرة تملؤها روح العداء ([4]). فالعرب كانوا يعدون المماليك حكاما غير شرعيين، لأنهم في الأصل أرقاء، استقدمهم سلاطين "الدولة الأيوبية" (567–648هـ/1169–1250م) ليحاربوا في صفوف الجيش المصري ([5]).

(1) ممدوح الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر، ص96
(2) يقول الدكتور ممدوح الريطي: "وتعتبر (أي جُهينة) من أقدم القبائل العربية التي سكنت بلاد الصعيد منذ القرن الأول الهجري، وأقامت في هذه المنطقة حتى زمن الفاطميين، ثم هاجرت إلى صعيد مصر الأعلى.." (دور القبائل العربية: ص96)
(3) الادريسي: نُزهة المشتاق (المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس)، طبعة ليدن، تحقيق: ر. دوزي، 1866م، ص 32، وللمزيد عن ترجمة الشريف الادريسي وكتابه "نزهة المشتاق"، انظر محمد غريب جودة: عباقرة علماء الحضارة العربية والاسلامية، هيئة الكتاب، 2004م، ص195–202
(4) وللمزيد عن ذلك، انظر المقريزي: البيان والإعراب، ص128–129، عبدالمجيد عابدين: دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ص50–51، ممدوح الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر، ص165، رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام في دارفور، ص55–56، كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص77
(5) كان الصالح نجم الدين أيوب (637–648هـ/1239–1250م)، آخر سلاطين الأيوبيين، وهو أول من استقدم المماليك إلى مصر، وزادت أعدادهم حتى ضاقت بهم البلاد، وضج بهم الناس، قال ابن إياس: "وهو أول من جلب المماليك الأتراك إلي مصر، حتي ضاقت بهم، وصاروا يشوّشوا علي الناس وينهبوا البضائع من علي الدكاكين، فضج الناس منهم (بدائع الزهور: جـ1، ص269). أما ابن تغري بردي، فقال: "اشتري من المماليك الترك ما لم يشتره أحد من أهل بيته حتي صاروا معظم عسكره، ورجحهم علي الأكراد وأمرهم، واشتري وهو بمصر خلقا منهم، وجعلهم بطانته والمحيطين بدهليزه، وسماهم البحرية..إن هؤلاء المماليك مع فرط جبروتهم وسطوتهم كانوا أبلغ من يعظم هيبته، كان إذا خرج وشاهدوا صورته يرعدون خوفا منه.." (النجوم الزاهرة: جـ6، ص331). للمزيد انظرعلي باشا مبارك: الخطط التوفيقية، جـ1، ص79، الرافعي: مرجع سابق، ص427، حمدي عبدالمنعم: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص159.

ولهذا يقول المقريزي عن نظرة العرب للمماليك بعد أن ارتقى عزالدين أيبك (648–655هـ/1250–1257م) سُدة السلطنة: "وأنِفَت عُربانُ مصر من تملكه عليهم، لأنه مملوكٌ من جملة المماليك البحرية قد مسه الرق.." ([1]). بينما أورد السيوطي في ترجمته لأيبك: "ولعله أول من ملك مصر من الأتراك، وممن جري عليه الرق، فلم يرض الناسُ بذلك حتى أرضى الجند بالعطايا الجزيلة. وأما أهل مصر فلم يرضوا بذلك، ولم يزالوا يُسمعونه ما يكره.." ([2]). أما العرب، فإنهم كانوا ينظرون لأنفسهم، خاصة الأشراف أو من ينتسب منهم لقريش، على أنهم أصحاب النسب الشريف، فهم بنو عدنان، من نسل إسماعيل عليه السلام، ومن نسله بُعث نبي الإسلام، وآخر الأنبياء محمد ε ([3]). ولهذا فلا يجب ألا يحكمهم من هم أقل منهم في النسب كالمماليك، لأنه لا يجوز للرقيق أن يكونوا سادة على الأشراف.

(1) البيان والإعراب: ص128
(2) حسن المحاضرة: جـ2، ص58

(3) وقد ورد في كتب السنة العديد من الأحاديث عن النبي ع يذكر فيها فضل الانتساب لقريش، وبني هاشم وكذلك جدهم كنانة، وجدهم عدنان، وأن الله اصطفاهم جميعاً من ولد إسماعيل عليه السلام. ومن تلك الأحاديث: روى مسلم قال رسول الله ع: "إن الله اصطفي كنانة من ولد إسماعيل، واصطفي قريشاً من كنانة، واصطفي من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم" (صحيح مسلم: حديث رقم 2276). وروى البخاري، قال صلي الله عليه وسلم: "ارموا بني إسماعيل، إن أباكم كان راميا" (صحيح البخاري: حديث رقم 3507). وفي رواية أخرى قال ع : "إن الله عز وجل اصطفي من ولد ابراهيم اسماعيل، واصطفي من بني اسماعيل كنانة، واصطفي من كنانة قريشاً، واصطفي من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم" (ابن الجوزي: صفة الصفوة، جـ1، ص28)، وللمزيد عن فضائل آل البيت، انظر السيوطي: إحياء فضائل أهل البيت، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد زينهم محمد عزب، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب، 1999م، ص17 وما بعدها. أما عن بطون قريش ومناقبهم، فاسم قريش من القَرْش: بفتح القاف، تعني في لغة العرب: "التجمع"، ومنها جاء اسم قريش. سكنت قريش وبطونها أرض مكة، وهم من نسل إسماعيل عليه السلام. وقيل أيضاً في نسبهم: إن قريشاً هو فِهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن مُدركة، ويرجع نسله الى عدنان، وهو من أجداد النبي ع ، وعدنان من ولد إسماعيل عليه السلام. وقيل: إن كل من ينتسب الى النضر بن كنانة، فهو قرشي، أو هو ينتسب الى قريش. وعلي قول الزبير بن بكار فإن جماع قبائل قريش وبطونها التي كانت تسكن أرض مكة من ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، ومنه تفرقت قبائل وبطون قريش كافة. قال الزبيري عن أصل قريش: "وقد قالوا: اسم فهر بن مالك: قريش، ومن لم يلد فهر، فليس من قريش، فولد مالك بن النضر: فهرا، وهو قريش..." وقال ابن حزم الأندلسي: "قريش هم: بنو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة..." (للمزيد، انظر المقريزي: البيان والاعراب، ص137، شهاب الدين الحموي: التاريخ المظفري، تحقيق: دكتور حامد زيان غانم، دار الثقافة للنشروالتوزيع، القاهرة، 1989م، ص52، نور الدين الحلبي: السيرة الحلبية، ص 12، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص464- 465، مصعب الزبيري: نسب قريش، ص12).

وعلى هذا أنفت جماعات العرب من أمراء المماليك، وأظهروا لهم الحُقرة والدَنيّة، ولم يدينوا لهم بالطاعة، ولم يعترفوا بشرعية سلطانهم عزالدين أيبك. ولم يكن هذا الأمر خافياً، إذ أعلن العرب ذلك في جرأة يُحسدون عليها، حيث أعلنت الكثير من الجماعات العربية بالصعيد صراحةً عدم الاعتراف بحكم أمراء المماليك، والتمرد عليهم. ثم اختاروا واحداً من الأشراف ليكون قائداً لهم. وعن هذا، تقول المصادر: "عظُم فساد العرب بالصعيد، واجتمعوا على الشريف خضرالدين أبي ثعلب"، وهو من ولد جعفر بن أبي طالب ([1])، وقيل: هو من نسل الإمام جعفر الصادق، حفيد الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه ([2]).

وثمة روايةٌ تشير إلى أن أول تمرد قام به العرب ضد المماليك يرجع إلى أيام السلطان عز الدين أيبك وكان قادة هذا التمرد من "الأشراف"، ممن كانوا يسكنون مدينة "الأشمونين"، وكانت تعرف بـ "قريش" ([3]). ومن ثم فقد حمل القرشيون لواء المقاومة ضد سلاطين المماليك منذ قيام هذه الدولة، وذلك بدءاً من سنة 651هـ/1253م ([4]).

وقد تمكن الشريف حصن الدين من أن يجمع العديد من القبائل العربية من حوله ممن كانوا يرفضون حكم المماليك. وقد انبثق عن هذا التجمع العربي حلف كبير، كان يضم مجموعة

من القبائل والبطون العربية. وقد نادى زعماء القبائل العربية بالوقوف في وجه سلاطين مصر الجدد من المماليك، وأمروا أتباعهم بعدم الخضوع لهم ([5]). وعن ظهور هذا الحلف وقائده، يقول المقريزي: "وأقاموا الشريف حصن الدين ثعلب بن الأمير فخر الدين إسماعيل بن حصن الدين مجد العرب ثعلب الجعفري في سنة إحدى وخمسين وستمائة.." ([6]). ويقول صاحب "الخطط التوفيقية": "وحصن الدين هو الذي أنف من سلطنة الأتراك (يقصد المماليك)، وثار في سلطنة الملك المعز أيبك التركماني..وجمع عربان مصر، فخرجت إليه الأتراك وحاربوه.." ([7])، وعلى هذا وقعت بعض المعارك والمواجهات بين الطرفين.

---

(1) ابن خلدون: العبر، جـ5، ص432،

(2) عبد المجيد عابدين: دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ص50،

(3) صبح الأعشي: جـ4، ص68

(4) عبد المجيد عابدين: المرجع السابق، ص50، ولم تكن هذه أول مرة يعلن الأشراف، وتحديداً العلويون، التمرد على الولاة من غير العرب خاصة في الصعيد، حيث إنهم قد ثاروا ضد أحمد بن طولون فى مقاطعة "إسنا" بالصعيد فى سنة 255هـ/869م (ستانلي لين بول: تاريخ مصر فى العصور الوسطى، ص144)

(5) كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص77

(6) البيان والإعراب: ص128

(7) علي باشا مبارك: جـ11، ص6

(ب) – موقعة دروط بين العرب والمماليك:

تذكر المصادر أن حصن الدين بعث الرسائل إلى بعض الأمراء والملوك من خارج مصر ليستميلهم إلى جانبه، وإلى ما يدعو له من مناهضة سلاطين المماليك، ومن هؤلاء الملك "الناصر يوسف بن العزيز" صاحب دمشق حتى ينضم إليه في تمرده ضد دولة المماليك ([1]). وتشير المصادر إلى أنه في سنة 651هـ/1253م، جمع الشريف حصن الدين جماعات عدة من عرب الصعيد وغيرهم، وقاموا بقطع الطرق براً وبحراً، وكانت خيالة هذه الشريف حوالي 12 ألف فارس، هذا غير من كان معه من الرَّجالة (وهم الجنود المشاة)، وكانوا فيما تذكر بعض المصادر بأعدادٍ لا تكاد تُحصى من كثرة عددها ([2]).

ولما علم السلطان المعز أيبك بذلك، جيش خمسة آلاف فارس من الجند، وسيرهم إليهم مع الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب" ([3]). وقد حارب أمراء المماليك هذا الشريف وأصحابه، وكانت حرباً قوية، غير أن دولة المماليك كانت تتمتع بقوة عسكرية كبيرة آنذاك، ورغم ما جمع العرب من أعداد كبيرة من الفرسان والجند، وتأهبوا بعُدة عسكرية، إلا أن ذلك لم يكن كافياً لقهر

جيش المماليك القوي. ولهذا حلت الهزيمةُ بالعرب، وتمكن أمراء المماليك من أسر الشريف حصن الدين ثعلب ([4]).

وعُرفت المعركة التى وقعت بين الطرفين بـ "موقعة دروط"، ولعلها كانت في "ديروط" بالصعيد. وبعد أن قُبض على حصن الدين، سُجن بالإسكندرية، وبقي هناك حتي أعدمه الظاهر بيبرس (658-676هـ/1260-1277م) ([5]). ومع ذلك لم يتوقف العرب عن معارضة المماليك، حيث توالت حركات التمرد التى قاموا بها، وعمت مظاهر التمرد الصعيد، ولعل من أهم مظاهر ذلك ما وقع في أقاليم أسيوط، ومنفلوط. ويرجح البعض أن قبيلة جُهينة لم يكن لها دور ذا بال في تلك الحركة في ذلك الوقت، ويؤيد ذلك أن أسماء قبائل العرب التي وردت في المصادر لا تشير إلى ثمة دور واضح لها آنذاك ([6]).

---

(1) علي باشا مبارك: جـ11، ص6

(2) المصدر السابق، ص6-7

(3) علي باشا مبارك: الخطط التوفيقية، جـ11، ص7

(4) المقريزي: البيان والإعراب، ص128

(5) المقريزي: المصدر السابق، ص128، علي باشا مبارك: جـ11، ص6

(6) يقول د.عبد المجيد عابدين: "وليس في أسماء القبائل التي وقفت إلي جانب حركة حصن الدين ما يفيدنا بأن بلياً وجُهينة قد أسهموا فيها بنصيب.." (دراسات في ناريخ العروبة في وادي النيل، ص50)

والمعروف أن الأشمونين كانت من أهم بلاد الصعيد التي استقرت بها قبيلة جُهينة، رغم أنها أُجبرت على تركها أيام الفاطميين بعد أن وقعت الفتنة بين جُهينة وقريش، وقدم الفاطميون آنذاك العون لقريش ([1]). ثم حملت جُهينة راية التمرد بعد ذلك ضد المماليك.

(جـ) - تمرد العَركيّين (الجُهنيين) ضد المماليك:

يُعد بنوعرك من البطون المعروفة التي تنتسب لجُهينة ([2])، سكنت جماعات كبيرة منهم مصر، ثم سودان وادي النيل، وكانوا هاجروا هناك مع باقي الجماعات العربية. ولعبوا هناك دوراً كبيراً في نشر الدين، وبرز منهم جمٌ كبيرٌ من العلماء ممن عملوا على تعليم الناس أمور الدين ([3]). وتؤكد الوثائق السودانية، خاصة "أوراق النسبة" انتساب بني عرك لجهينة ([4]). يقول صاحب "تاريخ جهينة" عنهم: "عدّهم ياقوت في معجم البلدان من بطون جُهينة.." ([5]). وحسب "رواية العركيين"، فإنهم كانوا يسكنون أرض مكة، ثم هاجروا لمصر بعد ذلك، وأقاموا بالصعيد ([6])، ومن جبال العركيين المعروفة جبلٌ يُعرف باسم "جبل الحث" ([7]).

---

(1) المقريزي: البيان والاعراب، ص136، القلقشندي: قلائد الجمان، ص24، عبدالمجيد عابدين: دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ص50–51، عبدالله خورشيد: القبائل العربية في مصر، ص239، كرم الصاوي باز: قبيلة جُهينة، ص13

(2) خالد القاسمي: معجم أنساب القبائل العربية، جـ2، ص157

(3) تتحدث المصادر السودانية عن اسهامات العديد من العلماء العركيين في تطور الحركة العلمية في سودان وادي النيل. ولعل أشهرهم "محمود العركي" الذي نشأ في الأبيض، ثم رحل لمصر وأخذ العلم عن اللقاني وغيره. ويعد الشيخ العركي أول من أمر الناس في السودان بأمور الدين، وسكن قرب النيل الأبيض. وكان قدومه قبل أولاد جابر الأربعة في أيام الفونج، وأقام لنفسه قصرا عرف باسمه (انظر ود ضيف الله: كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق: يوسف فضل حسن، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1985م، ص40، طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، رجز: إبراهيم عبدالدافع، تحقيق:محمد إبراهيم أبوسليم، معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية، جامعة الخرطوم، الدار العالمية للطباعة، 1982م، ص110، كرم الصاوي باز: المعممون السودان في الأزهر الشريف في عصر دولة سلاطين المماليك، ندوة تاريخ الوطن العربي عبر العصور، إتحاد المؤرخين العرب، 2008م، ص31). ومن أعلام العركيين أيضا الشيخ دفع الله بن مقبل العركي (ود ضيف الله: الطبقات، ص205).

(4) – انظر وثيقة نسب العركيين: وهي إحدى أوراق النسبة السودانية، وثيقة نسب الشيخ عبدالله بن دفع الله العركي، انظر: Macmichael : A History of the Arabs,Vol.II , P.175

(5) عبد الكريم الخطيب: ص8

(6) عون الشريف قاسم: موسوعة القبائل والأنساب في السودان، جـ2، ص980

(7) خالد القاسمي: المرجع السابق، ص157

وحسب "رواية المقريزي"، فإن العديد من الجماعات العربية التى تنتسب لقبيلة جُهينة كانت تقيم بالصعيد، وخاصة في مدينة "الأشمونين"، وذلك في الوقت الذي وقع فيه تمرد العركيين ضد دولة المماليك، حيث قاموا بأعمال عدائية ضد سلطة أمراء المماليك، وبما يسقط هيبتهم في الحكم بين الناس، ومنها أن العركيين قاموا ببعض أعمال الشغب فى بعض مدن وأقاليم الصعيد، كما أنهم قطعوا الجسور في مدينة الأشمونين ([1])، وغير ذلك من الأعمال التى كانت تهدف إلى التأكيد على عدم اعتراف هؤلاء العركيين بشرعية حكام المماليك، وعدم رضائهم عن الخضوع لسلطتهم. وعلي أية حال، فقد رفضت أكثر القبائل العربية في ذلك الوقت إظهار الولاء والطاعة لهم، وأبوا أن تصير أمور السيادة والحكم فى مصر بيد هؤلاء الغرباء الأرقاء ([2]).

ويمكن القولُ بأن ظهور جماعات بني عرك على مسرح الصراع في ذلك الوقت كان وجوداً قوياً، ومؤثراً، حيث قاد هؤلاء العركيون حركة التمرد الكبرى ضد سلاطين المماليك في الصعيد، وحاولوا في ذات الوقت أن يضموا إلى جانبهم العديد من القبائل العربية الأخرى، خاصةً من بين تلك القبائل التي كانت المناهضة لهم، أو تلك التى كانت لا تعترف بشرعيتهم من الأصل. ومن ثم كونت تلك القبائل والجماعات حلفاً عربياً قوياً لمقاومة هؤلاء الأمراء غير

الشرعيين من وجهة نظرهم، وهو الحلف الذي يعُرف تاريخياً باسم "الحلف العركي" أو "حلف جُهينة"، كما يعرف أيضاً باسم "الحلف الجُهني" ([3]).

وعلى أية حال كانت قبيلة جُهينة وبطونها أكثر القبائل العربية التى أصرت على حمل لواء العصيان في ذلك الوقت، ورغم أن الجماعات العربية ممن ينتسبون إلى بطون قريش، أو ما يعرفون باسم "الأشراف" كانوا أول من أعلن حركة التمرد ضد المماليك، إلا أن عرب جُهينة هم الذين حملوا الراية بعد ذلك، وقادوا بقوة ذلك التمرد، واشتدوا في حركتهم هذه، رغم ما كلفهم ذلك من اضطهاد ومكابدة أكثر من غيرهم. كما عمل عرب جُهينة على تأليب باقي القبائل العربية فى مدن الصعيد، وهو ما كان سبباً فى وقوع اضطرابات شديدة لسلاطين المماليك، وهو ما أقضى مضاجعهم، ولهذا صار لديهم شعور بأن أمور الحكم صارت غير مستقرة بأيديهم، طالما صار هذا الحلف العربي الذي يقوده عرب جُهينة موجوداً.

---

(1) المقريزي: السلوك، جـ1، ص848

(2) كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص77

(3) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام، ص59 – 60

ويبدو أنه كانت لأفكار الشيخ "العز بن عبد السلام" ([1]) عن أصل المماليك أثرٌ في تمرد عرب جُهينة، وغيرهم من القبائل ضد المماليك. خاصة وأنه كان معاصراً لنهاية عصر "الدولة الأيوبية" (567–648هـ/1171–1250م)، وبدايات "دولة المماليك". وكان ابن عبدالسلام من كبار العلماء في زمانه، وكان لا يعترف بشرعية أمراء المماليك لأنهم في الأصل أرقاء، وكان لا يقبل زواجهم من النساء الحرائر، ولهذا أصر على أن يبيع أمراءهم فى سوق الرقيق حتى يسقط عنهم الرق ([2]). أما الأقباط، فإنهم كانوا ينظرون بريبة لموقف العرب، ولم يُظهروا التأييد لموقفهم ضد أمراء المماليك، حيث رأى الأقباط أن العرب قوم يدعون إلى الفوضي والاضطراب ([3]).

(د) – رؤية المماليك لعرب جُهينة:

أما أمراء المماليك على الجانب الآخر، كانوا ينظرون لعرب جُهينة خاصةً، وقبائل العرب عامةً، على أنهم عناصر معادية لهم، وهم يميلون للتمرد والشغب، سواءاً كانوا من البدو، أم من الفلاحين. كما أن المماليك كانوا لا يثقون البتة في أحدٍ من العرب، سواءاً ممن أعلن التمرد عليهم، وشق عصا الطاعة، أو حتى أولئك الذين وقفوا على الحياد منهم، ولم يُعلنوا العداء السافر لهم ([4])، وهو ما سوف نرى شواهده جلية بعد ذلك في مواقف أمراء المماليك، وبطشهم الشديد بالعرب جميعاً، وحتى ممن كان يتحالف معهم.

---

(1) العز بن عبدالسلام (578–660هـ/1182–1261م): هو عالم وفقيه كبير من أعلام الأئمة المسلمين، يُكنى العز بن عبدالسلام باسم: "سلطان العلماء". وقد لد هذا الإمام في بلاد الشام في سنة 578هـ/1182م، ثم جاء إلى أرض مصر، وطاب له المقام بها. وقد اشتهر العز بن عبدالسلام بالعلم والفقه، وانتهت إليه رئاسة "المذهب الشافعي". وقد مات بمصر في سنة 660هـ/1261م، وقد دفن في جبانة المقطم، وقد حضر جنازته السلطان الظاهر بيبرس (للمزيد عن ترجمته انظر ابن كثير: البداية والنهاية، جـ13، ص248–249).

(2) وكان العز بن عبدالسلام يرى أن أمراء المماليك أصلهم من مماليك الرق، وعلى هذا فهم عبيد اشتراهم الصالح نجم الدين أيوب وهم أطفال صغار، ثم عينهم في مناصبهم، ومن ثم فهم لايزالون عبيداً أرقاء، ولايجوز لهم الزواج من الحرائر، وليس لهم أن يبيعوا، أو يتصرفوا إلا كما يفعل الرقيق. ولذلك تعطلت مصالحهم بسبب فتوى الشيخ، وكان من بينهم نائب السلطان. وبسبب ذلك نقم المماليك عليه، ودبروا له الكيد عند السلطان، لكن نظرا لقوة شخصية العز، وحب المصريين له، لم يستطع السلطان عمل شيء معه، وأجبر المماليك على عمل ما يريده العز بن عبدالسلام، وتم للشيخ ما أراد، ونودي علي أمراء المماليك كرقيق، وباعهم، وغال في أثمانهم، ثم قبض المال وصرفه في وجوه الخير (للمزيد عن ترجمة العز ابن عبدالسلام، انظر ابن إياس: بدائع الزهور، جـ1، ص317–318، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ7، ص208، محمد سعيد مرسي: عظماء الإسلام، مؤسسة اقرأ، 2005م، ص365–366).

(3) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام في دارفور، ص55

(4) كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص83

والمعروف أنه منذ أن بدأت سياسة "الدولة العباسية" (132–656 هـ/751–1258م) تميل لإيثار الأتراك على العرب، وجعلهم في المناصب العليا، وهو ما عمّق روح العداء بين كل من العرب والأتراك عبر قرون بعيدة، وتحديداً بعد أن أُسقط العرب من الديوان. وقد وقف ولاة مصر الأتراك عائقاً أمام الجماعات العربية في أرض مصر، وعملوا علي إبعاد هؤلاء العرب عن المناصب الإدارية المهمة في الدولة، وكذلك لم يعطوهم الحق في الحصول علي الدرجات أو الرتب الرفيعة في الجيش ([1]). كما أن أمراء المماليك كانوا ينظرون إلى عرب جُهينة، وغيرهم من عربان الصعيد نظرة استخفاف، إذ لم تكن للعرب فائدة عسكرية لهم، كما أنه ليست لهم القوة الحربية التي يمكنها أن تنافس القوة العسكرية المُدربة التي كونها أمراء المماليك من بني جنسهم من الجنود الأتراك، وذلك بحكم خبرتهم، ودرايتهم العسكرية ([2]).

هذا إلى جانب أن العرب، وخاصة قبيلة جُهينة، أظهروا الكثير من المُكايدة والمُراوغة في دفع الضرائب للجباة التابعين لدولة المماليك. كما أن هؤلاء العرب – أو العربان كما تشير إليهم بعض المصادر التاريخية – كانوا يشكلون أيضاً لأمراء المماليك مصدراً للقلق والازعاج ([3]). وعلى هذا، كانت العلاقة بين كل من العرب وحكام مصر من الأتراك والأعاجم يشوبها الكثير من العداء، وعدم الثقة بين الطرفين خلال حقبة العصر الإسلامي، وتكاد تكون النظرة ذاتها بين الطرفين منذ بداية حكم الولاة بمصر، وحتى قيام دولة سلاطين المماليك

---

(1) ممدوح الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر، ص165، ويمكن القول إن حكام مصر من الأتراك كانوا ينظرون إلى القبائل العربية بكثير من الريبة والشك، وهم يعتقدون في قرارة أنفسهم أن هؤلاء العُربان لا هَم لهم سوي الإستيلاء على الحكم، وكانت أطماعهم السياسية لا حد لها. وفي عصر "الدولة الفاطمية" (358-567هـ/969-1171م)، كان الخلفاء الفاطميون لا يرتاحون إلى قبائل العرب بصفة عامة، غير أنهم قربوا منهم بعض الجماعات والبطون القرشية دون غيرهم. وإن يرى البعضُ أن تقريب الفاطميين للعرب من قريش كان لخدمة مصالحهم، ولضمان الولاء لهم لا أكثر، بسبب التقارب الفكري إلى حد ما بين كل من الفاطميين والقرشيين، حيث إن كليهما من محبي آل البيت. وكان الفاطميون يعتقدون أنه من الضروري أن يتخلصوا من القبائل العربية الأخرى التي كانت لا تدين لهم بالولاء والطاعة . تلك نظرة عامة لرؤية حكام مصر غير العرب العدائية تجاه العرب حتى قبل العصر المملوكي. (للمزيد عن تلك النظرة المتبادلة بين العرب والولاة بمصر الإسلامية، المقريزي: البيان والاعراب، ص128، السيوطي: حسن المحاضرة، جـ2، ص58، وانظر رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام في دارفور، ص54، ممدوح الريطي: المرجع السابق، ص165)

(2) رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص 56

(3) المرجع السابق، ص56

ويمكن القول بأن مظاهر الكراهية بين العرب وولاة مصر الأتراك كانت قد بلغت ذروتها أيام دولة المماليك، إذ اشتد العداء بين الطرفين بشكل لافت. وصار لدى سلاطين المماليك شعورٌ بأن العرب باتوا يشكلون عنصراً غير مرغوب في وجوده بسبب معارضتهم الشديدة لحكم المماليك، والدعوة الدائمة إلى إثارة الفوضي والاضطرابات ([1]). ولأن قبيلة جُهينة كانت من أكثر القبائل العربية التي ناهضت بقوة المماليك، ولهذا تعرض الجهنيون أكثر من غيرهم للاضطهاد، وسوء المعاملة ([2]). وعلى أية حال، لما ارتقي الأمير "عز الدين أيبك" سُدة السلطنة أعلن العرب التمرد "فجرت بينهم حروب لم يظفروا به فيها" ([3]). وأرسل سلاطين المماليك العديد من الحملات العسكرية إلى مدن الصعيد، ليس لتأديب القبائل العربية فحسب، بل بهدف القضاء على الوجود العربي هناك، ومن ذلك ما فعله الناصر "محمد بن قلاوون" في سنة 713هـ/1313م لما بلغه ما نزل بالصعيد من عبث العُربان، وإضرارهم بالسابلة، فأرسل حملة قضت على تمردهم، وأهلكت الكثير منهم ([4]).

وفي سنة 717هـ/1317م، بعث السلطانُ الناصر محمد حملة أخرى لمطاردة العرب في الصعيد، وصلت الحملة إلى "عيذاب"، ثم اتجهت جنوبا حتى "سواكن"، ثم عبرت الحملةُ "نهر عطبرة"، ثم وصلت بعد ذلك إلى بلدة "التاكة" (كسلا) ([5]). وكان سبب تلك الحملة اعتداء العرب على رسول كان قادماً من بلاد اليمن، وكان متوجهاً إلى "الأبواب السلطانية" بالقاهرة، وقد اشتد "والي قوص" بالعرب، واعتقل أحد أمرائهم. ولهذا شعر العرب بأن عليهم أن ينتقموا من والي قوص بسبب ذلك الذي قام به، فأرسل السلطان حملة على رأسها ستة من كبار الأمراء، بجانب والي قوص لتأديب هؤلاء العرب ([6]).

(1) انظر القلقشندي: صبح الأعشي، جـ4، ص68، مصطفي مسعد: امتداد الإسلام والعروبة إلي وادي النيل الأوسط، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد 8، 1959م، ص78

(2) رجب عبدالحليم: المرجع السابق، ص61

(3) القلقشندي: صبح الأعشي، جـ4، ص68

(4) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام، ص56، وحسب بعض المصادر شهدت سنة 713هـ/1313م الكثير من الاضطرابات التي قام بها العربان ضد المماليك خارج مصر، ومن ذلك ما تذكره بعضها أنه في هذه السنة اجتمعت جماعات من عرب الحجاز، وقصدوا قطع الطريق علي سوقة الركب الذي يلاقونهم من البلاد إلي تبوك عند عودة ركب الحجيج (أبوالفداء: المختصر، جـ2، ص418). فهل كانت توجد ثمة علاقة ما بين ما وقع من العربان في الصعيد وعلي الجانب الآخر من بحر القلزم بالحجاز ضد المماليك في تلك السنة.

(5) رجب عبدالحليم: مرجع سابق، ص56

(6) المرجع السابق، ص56

ثالثا – الصراع بين قبيلة جُهينة وبني هلال (749هـ/1348م):

أدت الحملات العديدة التي أرسلها المماليك لمواجهة جُهينة وغيرها من القبائل بالصعيد إلى أن زادت أحوال العرب سوءاً، كما نتج عن تلك الحملات الكثير من الدمار والتخريب في الأراضي التى كان يمتلكها العرب، وهو ما أدى لمزيد من الفقر والبؤس بينهم. كما أدت تلك الظروف لوقوع أشكال من التنافس بين بعض القبائل العربية ذاتها، وهو ما لبث أن تحول إلى نزاعات وصراعات قبلية بسبب الخلاف على بعض الأراضي الزراعية ذات الخصوبة، خاصةً تلك التي كانت تحاذي نهر النيل بالصعيد الأعلي ([1]). ولعل أبرز تلك الصراعات التي نشبت بين القبائل بالصعيد في ذلك الوقت ما وقع بين قبيلة جُهينة، خاصة بني عرك، وجماعات من قبيلة بني هلال ([2]). وكان بنو هلال قد طاب لهم المقام في أقاليم الصعيد الأعلى، نظراً لغنى تلك المناطق، وخصوبة تربتها ([3]).

(1) كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص80-81

(2) بنو هلال: هم بنو هلال بن عامر صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن قيس بن عيلان بن مضر. وقد أنجب هلال جد هم خمسة أبناء هم: شعبة وناشرة ونهيك وعبدمناف وعبدالله. ومن نسل شعبة بن هلال: بنو عبدالله بن شعبة، ومن نسل ناشرة: بنو عمرو وظالم، ومن بني عبدالله بن هلال: أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حزن الهلالية، وكذلك لبابة الصغري زوجة العباس عم النبي، ولبابة الصغري أم خالد بن الوليد. ومن كبار الصحابة من الهلاليين: أبوسلمة عبدالله بن عبدالأسد بن هلال زوج أم سلمة (ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص282). وقد هاجر بنو هلال إلي مصر من جزيرة العرب بعد الفتح، ويذكر ابن حوقل أن عددا كبيرا من بني هلال سكنوا الواحات المصرية، وكانوا يعملون بالزراعة، ويقتاتون علي ما يقومون بزراعته (صورة الأرض: ص135). وكانت جماعات كبيرة من الهلاليين هاجرت إلي بلاد المغرب أيام الفاطميين، وهي التي تعرف باسم "الغزوة الهلالية" (للمزيد انظر عبدالواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص91). ومن أبرز الشخصيات الهلالية: أبو زيد الهلالي، الذي ذاعت

سيرته خاصة في أفريقية. ونالت السيرة الهلالية شهرة واسعة في الأدب العربي، وعملت لها العديد الدراسات القيمة، والمقارنة بينها وبين سيرة الهلاليين في كل بلد استقر فيه بنوهلال. ومن أهم تلك الدراسات: روزلين ليلي قريش: سيرة بني هلال، موفم للنشر، الجزائر، 1988م، إبراهيم إسحق إبراهيم: السيرة الهلالية بين التاريخ والأسطورة، مجلة المأثورات الشعبية، الدوحة، السنة 5، عدد 20، 1990م، علي محمد برهانة: سيرة بني هلال (دراسة أدبية لغوية مقارنة)، تقديم: د.نبيلة إبراهيم، منشورات كلية الآداب والتربية، جامعة سبها، 1994م، عبدالحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1994م، كرم الصاوي باز: القصص الشعبي فى بلاد السودان عنترة – الهلالية – سيف بن زي يزن نموذجاً خلال القرن 8هـ/14م، دار نفرتيتي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015م ، عبدالحميد حواس: مدارس رواية السيرة الهلالية في مصر، أعمال الندوة العالمية الأولي حول السيرة الهلالية، الحمامات (تونس)، الدار التونسية للنشر، 1990م، محمد حسن عبد الحافظ: سيرة بني هلال، هيئة الكتاب، سلسلة التراث، 2006م.

(3) عبد المجيد عابدين: دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ص50

ومن بطون الهلاليين ممن أقاموا في هذه المناطق: بنو قرة، وبنو عقبة، وبنو رفاعة، وبنو حجيرة ([1]). ويرجع الصراعُ بين قبيلتي جُهينة وبني هلال إلي سنة 749هـ/1348م، وكان الجهنيون آنذاك أقوى بأساً من خصومهم من جماعات بني هلال خلال ذلك الصراع. ولما كانت العداوة على أشدها بين جُهينة وسلاطين المماليك في ذلك الوقت، وكان المماليك يدركون أن عرب جُهينة هم أكثر من يشكلون تهديدا لسلطانهم بين كل العرب، وأنهم أقوى من أندادهم من بني هلال. ولهذا انضم المماليك في ذلك الصراع لجانب الهلاليين نكاية في الجهنيين حتى يتم القضاء عليهم، والانتقام منهم، ومن ثم يكون الأمر يسيرا بعد ذلك للتخلص من بني هلال، وهم أضعف شوكة من منافسيهم ([2]).

وكان للهلاليين وجودٌ كبيرٌ أيضاً في الصعيد، وتركز وجودهم بقوة في بعض المناطق دون غيرها، حتى صاروا من أكثر الجماعات العربية هناك. ولهذا قال المقريزي: "وبنو هلال بطن من بني عامر، كانوا أهل بلاد الصعيد كلها إلى عيذاب وبإخميم.." ([3]). ويذهب البعضُ إلى أن هجرة الهلاليين الكبري لمصر بدأت في حوالي سنة 240هـ/854م ([4]). وكانت العلاقات طيبةً في بداية وجودهم مع عرب جُهينة، وسكنوا بجوارهم، كما انضم بنوهلال إلى الجُهنيين وغيرهم من العرب في "حملة العُمري" إلى بلاد البجة. ثم استقرت جماعات من هاتين القبيلتين في بلاد البجة جنباً إلى جنب بعد ذلك، وعملوا جميعا في "مناجم الذهب" بالعلاقي وما جاورها ([5]). ولم تدُم الأمور على هذا النحو، إذ ساءت العلاقة بين جُهينة وبني هلال في عصر المماليك، وبلغت العداوةُ بينهما ذروتها في ذلك الوقت.

ثم تطورت الأوضاع بين جماعات كل منهما، وتحولت إلى صراع عنيف، وجدها أمراء المماليك فرصةً سانحة للتخلص من القبيلتين معا، إذ انضموا للقبيلة الأضعف وهي بني هلال ضد القبيلة الأقوى وهي قبيلة جُهينة. وهو ما أدى لوقوع الهزيمة بعرب جُهينة بفضل تأييد

المماليك للهلاليين. ورغم أن الهزيمة كانت كبيرةً فيما يبدو، غير أنها لم تكن حاسمةً للقضاء على تلك القبيلة العربية ذات الوجود القوي بالصعيد، كما أنها لم تضع حداً لهذا الصراع القبلي بين كل من جهينة وبني هلال في ذات الوقت ([6]).

---

(1) عبدالمجيد عابدين: دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ص50

(2) كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص81

(3) البيان والإعراب: ص135

(4) مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطي، ص250

(5) المرجع السابق، ص250

(6) كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص81

وأدى الصراعُ بين قبيلة جُهينة وبني هلال إلى مقتل عدد كبير من الجنود المماليك، كما سقط عدد آخر ليس بالقليل من أمراء المماليك، رغم أن الهزيمة كانت قد حلت بالجُهنيين، وبمن حالفهم من الجماعات العربية الأخرى، وهو ما يؤكد قوة عرب جهينة في ذلك الوقت، فرغم هزيمتهم إلا أنهم أوجعوا عدوهم، وكبدوهم من القتلى والضحايا ما لا يطيقون. فالمعروف أن عرب جُهينة كانوا يشكلون قوةً وعدداً بالصعيد، ولم يكن من الهين القضاء عليهم أو التخلص منهم في مواجهة واحدة. وهو ما جعل أمراء المماليك يُبيتون النية لحرب أخرى ضدهم، ومن حالفهم من القبائل العربية الأخرى ([1]).

ولعل هذا يشير في ذات الوقت إلى أن عرب جُهينة كانوا بمثابة شوكة في ظهر حكام المماليك، ورغم تدخلهم لتأييد الهلاليين، إلا أن سلاطين المماليك لم يتمكنوا من إحراز نصر حاسم يقضي على شوكة هذه القبيلة العربية القوية في مدن الصعيد، ومن ثم اجبارهم على الخضوع لسلطة المماليك. وقد كان ذلك مقدمة لصراع ضروس، وأكثر عنفا، بين كل من قبيلة جهينة وأمراء المماليك بعد ذلك ([3]).

ولا شك أن انضمام المماليك لجانب بني هلال كان سبباً في تأجيج العداوة بين الجُهنيين والمماليك، ولهذا بدأت تظهرت أنواع من التحالفات بين بعض الجماعات العربية في الصعيد بقيادة عرب جُهينة كانت تحمل راية العداء السافر للمماليك، ولعل أهمها ذلك الحلف الذي يعرف بـ"الحلف الجهني" أو "الحلف العركي"، وهو الذي قاده رجل من قبيلة جُهينة، وتحديداً كان ينتسب لجماعات بني عرك، وكان يُلقَب أيضا بـ"ابن الأحدب" ([2]). وعلى هذا فإنه بظهور "الأحلاف العربية" تدخل العلاقة بين الجُهنيين والمماليك مرحلة جديدة من الصراع والتحدي بين الطرفين.

---

(1) وعن الصراع الذي وقع بين قبيلة جُهينة وبني هلال وما نتج عنه من ضحايا، يقول الدكتور رجب عبدالحليم: "وانتهز المماليك الفرصة، وتدخلوا في هذا النزاع في جانب بني هلال، وقُتل في الصراع الذي دار بين الفريقين عددٌ كبيرٌ من المماليك وأمرائهم.." (العروبة والإسلام في دارفور: ص61)

(2) للمزيد انظر ابن إياس: بدائع الزهور، جـ1، ص 550، عبد المجيد عابدين: دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ص 50 – 51، يقول الدكتور كرم الصاوي باز: "وكان هذا التدخل من جانب المماليك بداية لنزاع بين قبيلة عرك (وهم الجهنيون) وحلفائهم من جهة وبين المماليك وبني هلال وحلفائهم من جهة أخري.." (ممالك النوبة في العصر المملوكي: ص81).

(3) وعن النتائج التي ترتبت على تأييد المماليك وانضمامهم للهلاليين، يقول الدكتور عبد المجيد عابدين: "وفي عام 749هـ، نشب نزاع بين عرك وبني هلال، وتدخل المماليك في هذا النزاع، ومالأوا بني هلال، وقُتل عدد كبير من المماليك وأمرائهم في هذا الحادث. وكان هذا إيذاناً بحرب عنيفة بين المماليك والعركيين وحلفائهم.." (دراسات في تاريخ العروبة: ص 51)

رابعاً– قيام حلف جُهينة ودوره في الصعيد:

أدت حالة الكراهية التي سادت بين عرب جُهينة وحلفائهم من والمماليك من جانب آخر، خاصة بعد تأييد المماليك لبني هلال، لضرورة قيام نوع من التحالف والوحدة بين القبائل العربية التى كانت سكنت مصر على اختلاف مشاربها، وعصبياتها، ليكونوا قوة يمكنها الوقوف في مواجهة سلاطين المماليك، واضطهادهم للعرب. وقد ظهرت وحدة تلك القبائل في شكل "الأحلاف القبلية" ([1]). وكان كل حلف منها يضم بعض القبائل والبطون العربية التي عزمت على التحالف والاتحاد في مواجهة سلاطين المماليك، خاصة في بلاد الصعيد التي كانت تشكل مركزا قويا للجماعات العربية التي استقرت في مصر ([2]).

ولسنا نشك في أن العرب أدركوا في هذا الوقت أنه دون أن تتوحد الصفوف، فإنهم في مواجهة خطر حقيقي، وأن سلاطين المماليك لن يتركوهم سالمين. وطالما ظلوا على تلك الحالة من التشرذم والتفرق، كلما كانوا لقمةً سائغةً في أيديهم، وأنه لا حل لهم إلا بالتحالف والوحدة. والراجح أن مواجهة العرب للمماليك آنذاك صارت لمجرد البقاء بأمان أكثر من القضاء على حكم المماليك كما كان فى الماضي. ولهذا كان من أهم أهداف تلك الأحلاف مواجهة بطش المماليك، واضطهادهم للعرب، كما كانت تهدفُ لوقف الحملات التي كان يرسلها المماليك للعرب في الصعيد والنوبة ([3]). ويعد هذا تغير نوعي في أهداف المواجهة، إذ أدرك العرب أن المماليك عازمون على القضاء على الوجود العربي بالصعيد.

---

(1) وعن أصل "الأحلاف العربية"، وأشكالها قبل ظهورها إبان عصر المماليك، يقول الدكتور ممدوح الريطي: "منذ أن دخل العنصر التركي مصر علي أيدي العباسيين، سيطروا علي الوظائف في شتي مجالات الحياة فيها، وقفت العناصر التركية عائقا لقبائل العرب في مصر..وانصرف العرب يمارسون حياتهم لكسب أرزاقهم

بالاشتغال في الأعمال اليومية المختلفة..ومن هذه القبائل من سلك مسلك السلب والنهب، وقطع الطرق مما خلق الكراهية للعنصر التركي من القبائل العربية طيلة العهد العباسي والطولوني والاخشيدي. ونتج عن هذه الكراهية التصاق تلك القبائل وتعاونها فيما بينها عن طريق الأحلاف. وكان منها في بلاد الصعيد أحلاف تمثل العصبيات القبيلية، وما ينضم إليها من سائر القبائل الأخرى التي تنضوي تحت لواء الحلف.." (دور القبائل العربية في صعيد مصر: ص165).

(2) القلقشندي: صبح الأعشي، جـ4، ص68، المقريزي: البيان والإعراب، ص139، رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام في دارفور، ص59–60، ممدوح الريطي: المرجع السابق، ص165–167، وعن ذلك الأمر يقول الدكتور رجب عبدالحليم: "ونتيجة لهذا العداء المستمر والمتصاعد من جانب سلاطين المماليك للعربان في مصر وفي بلاد النوبة، التف هؤلاء العربان حول بعضهم في شكل أحلاف تقف في وجه التيار التركي الذي ارتكز علي العناصر المجلوبة إلى مصر من الأتراك ومن لف لفيفهم.." (العروبة والإسلام في دارفور: ص59)

(3) رجب عبدالحليم: مرجع سابق، ص59

(أ)– ابن الأحدب وقيادة الحلف الجُهني سنة 754هـ/1353م:

كان أقدم الأحلاف التي ظهرت خلال عصر المماليك (648–923هـ/1250–1517م) ذلك الذي قاده الأشراف في الأشمونين ([1]). غير أن "حلف جهينة"، أو "الحلف العركي"، يعد أقوى تلك الأحلاف التي ناهضت حكم المماليك، خاصة بعد أن صارت سياسة سلاطين المماليك تقوم على التخلص من الوجود العربي في بلاد الصعيد، ومن المؤكد أن هذا الحلف شكل تهديداً خطيراً لدولة المماليك رغم عدم التكافيء بين الطرفين. وكانت قيادة هذا الحلف لرجل من قبيلة جُهينة يدعى "ابن الأحدب"، وكان شيخا لقبيلة عرك الجُهنية ([2]). واسمه: "محمد بن واصل العركي الجهني" ([3]). وقد ذكرته بعض المصادر التاريخية باسم "ابن واصل الأحدب" ([4]). بينما تذكره بعض الروايات الأخرى باسم "عمر بن الأحدب" ([5]). وقد عُرف بـ "ابن الأحدب"، لأنه كان طويلا، وكانت تبدو في قامته إنحناءة ([6]). والعركيون، كما هو معروف، بطن من بطون جُهينة ([7]). ويذكر ماكمايكل Macmichael أن عائلة العركيين (Araki Family) تُعد تحديدا أحد فروع قبيلة رفاعة (الجهنية) ([8]). وتوجد العديد من "أوراق النسبة" السودانية Nisba التي تتحدث عن أصل بني عرك، ونسبهم، ولعل أهمها وثيقة الشيخ "عبدالله بن دفع الله العركي" ([10]).

---

(1) انظر القلقشندي: صبح الأعشي، جـ4، ص68، المقريزي: البيان والإعراب، ص128

(2) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ1، ص550، كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص81

(3) انظر رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام في دارفور، ص118، عبد المجيد عابدين: دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ص51

(4) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ10، ص233

(5) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ1، ص550

(6) رجب عبدالحليم: مرجع سابق، ص118، وهو ما يذهب إليه أيضاً الدكتور عبدالمجيد عابدين، إذ يقول: "كان يُلقب بالأحدب لطوله وانحناء قامته.." (دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ص51).

(7) خالد القاسمي: معجم أنساب القبائل العربية، جـ2، ص157

(8) A History of the Arabs in the Sudan , Volume II , P. 175

(9) Ibid , P. 175

(10) وهذه الوثيقة تعد إحدى الوثائق السودانية التي جمعها وأوردها المستشرق ماكمايكل في كتابه الثاني عن تاريخ العرب في السودان، ويذهب ماكمايكل إلى أن الشيخ عبدالله العركي كان قد ذهب إلى مكة لأداء مناسك الحج، ثم عاد بـ "ورقة النسب" التي تؤكد على أصله الشريف، وأنه من نسل الطالبيين. وللمزيد عن تلك الوثيقة التاريخية المهمة، انظر

A History of the Arabs , Vol. II , P. 175

ويمكن القول بأنه لما ظهرت حركة التمرد الجُهني هذه، اجتمعت حول ابن الأحدب العديد من القبائل بالصعيد، "وتحالفوا على العصيان على السلطان، والخروج عن الطاعة" ([1]). وحسب البعض فإن هذا التمرد وقع أيام الملك "الصالح إسماعيل" (743-746هـ/1342-1345م)، وأخيه "السلطان حسن" (748-762هـ/1347-1360م)، وكلاهما من أبناء الناصر محمد بن قلاوون (693-741هـ/1293-1340م) ([2]). بينما يرى آخرون أنه حدث تحديدا في سنة 749هـ/1348م ([3])، ولعل الرأي الثاني هو الأكثر دقة. وقد شكل هذا الحلف تحدياً كبيراً لسلاطين المماليك، وعلى هذا تحول الأمر بعد ذلك إلى صراع دموي عنيف، وصفت بعض المصادر التاريخية بأنه "فتنة العرب" ([4]).

ويشير ابن إياس إلى الخطرالكبير الذى شكله هذا الحلف على كيان دولة المماليك، إذ يقول: "وكانت حادثة صعبة مهولة، حتى إن السلطان خرج إليها بنفسه.." ([5]). ولعل خروج السلطان المملوكي، حسب تلك الرواية، في ذلك الوقت للصعيد بهدف القضاء على تمرد جُهينة ومن حالفها، ليُعد دلالةً جليةً على قوة هذا الحلف، وإدراك المماليك مدى خطورته على دولتهم. وحسب ابن تغري بردي (ت: 874هـ/1469م)، فإن حركة ابن الأحدب وقعت في أيام السلطان الناصر حسن ([6]). وعلى هذا يكون ظهور "حلف جُهينة" قد بدأ منذ أيام هذا السلطان، وتحديدا في سنة 749هـ/1348م.

وقد أحدث هذا الحلف اضطراباً شديداً في الديار المصرية، ولهذا ينعت ابن تغري بردي مدة حكم هذا السلطان بقوله: "كانت شديدة، كثرت فيها المغارم..وخرجت عدة أملاك على النيل، واحترقت مواضع كثيرة بالقاهرة ومصر، وخرجت عُربان العائذ وثعلبة..وعرب الصعيد عن الطاعة، واشتد فسادهم لاختلاف كلمة مدبري المملكة.." ([7]). وهو ما يشير إلى ما أحدثه "الحلف الجهني" من حالة من الاضطراب أصابت مصر أيام المماليك.

---

(1) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ1، ص550

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ10، ص354، ابن إياس: مصدر سابق، ص550 – 551، ويقول ابن تغري بردي عن الملك الصالح: "هو العشرون من ملوك الترك بديار مصر والثامن من أولاد الملك الناصر محمد بن قلاوون..تسلطن بعد خلع أخيه الملك الناصر حسن في يوم الاثنين ثامن عشرين جمادي الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة باتفاق الأمراء علي ذلك..وأمه خوند قطلو ملك بنت الأمير تنكز الناصري نائب حلب.." (انظر النجوم الزاهرة: جـ10، ص354)

(3) انظر ابن تغري بردي: جـ10، ص233، رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام في دارفور، ص61

(4) ابن إياس: مصدر سابق، ص551 (5) المصدر السابق، ص551

(6) النجوم الزاهرة: جـ10، ص233

(7) المصدر السابق، ص232 – 233

وفي موضع آخر، يشير ابن تغري بردي إلى حالة البلاد في هذا الوقت قائلا: "وكان في أيامه (أى السلطان حسن) الفناء العظيم الذي لم يُعهد في الإسلام مثله، وتوالي في أيامه شراقي البلاد، وتلاف الجسور، وقيام ابن واصل الأحدب ببلاد الصعيد، فاختلت أرض مصر وبلاد الشام بسبب ذلك خللاً فاحشاً، كل ذلك من اضطراب المملكة.." ([1]). وهي إشاراتٌ تاريخيةٌ ذات دلالة لما وصلت إليه أحوال مصر من سوء خلال الفترة التي ظهر فيها هذا الحلف، والضربات الموجعة التي قام بها عرب جُهينة وحلفاؤهم ضد المماليك.

أما عن "رواية ابن إياس" فإنه يقول (في حوليات سنة 754هـ/1353م): "وفيها وردت الأخبار من بلاد الصعيد أن العُربان قد خرجوا عن الطاعة، وأظهروا العصيان..وكان شيخهم شخصا يدعى عمر بن الأحدب، شيخ قبيلة عرك، فاجتمع عليه عدة قبائل من العربان الذين هناك، وتحالفوا على العصيان على السلطان قاطبة، والخروج عن الطاعة.." ([2]).

وعلى هذا فإن بداية ظهور هذا الحلف بالصعيد كان في سنة 749هـ/1349م، وظل حتى سنة 754هـ/1353م ([3]). وكان عرب جهينة قادة المشهد العربي في ذلك الوقت، حيث قادت جُهينة وبطونها العرب ضد المماليك ([4]). أما عن أهم القبائل الأخرى التي كانت منضوية تحت لواء هذا الحلف العربي: جُهينة، وكلب، وعرك، وعرب منفلوط، وعرب المراغة، وغيرهم ([5]). والواضح أنه كان يغلب على هذا الحلف طابع القرابة، فأكثر من ينتمي له فيما يبدو كانوا من جماعات عرب قُضاعة، إلي جانب بعض القبائل العربية الأخرى التي كانت ترفض حكم المماليك.

ويمكن القولُ بأن بعض القبائل العربية ممن كانت تناويء جُهينة، وتعارضها، أو من تلك التي كانت تخشي نقمة المماليك وبطشهم، كانت ترفض تأييد هذا الحلف، ومنها من أعلن العداء سافرا للحلف العربي، وانضم إلى جانب المماليك. ولاريب أنه كان في مقدمة هؤلاء قبيلة بني

هلال، خاصة وأن العداوة بينهم وبين قبيلة جُهينة كانت قد بلغت ذروتها خلال هذه الحقبة ([6])، ولهذا شايع الهلاليون المماليك، وتحالفوا معهم ضد جُهينة.

---

(1) النجوم الزاهرة: جـ10، ص233

(2) بدائع الزهور: جـ1، ص550

(3) رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام في دارفور، ص118

(4) المرجع السابق، ص118

(5) كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص82

(6) انظر كرم الصاوي باز: مالك النوبة، ص80-81، عبدالمجيد عابدين: دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ص50

أما عن قوة الجيش العربي، فإن عدد الفرسان المحاربين ممن كانوا يقاتلون تحت لواء "حلف جُهينة"، بلغ ما يزيد على "عشرة آلاف" فارس، وكانوا مزودين بالعدة والعتاد، هذا إلى جانب وجود أعداد كبيرة من جنود المشاة التى انضمت إليهم ([1]). وهو ما يشير لقوة الحلف، وجدية استعدادهم للمواجهة الحاسمة مع جيش المماليك. ولمزيد من تحدي سلطة المماليك، أعلن ابن الأحدب نفسه أميرا على بعض المدن بالصعيد، وأنكر شرعية السلطان المملوكي ([2]). كما أنه ادعى أحقيته بالمُلك والسلطة، واتخذ شارات ورموز الإمارة والحُكم، وقامت القبائل الموالية لـ "حلف جُهينة" بإعلان مبايعته أميراً عليهم ([3]).

كما أظهر فلاحو الصعيد الولاء لقائد الحلف العربي، وصار أمره نافذاً فيهم، وكان يُطاع إذا أمر ([4]). ويبدو أن الفلاحين كانوا يشعرون بأن ابن الأحدب هو من يدافع عنهم وعن مصالحهم، وأنه سيعيد إليهم الكثير من حقوقهم المسلوبة، وكانوا يشعرون بأنه رجل صادق، ولهذا أعلنوا الطاعة لأمره. وكان عرب جُهينة لهم تواجد في الصعيد منذ القرون الأولي بعد الفتح، وزادت أعدادهم، وزاد أنصارهم وأتباعهم بمرور الزمن.

وتذكر المصادر التاريخية أن العربان، أو أتباع هذا الحلف، قاموا بأعمال سلب ونهب ضد الدولة، وأنهم "نهبوا الغلال من الجرون" ([5]). كما أنهم قطعوا بعض الجسور في مدينة الأشمونين ([6]). كما تشير هذه المصادر أيضا إلى أن هؤلاء العربان نهبوا المعاصر، واستولوا على حواصلها، كما قاموا بذبح ما كان بها من الأبقار والماشية ([7])، وغير ذلك من أمور الشغب التي فعلوها.

---

(1) عبد المجيد عابدين: دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ص51، كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص82

(2) المقريزي: السلوك، جـ1، ص848

(3) كرم الصاوي باز: مرجع سابق، ص82، وعما بلغه ابن الأحدب من مكانة بين العرب في الصعيد، يقول الدكتور عبدالمجيد عابدين: "وبلغ من قوته أن نادى بالسلطة لنفسه، وجلس في جتر، وجعل خلفه المسند، وأجلس العرب حوله، ومدّ السماط بين يديه.." (دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل: ص51)

(4) عبدالمجيد عابدين: مرجع سابق، ص51

(5) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ1، ص550، ويقول ابن إياس أيضا عما وقع في سنة 754هـ(1353م): "وعين (السلطان) الأمير محمد بن الأمير بكتمر الساقي والأمير قماري الحموي بأن يخرجوا إلى جهة بلاد الصعيد حتى يحفظوا الضياع من فساد العربان، بسبب أن لا ينهبوا المغل، فإن القمح كان في الجرون، فخرجوا هؤلاء الأمراء من يومهم.." (بدائع الزهور: جـ1، ص541

(6) المقريزي: السلوك، جـ2، ص848

(7) المصدر السابق، ص848

(ب)- حملة المماليك لمحاربة حلف جُهينة في الصعيد:

ولما تواردت الأخبارُ بشكل متسارع إلى "الأبواب السلطانية" بالقاهرة عما قام به ابن الأحدب وأتباعه بالصعيد، وتأكد السلطان الصالح بن الناصر بن محمد والأمراء من تلك الأخبار، أدركوا خطورة هذا الحلف، وأنه يجب عليهم المبادرة لمقاومته، والقضاء عليه. ونظراً للتهديد الذي كان يشكله الحلف العربي، قاد السلطان بنفسه الجيش لمواجهة ذلك التمرد فيما تذكر بعض المصادر، وإن اختلفت المصادر في أمر خروج السلطان، قال ابن إياس: "فلما تحقق السلطان من صحة هذه الأخبار، خرج بنفسه إليهم.." ([1]).

وتشير المصادر إلى أن المماليك عقدوا ما يشبه "مجلس الحرب" للمشورة في حضور السلطان سنة 754هـ/1353م، ثم قرر السلطان بعد ذلك إرسال حملة كبيرة للصعيد لمحاربة جُهينة وحلفاءها ([2]). قال المقريزي: "فإن الأمراء عقدوا مشورا بين يدي السلطان في أمرهم، فتقرر في الحال التجريد إليهم، فرسم للأمير سيف الدين بزلار العُمري أن يتوجه إلي قوص بمضافيه.." ([3]). كما قرر السلطان أيضا إرسال الأمير سيف الدين أرلان، والأمير قطلوبغا الذهبي علي رأس قوات عسكرية أخرى، ويكون مقدمهم الأمير شيخو، وتم الاعداد جيداً لتلك الحملة العسكرية، "وجُهزت الإقامات براً وبحراً" ([4]).

وهي إشاراتٌ مهمة تؤكد أن أمراء المماليك أخذوا أمر الحلف بالصعيد مأخذ الجد، وأنه لابد من مواجهته بأقصي ما يمكن، على أن يتم الإسراع بإرسال تلك الحملة للصعيد. وهو ما تؤكده رواية المقريزي إذ تقرر التجريد في الحال، وإن لا يبدو منها أن السلطان هو الذي قاد الحملة بنفسه ضد جُهينة حسب "رواية ابن إياس"، والراجح أن السلطان خرج بنفسه لكنه جعل القيادة لـ "شيخو العمري". وكان عرب جُهينة يعرفون أن المماليك لن يتركوهم يعلنون التمرد والعصيان ضدهم في الصعيد، وكان لابد لهم من رد فعل على تلك الخطوات التي اتخذها العرب، ولهذا تأهب ابن الأحدب لقدوم حملة المماليك إليه. وتجمع حوله أنصاره والموالون له

بعدتهم، وعتادهم ([5]). وكما ذكرنا آنفا أن ابن الأحدب جمع نحو عشرة آلاف فارس كانوا يحملون السلاح، وإلى جانب ذلك، تمكن من جمع أعداد أخرى من المشاة والرجالة المعدة، ويقال إن أعدادهم كانت لاتحصي نظرا لكثرتها.

---

(1) بدائع الزهور: جـ1، ص550
(2) المقريزي: السلوك، جـ2، ص849
(3) المصدر السابق، ص849
(4) المصدر السابق، ص849
(5) عبدالمجيد عابدين، دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ص51

كما جمع ابن الأحدب المواشي الخاصة بأتباعه، وجمع أموالهم وغلالهم، وما كان لهم من متاع، كما حشد أيضاً نساءهم وأطفالهم ([1]). وهو ما يشير إلى أنه أراد أن يجعل هذه المعركة وكأنها "حرب مصير" لكل أتباع الحلف. ومن ثم صار عرب جُهينة متأهبين لقدوم المماليك بهذه العدة من الأتباع والحلفاء. ولما وصلت حملة المماليك إلى إقليم أسيوط بالصعيد الأوسط، انضمت إليهم أعداد قليلة من العرب ممن كانوا يقطنون تلك البلاد خوفاً من بطش المماليك بهم إن لم يُظهروا لهم الولاء والطاعة ([2]). وقد عُرف هؤلاء بـ "عرب الطاعة"، وهم الذين يطيعون السلطان ولا يعارضونه. وكان هؤلاء العرب قد أثاروا فزع المماليك حول قوة الحلف العربي، وهولوا الأمر عليهم ليأخذوا الأمر على محمل الجد ([3]).

خامساً – نهاية حلف جُهينة:

ويبدو أن الأحداث تسارعت بعد ذلك بشكل كبير، حيث انضمت بعض القبائل الأخرى لجانب المماليك لمحاربة قبيلة جُهينة، وكان منهم بنو هلال، إضافة لجماعات عربية أخرى، غير أن وجود الهلاليين كان أكثر من غيرهم. وكان لابد من وقوع المعركة الفاصلة بين الطرفين، حيث تكون نتيجتها حاسمة في مصير قبيلة جُهينة، ووجودها بالصعيد.

(أ) – انضمام بني هلال إلى جيش المماليك ضد جُهينة:

ولما كان المماليك يعرفون ما بين جُهينة وبني هلال من عداوة قديمة، وكانت الجروح لم تزل غائرة في النفوس، وأنها لم تندمل بمرور الوقت، ولهذا أرادوا أن ينضم بنوهلال لجيشهم الذي سيحارب عرب جُهينة وحلفاءهم ليتخلصوا من هاتين القبيلتين في وقت واحد. وكانت دعوة أمراء المماليك لبني هلال مكيدة ومكراً لم يفطن له الهلاليون، إلا بعد أن وقعت بهم الفاجعة. وكان المماليك قد أرسلوا أحد قادتهم إلى بني هلال، ودعاهم للانتقام والثأر من عرب جُهينة. وخُدع زعماء بني هلال بما قاله الأمير المملوكي لهم، وانطلت عليهم المكيدة. ولهذا رحبوا بالانضمام

لجيش المماليك، وقادوا جيادهم، وحملوا معهم عتادهم ([4]). ولا ريب أن بني هلال كانوا يدركون سطوة المماليك، وأنهم سبق وقدموا لهم العون والمساعدة لما حاربوا جُهينة بالصعيد من قبل، وكانوا سببا في الانتصار عليهم، ومن ثم كان عليهم الموافقة على قتال جُهينة ردا للجميل.

(1) عبدالمجيد عابدين، دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ص51

(2) كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص82

(3) المرجع السابق، ص82

(4) عبدالمجيد عابدين: المرجع السابق، ص51

وكانت عدة جماعاتُ بني هلال التي انضمت إلى جيش المماليك، تبلغ نحو "أربعمائة" فارس، وكانوا من خيرة جنودهم ([1]). ولاريب أن هذا العدد كان غير جند المشاة. وعلى أية حال، لم يفطن بنو هلال لحيلة ومكيدة أمراء المماليك التي عملوها بهدف الايقاع بهم، والتخلص منهم، حتى أنهم ما أن وصلوا إلى الميدان الذي كان يعسكر به الجيش المملوكي، حتى انقض عليهم جنود المماليك، وأخذوا يفتكون بهم دون شفقة أو هوادة، حتى أفنوا الجنود الهلاليين عن آخرهم، ثم استولوا على ما كان معهم من الأسلحة والعتاد ([2]). ولعل المماليك أرادوا بذلك الصنيع الدموي أن يُرهِبوا القبائل العربية الأخرى، وكذلك لتحفيز جنودهم على تحقيق ما يرمون إليه، وهو إبادة عرب جُهينة، وكذلك حلفائهم كما فعلوا بالهلاليين ([3]).

والمؤكد أن تلك الوقعة كانت قبل نشوب القتال بين قبيلة جُهينة وجيش المماليك، ويرى الباحث أنه ربما أراد أمراء المماليك من ذلك الذي قاموا به أيضاً أن يبعثوا برسالة لكل قبائل العرب أن كل من يعارضهم، أو حتي من يواليهم سوف يكون مصيره مثل ما وقع لبني هلال رغم أنهم كانوا من حلفاء المماليك. وهو ما قد يكون له أثره على معنويات جنود الحلف الجهني، وأن يُثبّط هممهم وعزائمهم، كما أنهم أرادوا بذلك الذي فعلوه مع بني هلال أن يؤكدوا أنهم لن يقبلوا بأي وجود عربي في الصعيد.

(ب) – وقوع القتال بين جُهينة والمماليك:

وبعد أن تخلص أمراء المماليك من بني هلال، صار مقصدهم إلى قتال عرب جُهينة، ومن كان يحالفهم، فهذه غايتهم الكبرى، ومأربهم الرئيس الذي جاءوا إلى الصعيد من أجل تحقيقه. وتشير هذه الأجواء إلى أن القتال بين الجانبين سيكون عنيفاً هذه المرة، فكلاهما متأهب إلى أقصي حد للقضاء على الطرف الآخر، أو اضعافه على أقل تقدير. ويبدو من الاستعدادات التي قام بها عرب جُهينة أنهم كانوا يعتبرون هذه المعركة مصيرية بالنسبة لهم خاصة، وللوجود العربي بصفة عامة في أقاليم الصعيد.

(1) عبدالمجيد عابدين، دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ص51

(2) كرم الصاوي باز: ممالك النوبة في العصر المملوكي، ص82–83، وعن مكيدة أمراء المماليك بالهلاليين، يقول الدكتور عبد المجيد عابدين: "وبعث أمراء المماليك ليؤمن بني هلال أعداء عرك، ويحضرهم ليقاتلوا عرك أعداءهم، فانخدعوا بذلك، وفرحوا به..فما هو إلا أن وصلوا إلى الأمير شيخو قائد المماليك حتى أمر بأسلحتهم وخيولهم، فأخذت بأسرها، ووضع فيهم السيف، فأفناهم جميعا.." (تاريخ العروبة في وادي النيل: ص51)

(3) كرم الصاوي باز: المرجع السابق، ص83

ولابد أنه قد بلغ جُهينة ما وقع لبني هلال من المماليك رغم أنهم من الموالين لهم، فما بالك بما يمكن أن يفعله المماليك بهم، وهم ألد أعدائهم. وكان المماليك يدركون أنه لو انتصرت قبيلة جُهينة عليهم فإن مُلكهم لن يبقي، لأنهم يعلمون مدى الكراهية التى يضمرونها لهم، وأن عرباً آخرين سينضمون لحلفهم بعد الذي فعلوه بالهلاليين، فالعرب لم يعودوا يأمنون البتة جانب المماليك، حتى من كانوا يحالفونهم. ولعل ما ترويه المصادر حول المعركة التى وقعت بين جُهينة والمماليك يؤكد شدة القتال آنذاك، فالمعركة التي نشبت بين الطرفين فيما يقال لم يعهد الناس بمثلها منذ زمن بعيد، على ما كان فيها من ترويع، وسفك للدماء. فابن إياس يصف هذه المعركة بأنها كانت وقائع رهيبة "لم يُسمع بمثلها فيما تقدم من الزمان من الواقعات المشهورة" ([1]).

وبعد أن دارت رحى الحرب، وسقط القتلى والضحايا فيها بالآلاف، بدت الهزيمةُ تلوح في جانب قبيلة جُهينة، ولم يكن ذلك أمرا غريبا، فالمنطقُ يؤكد بأن جماعات من الناس لا يمكنهم إسقاط جيش قوي، ومُدرَب على أعلى قدرٍ من الكفاءة والحرفية مثل جيش المماليك. خاصة وأن تلك الحقبة كانت دولة المماليك لا تزال سلطنة قوية، وفي عنفوانها، رغم وجود بعض المنازعات والصراعات على العرش، غير أن جيشهم كان الأقوي في ذلك الوقت بين كل الجيوش في العالم الإسلامي.

وتشير المصادرُ التاريخية إلى أن المماليك ارتكبوا في هذه المعركة أموراً شنيعةً، فهدفهم لم يكن مجرد هزيمة هذا الحلف الجُهني، بل كانوا يرومون أبعد من ذلك، إذ كانت غايتهم استئصال شأفة الجماعات العربية كافة من الصعيد، ولا فرق عندهم بين حليف لهم، أو من يُضمر لهم العداء. ولهذا أخذ المماليك يقتلون في عرب جُهينة وحلفائهم دون هوادة، ولم يظهروا لهم شيئا من الرحمة والرفق، حتى أن بعض المصادر التاريخية تذكر أن قتلى تلك المعركة من العرب فحسب تجاوز عشرة آلاف شخص ([2]). بينما يشير آخرون إلى أن أعداد القتلي من الجانبين كان مهولاً ([3]). وعن شدة القتال وبشاعته، يقول ابن إياس: "فصار الأمير شيخو يقطع

رأس كل من رآه من الفلاحين يقول: دكيك، فلا زال يقطع من رءوس العربان والفلاحين الذين بضياع الصعيد، حتى بنى من رءوسهم عدة مصاطب ومآذن على شاطيء بحر النيل.." ([4]).

---

(1) بدائع الزهور: جـ1، ص550، عبدالمجيد عابدين: تاريخ العروبة في وادي النيل، ص51

(2) ابن إياس: مصدر السابق، ص550

(3) عبد المجيد عابدين: المرجع السابق، ص51

(4) بدائع الزهور: جـ1، ص550

ومن أبلغ ما ورد في وصف تلك المعركة أن بعض المصادر شبهت ما قام به جنود المماليك بالعرب بما فعله قائد التتار "هولاكو" في بغداد ([1]). وهي إشارةٌ مهمة تؤكد فداحة المأساة التي وقعت بالقبائل العربية علي يد جنود المماليك، وكأنها كانت حرب إبادة، لاهوادة فيها ولا رحمة البتة. وحسب رواية المقريزي، فإنه يُشتَم منها أن الأمر لم يكن علي هذا الصنيع الدموي كما ذكر ابن إياس، بل كان الأمر أخف وطأة من حيث القتلى وسفك الدماء: "فأخذ العرب حذرهم، فتفرقوا، واختفوا، وقدمت طائفة منهم..فأُخِذوا، وكانوا عشرة، فقبض على ما وجد معهم من المال، وحمل لأمير جندار ([2]).." ([3]).

ويرى الباحثُ أنه حسب هذه الرواية فإن العرب لما أدركوا أنهم ليسوا بالقوة التي تقهر المماليك، هرب عدد كبير منهم، حتى لايقعوا في أيدى المماليك، لأنهم يعلمون بطشهم، وأنهم لن يتركوا منهم أحدا على قيد الحياة. ويبدو أن ما فعله المماليك بالهلاليين كان له أثره في نفوس العرب من حلف جُهينة، فهربوا من القتال بعد أن أدركوا أنها معركة خاسرة وغير متكافئة. ويشير المقريزي إلى أن عشرة نفرمن العرب قدموا لمصر، ثم قبض المماليك عليهم، واستولوا على أموالهم، ولعلهم هربوا من المعركة بعد أن أدركوا أن الهزيمة حلت بهم.

ومع ذلك فإنه يبدو أن العرب لم يكونوا لُقمةً سائغةً في يد المماليك، إذ أظهروا مقاومة عنيفة، فالمصادر تذكر أنه لم اشتد وطيس القتال، أمر السلطان بإرسال مدد إلى الصعيد، فجمع نائب السلطان جيشا جعل عليه 25 مقدماً، وجعل مع كل مقدم منهم 20 من الجند حتى صارت عُدتهم "خمسمائة فارس" ([4]). وبينما كان المدد يتم الاعداد له علي وجه السرعة، إذ ورد كتاب من قادة الجيش يقولون بأنهم ليسوا بحاجة إليه ([5]). والراجح أن مقاومة قبيلة جُهينة كانت شديدة، وهو ما أنهك جيش المماليك، فبعثوا للسلطان طالبين مدداً عاجلاً، ولما حُسمت الأمور، جاءت رسالةٌ إلى السلطان تخبره بأن الحرب قد حسمت.

---

(1) ابن إياس: مصدر سابق، ص550

(2) أمير جندار: ويكتب أيضا جاندار، وهو الذي يقوم علي حراسة السلطان خلال وجوده في المجالس، وكان معه رجال يعرفون باسم "البردارية"، كما كان أمير جندار يقوم بحراسة الملك في الخروجات عن طريق أشخاص يعرفون باسم الركبداريةأو الركابية، وهم الذين كانوا يركبون الخيول، وكانوا يحملون آلات السلطان وأشعرته، وكان "أمير جندار" في مقدمتهم، كما يحرس هذا الأمير السلطان في القصر عن طريق فرقة "الجندارية" (الجاندارية)، وربما كان يحرس أيضا حريم السلطان (للمزيد، انظر عبدالمنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، 1982م، ص48-49

(3) السلوك: جـ1، 849

(4) المصدر السابق، ص 849

(5) المصدر السابق، ص 849

ولما وقعت الهزيمةُ بالعرب هرب ابن الأحدب، وذهب في اتجاه الجنوب الشرقي، حيث البلاد التي تُعرف باسم "بلاد الزنج" ([1]). وظل في طريقه هارباً حتى بلغ آخر تلك البلاد ([2]). بينما لم يقنع أمراءُ المماليك بهزيمة "حلف جُهينة"، حيث ظلوا يطاردون فلولهم مدة سبعة أيام، حتي وصل جند المماليك إلى أطراف بلاد الزنج. غير أنهم لم يتمكنوا من القبض عليه، ولهذا عادوا أدراجهم بعد ذلك ([3]). وقد أخذ جنود المماليك ينكلون فيمن وقع في أيديهم من العرب، واشتدوا فيهم قتلا وتشريدا ([4]). أما من تمكن من الهرب من بطش المماليك من عرب جُهينة وحلفائهم، فقد فروا جنوبا إلى شمالي بلاد النوبة التي كانت خاضعة في ذلك الوقت لدولة الكنوز العربية ([5]). وكان يحكم النوبيين وقتئذ بنو ربيعة، الذين كانوا قد نقلوا مقر حكمهم من أرض البجة إلى بلاد النوبة.

وقد استولى أمراء المماليك بعد أن حققوا الانتصار الكبير في هذه المعركة على كل ما وقع في أيديهم من ممتلكات العرب، ونالوا الكثير من المغانم والأسلاب، إذ حملوا معهم أحمالاً ثقيلة من الخيول، والإبل، والأبقار، والأغنام، وكذلك حملوا معهم ما وجدوا من السيوف، والرماح، والدرق، وغير ذلك من أسلاب الحروب ([6]).

وتذكر المصادر التاريخية أن السلطان عاد إلى مقر السلطنة "وهو في غاية السرور بهذه النصرة التي وقعت له، فشق شارع الصليبة في موكب حافل، وطلع إلى القلعة، وكان له يوم مشهود" ([7]). ويبدو أن المماليك لم يتوقف تحركهم عند حد هزيمة قبيلة جُهينة، ومطاردة قائدهم، حيث اتخذوا اجراءات صارمة وقاسية في مطاردة كل من اشترك في حلف الجُهنيين في كافة أقاليم مصر ومدنها. ومن ذلك أن الأمير شيخو أعلن وهو أمام "موكب الحج": "أن من يخفي أحدا منهم (أي الجهنيين)، فقد أهدر دمه.." ([8]).

---

(1) بلاد الزنج: يقول الرحالة المغربي ابن بطوطة عن هذه البلاد النائية: "ثم ركبت من مقدشو متوجهاً إلي بلاد الساحل، قاصداً مدينة كلوا من بلاد الزنج..وهي مدينة عظيمة ساحلية، أكثر أهلها الزنوج المستحكمو

السواد، ولهم شرطات في وجوههم.." (تحفة النظار، جـ1، ص233–234). وقال أبوبكر الرازي عنهم: "الزنج جيل من السودان، وهم الزنوج.." (انظر مختار الصحاح: ص275).

(2) ابن إياس: جـ1، ص550، عبد المجيد عابدين: دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ص51

(3) ابن إياس: مصدر السابق، ص550

(4) كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص83

(5) عبدالمجيد عابدين: المرجع السابق، ص51، كرم الصاوي باز: المرجع السابق، ص83

(6) ابن إياس: جـ1، ص550

(7) المصدر السابق، ص550

(8) المقريزي: السلوك، جـ1، ص849

ثم أخذ المماليك يبحثون عن بقايا الجيش العربي، والهاربين من "حلف جُهينة"، "وفتشوا الخيام وغيرها، فقبض على جمَّاعة، فوسط بعضهم، وأفرج عن بعض". كما أن الملك الصالح ابن محمد بن قلاوون لما عاد لمقر السلطنة حذر من إيواء العربان الهاربين، ومن ثم لم يترك منهم أحد ممن وقع في أيديهم "فأخذ البحري والبري، وقبضت على خيول تلك النواحي وسيوف أهلها بأسرها" ([1]). كما قام أمراء المماليك بالقبض على كل من اشتبهوا بهم ممن ينتمون للحلف العربي، ويبدو أنهم كانوا يقبضون على أي أحد من العرب لمجرد الاشتباه، حتى وقع في أيديهم الكثير منهم "ومن كان منهم معروفا بغير ذلك، أُفرج عنه، ومن لم يُعرف سجن" ([2]). ثم أرسل أمراء المماليكُ أتباعهم إلى كل المدن والقرى بمصر، التي علموا أن بها من عُربان هذا الحلف الفارين، يقول المقريزي: "ثم كبست البهنسا وبلاد الفيوم، فركب الأميران طاز وصرغتمش بمن معهما إلى البلاد. وقد فر أهلها، واختفى بعضهم في حفائر تحت الأرض، فقبضوا (على) النساء والصبيان، وعاقبوهم حتى دلوهم على الرجال، فسفكوا دماء كثيرين، وعوقب كثير من الناس بسبب من اختفى.." ([3]).

كما بعث المماليك إلى أقاليم الوجه البحري، ودعوا الناس هناك "بألا يدعوا عندهم مُفسداً، ولا أحداً ممن يتجمع إليهم من بلاد الصعيد والفيوم، ومن آواهم حل دمه". كما حذروا الناس من اقتناء الخيل، وألزموا الناس باحضارها ([4]). بينما تذكر روايات أخرى أن السلطان دخل وأمامه الأسرى من العربان (جهينة)، وكانوا نحو ألف، فلما طلع إلى القلعة رسم بأن يوسطوا هؤلاء العربان جميعا، وأبقي منهم أكابرهم ومشايخهم ([5])، "ثم إن السلطان نادى في القاهرة بأن فلاحا لايركب فرسا، ولا يشتري سلاحا، ولا سيفا، ولا رمحا" ([6]).

هكذا اشتد أمراءُ المماليك في معاقبة كل من انضم لـ "حلف جُهينة"، أو حتى من اشتُبه في أمره، وأسرفوا في ذلك إسرافا لا يتصوره العقل، حيث اشتدوا في معاملة العرب، واضطهادهم، والانتقام منهم بكل قسوة. كما أنهم منعوا أي شخص عربي، حتى وإن لم يكن ممن اشترك في

"حلف جُهينة"، أن يمتلك خيلاً أو سلاحاً خشية أن يُستخدم بعد ذلك في قتال المماليك، وهددوا كل من لا يلتزم بتلك الأوامر بأشد العقاب.

—

(1) المقريزي: السلوك، جـ1، ص849
(2) المصدر السابق، ص849
(3) المصدر السابق، ص 849 – 850
(4) المصدر السابق، ص850
(5) بدائع الزهور: جـ1، ص551
(6) المصدر السابق، ص551

جـ- استسلام ابن الأحدب الجُهني:

أما ابن الأحدب، فإنه هرب إلى تخوم بلاد الزنج، ولم يتمكن جنود المماليك من ملاحقته والقبض عليه. وفيما يبدو أن الأخبار كانت تصل إليه بما فعله المماليك بالعرب، واضطهادهم لهم والتنكيل بهم دون رحمة بعد أن حلت بهم الهزيمة. ويبدو أنه وصل إلى قناعة أنه لا طائل من هربه، وأن العرب وفي مقدمتهم قبيلة جُهينة، لن يمكنهم التمرد مرة أخرى لأنهم شاهدوا قوة المماليك، وبطشهم رأي العين. ومن ثم أدرك أن شوكتهم قوية، ولا قبل للعرب بهم، عندئذ أعلن الاستسلام للمماليك "ثم بعد أيام أرسل ابن الأحدب يطلب الأمان من السلطان، وأنه يدوس بساط السلطان ويحضر" ([1]).

وتذكر المصادر أن سلطان المماليك وافق على طلبه، وأعلن العفو عنه، ثم أرسل له السلطان منديل الأمان علي يد الخاصكي ([2]). لكن السلطان كان قد اشترط على ابن الأحدب أن يعمل هو وأتباعه من عربان جُهينة، والموالين لهم في بلاد الصعيد الأعلى بزراعة الأرض، وأن يلتزموا بالحفاظ علي الأمن والاستقرار في مدن الصعيد، كما أن عليهم أن يلتزموا بدفع الضرائب التي تُفرض عليهم من الدولة مهما بلغت كلفتها ([3]).

وكان من شروط السلطان أيضاً لابن الأحدب أن يُظهر استسلامه وولائه التام لدولة المماليك، وأن يمتنع هو وباقي الجُهنيين عن القيام بأي أعمال عدائية ضد الولاة التابعين للدولة، وكذلك إلى أي من عمال السلطان ([4]). ولم يكن أمام ابن الأحدب إلا القبول بتلك الشروط التي فرضها السلطان رغم ما بها من إجحاف واضح، لكنها تعبر عن شروط المنتصر، وعلى المهزوم أن يخضع له "ثم وُسِم له بالتوجه إلى بلاده، فعاد إليها بعد أيام" ([5]). هكذا تمكن أمراء المماليك من القضاء على حركة الجُهنيين بالصعيد، وأنهوا تمردهم ضد المماليك رغم ما حاق بهم من الأذى، وسفك الدماء، ويعلق ابن إياس على ذلك بقوله: "وخمدت فتنة العرب، بعدما قد ذهبت فيها أرواح، وتيتمت فيها أطفال.." ([6]).

(1) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ1، ص551، كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص83
(2) ابن إياس: جـ1، ص551
(3) كرم الصاوي باز: مرجع سابق، ص83
(4) المرجع السابق، ص83
(5) ابن إياس: جـ1، ص551
(6) المصدر السابق، ص551، وقد قال بعض الشعراء في ذلك:
ما هادن السلطان أعداءه   إلا لأمر فيه إذلالهم
حتي له تكثر أموالهم   وللصبا تكبر أطفالهم

هكذا يتضح لنا من خلال دراسة هذا الفصل أن العداء كان سمة العلاقة التى جمعت بين كل من قبيلة جهينة وسلاطين المماليك، إذ لم يعترف الجهنيون بحكم المماليك، وأعلنوا أنهم حكام لا شرعية لهم. كما يتضح من هذا الفصل أن قبيلة جُهينة لعبت دوراً كبيراً في توحيد القبائل العربية في بلاد الصعيد، ومن ثم قيام ما يُعرف بـ "الأحلاف العربية" التى كانت تناهض دولة المماليك (648-923هـ/1250-1517م)، خاصة وأن هذه القبائل لم تكن تعترف هي الأخرى بشرعية حكمهم.

وعلى هذا شهد ذلك العصر الكثير من الصراعات بين القبائل العربية بصفة عامة، وقبيلة جُهينة خاصة من جانب، وأمراء المماليك من جانب آخر. وقد حملت جماعات جهينة لواء المعارضة لحكم المماليك. وكان "حلف جُهينة" أو "الحلف العركي"، الذي قاده ابن الأحدب الذي ينتسب لعرب جهينة أهم تلك الأحلاف التى ظهرت خلال عصر سلاطين المماليك، وشكلت شوكة في ظهورهم.

وقد تصدر هذا الحلف حركة المعارضة العربية في مدن الصعيد ضد أمراء المماليك، ووقعت بين الطرفين الكثير من مظاهر القتال والمواجهات العسكرية، غير أن هذا الصراع انتهى في آخر المطاف بهزيمة عرب جُهينة، وكذلك من حالفهم أمام الجيوش المملوكية، ثم هرب قائد هذا الحلف ابن الأحدب، الذي أدرك بعد أن ذاق مرارة الهزيمة، وبعد كل ما وقع من المهالك لأفراد قبيلته جهينة، وسقوط الآلاف من القتلى والضحايا منهم أنه من الصعب على قبائل العرب أن تقهر جبروت دولة المماليك وبطشهم، ومن ثم أظهر لين الجانب لهم، وقبل ابن الأحدب بشروط سلطان المماليك رغم ما كان بها من شروط الخضوع والاستسلام.

وعلى أية حال، فإنه يمكن القول بأن الصراع الذي قاده عرب جُهينة، ومن حالفهم من العرب في الصعيد، ووقوع الهزيمة بهم كان أحد أهم الأسباب التى أدت إلى إجبار الجُهنيين على الهجرة من الصعيد، قاصدين الذهاب إلى بلاد النوبة وباقي سودان وادي النيل، وهى تعد

مرحلة تاريخية ذات أهمية كبيرة، نظرا للدور الحضاري الكبير الذي كان مقدرا لهذه القبيلة أن تلعبه هناك، وخاصة دورهم فى تعريب تلك البلاد، وهو ما سوف نناقشه تفصيلا في ثنايا الفصول التالية.

الفصل الخامس:

"هجرة قبيلة جُهينة إلى النوبة المسيحية إبان القرن 8هـ/14م"

أولا – دوافع هجرة جُهينة إلى بلاد النوبة

ثانياً – الطرق والمسالك التي عبرها الجُهنيون إلى النوبة

ثالثا – ممالك النوبة المسيحية:

(أ) – مملكة نوباديا

(ب) – مملكة المَقُرة

(ج) – مملكة عُلوة

رابعا – سقوط مملكة المَقُرة (723هـ/1323م):

(أ) – دور جُهينة في سقوط مملكة المقُرة

(ب) – حملات المماليك وسقوط مملكة المقُرة

خامسا – رواية ابن خلدون عن هجرة جُهينة إلى النوبة بعد سقوط المقُرة

سادسا – عرب جُهينة ومزاعم تدمير كنائس النوبة

يتناول هذا الفصل قدوم قبيلة جهينة وبطونها إلى أرض النوبة، ودوافع هذه الهجرة، ثم استقرارهم في هذه البلاد، كما يتناول المسالك التى سلكها الجُهنيون من أجل الوصول إلى بلاد النوبة، ولعل أهمها: طريق البحر الأحمر، وطريق درب الأربعين، وعبر نهر النيل، وغيرها من الطرق ([1]). كما يتحدث عن ممالك النوبة المسيحية، وهي: مملكة نوبادا، والمقُرة، وعُلوة، ثم يتناول دور عرب جُهينة فى مملكة المقرة النوبية، وإلى أي مدى كان لهم دور في إسقاطها، كما يناقش "رواية ابن خلدون" عن هجرة جهينة للنوبة، وإشكالية ما ورد في بعض المصادر التاريخية عن دور الجُهنيين في تدمير الكنائس والأديرة النوبية.

أولاً – دوافع هجرة جُهينة إلى بلاد النوبة:

أدى العداء بين المماليك وجُهينة لمزيد من الانتقام والبطش، وكانت ذروة المقاومة الجُهينة ضد المماليك بالصعيد خلال الفترة من سنة 698هـ/1298م، وحتى سنة 754هـ/1353م ([2]). وبقدر ما كان لجُهينة من دور كبير في مقاومة المماليك، بقدر ما حل بهم أكثر من غيرهم من العرب من البلاء، وهو ما كان سببا رئيسا في هجرتهم القسرية إلى النوبة ([3]). حيث أدرك الجُهنيون أنه لم يعد بإمكانهم البقاء بعد كل ما حدث من المواجهات الدموية مع أمراء المماليك، وخاصة بعد أن انكسرت شوكتهم، وأيقنوا أنهم سيكونون عُرضة للأذى، وبما لا يمكنهم احتماله

من جانب المماليك، ولهذا آثرت أكثر جماعاتهم السلامة، بعد أن صاروا على قناعة بأنه لابد من الرحيل إلى أرض جديدة، بعيدا عن سلطة المماليك وانتقامهم، ومن ثم لم يكن أمامهم سوى الذهاب إلى بلاد النوبة ([4]).

---

(1) للمزيد عن الطرق والمسالك التى عبرها الجهنيون وباقي العرب للنوبة، ابن بطوطة: تحفة النظار، جـ1 ، ص48-49، ابن خلدون: العبر، جـ5، ص7-8، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ5، ص277، التونسي: تشحيذ الأذهان، ص41 وما بعدها، كولين ماكفيدي: أطلس التاريخ الأفريقي، ص95، عون الشريف قاسم: موسوعة القبائل والأنساب العربية في السودان، جـ1، ص328، وانظر أيضا حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص12، حسن جوهر: السودان أرضه وتاريخه وحياة شعبه، دار الشعب، ص73

(2) وعن ذلك ، يقول الدكتور عبد المجيد عابدين: "وصفوة القول أن جُهينة في الفترة التي بين 698-754هـ كان لها نصيب وافر في المقاومة، وأن هذه الحركة انتهت بهجرة كثير منهم إلى بلاد السودان.." (تاريخ العروبة في وادي النيل: ص51).

(3) انظر المقريزي: السلوك، جـ1، ص850-851، رجب عبدالحليم: العروبة والإسلام، ص118

(4) وعن دور جُهينة في مقاومة المماليك وارتباط ذلك بالهجرة للنوبة، يقول د.رجب عبدالحليم: "ومعنى ذلك أن جُهينة..كان لها نصيب وافر في المقاومة التي جرت عليها غضب المماليك واضطهادهم لها، هذا الاضطهاد الذي انتهى بهجرة كثير من بطونها ورجالها إلي بلاد السودان" (العروبة والإسلام: ص118).

والمؤكد في رأي البعض أن سياسة المماليك لم تترك للعرب فرصة غير الهروب إلى بلاد النوبة ([1]). وهو ما يشير لسوء أوضاع القبائل العربية كافة خلال تلك الحقبة، كما زاد اضطهاد أمراء المماليك للعرب، وخاصة عرب جهينة. كما يذهب البعض إلى أن المجاعات والأوبئة التي أصابت مصر خلال هذا العصر، لعبت هي الأخرى دورا في الهجرة العربية إلى بلاد النوبة، وذلك خوفاً من أن يهلكوا بسبب تلك المجاعات وشدتها ([2]).

وربما يؤيد ذلك الرأي أن المقريزي وضع مؤلفا عن المجاعات والأوبئة التي ضربت مصر، خاصة تلك التي وقعت أيام دولة المماليك، وهو ما يشير إلى أي مدى بلغت هذه المجاعات، وما كان لها من أثر على عموم الناس في ذلك الوقت ([3]). ولعل من الدواعي الأخرى للهجرة الجُهنية إلى النوبة أيضا رغبة عرب جُهينة في البحث عن موطن جديد، يلائم طبيعة حياتهم البدوية، وفي أرض توجد بها المروج والمراعي، علها تكون شبيهة بالبيئة التي عاشوا فيها في موطنهم الأول بجزيرة العرب ([4]). وربما لهذا يربط البعض بين تلك الأحداث التي وقعت لقبيلة جهينة بالصعيد، وبين ما يذكره ابن خلدون في روايته عن قدوم جماعات هذه القبيلة إلى بلاد النوبة، حيث إنها قد ترتبط مع بعضها البعض ([5]).

---

(1) يوسف فضل حسن: دراسات في تاريخ السودان، ص48

(2) للمزيد عن دور المجاعات والأوبئة في الهجرة العربية للنوبة، انظر المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، سلسلة التراث (سلسلة المجاعات في مصر)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص61 وما بعدها، وعن ذلك انظر أيضا، يوسف فضل حسن: دراسات في تاريخ السودان، مرجع سابق، ص48

(3) ومما يذكره المقريزي عن المجاعات والأوبئة التي ضربت مصر أيام دولة المماليك، خاصة تلك التي وقعت في أيامه، وهو يعد من مؤرخي هذه الحقبة، إذ من شدة ذلك ظن الناس آنذاك أنه أمر لم يحدث من قبل لهوله وشدته، لذا كتب المقريزي هذا المصنف ليذكر الناس أنه أمر يحدث في أي زمان أو مكان، ومما قاله المقريزي عن ذلك: "وبعد فإنه لما طال هذا البلاء المبين، وحل فيه بالخلق أنواع العذاب المبين، ظن كثير من الناس أن هذه المحن لم يكن فيما مضى مثلها، ولا مر في زمن شبهها...فعزمت على ذكر الأسباب التي نشأ منها هذا الأمر الفظيع، وكيف تمادى بالبلاد والعباد هذا المصاب الشنيع، وأختم القول بذكر ما يزيل هذا الداء، ويرفع البلاء، مع الإلماع بطرف من أسعار هذا الزمن، وإيراد نبذ مما غبر من الغلاء والمحن.." (للمزيد، انظر إغاثة الأمة: مصدر سابق، ص34).

(4) انظر رجب عبدالحليم: الإسلام والعروبة في دارفور، ص 118-120

(5) يقول ابن خلدون في روايته عن هجرة عرب جُهينة إلى بلاد النوبة: "ثم انتشرت أحياء العرب من جُهينة في بلادهم، واستوطنوها، وملكوها، وملؤوها عيثا وفساداً. وذهب ملوك النوبة إلى مدافعتهم، فعجزوا، ثم صاروا إلى مصانعتهم بالصهر. فافترق مُلكهم، وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم علي عادة الأعاجم في تمليك الأخت وابن الأخت، فتمزق ملكهم.." ابن خلدون: العبر، جـ5، ص491

وقد استقرت جماعات كبيرة من قبيلة جُهينة على الراجح في مناطق سودان وادي النيل في حوالي منتصف القرن 8هـ/14م، خاصة في المنطقة التي تقع بين الجندل الثاني والجندل السادس ([1]). بينما قامت جماعات أخرى من جُهينة بالتوغل صوب الآراضٍ النائية، حيث عبروا الصحراء السودانية بقطعانهم، ثم استقروا في إقليمي دارفور وكردفان غربا سودان. وكانت تلك المناطق توجد بها بعض المراعي والمنتجعات الفقيرة ([2]).

وفي رأي البعض أن عصر "الدولة الطولونية" (254-294هـ/868-906م) شهد زيادة في الهجرات العربية إلى النوبة وسودان وادي النيل ([3]). وهي ربما إشارة إلى هجرة كل من جُهينة وربيعة تحديدا وكان معهما بعض الجماعات الأخرى التي رافقت "حملة العُمري" إلى بلاد البجة في منتصف القرن 3هـ/9م. وكان يُنظر للعرب آنذاك باعتبارهم عنصرا غير مرغوب فيهم من قبل ولاة مصر من ذوي الأصل التركي، ومن هذا المنطلق، أطلقوا عليهم "عناصر الشغب" ([4]). وهو اسم يعبر دون شك عن حقيقة نظرتهم تجاه العرب.

هكذا اضطرت الظروف، خاصة السياسية والاقتصادية، قبيلة جُهينة إلى الارتحال عن مصر، وكذلك عن بلاد البجة، ثم الاتجاه شرقاً صوب بلاد النوبة وباقي سودان وادي النيل. وكانت هذه مرحلة مهمة في تاريخ تلك القبيلة، ولكافة البطون والقبائل العربية الأخرى التي رافقتها في ذلك الارتحال، وهذا لا يعني بالضرورة أن كل جماعات جُهينة كانت قد تركت مصر في ذات الوقت، بل ظل بعضها يسكن بعض المدن المصرية، ولكثرتهم هناك، سميت تلك المدن

باسم هذه القبيلة ([5]). وقد أشار بعض الرحالة إلى أنهم شاهد جماعات من جُهينة كانت تسكن بلاد البجة منتصف القرن 8هـ/14م ([6]). وهو ما يؤيد الرأي القائل بأن بعض الجماعات من قبيلة جُهينة ظلت تعيش في بلاد البجة، وما جاورها، في ذات الوقت الذي كانت قد هاجرت فيه أكثر بطونهم إلى النوبة، وهو ما ينطبق أيضا على بعض جماعات جهينة بالصعيد التي آثرت البقاء هناك.

---

(1) انظر كولين ماكفيدي: أطلس التاريخ الأفريقي، ص95

(2) المرجع السابق، ص95

(3) عبد المجيد سليم: العلاقات بين مصر والنوبة في العصر الفاطمي، ص236

(4) المرجع السابق، ص236، وللمزيد عن العلاقة بين العرب والنوبة في بواكير العصر الإسلامي، انظر مخطوطة عبدالله بن سعد ومخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة، الأشكال رقم 11، 12، 13، 14، 15

(5) ولعلنا نجد الوجود الجهني قويا في المدن والقرى المصرية حتي يومنا هذا، إذ لاتزال العديد من القري والمدن بمصر تحمل اسم جُهينة، سواء في شمالي مصر أو جنوبها. (وللمزيد عن وجود عرب جهينة في المدن المصرية، انظر الفصل الأول، ص76، هامش4)

(6) ابن بطوطة: تحفة النظار، جـ1، ص49

وفي معرض حديثه عن قبيلة جُهينة وكافة البطون التي تنتسب لقضاعة، يشير المؤرخ السوداني "الفحل الفكي الطاهر" إلى أنهم – سواء يقصد جُهينة خاصة أم بطون قُضاعة عامة – "كانوا أول العرب ممن دخلوا بر العجم (أي السودان) بأموالهم، وأولادهم، ونسائهم، وعدتهم، وخيلهم ورجلهم، ولم يستطع أحد أن يتعرض لهم بأذى" ([1]). وهو ما يشير لقدم وجود قبيلة جُهينة في سودان وادي النيل. ويذهب آخرون إلى أن قبيلة بلي تحديدا كانت من أقدم قبائل العرب التي كانت قد دخلت سودان وادي النيل ([2]).

وعلى أية حال، فسواء كانت قبيلة بلي أم جُهينة أول الجماعات العربية قدوما إلى السودان الشمالي، فإنه من المؤكد أن القبائل القضاعية كانت الأقدم بين سائرالعرب في تلك المناطق، وإن كان وجود قبيلة بلي أسبق من جهينة في شرقي أفريقيا، إذ لعبت جماعات بلي دوراً مهماً في تلك البلاد، خاصةً في مناطق شرقي الحبشة وبلاد البجة قبل الإسلام، وهو الأمر الذي ناقشناه آنفاً ([3]). بينما تشير "رواية القلقشندي"، وهي التي ينقلها عن ابن خلدون، إلى أن عرب جُهينة كانوا قد انتشروا في بلاد النوبة المسيحية، ومن ثم استقروا بها، حتى دانت لهم السيطرة والحكم علي تلك البلاد بعد ذلك ([4]). وقد اختلط الجُهنيون بشعب النوبة، وصارت لهم أحياء خاصة بهم في هذه البلاد ([5]).

ثانياً – الطرق والمسالك التي عبرها الجُهنيون إلى النوبة:

ويمكن القول بأنه كانت توجد ثلاثة طرق ومسالك رئيسية ([6])، قدمت عبرها الهجرات العربية إلى بلاد النوبة وسودان وادي النيل، سواءاً تلك الهجرات التي قام بها عرب جُهينة بصفة خاصة، أم تلك التى قامت بها القبائل العربية الأخرى عامة، وهذه المسالك التي عبرتها الجماعات العربية هي التي حملت معها العروبة والإسلام إلى شعوب تلك البلاد.

---

(1) تاريخ وأصول العرب بالسودان: ص118، وعن هجرة قبيلة جهينة إلى بلاد النوبة، انظر ملحق13، 14 و15، ص253-2254

(2) عون الشريف قاسم: موسوعة القبائل والأنساب في السودان، جـ1، ص328

(3) للمزيد عن هذا الموضوع، انظر الفصل الثالث من هذه الدراسة، ص90-92

(4) صبح الأعشي: جـ5، ص277

(5) المصدر السابق، ص277، انظر خريطة رقم 5، وخريطة رقم 11 عن هجرة جهينة للنوبة أيام المماليك

(6) بينما يشير المستشرق "يان زاهوريك" Jan Zahorik إلى أن الهجرات العربية إلي بلاد سودان وادي النيل سلكت طريقين أساسيين، أولهما: الطريق القادم من مصر في اتجاه الجنوب، أما الطريق الثاني: فهو طريق البحر الأحمر. ويذكر زاهوريك أن من أسباب الهجرة العربية إلى شريق أفريقيا كان بهدف منع القراصنة القادمين من أفريقيا من غزو شبه جزيرة العرب (وللمزيد رأى يان زاهوريك، انظر: The Islamization of Beja : P. 3

أما "**الطريق الأول**": فهو المعروف بـ"طريق البحر الأحمر" (بحرالقلزم)، وهو يُعرف أيضاً بـ"الطريق الشرقي"، وهذا الطريق كانت قد عبرته العديد من القبائل العربية خلال هجرتها من شبه الجزيرة العربية إلى شرقي أفريقيا وسودان وادي النيل ([1]). وقد تدفقت عبر هذا الطريق هجرات العرب والمسلمين على طول الساحل الشرقي من "خليج عدن" في طريقها لسودان وادي النيل، وكذلك إلى المنطقة التي تُعرف باسم "بر الزنج" ([2]). ويعد هذا الطريق من أهم المسالك التي عبرتها الجماعات العربية إلى السودان الشمالي، ولعل أقدم الهجرات الجُهنية التي عبرت ذلك الطريق تؤرخ إلى بدايات الدعوة الإسلامية، إذ يشير البعض إلى أنه منذ منتصف القرن 7م (القرن الأول الهجري) هاجرت جماعات من قبيلة جُهينة وبلي إلى ساحل البحر الأحمر والبجة قادمة من جزيرة العرب ([3]).

ومن المعروف أن الهجرات العربية بصفة عامة عبرت البحر الأحمر إلى ساحل أفريقيا الشرقي منذ عدة قرون قبل الميلاد، وهو الرأي الذي يؤكده الدكتور عبدالمجيد عابدين، وغيره، وحسب هذا الرأي فإن بعض القبائل من عرب اليمن هاجرت إلى هضبة الحبشة وما جاورها في وقت يرجع على الأقل لحوالي القرن العاشر قبل الميلاد ([4]). وعن استخدام العرب لطريق البحر الأحمر، تذكر "الموسوعة الأفريقية" (Encyclopedia of Africa): "لقد جاءت الهجرات العربية بشكل مباشر إلى شرقي أفريقيا عبر ساحل البحر الأحمر..وإن تاريخ هجرات البدو

العرب عبر البحر الأحمر لايمكن معرفتها بشكل محدد.." ([5]). وهو ما يعني، حسب هذا الرأي، أن أقدم الهجرات العربية عبر البحر الأحمر لاتزال غير معروفة بشكل محدد، وإن يرجعها البعض إلى حوالي القرن 10 ق.م.

---

(1) للمزيد، انظر الاصطخري: مسالك الممالك، ص30، ابن حوقل: صورة الأرض، ص24 وما بعدها، رحلة ابن جبير: ص74-75، مصطفي مسعد: امتداد الإسلام والعروبة إلي وادي النيل الأوسط، ص76، وانظر أيضا: John Middleton (& Others): Encyclopedia of Africa South of Sahara , Volume I , Charles 's Scrbners Sons , New York , 1997 , P. 66

(2) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص12، وانظر خريطة رقم 5، 240

(3) رجب عبدالحليم: تاريخ أفريقيا الإسلامي والوسيط، الموسوعة الأفريقية، جـ2، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1997م، ص84

(4) عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، دون تاريخ، ص10، يقول الدكتور عبدالمجيد عابدين: "من الصعب أن نتصور أن هذا التأثير لم يتناول غير بلاد الحبشة أو أن بلاد اليمن وحدها هي التة كانت مصدر تلك الهجرات...فالراجح أن السودان قد عرف الجنس العربي قبل أن تظهر الدعوة الإسلامية في بلاد العرب بعدة قرون، ومعني هذا أن الثقافة العربية الجاهلية قد عرفها السودان قبل أن يعرف الثقافة العربية الإسلامية.." (تاريخ الثقافة العربية في السودان: ص10).

(5) J. Middleton: Encyclopedia of Africa South of Sahara , Vol. I , P. 66

وثمة طريقٌ آخرُ سلكته جماعات جُهينة إلى سودان وادي النيل، وهو "**طريق نهر النيل**"، ويعرف أيضا بـ "الطريق الشمالي"، وكانت هذه الهجرة تتم عبر الأراضي المصرية ([1]). ويطلق عليه أيضاً طريق "النوبة – دنقلة" ([2])، وهو يرتبط بطريق "درب الأربعين" الذي يبدأ من أسيوط، ثم يتجه جنوبا إلى سودان وادي النيل ([3]). ولا ريب أنه زادت أهمية ذلك الطريق من خلال هجرة القبائل بعد فتح مصر (21هـ/641م)، ومن ثم قدوم المهاجرين العرب إلى النوبة بعد ذلك. وهذه البلاد لم تكن مجهولة تماماً للعرب، بل كانت تربطهم بها علاقات ووشائج قديمة. وكان نهر النيل من أهم المسالك التي كانت تسلكها قوافل التجارة العربية، وكذلك المهاجرين العرب، رغم أن ممالك النوبة المسيحية خاصة المقُرة كانت تقف عائقا أمام توغل المزيد من الجماعات العربية إلى مناطق وسط أفريقيا ([4]).

أما "**الطريق الثالث**"، فهو الذي يعرف بـ "الطريق الليبي"، وهو الطريق الشمالي الغربي، وهو ربما لم يكن مصدرا لأي هجرات عربية قبل الإسلام، بل زادت أهميته بعد أن فتح العرب لمصر وشمالي أفريقيا، أي بعد سنة 21هـ/641م ([5]). وكانت القوافل التجارية تعبر الواحات المصرية إلى الجنوب ([6]). وعلى أية حال فإن هذا الطريق لم ينل شهرة كبيرة كالتي نالها طريق "البحر الأحمر"، وطريق "نهر النيل". وتباينت آراء الباحثين حول أي من هذين الطريقين الأخيرين كان بمثابة المصدر الرئيس للهجرات العربية إلى سودان وادي النيل، ومن ثم دوره في نشر الإسلام والثقافة العربية في تلك البلاد. والراجح أن قدوم أكثر المهاجرين العرب للسودان

كان عن طريق النيل، إذ لم تذكر المصادر وصول هجرات عربية ذات أهمية هناك عبر البحر الأحمر، أو حتى عبر أي طريق آخر غير النيل من الشمال إلى الجنوب ([7]). ورغم ادعاء بعض القبائل في السودان أنهم قدموا من جزيرة العرب مباشرة، فإن هذا الإدعاء ربما كان بعيدا عن الحقيقة، وفي الغالب بهدف الانتساب لأصل شريف، أو الزعم بأنهم من نسل أحد الصحابة. وهذا لاينفي في ذات الوقت قدوم هجرات عربية من حين لآخر قادمة من بلاد العرب، إما بهدف التجارة، أو بحثا عن موطن جديد لهم.

---

(1) الزهري: كتاب الجغرافية، ص123، مصطفى مسعد: امتداد الإسلام والعروبة، ص76

(2) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام، ص13

(3) عن درب الأربعين، انظر التونسي: تشحيذ الأذهان، ص47 وما بعدها

(4) حسن ابراهيم: المرجع السابق، ص13

(5) مصطفي مسعد: امتداد الإسلام والعروبة، ص76

(6) تحدث ابن حوقل عن وجود جماعات عربية من بني هلال كانت تسكن الواحات، والراجح أنهم جاؤا مع قوافل التجارة، ثم طاب لهم المقام بالواحات: "وبالواحات من بني هلال عدة غزيرة، وأمة كثيرة، وهي مصيفهم وقت الغلة، وميرتهم منها" (صورة الأرض: ص153) (7) مصطفى مسعد: المرجع السابق، ص77

ويشير البعض إلى أن عددا من القبائل العربية كانت قد هاجرت من بلاد العرب إلى سودان وادي النيل عبر طريق "البحر الأحمر" ([1])، وهو ما لم يقبله "آدامز" Adams، وعلق على ذلك الرأي بقوله: "إن عدد الرجال والحيوانات الذي يمكن أن يؤدي عبورا كهذا صغير.." ([2]). وهو ما يشير لقلة الأعداد التي يمكنها عبور هذا الطريق، غير أن هذه الهجرات في حقيقة الأمر لم تكن كبيرة إذا ما قورنت بأعداد المهاجرين العرب الذين قدموا عبر نهر النيل من مصر أو "درب الأربعين" الذي يبدأ عند أسيوط ([3]). ولهذا يؤكد الدكتور مصطفى مسعد أن المصادر لم تسجل هجرات واسعة عبر هذا الطريق (يقصد البحر الأحمر)، مثلما سجلت عن الهجرة العربية عبر طريق نهر النيل ([4]).

ومع وجاهة هذا الرأي، فإن البعض يرى أن القبائل التي استقرت في "إقليم البطانة" ([5]) في سودان وادي النيل من أطرافه الشمالية لأقصى الجنوب، وهم المعروفون بـ"الجُهنيين الشرقيين" هاجروا للسودان قادمين من جزيرة العرب، أي عبر البحر الأحمر، ثم هاجروا إلى تلك المناطق بعد ذلك ([6]). ويشيرالبعض أيضا إلى أن قبائل جُهينة الغربية في كردفان ودارفور لم تأت عبر البحرالأحمر، بل نزلت مصر أولاً، ثم هاجرت بعد ذلك جنوباً إلى سودان وادي النيل عبر نهرالنيل ودرب الأربعين ([7]). وعلى أية حال فالراجح أن كثيرين من جماعات جُهينة، وغيرهم من البطون العربية قدموا إلى بلاد البجة والحبشة وسودان وادي النيل من مصر، خاصة خلال الحملات العسكرية التي بعث بها خلفاء الدولة العباسية أو ولاة مصر ([8])، ولعل أهمها "حملة

العُمري" في منتصف القرن الثالث الهجري، والتي حملت أعداداً كبيرة من قبائل: جُهينة وبلي وربيعة، وغيرهم.

---

(1) آدامز: النوبة رواق إفريقيا، ص484

(2) المرجع السابق، ص484

(3) مصطفي مسعد: امتداد الإسلام والعروبة، ص77

(4) المرجع السابق، ص77

(5) إقليم البطانة: هو الإقليم الذي يقع في المنطقة ما بين نهر عطبرة والنيل الأزرق في بلاد سودان وادي النيل (محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية، ص322)

(6) يقول الدكتور محمد عوض محمد: "فإذا ذكرنا أوطانا في شرق البحر الأحمر، وأن عبور البحر سهل ميسور، جاز لنا أن نتصور أن الجهنيين الشرقيين قد هاجروا إلي السودان من الجزيرة العربية مباشرة، ثم انتقلوا بالتدريج نحو الجنوب حتي وصلوا إلي أوطانهم الحالية" وللمزيد، انظر محمد عوض محمد الشعوب والسلالات الأفريقية: ص322، محمد عوض محمد: السودان ووادي النيل، ص48

(7) محمد عوض: الشعوب والسلالات، ص322

(8) وللمزيد عن دور الحملات العسكرية في زيادة هجرات العرب، انظر الفصل الثاني، ص103 وما بعدها

ثالثاً– ممالك النوبة المسيحية:

تقع النوبة في المنطقة الواقعة بين كل من الجندل الأول والجندل السادس، وهي تمتد من أسوان حتى مدينة الخرطوم، بينما تُعرف المنطقة التي تمتد ما بين الجندل الأول والجندل الثاني باسم بلاد "النوبة السفلى" Lower Nubia، أما تلك التي تقع فيما بين الجندل الثاني والجندل السادس، فهي التي يطلق عليها "النوبة العليا" Upper Nubia. وتكتب كلمة "النوبة" بضم النون، وسكون الواو، وفتح الباء الموحدة، وهاء في الآخر ([1]).

وأول تخوم بلاد النوبة تقع عند قرية تُعرف باسم "القصر"، وتبلغ المسافة من مدينة أسوان إلى هذه القرية حوالي خمسة أميال، وآخر حصن للمسلمين هناك يقع في جزيرة تُدعى باسم "بلاق" ([2]). ولهذا يقول المؤرخ والجغرافي اليعقوبي: "فأما النوبة فإنها لما صارت في الجانب الغربي من النيل، جاورت مملكة القبط.." ([3]).

---

(1) للمزيد عن بلاد النوبة وموقعها الجغرافي، انظر تاريخ اليعقوبي: جـ1، ص165، البكري: المُغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص15، الاصطخري: مسالك الممالك، ص40، الزُهري: كتاب الجغرافية، ص119، أبوالفداء: المختصر، جـ1، ص122، المقريزي: المواعظ والاعتبار، جـ1 ، ص309، مخطوط مختص بأرض النوبة ومن ملوكها ملوك الفونج ومن تولي بعدهم، وثائق غير منشورة، دار الوثائق القومية، الخرطوم، Misc 1/15/191، ورقة رقم 15، عبد المنعم أبوبكر: بلاد النوبة، القاهرة، 1962م، ص14 – 7، محمد غيطاس: النوبة، ص41–45، محمد عبدالعال أحمد: النوبة والمحاولات الإسلامية لفتحها، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1987م،

ص53–54، أحمد الحفناوي: سودان وادي النيل، ص36–37، شوقي الجمل: تاريخ بلاد النوبة وأفريقيا الشرقية القديم، الموسوعة الأفريقية، جـ1، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1997م، ص51، أسامة عبدالوارث (وآخرون): معالم تاريخ وحضارة بلاد النوبة، المجلس الأعلي للآثار، 2006م، ص13–21، وانظر أيضا:

Crawford: Sudan Antiquities Service, No. 2, Castles& Churches in the Middle Regions, Khartoum, 1953, PP.40-50
L. P. Kairwan: A Survey of Nubian Origins , Sudan Notes & Records , Vol. 20 , N.1,1937, University of Khartoum, P. 47 – 48
Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan , Volume I , P. 28
Giuseppe Marino & M. C. De Simone: Nubia Submerged , Cairo , 2000 , P 16
Michael russel: nubia&abyssinia, Harper&Brother Publishers new york, 1954, PP.31
Paul Bowers: Nubian Christianity the neglected Heritage , Africa Journal of Evangelical Theology , IV , 1985 , P. 6
W. Y. Adams: Medieval Nubia Another Golden Age , Expedition , Volume 32 , P

(2) بلاق: بلدة من بلاد النوبة، يذكرها محمد بن عمر التونسي باسم "بولاق"، وقال عنها: "دُرست معالم أكثرها، وتصدع بناء أقومها وأشهرها، ومن العجائب أن نخلها في غاية القصر، وهو حامل للتمر، لا يتكلف جانبه القيام، بل يتناول منه ولو في هيئة النيام، فتذكرت باسمها بولاق مصر المحمية، حرسها الله من كل آفة وبلية، فانهملت دموعي، وهاج وجدي..." (انظر تشحيذ الأذهان: ص48)

(3) تاريخ اليعقوبي: جـ1، ص165، وللمزيد عن جغرافية النوبة انظر خرائط رقم 6و 7، ص242–242

ويذكر البكري أن المسافة ما بين الواحات وأرض النوبة تبلغ حوالي ستة مراحل ([1]). بينما يشير الاصطخري إلى أن المسافة بين ساحل بحر الروم إلى بلاد النوبة من وراء الواحات تبلغ نحو خمسة وعشرين مرحلة ([2]). أما الزُهري، الجغرافي المغربي المعروف، فإنه يضع بلاد النوبة ضمن بلدان "الجزء السابع" من الأرض، أما عن حدود هذا الجزء حسب ما ورد في روايته، فهي أربع جهات: "بلاد السودان، والحبشة، وبلاد الزنج، وبلاد النوبة" ([3]). بينما يشير أبوالفداء إلى أن النوبيين يعدون حسب أصلهم من أمم السودان، وهم يجاورون الحبشة من جهة الشمال والغرب ([4]). وتقول إحدى "المخطوطات" : "وأما النوبة، فافترقت فرقتين، فرقة شرق النيل وغربه...واتصلت ديارها بديار البقط..واتسعت مساكن النوبة على شاطيء النيل...وبنوا دار مملكة وهي مدينة عظيمة تدعي دنقلا. والفريق الآخر يقال لهم علوة، وبنوا مدينة عظيمة سموها سوبة.." ([5]). ويُعد "هيرودوت" Herodotus (عاش في حوالي سنة 445 ق.م) أقدم من تحدث عن بلاد النوبة من المؤرخين القدامى ([6])، ثم يأتي من بعده زمنيا المؤرخ "استرابون" Strabo([7]). بينما يشير البعض إلى أن النوبيين ربما كانوا فرعاً من "شعب النوبا" الذي سكن جبال كردفان، وعلى هذا فإن النوبيين يعدون من الشعوب ذات الأصول الزنجية ([8]).

---

(1) المُغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب: ص15

(2) مسالك الممالك: ص40

(3) الزُهري: كتاب الجغرافية، ص119

(4) أبوالفداء: المختصر، جـ1، ص122، انظر شكل رقم 1 عن نسل الحاميين الذي ينتسب له النوبيون

(5) مخطوط مختص بأرض النوبة ومن ملوكها ملوك الفونج ومن تولي بعدهم، مصدر سابق، ورقة 15

(6) Macmichael: A History of the Arabs, Vol. I , P. 32

(7) للمزيد، انظر عبدالمنعم أبوبكر: بلاد النوبة، ص14، يقول استرابون عن موقع بلاد النوبة: "إن المناطق التي تقع علي الجانب الغربي للنيل في ليبيا مأهولة بالنوبيين، وهم قبيلة كبيرة تمتد آراضيها من مروي وتصل شمالا حتي انحناء النهروهم لا يتبعون أثيوبيا بل ينغمسون إلى ممالك عدة كل مملكة منها مستقلة عن الأخرى (انظر عبدالمنعم أبو بكر: مرجع سابق، ص14). استرابون: مؤرخ وجغرافي اغريقي (63ق.م-23م) ألف كتابا يضم 47 مجلدا في الجغرافية،لم يبق منها إلا 17 مجلدا تعد أهم المصادر التاريخية عن جغرافية العالم القديم وللمزيد عن رواية استرابون عن بلاد النوبة:

Kairwan: A Survey of Nubian Origins , Records, P. 48

وللمزيد عن حياة المؤرخ والجغرافي استرابون ومؤلفاته، انظر:

The New American Desk Encyclopedia: P. 1127 ,
Hutchinson's New 20th Century Encyclopedia: P. 824

(8) Crawford: Sudan Antiquities Service, No. 2, P. 43

انظر الملحق، خريطة رقم 6، ص241

بينما يذهب آخرون إلى أن النوبيين لهم أصولٍ بربرية، دعاهم "دقلديانوس" Diocletian (284-305م) للاستقرار في النوبة لمواجهة البليميين ([1]). وقيل أيضا إنهم ينتسبون لـ"نوبي ابن قفط بن مصر"، وهو من ولد حام بن نوح ([2]). وقيل إن جدهم كان من اليمن ([3]). بينما يذكر المقريزي: "وأكثر أهل الأنساب على أنهم جميعا من ولد حام بن نوح.." ([4]). ولعل انتساب النوبيين لحام هو الراجح. وأطلق المصريون على النوبة "أرض الذهب" ([5]). واسم "النوبة" مشتق من الكلمة المصرية "نوب" (Nub) ([6]). فيما يرى آخرون أنه مأخوذ من (Nebed)، أي ذوي الشعر المضفر The Haired – Plaited ([7]). غير أن الرأي الأول هو الراجح. وتحولت النوبة رسمياً للمسيحية Chrisianity أيام الملك "سيلكو" Silko ([8]). وبدأ ذلك التحول مع قدوم بعثة الراهب "جوليان" Julian حوالي سنة 543م ([9]). وقيل أُرسلت هذه البعثة سنة 542م ([10]). وربما كانت هذه البعثة التي أرسلتها "ثيودورا" Theodora ([11]) زوجة "جستنيان" Jutinian (527-558م). وظلت حوالي عامين، ونجحت في أن يعتنق الملك النوبي سيلكو المسيحية ([11]). وحسب المؤرخ "يوحنا الإفسسي" John of Ephesus، أرسل جستنيان بعثةً إلى النوبة الشمالية في سنة 540م، تمكنت من نشر المسيحية ([12]).

---

(1) Crawford: Sudan Antiquities Service, No. 2, P. 44

(2) محمد عبد العال أحمد: النوبة والمحاولات الإسلامية لفتحها، ص53، وقيل أيضاً: إنهم من ولد نوبة بن كوش بن كنعان بن حام (انظر محمد عبدالعال: المرجع السابق، ص53).

(3) المقريزي: الخطط، جـ1، ص309

(4) المصدر السابق، ص309

(5) محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1965م، ص301

(6) Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan , Volume I , P. 12

Hutchinson's New 20th Century Encyclopedia: P. 798

(7) Macmichael: A History of the Arabs , Volume I , P. 12

(8) Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan , Vol. I , P. 28

وانظر أيضاً: Jocelin Gohary: Guide to Nubian Momnuments & Lake Nasser , American University in Cairo , 1998 , P. 17 – 18

(9) Giuseppe Marino & M. Costanza De Simone: Nubia Submerged , Istituto Italiano Di Cultura , Cairo , 2000 , P.16

(10) شوقي عطاالله الجمل: تاريخ بلاد النوبة وأفريقيا الشرقية القديم، ص51

(11) ثيودورا: كانت امرأة ذات شخصية قوية، ولعبت دورا مهما خلال حكم جستينيان، وكان لها دور كبير في انقاذ عرش روما من السقوط على يد الثائرين ضد زوجها الامبراطور (انظر فيشر: تاريخ أوروبا، ترجمة: محمد مصطفى زيادة، دار المعارف، 1966م، ص47) (11) شوقي الجمل: المرجع السابق، ص51

(12) Paul Bowers: Nubian Christianity the neglected Heritage , Africa Journal of Evangelical Theology , IV , 1985 , P. 6

بينما يشير ماكمايكل Macmichael إلى أن النوبيين اعتنقوا المسيحية خلال النصف الأخير من القرن 6م ([1]). بينما يحدد ب. باورز Paul Bowers التحول رسمياً للمسيحية في سنة 540م ([2]). ويذهب آخرون إلى أن انتشار المسيحية بالنوبة بدأ منذ القرن الميلادي الأول علي يد بعض الرهبان المصريين ([3]). ويمكن القول بأن المسيحية بدأت إرهاصاتُها هناك منذ القرن الأول، ثم صارت الدينُ الرسمي في القرن 6م ([4]). وقد قامت في النوبة ثلاث ممالك بعد سقوط مروي Meroe في القرن 4م على يد عيزانا ملك أكسوم Axum([5]) وهي:

(أ) – مملكة نوباديا:

تُعرف أيضا باسم: "نوباتيا"، وكذلك: نوباديا Nobade، وهي تشغل أرض "النوبة السفلي" ([6]). وهي "أرض المريس" ([7])، والنسبة لها: "المريسي" ([8])، وعاصمتها "فَرَس" ([9]). قال البغدادي: "أرض المريس، وهي من بلاد السودان.." ([10])، وتنسب لها "الرياح المريسي" ([11]).

—

(1) Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan , Volume I , P. 26

(2) Paul Bowers: Nubian Christianity , P. 6

(3) Giuseppe Marino & M. Costanza De Simone: Nubia Submerged , P. 16

(4) W. Y. Adams: Medieval Nubia Another Golden Age , Expedition , Volume 32 , No. 2 , 1993 , P. 28

(5) مصطفي مسعد: امتداد العروبة والإسلام، ص69، انظر خريطة 8، ص243

(6) Giuseppe Marino: Nubia Submerge , P.16 ، أحمد الحفناوي: سودان وادي النيل، ص36

(7) محمد غيطاس: النوبة، ص72، وكانت نوباديا تنقسم أيام الرومان لقسمين: "دودياخونيوس" أو "بلاد العلي". والآخر: "ترياكونتاخونيوس" (بلاد الجبل) (غيطاس: مرجع سابق، ص72). قال المقريزي: "فالنوبة، هم المريس المجاورون لأرض الإسلام، وبين أول بلدهم وبين أسوان خمسة أميال" (الخطط، ص309).

(8) ورد لقب "المريسي" في العديد من أوراق البردي العربية. ويذكر جروهمان الذي اهتم بدراسة أوراق البردي أنه نسبة لكورة "مريسية" بالصعيد، كما تظهر في صيغة مريس جنوب أشمون. قال جروهمان: "وقد ذكر بعض المؤرخين أنه كان في الفسطاط مكان يسمي مريس أو المريس، على أنه يحتمل ألا تكون لهذه النسبة صلة به.." (انظر أدولف جروهمان: أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية، جـ2، ترجمة: حسن ابراهيم حسن، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1955م، ص197-198).

(9) الأب فيلوتاوس: كنيسة الإسكندرية في ممالك النوبة المسيحية، ندوة العلاقات المصرية السودانية عبر العصور، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 2009م، ص43، وللمزيد عن فرس، انظر:

Geoff. S. Mileham: Churches in Lower Nubia, University of Pennsylvania, PP.2230
Marian Wenzil: House Decoration in Nubia, Duckworth Publisher, London, 1972, P.9

(10) كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تحقيق: د. عبدالرحمن عبدالله الشيخ، هيئة الكتاب، 1998، ص59

(11) المصدر السابق، ص59، قال البغدادي: "أن الجنوب إذا هبت عندهم الشتاء والربيع وفيما بعد ذلك، كانت باردة جدا يسمونها المريسي لمرورها على أرض المريس، وهي من بلاد السودان.." (انظر كتاب الإفادة والاعتبار: ص59)

(ب) – مملكة المَقُرة:

هى المملكةُ النوبية الثانية، وتكتب: Maqurra، kingdom of Makouria وعاصمتها دُنقلة العجوز Old Dongola [1]. قال اليعقوبي: "مملكة يقال لهم مقُرة..شرق النيل وغربه، ومدينة مملكتهم دنقلة.." [2]. ويُقال إن شعب المقُرة من ولد حام بن نوح [3]. وقد اتحدت المقُرة ونوباديا في الفترة من 580م إلى 652م، وصارتا مملكةً واحدةً باسم "المقُرة"، أو "مملكة النوبة" [4]. ويعتقد آدامز Adams أن إتحاد المملكتين يؤرخ للقرن 8م (2هـ) [5]. ويرى البعضُ أن هذه الإتحاد لايزال يُحيط به الكثيرُ من الغموض [6]. ويبلغ طول نهر النيل فى هذه المملكة 600 ميل [7]. وهي توصف بأنها "بلادُ نخلٍ، وكرمٍ، وزروعٍ" [8].

---

(1) وللمزيد عن المقرة، انظر أحمد الحفناوي: سودان وادي النيل، ص37، وعن دنقلة ومكانتها قال ابن الجوزي: "ودنقلة مدينة النوبة.." (تنوير الغبش: ص39). وقد ورد اسم دنقلة أيضاً: دمقلة، وضنقلة، ودنقلا، اشتهرت باسم دنقلة العجوز. وفي الوثائق السودانية وردت باسم "ضنقلة"، ودعي ساكنوها: الضناقلة (انظر إحدى أوراق النسبة، مجموعة محمد بن عثمان العبدلابي، الخرطوم، انظر الملحق، شكل28 ، وانظر كذلك: **Macmichael: A History of the Arabs, Vol.II , P.310**). ويذكر ماكمايكل أن الملك النوبي القديم "سيلكو" هو الذي بنى دنقلة **(Macmichael: A History of the Arabs, Vol.I , P. 26)**

وللمزيد عن دنقلة وتاريخها، انظر: **Marian Wenzil: House Decoration in Nubia, P. 9**

وللمزيد عن مملكة المقرة، انظر أيضاً: **Mustafa M. Musad: The Downfall of the Christian Nubian Kingdoms , S.N.R , Vol. 40, University of Khartoum , 1959, PP. 124 – 125**

(2) تاريخ اليعقوبي، جـ1، ص165

(3) المقريزي: الخطط، جـ1، ص309، وعن نسل حام بن نوح تقول التوراة: "وهذه مواليد بني نوح. سام وحام ويافث. وولد لهم بنون بعد الطوفان..وبنو حام كوش ومصرايم وفوط وكنعان. وبنو كوش سبأ وحويلة وسبتة.." (سفر التكوين–10). للمزيد انظر ابن الجوزي: تنوير الغبش: ص33–35، وعن بني حام، انظر أيضاً دي بورج: تراث العالم القديم، تحقيق: زكي سوس، هيئة الكتاب، 2008م، ص45، وانظر كذلك:

Raymond Firth: Human Types (An Introduction to Social Anthropology) , A Mentor Book , Printed in U.S.A , New York , 1958 , P. 24
H. G. Wells: A Short History of the World, Pelican Books, Great Britain, 1982 , P 33
Renouf: Outlines of General History , London , 1910 , PP. 5-6

(4) زبيدة عطا: دولة المماليك وسقوط ممالك النوبة المسيحية، ندوة الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص207، مصطفي مسعد: العروبة والإسلام، ص70

(5) W. Y. Adams: Medieval Nubia , P. 32

(6) Ibid , P. 32

(7) Crawford: Sudan Antiquities Service, Op. Cit., P.42

(8) تاريخ اليعقوبي: جـ1، ص165، وكانت مملكة المقرة تضم المناطق بين الشلال الثالث والرابع والخامس، وكذلك الأراضي حول ثنية النيل الكبري قرب مروي، وإلي الشمال قليلا من شندي (عزيز عطية سوريال: تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة: د. ميخائيل مكسي، هيئة الكتاب، 2012م، ص425).

(جـ)– مملكة عُلوة:

هى ثالث ممالك النوبة، اشتُهرت باسم عُلوة Alwa، وتُكتب Alodae وكذلك Alodia، وتُعرف هذه المملكة أيضاً باسم "إمارة سوبة" ([1]). ولعلها التي تذكرها البعض باسم "بلاد العَلي" ([2]). وتقع مملكة عُلوة في أقصى جنوبي بلاد النوبة، وعاصمتها سوبة Soba على النيل الأزرق ([3]). وهي تتكون من عدة أقاليم منها: "الأبواب، وبره، والتاكة، ودنقو، وآري، والأنـج (الفنج)، وبقال" ([4]). وتشير بعض المصادر إلى أن ملوك علوة كانوا أكثر ثراءاً من ملوك المقُرة، وكان جيشُهم أعظم قوة ([5]). ويذكر اليعقوبي أن لهم بلادٌ واسعةٌ، شبيهةٌ بثلاثة أشهر، والنيل متشعبٌ عندهم عدة خلجان ([6]). بينما يقول المقريزي عن ملكهم: "وبلدهُ أخصبُ وأوسعُ، والنخلُ والكرمُ عندهم يسير"([7]). وكان بهذه المملكة معدن الذهب، لكن ملكها خاف استخراجه حتى لاتذيع شهرته، فيأتي العرب لبلاده، ثم يغلب عليها الإسلام ([8]). وكان في مملكة علوة أربعمائة كنيسة وديراً على جانبي النيل الأزرق، وفي البطاح، ويقال إنها بقيتْ حتى القرن 10هـ/16م ([9]). وكان بطريرك النوبة يتمتع بمكانة كبيرة ([10]).

---

(1) كولين ماكفيدي: أطلس التاريخ الأفريقي، ترجمة: مختار السويفي، هيئة الكتاب، 2002م، ص95، عزيز سوريال عطية: تاريخ المسيحية الشرقية، ص425 – 426، مصطفي مسعد: امتداد الإسلام والعروبة، ص69، محمد غيطاس: النوبة، ص73، وعن مملكة علوة، انظر أيضاً:

Mustafa M. Musad: The Downfall of the Christian Nubian Kingdoms , P. 126

Basil Davidson: The Geowth of African Civilization East & Central Africa to the Late Nineteenth Century , Longman Group, London , 1970, P. 82
G. Marino: Nubia Submerged , P. 16
Jill Kamil ; Coptic Egypt , The American University in Cairo , 1987 , P. 108

(2) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، جـ7، ص189

(3) شوقي الجمل: تاريخ بلاد النوبة (الموسوعة الأفريقية)، ص52

(4) أحمد الحفناوي: سودان وادي النيل، ص37-38

(5) المقريزي: الخطط، جـ1، ص311

(6) تاريخ اليعقوبي: جـ1، ص165

(7) الخطط: جـ1، ص311

(8) بابكر فضل المولي: مظاهر الحضارة في دولة الفونج الإسلامية، الخرطوم، 2004م، ص38

(9) شوقي الجمل: تاريخ بلاد النوبة، ص52

(10) ومن ذلك ما تذكره الروايات التاريخية أن ملك الحبشة أرسل إلى جورج George بطريرك النوبة رسالة ودية يدعوه فيها يستخدم نفوذه لدي لبطريرك الاسكندرية ليرسل مطراناً ليقوم علي الشئون والطقوس الدينية في بلاده، وهو ما يشير إلى قوة ومكانة بطريرك النوبة، وهو ما جعل ملك الحبشة يوسطه في ذلك الأمر (عبد المجيد عابدين: بين الحبشة والعرب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2015م، ص146)

وإذا عدنا لهجرات قبيلة جُهينة إلى النوبة مع بدايات القرن 8هـ/14م، فقد اتجهت جماعات تلك القبيلة للنوبة، وذهب بعضهم إلى بلاد الحبشة ([1]). ويشير ماكمايكل إلى أن أعداداً كبيرة منهم استقروا فيما بين أسوان والحبشة ([2]). والراجح أن أكثرهم وفدوا إلى سودان وادي النيل قادمين من الصعيد عبر درب الأربعين، أو عبر نهر النيل. ومن غير المستبعد قدوم هجرات أخرى لهم عبر البحر الأحمر ([3]). ويعتقد أن هجرة الجُهنيين تمت هناك بعد قطع الجزية عن النوبيين بعد أن اعتنقوا الإسلام، وكانت هجرتهم بدأت إما بعد انتقال مُلك النوبة مباشرة لبني الكنز ([4])، أو ربما قبل ذلك بقليل ([5]).

رابعاً- سقوط مملكة المَقُرة (723هـ/1323م):

تعددت الأسبابُ التي أدت إلى سقوط مملكة المقرة، غير أنه يوجد سببان رئيسان كانا مؤثرين بطريقة أو بأخرى في سقوط هذه المملكة المسيحية العتيدة، وهما:

(أ)- دور جُهينة في سقوط مملكة المقرة:

ربما يتساءل البعض حول الدور الذي قام به عرب جُهينة في سقوط مملكة المقرة المسيحية، وهل كان لهذه القبيلة حقا دور في ذلك ؟ ويمكن القول بأن المصادر التاريخية لم تتحدث بشكل واضح عن الدور الذي قام به الجهنيون في انهيار وسقوط تلك المملكة، مقارنةً بما ورد في ذات المصادر عن دور ذات القبيلة في إسقاط المملكة المسيحية الأخرى، وهي

مملكة علوة التي كانت قد ضعفت، وانهارت بسبب قبيلة جُهينة تحديداً، وهو ما سوف نتناوله تفصيلاً بعد ذلك.

---

(1) ابن خلدون: العبر، جـ5، ص491، انظر القلقشندي: صبح الأعشي: جـ5، ص277،

(2) مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص164، وانظر Macmichael: Tribes of Northern & Central Kordofan , Cambridge University Press , 1922 , P . 181

(3) مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص164

(4) بنو الكنز: هم بنو ربيعة الذين تصاهروا مع زعماء المقرة، ثم انتقل الملك إليهم بفضل نظام الوراثة هناك (نظام الأمومة). وكان "الحاكم بأمرالله" قد خلع لقب "كنز الدولة" علي زعيم ربيعة في البجة، بعد أن تمكن من القضاء على تمرد الثائر الأموي أبي ركوة سنة 412هـ/1021م. وقد عرف زعماء ربيعة منذ ذلك الوقت بـ"بني الكنز"، ثم بسط بنو الكنز نفوذهم في منطقة شمال النوبة المعروفة بـ"المريس"، وتمكنوا من مصاهرة البيت المالك في دنقلة (المقرة). ومن ثم صاروا ملوكا على المقرة بعد أن حل الضعف بالمقرة بسبب الحملات المملوكية (شوقي عبدالقوي عثمان: العلاقات التجارية بين مصر والدول الأفريقية في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، القاهرة، 1975م، ص41)

(5) ابن خلدون: جـ5، ص491، مصطفي مسعد: المرجع السابق، ص164

أما عن سقوط مملكة المقرة، فإنه من المؤكد أن بني ربيعة كان لهم الدور الأبرز في ذلك أكثر من غيرهم من العرب. ورغم ذلك تشير بعض المصادر إلى دور قام به الجُهنيون في إسقاط هذه المملكة، وهو ما يبدو جليا في "رواية القلقشندي" التي يُفهم منها أن بني الكنز تصاهروا مع قبيلة جُهينة في بلاد النوبة، ولعبوا دوراً في اعتناق النوبيين من سكان المقرة الإسلام، ولهذا أردف القلقشندي قائلاً: "فيُحتمل أن أولاد الكنز من جُهينة أيضاً.." ([1]). وهي رواية في غاية الأهمية، رغم أنها وردت بصيغة الإحتمال، ولم ترد على سبيل التأكيد والتحقيق. ولعل من يطالع "رواية ابن خلدون"، فإنه يفهم منها أيضاً ذات الأمر الذي أشار إليه القلقشندي من وجود علاقة بين قبيلة جُهينة وبني الكنز. فابن خلدون يشير إلى أنه في بلاد الصعيد الأعلى وحتى بلاد النوبة، وكذلك إلى بلاد الحبشة كانت تسكن في هذه البقاع جماعات عربية متفرقة تنتسب جميعا لقبيلة جُهينة ([2]).

ثم يشير ابن خلدون إلى أن قاطني أسوان ممن ينتسبون لقبيلة جُهينة، وأنهم يعرفون بأولاد الكنز، وكان جدهم "كنز الدولة" ([3]). ولعل رواية ابن خلدون تؤكد وجود علاقة مصاهرة بين عرب جُهينة وبني الكنز في النوبة، وهذا الجيل الذي يمثل خليطاً من الجُهنيين والكنزيين هم الذين أسقطوا مملكة المقرة، وهي رواية تبدو أقوي دليلاً. وإذا عدنا للقلقشندي، فإنه يذكر أولاً قول ابن خلدون، ثم أورد بعد ذلك "رواية العُمري"، ومن ثم أراد أن يجمع بينهما، ولهذا يقول: "فيُحتمل أن أولاد الكنز من جُهينة جمعاً بين المقالتين.." ([4]).

ولعل القصد هنا محاولة التوفيق بين روايتي العُمري وابن خلدون. ويشير الدكتور مصطفي مسعد لدور جُهينة في سقوط المقرة، وتوصل لذلك الافتراض من خلال رواية ابن خلدون: "وثمة عوامل أخرى مباشرة عجلت بسقوط مملكة النوبة المسيحية (يقصد المقرة)، ومن بينها ما ذكره ابن خلدون بصدد هجرة عرب جُهينة من مصر إلى بلاد النوبة.." ([5]). وتبنى هذه الرواية أيضاً هليلسون S.Hillelson الذي يقول: "إن سقوط مملكة النوبة المسيحية في دنقلة، لا يعود للرخاء الذي جلبه جنود المماليك، بقدر ما كان بسبب الهجرات المتدرجة لعرب جُهينة هناك.." ([6]). وهو ما يؤيد الرأي القائل بوجود دور لجهينة.

---

(1) صبح الأعشي: جـ5، ص278

(2) العبر: جـ6، ص7

(3) المصدر السابق، ص7

(4) صبح الأعشي: جـ5، ص278

(5) الإسلام والنوبة: ص164

(6) S. Hillelson: Nubian Origins, S. N. R, Vol. 13 , No. 1, University of Khartoum, 1930 . P. 146

ورغم أن الدكتور مصطفي مسعد توصل من خلال ما يذكره ابن خلدون إلى أن جُهينة كان لها دور في إضعاف المقرة، غير أنه يشير في ذات الوقت إلى أنه ليس على يقين من ذلك، بل إنه من عمل بني كنز، وإذا كان المقصود بملوك النوبة عند ابن خلدون هم بنو الكنز، فهذا يجعل رأيه غير مقبول ([1]). ويذهب كولين مكفيدي إلى أن عرب جُهينة لعبوا دوراً في انهيار "مملكة دنقلة" (أي مملكة المقرة) ([2]). كما يرى أن انهيار هذه المملكة كان أيضا بسبب "حملات المماليك"، خاصة حملة سنة 675هـ/1276م التي نهبت دنقلة ([3]). ويعد "كرنبس" في رأي جي. دي. فيج J. D. Fage آخر مسيحي ارتقى عرش النوبة ([4]).

وقد عين سلاطين المماليك على المقرة ملكاً مسلماً في سنة 715هـ/1315م، ويربط كولين ماكفيدي بين وجود هذا الملك وهجرات الجُهنيين وسقوط المقرة، ثم يقول: "ولم يمض وقت طويل حتى أُطيح بهذا الملك وبمملكة دنقلة نفسها نتيجة لزحف قبيلة عرب جُهينة على المنطقة قادمة من الشمال الشرقي.." ([5]). وهو ما يؤكد حقيقة وجود دور فعلي لجهينة في سقوط المقرة. وقيل أيضا إن اسم هذا الحاكم المسلم على النوبة "عبدالله نشلي" ([6]).

كما يربط ماكمايكل بين هجرة جُهينة إلى سودان وادي النيل وسقوط المقرة وقدوم جماعات جهينة لدارفور والحبشة ([7]). وكان بنو الكنز قد زادت أعدادهم في بلاد النوبة أيام المماليك بفضل الحملات المملوكية التي أرسلوا بها إلى هناك، ويؤيد ذلك أن السلطان قلاوون أمر والي قوص أن يبعث بمدد عسكري للحملة التي أرسلها للنوبة وبها قبائل العرب، وكان أكثرهم من بني

الكنز ([8])، وهو ما يؤكده المقريزي: "وقد غلب أولاد الكنز علي النوبة وملكوها.." ([9]). وتشير بعض الكتابات على أحد قصور مدينة دنقلة إلى أن الجزء العلوي منه تحول لمسجد في سنة 717هـ/1317م ([10])، وهو ما يوافق لحد ما تاريخ إرتقاء أحد الملوك المسلمين للعرش في مملكة المقرة، وكان قبل ذلك بسنتين.

—

(1) الإسلام والنوبة: ص164

(2) أطلس التاريخ الأفريقي: ص95 (3) المرجع السابق، ص95

(4) J. D. Fage: The Cambridge History of Africa, Vol. II, Cambridge University Press, No Date, P. 585

(5) المرجع السابق، ص95

(6) عبدالعزيز أمين عبدالمجيد: التربية في السودان، ص32

(7) Macmichael: A History of the Arabs , Vol. I , P 187

(8) Ibid , P 187

(9) الخطط: جـ1، ص312

(10) J. D. Fage: The Cambridge History of Africa, P. 585

وعلى أية حال، فإن من الواضح أن عرب جُهينة ساهموا في إضعاف المقرة، ثم سقوطها بعد ذلك، وإن كان الدور الأهم في حدوث ذلك يعود الفضل فيه إلي بني ربيعة، أو بني الكنز. والمعروف أن سقوط مملكة المقرة تم في سنة 723هـ/1323م ([1]). وهي ذات السنة التي انتقل فيها الحُكم من ملوك النوبة المسيحيين إلى أقاربهم من بني الكنز بفضل "نظام الأمومة" ([2]). وربما تصاهرت جماعاتٌ من قبيلة جُهينة مع بعض الجماعات من ربيعة (بني الكنز)، وحدث بين القبيلتين تقارب في هذا الأوان، فانضم هؤلاء الجُهنيون للكنوز، وهو ما حدى بابن خلدون أن يشير في روايته إلى أن أولاد الكنز في أسوان كانوا من قبيلة جُهينة. ومن ثم ذهب لذلك القلقشندي الرأي الذي ذهب إليه.

وكانت المصاهرات التي تتم بين القبائل من الأمور المألوفة، رغم وجود بعض مظاهر العصبية القبلية فيما بينهم، حيث كانت بعض القبائل تؤثر على أفرادها الزواج من ذات القبلية فيما بينهم، غير أن هذا لم يمنع مطلقا الانصهار بين القبائل عن طريق المصاهرة والتزاوج مع بعضها البعض، إذ إن ما يجعل بعض هذه القبائل تتصاهر مع النوبيين رغم كونهم من غير عرقهم، وكانوا على غير معتقدهم، فكان من الأولى بهم مصاهرة بني جلدتهم وإخوانهم في الدين والعرق، وهذا ما حدث بين جهينة والكنوز.

وربما من أسباب تلك المصاهرة، في رأي الباحث، أن عرب جُهينة صاروا في ذلك الوقت جماعات قوية في بلاد النوبة من حيث العدد والقوة، وكانت لهم أعداد كبيرة في صعيد

مصر، ثم هاجروا إلى النوبة بسبب سوء العلاقات مع سلاطين المماليك، واضطهادهم لعرب جُهينة. ولهذا وجد بنو الكنز في عرب جهينة عضدا لهم إذا وقع أمر ما مع النوبيين، ومن ثم أرادوا التقارب مع الجُهنيين، وهي سياسة اتبعها بنو ربيعة منذ هجرتهم إلى بلاد البجة، ومصاهرتهم لزعماء الحداربة ليقووا شوكتهم بهم في مواجهة القبائل العربية الأخرى في هذا الوقت ([3]).، وهو في الغالب كان "زواج مصالح"، ولعل هذا ما يؤكد أن المصالح دائما ما تجعل بني ربيعة يتصاهرون مع غيرهم، لتزيد شوكتهم في مواجهة منافسيهم.

---

(1) محمد غيطاس: النوبة، ص121

(2) يقول الدكتور محمد غيطاس: "وانتقل الحُكم إلى بني الكنز في نفس السنة (يقصد سنة 723هـ/1323م) لتبدأ دولتهم، ولينتهي عهد مملكة مقرة المسيحية.." (النوبة: ص121)

(3) للمزيد انظر رواية أبي الحسن المسعودي الذي يقول عن مصاهرة بني ربيعة بزعماء الحداربة: "فقويت البجة بمن صاهره ابن ربيعة، وقويت ربيعة بالبجة علي ما ناوأها وجاورها من قحطان، وغيرهم من مضر بن نزار ممن سكن تلك الديار.." (مروج الذهب: جـ2، ص16).

ويتهم البعض جماعات جهينة بأنهم عملوا على طمس الهوية المسيحية لهذه البلاد، وأنهم دمروا الكنائس، وغير ذلك من الأمور ([1]). كما تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن الجُهنيين لما استوطنوا بلاد النوبة، أحدثوا الاضطراب والفوضى بها. فابن خلدون يقول: "ثم انتشرت أحياء العرب من جُهينة في بلادهم، واستوطنوها، وملكوها، وملؤوها عيثاً وفساداً" ([2]). أما القلقشندي فإنه يقول: "ثم انتشرت أحياء جُهينة من العرب في بلادهم، واستوطنوها، وعاثوا فساداً" ([3]). وعلي أية حال فقد كان للوجود العربي سواءاً لبني ربيعة أو قبيلة جُهينة الدور الأبرز في سقوط مملكة المقرة.

ويشير "جروسمان" Grossmann إلى أن نهاية عصر النوبة المسيحية بدأت إرهاصاتها أيام المماليك بسبب انشغال بطاركة الإسكندرية بأزماتهم الداخلية، كما أهملوا رعاياهم المسيحيين في بلاد النوبة ([4]). وأدى ذلك إلى أن كنيسة الإسكندرية لم تعد ترسل الأساقفة بانتظام، وكان آخرهم سنة 774هـ/1372م في أبريم ([5]). وأدى هذا التباعد إلى انقطاع الاتصال الروحي بين الكنيستين، وفتور الشعور المسيحي لدى النوبيين، خاصة مع ظهورالإسلام كدين جديد حمله المهاجرون العرب إلى هذه البلاد ([6]).

---

(1) مصطفي مسعد: الإسلام النوبة، ص164

(2) العبر: جـ5 ، ص491

(3) صبح الأعشي: جـ5، ص277

Marino: Nubia Submerged , P. 17 (4)

(5) Ibid, P.17، وقيل إن آخر أسقف أرسل من كنيسة الإسكندرية إلى بلاد النوبة كان في سنة 633هـ/1235م (انظر زبيدة عطا: مرجع سابق، ص215). أما إبريم فكانت بها واحدة من أهم كنائس النوبة، واسمها القديم بريميس Primmis، ومنها اشتق اسمها الحالي. وقد تحدث عنها الجغرافي القديم استرابون، ووصفها بأنها مدينة ذات موقع حصين طبيعيا. وحسب بعض الروايات فإن جيش قمبيز هلك بالقرب منها. انظر
M. Russell: Nubia & Abyssinia, Harper & Brother Publisher, New York , 1854, P.36

(6) زبيدة عطا: مرجع سابق، ص215، كرم الصاوي باز: ممالك النوبة في العصر المملوكي، ص67–68، ومن مظاهر الأثر المصري في المسيحية النوبية، إن البطريرك المصري لقبه: "بطريرك الإسكندرية، وإثيوبيا، والنوبة، وبنتابوليس". (انظر بتلر: الكنائس القبطية في مصر، ترجمة: إبراهيم سلامة إبراهيم، هيئة الكتاب، 2001م، ص235، وانظر: Gadallah;The Egyptian Contribution to Nubian Chrisianity, P.39). كما يقول عزيز سوريال: "والبعض يذكر أسماء لأشخاص ولأماكن مسيحية من أصل قبطي لا تزال تحيا وتستخدم في النوبة. وكانت الصلات بينها وبين مصر قوية إلي أن ضعفت بعد الغزو الإسلامي لمصر، حيث ترك المسيحيون النوبيون تدريجياً لرعاية أنفسهم إلي أن أحاطت بهم موجة الإسلام، وقضت علي بقايا المسيحية هناك في العصر المملوكي.." (تاريخ المسيحية الشرقية: ص426).

(ب)– حملات المماليك وسقوط مملكة المقرة:

وكان لحملات المماليك أيام السلطان بيبرس وقلاوون دور كبير في سقوط مملكة المقرة، ومن ثم انتشار العروبة والإسلام في النوبة ([1]). وتعد مخطوطة "عبدالله بن سعد بن أبي السرح" للمقريزي من أهم المصادر التي تحدثت عن تلك الحملات، ولعل أشهرها حملة سنة 674هـ/1275م. فالمخطوطة تشير إلى أنه في سنة أربع وسبعين وستماية، كثر خبث داوود متملك النوبة، وأقبل إلى أن اقترب من أسوان، ثم حرق العديد من السواقي بعدما أخرب عيذاب، فذهب إليه والي قوص، فلم يدركه، وقبض على "صاحب الجبل" في عدة من النوبة، ثم حملهم إلى السلطان بيبرس ([2]). بينما تقول رواية أبي الفداء عن هذه الحملة: "وفيها..جهز (أى بيبرس) جيشاً..إلى النوبة، فساروا إليها ونهبوا وقتلوا، وعادوا بالغنائم.." ([3]).

وكان شكندة (شنكة)، وهو ابن أخت داوود (الثاني) ملك النوبة ([4])، قدم للقاهرة ليتظلم مما فعله خاله، فوجدها بيبرس فرصة للانتقام من ملك النوبة. ولهذا أرسل حملة بقيادة شمس الدين الفارقاني، وعزالدين الأفرم مع شكندة، وكان معهم عدد كبير من الجنود من الأقاليم وعربان الصعيد، وكذلك الزرافين والرماة، ورجال الحراريق. فساروا (فى شعبان) سنة 674هـ/1275م إلى النوبة ([5]). ثم وقع القتال وهُزم ملك النوبة، ثم أغارالأفرم علي قلعة الداوودي بالنوبة، وقتل وسبي كثيرين. ثم توغل شمس الدين في النوبة براً وبحراً، وكان يقتل ويأسر أينما ذهب، وأخذ من الماشية ما لا يُحصى. ثم صار شكندة ملكاً على النوبة بعد هروب داوود، واتُفق على أن يكون خراج النوبة نصفين، الأول للسلطان، ونصف لعمارة النوبة وحفظها عدا الجنادل التي صارت

كلها للسلطان لقربها من أسوان ([6]). ولعل هذا يشير إلى شيء من العدالة، إذ لم يحصل السلطان على كل النوبة، بل ترك لأهلها مع يعينهم.

---

(1) وللمزيد عن حملات سلاطين المماليك إلى بلاد النوبة، ودورها في إسقاط مملكة المقرة المسيحية، انظر أبوالفداء: المختصر: جـ4، ص16، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ5، ص276–277، سعيد عبدالفتاح عاشور: الظاهر بيبرس، ص116–124، محمد غيطاس: النوبة، ص116–122، مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص146–148، زبيدة عطا: مرجع سابق، ص217–221، كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص84 وما بعدها، كولين ماكفيدي: مرجع سابق، ص95، وانظر أيضاً

Macmichael: A History of the Arabs, Vol. I , PP. 180–189
Mustafa M. Musad: The Downfall of the Christian Nubian Kingdoms , PP. 124 – 125

(2) المقريزي: مخطوطة عبدالله بن سعد بن أبي سرح، (كتبها سنة 760هـ، Misc (1/13/112، ورقة 10

(3) المختصر: جـ4، ص16

(4) الملك داوود الثاني David II: هو ابن الملك داوود الأول David II وكان وريثه علي عرش بلاد النوبة (وللمزيد، انظر Crawford: Sudan Antiquities Service, No. II,Op. Cit. , P. 150)

(5) المقريزي: مخطوطة عبدالله بن سعد بن أبي السرح: ورقة 10

(6) المصدر السابق، ورقة 10–11

وكان من شروط الاتفاق أن يدفع النوبيون الجزية ما داموا على النصرانية، حيث يدفع كل بالغ ديناراً كل سنة. ثم كُتبت نسخة من قسم اليمين بما اتفق عليه، وحلف شكندة على ذلك. كما عملوا نسخة أخرى حلف عليها النوبيون، ثم "أُلبس شكندة تاج المُلك، وأُقعد على سرير المملكة، والتزم بأن يحمل جميع ما لداوود، ولكل من قتل وأسر من مال ودواب إلى السلطان مع البقط" ([1]). وعلى هذا لعبت تلك الحملات دوراً كبيراً في إضعاف المقرة، خاصة وأنه قد رافقها هجرة أعداد كبيرة من الجماعات العربية ([2]). كان في مقدمتهم قبيلة جُهينة التي ساهمت في إضعاف الهوية المسيحية في النوبة، لاسيما مع انقطاع العلاقة الروحية بين كنيستي الإسكندرية والنوبة. غير أن هذا لا يعني بالضرورة أن الإسلام لم يكن موجودا هناك قبل أيام المماليك، فالمعروف أن الإسلام دخل بلاد النوبة قبيل معاهدة البقط ([3]). ويرى "جروسمان" أن الإسلام دخل النوبة أيام الفاطميين (358–567هـ/968–1171م) ([4])، ويؤيد ذلك أنه يوجد مسجد بالنوبة يُعرف بـ"مسجد الدر"، وهو يؤرخ لبداية القرن 5هـ/11م ([5]). وكان آخر الملوك المسيحيين في النوبة "كرنبس" Kerenbes ([6]). وعزل عن الحكم سنة 715هـ/1315م، ثم نُقل للقاهرة ([7]). كما يذهب جروسمان إلى أن انتشار الإسلام في ذلك الوقت لم يكن نتيجة لبعثات تبشيرية رسميةOfficial Missions، بل إن ذلك تم تدريجيا بفضل الهجرات العربية التي ساهمت في تعريب (Arabization) تلك البلاد ([8]). وعلى هذا فقد أدى انتشار الإسلام أيام المماليك في النوبة إلى سقوط "الجزية" عن المقرة ([9]).

---

(1) المقريزي: مخطوطة عبدالله بن سعد: ورقة 11

(2) زبيدة عطا: مرجع سابق، ص216–217

(3) وكان من أهم شروط "معاهد البقط" أنه على ملك النوبة (المقرة) أن يرعى المسجد الموجود في دنقلة. وهو ما يشير إلى وجود إسلامي في مملكة المقرة المسيحية منذ بدايات الفتح الإسلامي (انظر عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان، ص36). وللمزيد أيضاً عن "معاهدة البقط"، انظر:
Jay Spaulding: Medieval Christian Nubia & The Islamic World: a Reconsideration of the Baqt Treaty, the International Journal of African Historical Studies, Boston University , Vol .28, N .3 , 1995 , P. 581 – 583

(4) Marino: Nubia Submerged , P. 17، وانظر أيضاً عبدالرازق عبدالمجيد سليم: العلاقات بين مصر والنوبة في العصر الفاطمي، ص245

(5) ويقع "مسجد الدر" علي بعد كيلومترات شمال قلعة الشيخ داود، وللمزيد عن ذلك المسجد الفاطمي، للمزيد عن هذا المسجد، انظر Marino: Nubia Submerged , P. 17

(6) J. D. Fage: The Cambridge History of Africa, P. 585، وللمزيد، انظر أيضاً:
Marino: Nubia Submerged , P. 17

(7) ليزلي جرينر: سد عال فوق النوبة، ص249

(8) Marino: Nubia Submerged , P. 17

(9) ابن خلدون: العبر، جـ5، ص491، Macmichael: A History of the Arabs, Vol.I , P. 187

خامساً– رواية ابن خلدون عن هجرة جُهينة إلى النوبة بعد سقوط المقُرة:

وتعد "رواية ابن خلدون" عن هجرة جُهينة إلى بلاد النوبة، من أهم الروايات التي تطرقت إلى هذا الشأن في المصادر التاريخية، رغم أن البعض قد أُغلق عليه بسبب هذه الرواية، وما حوته من أخبار. إذ يشير ابن خلدون إلى انقطاع الجزية عن النوبيين، لأنهم كانوا قد اعتنقوا الإسلام ([1]). فهل يقصد ابن خلدون هنا سكان المقرة، وهي المملكة التي كانت قد سقطت بالفعل، وانتقل الحكم فيها إلى العرب من بني الكنز، ومن ثم صار أهلها مسلمين، وسقطت عنهم الجزية، أم أنه يقصد أهل علوة، وأنهم تحولوا إلى الإسلام ؟ والراجح أنه يقصد "مملكة المقرة" في هذا الموضع، خاصة أنه يقول بعد ذلك: "ثم انتشرت أحياء العرب من جُهينة في بلادهم، واستوطنوها ، وملكوها.." ([2]).

وهذا يعني أنه بعد سقوط مملكة المقرة، زادت وتيرة الهجرات التي قامت بها جماعات جُهينة إلى بلاد النوبة، ثم طاب لهم المقام هناك بعد زوال الحكم المسيحي في هذه البلاد، ثم هاجرت جماعات كبيرة من عرب جُهينة جنوباً صوب أراضي مملكة علوة، خاصة وأن مملكة المقرة كانت تشكل عائقاً كبيراً أمام المزيد من تدفق الهجرات العربية التي كانت تهدف إلى الوصول إلى كافة مناطق وادي النيل الأوسط، وكذلك إلى المناطق الأخرى التى تجاورها مثل بلاد الحبشة وغيرها.

أما القلقشندي فإنه ينقل ما قاله ابن خلدون، ولهذا يقول: "قال في العبر: ثم انتشرت أحياء جُهينة من العرب في بلادهم، واستوطنوها.." ([3]). ويشير ابن خلدون إلى أمر أثار بعض

الجدل، إذ يذكر أن عرب جُهينة لما دانت لهم الأمور في بلاد النوبة (ولعله يقصد بها مملكة علوة) أظهروا في بلادهم الفوضي والاضطراب "وملؤوها عيثا وفساداً" ([4]). وهي الرواية التي يتفق فيها القلقشندي أيضاً مع ابن خلدون، حيث يقول القلقشندي هو الآخر عما فعله عرب جُهينة في بلاد النوبة: "وعاثوا فسادا.." ([5])، وهذا الذي يذكره كل من ابن خلدون والقلقشندي ربما لم يرد في أي من المصادر التاريخية الأخرى، سوف نقوم بتحليل ذلك الذي ورد في روايته من إتهامات لقبيلة جهينة.

---

(1) العبر: جـ5، 491، انظر "رواية ابن خلدون" كاملة عن هجرة جماعات جهينة إلى بلاد النوبة، ملحق 14، 15 ، ص 254

(2) المصدر السابق، ص491

(3) صبح الأعشي: جـ5، ص277

(4) العبر: جـ5، ص491

(5) صبح الأعشي: جـ5، ص277

سادساً- عرب جُهينة ومزاعم تدمير كنائس النوبة:

وعلى أية حال، فإن بعض المصادر تشير إلى أن قدوم جُهينة للنوبة صاحبه الكثير من الفوضى والدمار، ولعل أكثر المصادر التي تحدثت عن ذلك روايتي كل من ابن خلدون ([1])، والقلقشندي ([2]). وقد أخذ بهذا الرأي بعض المحدَثين إذ اشاروا إلى أن عرب جُهينة قاموا بدور كبير في طمس الثقافة والهوية المسيحية لبلاد النوبة. ويذهب أصحاب ذلك الرأي إلى ضياع الكثير من المظاهر التي امتازت بها الممالك النوبية في عصرها المسيحي، ومنها انحسار اللغة النوبية، فلم تعد تُستخدم في الكتابة، بل صارت لغة للتعامل بين النوبيين في نطاق ضيق ([3]). كما ينسب البعض لعرب جُهينة قيامهم بتدمير الكنائس والأديرة هناك، وأنهم عملوا على محو الطابع المسيحي من العمائر النوبية ([4]).

ويمكن القول بأنه لا يؤيد تلك المزاعم إلا إشارات قليلة في الروايات السودانية، إذ يذكر أحد المؤرخين أن عبدالله جمَّاع (جد العبدلاب الجُهنيين) لما تحدث لقومه عن محاربة الجعليين قال، عما فعله أجداده من جهينة: "نحن أحق بالبلد، لأنه دخل أجدادنا..وسحنا في البلاد بأموالنا ونسائنا..ورجالنا، وخيولنا، فتحنا سوبـ(ة)، وخربنا الكنائس" ([5]). وهي "رواية نادرة"، وليس لدينا الكثير مما يؤيد ما ورد فيها، ويمكن القول بأن أعمال التدمير التي ينسبها البعضُ قد يكون لها بعض الحقيقة، لكن هذا الرأي يحمل الكثير من التحامل على عرب جُهينة، وكأنهم أهل دمار وفساد، ولاهم لهم سوى تخريب الكنائس وتدميرها، مع أنها أمور ينكرها الدين في التعامل مع

غير المسلمين، إذ يحث ديننا المسلم بالتعامل بالحسني مع أهل الكتاب، كما ينكر عليه أن يُكره غيره على اعتناق دينه ([6]).

---

(1) انظر رواية ابن خلدون، في ملحق هذه الدراسة، رقم 14، 15، ص254

(2) انظر صبح الأعشى: جـ5، ص277

(3) مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص164

(4) المرجع السابق، ص164

(5) الفحل الفكي الطاهر: تاريخ وأصول العرب بالسودان، ص112-113. وللمزيد عن هذه الرواية السودانية التي تتحدث عن تدمير عرب جهينة لكنائس النوبة، انظر ملحق 13، ص253

(6) يقول تعالي: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن" (العنكبوت:46)، وهذا هو المعيار الذي وضعه الإسلام في تعامل المسلم مع غيره، خاصة من أهل الكتاب، سواءا أكانوا يهودا أم نصاري. كما توجد غير ذلك من النصوص سواءا في القرآن الكريم أم في السنة التي تحث المسلم علي التعامل مع أهل الكتاب، ومنها قوله تعالي"لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي" (البقرة:256)، وقال أيضاً: "أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" (يونس:99) "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر". وقال صلى الله عليه وسلم: "من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة" (وللمزيد عن سماحة الإسلام مع غير المسلم، انظر أحمد الحوفي: سماحة الإسلام، هيئة الكتاب، 1997م، ص52 وما بعدها)

ورغم "رواية ابن خلدون" عن هجرة جُهينة إلى بلاد النوبة، فإن البعض يشير إلى أنه على ما يبدو أن العرب (يقصد عرب جُهينة) لم يقابلوا في تقدمهم جنوباً إلى جهات مملكة علوة وغيرها مقاومة عنيفة، لعجز ملوكها عن دفعهم، وإذا كانوا اضطروا أحياناً الى استخدام العنف، فإن الطابع العام لهذه الهجرات كان سلمياً، ونجحوا في تحقيق مأربهم لا بحد السيف، بل بالاختلاط والتزاوج من بنات النوبيين وملوكهم ([1]).

واللافت أن الروايات السودانية ذاتها تتحدث عن "الاستقرار السلمي" لقبيلة جُهينة في سودان وادي النيل بصفة عامة، فالمؤرخ الفحل الفكي الطاهر يتحدث عن دخول الجُهنيين، وكذلك باقي العرب إلى سودان وادي النيل دون وقوع أية مواجهات أو حروب ([2]). كما أنه يشير إلى أنه بعد أن دخلت جماعات جُهينة، وغيرها من قبائل العرب بر السودان بمالها وولدها ونساءها، انتشرت في مناطق هذه البلاد، حيث المراتع إلى آخر النيل، وأنها لم تلق حربا ولا كيدا، وأصبح العرب في بر العجم قوة غالبة يُخشي بأسهم ([3]). وهو كلام يكاد ينطبق على قبيلة جُهينة وبطونها بعد أن هاجروا إلى سودان وادي النيل، واستقروا هناك، وصاروا ذوي قوة يُعمل لها حساب.

ويرى الباحثُ أن ما يذكره المؤرخ السوداني، وما يشير إليه أكثر المستشرقين الغربيين، وغيرهم من المؤرخين المحدثين يؤكد أن هجرة قبيلة جُهينة إلى بلاد النوبة عموما كانت في الغالب ذات طابع سلمي، واستطاعوا التفاعل مع أهل تلك البلاد، والمصاهرة معهم. وإن لم تخل

أيضاً من بعض الأحداث ذات الطابع غير السلمي، والتي أشارت إليها بعض المصادر، لكنها كانت على الراجح أموراً استثنائية لا تُخل بالقاعدة، ولم تكن هذه الاستثناءات تمثل الطابع العام لهجرة عرب جهينة في هذه البلاد ([4]).

ويمكن القول، فيما يرى الباحثُ، أنه لو استخدم عرب جُهينة العنف والتدمير إبان قدومهم إلى بلاد النوبة، فإن ذلك لم يكن حتما ليجعل أهلها المسيحيين يتركون دينهم، ثم يعتنقوا الإسلام. لأن ذلك مما يخالف الفطرة السوية، فلا يمكن أن يؤدي العنف لاجبار الناس علي التخلي عن دينهم أبدا، ولايمكن تصور أن يؤمن قوم بدين قوم آخرين بالقوة، وهم يدمرون كنائسهم، وبيوتهم، ويطمسون هويتهم، وتقاليدهم بالعنف، فهو ما لا يقبله العقل والمنطق، ولا يتفق في ذات الوقت مع سياق الأحداث التاريخية.

---

(1) مصطفى مسعد: امتداد الإسلام والعروبة، ص79
(2) تاريخ وأصول العرب بالسودان، ص119
(3) المصدر السابق، ص119
(4) محمد أمين: العبدلاب، ص203

وإذا طالعنا روايات المستشرقين عن استقرار عرب جُهينة في بلاد النوبة، والطريقة التي تعاملوا بها مع أهل تلك البلاد، فإننا لن نجد ما يقدح فيهم، إذ لا تبدو في آرائهم إشارة واضحة إلى أنهم استخدموا العنف، أو أنهم أكرهوا النوبيين على اعتناق دينهم. ومن ذلك ما يذكره "ك. ماكفيدي": "وقد استقر عرب جُهينة على ضفاف النيل في المنطقة الواقعة بين الجندل الثاني والجندل الثالث ببلاد النوبة.." ([1]). ثم يتحدث عن توغل هؤلاء الجُهنيين في بقاع أخرى في سودان وادي النيل بشكل سلمي، ولايبدو في هجرتهم ما يشير لاستخدام العنف، حيث يقول: "كما قام البعض منهم (أي من جُهينة) بالتوغل إلى مناطق أكثر بُعدا، فاجتازوا الصحراء الغربية، ومعهم قطعانهم، إلى أن استقروا أخيرا في منطقتي دارفور وكردفان بغرب السودان حيث توجد بعض المراعي والمنتجعات الفقيرة.." ([2]).

وهذا قول أحد المستشرقين الذى ربما لو وجد في هجرة عرب جُهينة من خلال الوثائق التي اطلع عليها أنهم استخدموا أيا من وسائل العنف، فإنه لن يتورع عن قدحهم، ونعتهم بأشد الألفاظ، ربما بدافع عرقي، أو بسبب الاختلاف الأيديولوجي مع هؤلاء المهاجرين، كما هي عادة المستشرقين في الغالب فيما يخص هجرات العرب بعد الفتوحات، خاصة وأن ثلة منهم يلحون على فكرة انتشار الإسلام بحد السيف. ويؤيد سلمية هجرات جهينة للنوبة أن الدراسات الحديثة تشير إلى أن الكنائس النوبية المتأخرة لا تبدو عليها إشارات نهب، أو تدمير متعمد، فبعضها ظل في حالة حفظ جيدة ([3]). ويشير "آدامز" Adams إلى أنه لا توجد أدلة على عداوة

المهاجرين العرب للمسيحيين في النوبة، ثم يقول: "ما من وقت به بينة على عداوة صريحة نحو المسيحية من ناحية الحكام النوبيين المتأخرة أو رعاياهم.." ([4]).

كما تحدث "ستيفنسون" Stevenson عن هجرة الجُهنيين عبر "مملكة دنقلة" (يقصد المقرة) جنوباً، ولم يشر هو الآخر إلى أنهم استخدموا العنف، أو أنهم أحدثوا شيئاً من التخريب هناك ([5]). وهو ما يؤكد ذات الفكرة التي نرمي إليها. ولعل من أفضل ما قيل عن هجرات العرب للنوبة، ما يذكره "ليزلي جرينر" Leslie Greener، فهو كمستشرق يتحدث بشكل موضوعي، يحمل الكثير من الانصاف عن العرب، ودورهم الحضاري في بلاد النوبة.

---

(1) أطلس التاريخ الأفريقي: ص95

(2) المرجع السابق، ص95

(3) انظر آدامز: النوبة رواق إفريقيا، ص475

(4) المرجع السابق، ص475

(5) ستيفنسون: بعض جوانب انتشار الإسلام في جبال النوبة (الإسلام في أفريقيا الأستوائية)، تحرير: آي. إم. لويس، ترجمة: عبدالرحمن الشيخ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م، ص265

يقول لـ.جرينر: "والواقع أن الصورة الشائعة للعرب في التاريخ صورة مشوهة تشويها غالبا، ذلك أن العرب كانوا حُماة الحضارة والثقافة خلال مطلع العصور الوسطي التي كانت معاصرة للمسيحية الأولي في بلاد النوبة..هكذا لم يكن الفاتحون العرب أعداء للمسيحية في بلاد النوبة، إلا عندما يقوم تمرد من جانب الأهالي. ولما كانت ديانتهم تقوم على التقوى والبر، فقد كانوا يشعرون بعطف بالغ وتسامح نحو المسيحي المُخلص.."([1]). وهو كلام موضوعي دون شك، فهو كمستشرق غير مضطر البتة للثناء على العرب، وإطرائه على تسامحهم مع المسيحيين دون داع، وهو لا يعرض إلا وجهة نظره فحسب. وإذا تناولنا رأى "ماكمايكل" Macmichael عن هجرة جُهينة لبلاد النوبة، فإنه يقول: "إن الدلائل تشير إلى أن النصر – باستثناء أقاليم معينة كإقليم جبال النوبة حيث لايزال العرب يمتلكون السهول على حين يسكن الزنوج التلال – قد تم غالبا بالاتفاق والتزاوج أكثر ما اكتسب بقوة السلاح.." ([2]). وهو رأى في غاية الأهمية، لأنه يؤكد حقيقة الطابع السلمي لاستقرار جُهينة في النوبة، وأنهم لم يستخدموا السلاح أو العنف في ذلك. وهذا لا ينفي في ذات الوقت وقوع بعض الاستثناءات، لكن ذلك لاينكر أبداً الحقيقة التي لايمكن اخفاءها، وهي سلمية هجرات جُهينة، وكذلك تأكيد الطابع السلمي لاستقرارهم ([3]).ويشير "كراوفورد" Crowford إلى أن شواهد القبور العربية التى وجدت في النوبة، مثل: قرطاسي وتافة وكلابشة تؤكد على الطابع السلمي لأكثر الجماعات العربية في النوبة ([4]). ويرى الباحثُ

أن روايتي ابن خلدون والقلقشندي تحملان بعض الإشارات لما قام به عرب جُهينة من تخريب في النوبة. ولعل البعض من جماعات القبيلة قاموا ببعض مظاهر العنف، وعاثوا فساداً في تلك البلاد، غير أن هذا لم يكن يمثل سلوك كل الجماعات الجُهينة عامة، فهم لم يستخدموا العنف في فرض ثقافتهم في النوبة، وإجبار سكانها على اعتناق الإسلام، وهو ما لا يتفق مع المنطق البشري.

---

(1) ليزلي جرينر: سد عالي فوق النوبة، ترجمة: علي جمال الدين عزت، سلسلة دراسات أفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م، ص243، وعن ذات الدور الذي لعبه العرب في العصور الوسطي، وهي عصور الظلام في أوروبا، يقول بتري Petrie: "إن تجاهل هذه الحقيقة يعد تجاهلا لأنصع صفحة في العصور الوسطي.." (ليزلي جرينر: مرجع سابق، ص243). وهو قول آخر يحمل الكثير من الموضوعية، وينصف العرب، وهو رأي يتفق مع رأي ليزلي جرينر.

(2) Macmichael: AHistory of the Arabs, Vol. I, P.135، مسعد: امتداد الإسلام والعروبة، ص80

(3) ويقول محمد غيطاس عن طابع هجرة جهينة إلى النوبة: "وكان الطابع العام للهجرات العربية إلي أنحاء علوة طابعا سلميا، وتحققت لها مآربها عن طريق الاختلاط ومصاهرة النوبيين.." (النوبة، ص122)

(4) Crawford: Sudan Antiquities Service, No. II, Op. Cit. , P. 265

ويتضح من كل ما سبق أن عرب جهينة أسهموا بدور كبير في نشر الثقافة العربية في بلاد النوبة، كما أنهم عملوا على نشر الدين الإسلامي بين سكان هذه البلاد، والمؤكد أنهم ساهموا بدور ما في إضعاف مملكة المقرة المسيحية، وشاركوا بني ربيعة في إسقاط هذه المملكة بعد ذلك في سنة 723هـ/1323م، وإن كان الدور الأكبر في سقوطها يرجع الفضل فيه لعرب ربيعة (أو بني الكنز) أكثر من غيرهم. ويبدو دور جهينة واضحا في إسقاط مملكة المقرة من خلال بعض الإشارات التي وردت في المصادر التاريخية، والمؤكد أن سقوط هذه المملكة هو ما فتح الباب لمزيد من الهجرات العربية إلى النوبة، ثم قيام المهاجرين العرب بعد ذلك بالتوغل في مناطق وادي النيل الأوسط.

ورغم ما قيل عن الهجرات الجُهنية إلى بلاد النوبة، وما عاصرها من أحداث مهمة في هذه البلاد، إذ تذكر بعض المصادر أن هذه الهجرات رافقها الكثير من الفوضى والدمار، كما أنهم قاموا بتدمير الكنائس والأديرة التى كان يتعبد فيها المسيحيون النوبيون. وهو ما لم يذكره المستشرقون الغربيون في غالبهم، إذ أكدوا بصفة عامة حقيقة الطابع السلمي لهجرات عرب جُهينة إلى بلاد النوبة، ولم يشر هؤلاء المستشرقون إلى نهج عنيف، أو عدواني سلكه عرب جُهينة في هجراتهم.

وكشف لنا هذا الفصل أن جماعات جُهينة وسائر القبائل العربية الأخرى استخدمت ثلاثة طرق رئيسية للهجرة إلى بلاد النوبة، كان أهمها طريق "نهر النيل"، للمهاجرين القادمين من مصر، وكذلك الطريق الموازي له برا، وهو طريق "درب الأربعين"، وطريق "البحر الأحمر"، للهجرات القادمة من بلاد العرب، وكذلك "الطريق الليبي"، وكان أقل هذه الطرق الثلاثة من ناحية الأهمية فيما يخص هجرات عرب جهينة إلى النوبة.

وعلى أية حال، فإن "مملكة المقرة" المسيحية كانت تشكل عائقا، وسدا منيعا أمام المهاجرين العرب، وتوغلهم في باقي مناطق سودان وادي النيل، وما جاورها، ولهذا فما أن سقطت تلك المملكة حتى فُتح البابُ على مصراعيه أما هجرات عرب جُهينة، وغيرها من القبائل العربية إلى الذهاب إلى "مملكة علوة" المسيحية، بحثا عن موطن جديد لهم، ومن ثم قيام عرب جهينة بأعظم إسهاماتهم في بلاد النوبة وسودان وادي النيل، حيث قُدر لهذه القبيلة أن تلعب هناك دورا كبيرا في نشر العروبة والإسلام في مناطق وادي النيل الأوسط، وهو الموضوع الذي سوف نناقشه في ثنايا الفصل القادم.

الفصل السادس

"قبيلة جُهينة ودورها في تعريب مملكة علوة في القرن 9هـ/15م"

أولا – استقرار قبيلة جُهينة في مملكة علوة في القرن 8هـ/14م

ثانيا – ممالك علوة الصغرى إبان هجرة جُهينة

ثالثا – العلاقة بين الجُهنيين وملوك علوة

(أ) – المصاهرة بين زعماء جُهينة وملوك علوة

(ب) – انتقال الحكم لعرب جُهينة

رابعا – عرب القواسمة (من جُهينة) ودورهم في إضعاف مملكة علوة:

(أ) – شخصية عبدالله جمَّاع زعيم الجُهنيين

(ب) – الجُهنيون وتأسيس مدينة أربجي (880هـ/1474م)

(جـ) – عبدالله جمَّاع وتأسيس مدينة قري

خامسا – تحالف عبدالله جمَّاع مع الفونج ضد ملوك علوة:

(أ) – الفونج وإشكالية الأصل الجُهني

(ب) – سقوط مملكة علوة

سادسا – قبيلة جُهينة وانتشار العروبة والإسلام في مملكة علوة

يتناول هذا الفصلُ حقبةً مهمةً في "تاريخ جُهينة" في بلاد النوبة، واستقرار جماعات هذه القبيلة في "أرض علوة"، كما يتحدث عن العلاقة بين قبيلة جهينة وملوك علوة، والمصاهرة بين الطرفين، وانتقال الحكم لزعماء قبيلة جهينة بعد ذلك. كما يتحدث الفصل عن عرب القواسمة، وأصلهم، ونسبهم، وهم أقوى جماعات جُهينة في ذلك الوقت، ودورهم في تأسيس المدن العربية في مملكة علوة، ودور تلك المدن في حركة التعريب التي قام بها الجهنيون في بلاد النوبة، ويتناول أيضا تلك الحقبة المهمة التى تم خلالها التحالف بين كل من عرب جُهينة وقبائل الفونج لإسقاط ملوك علوة.

ثم يتناول هذا الفصل بعد ذلك "معركة أربجي" الشهيرة، والجدل التاريخي حولها، خاصة فيما يخص طرفي هذه المعركة، وما تمخض عنها من نتائج كان لها بالغ الأثر في استقرار الوجود العربي في بلاد النوبة. كما يتناول دور جُهينة في تعريب مملكة علوة، وهو من أعظم أدوار هذه القبيلة في بلاد النوبة، وعلى هذا فإن "الفصل السادس" مع كونه خاتمة هذه الدراسة، إلا أنه يعد بمثابة ذروة تأصيل للدور الحضاري الكبير الذي قام به عرب جُهينة في بلاد النوبة.

أولا – استقرار جُهينة في مملكة عُلوة في القرن 8هـ/14م:

أدى سقوط "مملكة المقرة" في سنة 723هـ/1323م إلى تدفق الهجرات العربية للنوبة، وكانت أقواها تلك التي قامت بها جماعات جُهينة ([1]). وكانت المقرة تشكل طيلة وجودها عائقاً أمام المهاجرين العرب نحو الجنوب، ولهذا ما أن سقطت حتى صار الطريق مفتوحا على مصراعيه أمام هجرات جُهينة إلى بلاد علوة ([2]). ويشير "آدامز" Adams إلى أن الممالك المسيحية في بلاد النوبة شكلت حاجزا في مواجهة هجرة البدو العرب في إتجاه الغرب، ومع تكاثر الضغط عليها مع قدوم مزيد من الهجرات العربية المستمرة، "ثم أصبح قاسياً عليهم بعد أن بدأ المماليك سياسة مضايقتهم للعرب بمصر، وانصهار جزء من الحاجز المسيحي عندما اخترق النوبيون الشماليون (أي المقرة) ودمجوا مع بني كنز" ([3]).

—

(1) انظر ابن خلدون: العبر، جـ6، ص7، القلقشندي: صبح الأعشي، جـ5، ص277–278

(2) آدامز: النوبة رواق أفريقيا، ص488، مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص184

(3) النوبة رواق أفريقيا، ص488، وعن أسباب نهاية الديانة المسيحية في بلاد النوبة بعد أن دامت عدة قرون، يقول مصطفي مسعد: "وذلك أنه لما رأت القلة التي بقيت علي النصرانية أن لا أمل في قيام حركة للاصلاح في مجتمعهم بسبب انقطاع علاقاتهم الدينية بكنيستهم الكبري في الإسكندرية، وكان من الطبيعي أن ينشدوا ما يسد رمقهم في الدين الإسلامي الذي دل بسلام أتباعه علي قوة وحيوية.." (امتداد الإسلام والعروبة: ص86، وانظر أيضاً زبيدة عطا: مرجع سابق، ص223–224).

ويرى البعضُ أن هجرة قبيلة جُهينة وبطونها إلى بلاد علوة تمت في حوالي منتصف القرن 8هـ/14م ([1]). وعلى هذا كان الجُهينيون في مقدمة المهاجرين العرب لمناطق وادي النيل الأوسط، وكانت أعدادهم كبيرة على الراجح، وهو ما جعلهم يلعبون دوراً فاق غيرهم من العرب هناك. ويبدو أنه لم يكن أمام ملوك علوة إلا التعامل مع هذه الأوضاع الجديدة والمتغيرة، والتي تمثلت في كثافة الوجود العربي في بلادهم، إضافة لحرصهم ألا يثيروا غضب سلاطين المماليك، إذا أساءوا لهؤلاء العرب، فالمماليك كانوا يشكلون أقوى دولة إسلامية في تلك الحقبة، ولا قبل لملوك علوة بهم، ولا يمكن لهم أن يكونوا في مواجهة معهم ([2]).

والراجح أن الجماعات العربية كان لها وجود قديم في مملكة علوة حتى قبل سقوط مملكة المقرة، حيث هاجرت جماعات عربية قادمين من جزيرة العرب، عبرت البحر الأحمر، ثم تسربت جماعات منهم إلى أراضي علوة منذ القرن 4هـ/10م ([3]). وقد شاد هؤلاء العرب مسجدا في "سوبة" Soba عاصمة علوة، وهو ما يشير لوجود إسلامي هناك منذ ذلك الوقت، وكانت أكثر هذه الجماعات قد استقرت في حوض النيل الأزرق ([4]).

وتشير مخطوطة "تاريخ مختص بأرض النوبة" إلى وجود المسلمين في علوة قبل سقوط مملكة المقرة، فهي تذكر أن مدينة سوبة "كان بها رباط معمور بالمسلمين" ([5]). وهي إشارة

تاريخية مهمة، تؤيدها إشارات أخرى عديدة، ومن ذلك ما يذكره ابن سليم الأسواني (ت: 386هـ/996م) أن العرب كان لهم رباط في مملكة علوة ([6]). ويذهب البعض إلى أن ما ذكره ابن سليم الأسواني عن وجود رباط للمسلمين في هذه المملكة المسيحية يؤكد على الوجود العربي الإسلامي المبكر في في هذه البلاد ([7]).

---

(1) مصطفي مسعد: امتداد الإسلام والعروبة، ص86

(2) زبيدة عطا: مرجع سابق، ص223-224

(3) المقريزي: الخطط، جـ1، ص311 ، ممدوح الريطي: دور القبائل العربية في صعيد مصر، ص297

(4) ممدوح الريطي: المرجع السابق، ص297

(5) انظر مخطوطة "تاريخ مختص بأرض النوبة": ورقة رقم 16

(6) انظر محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية، ص317، محمد غيطاس: النوبة، ص122

(7) محمد غيطاس: النوبة، ص122، وثمة خلاصةٌ مهمةٌ يذهب إليها الدكتور محمد عوض محمد في هذا الشأن، إذ يقول: "وهذه أدلة تاريخية علي انتشار العروبة في جهات متعددة في صميم السودان في وقت متقدم جداً في العهد الإسلامي، ولا يمكن أن يبلغ انتشار العروبة هذا الحد في هذا الزمن المتقدم ما لم يكن هناك انتشار سابق للعرب في السودان قبل الإسلام.." (الشعوب والسلالات الأفريقية: ص317)

ويرى الباحثُ أن أعداد هذه الجماعات العربية التي استقرت في مملكة علوة لم يكن كبيراُ في ذلك الوقت، ومن ثم فلم يكن لهم تأثير واضح على إظهار الوجود الإسلامي بشكل قوي، مثلما حدث في بلاد النوبة بعد سقوط مملكة المقرة (723هـ/1323م). وتذكر المصادر التاريخية أن مملكة علوة كانت أكثر ثراءاً من المقرة ([1])، وكان جيشها أكبر وأعظم من جيش المقرة، وكانت أرضها أوسع، وأكثر نخلاً ومروجاً ([2]).

ولأن مملكة علوة كانت تتمتع بوجود الأراضي الخصبة، وكذلك المروج، وهو ما جذب إليها العديد من الجماعات العربية وفي مقدمتهم قبيلة جُهينة بهدف الاستقرار هناك ([3]). لاسيما وأن جزءا كبيرا من أراضي هذه المملكة كان يقع في منطقة "الجزيرة"، حيث يلتقي النيل الأزرق Bleu Nile والنيل الأبيض White Nile، وهي منطقة تتمتع بخصب آراضيها وسهولها، وكذلك وفرة مصادر المياه، وتنوعها. ويصف اليعقوبي علوة بأنها "أعظم خطراً من المقرة"، و"لهم بلاد واسعة شبيهة بثلاثة أشهر، والنيل مُتشعب عندهم في عدة خلجان" ([4]).

وكانت عاصمة مملكة علوة مدينة تُدعى "سوبة" (وتكتب أيضا سوبا) Soba ([5])، وأول تخوم تلك المملكة في اتجاه شرق النيل تعرف بـ "إقليم الأبواب" Gates ([6]). ويمكن القول بأن بعض الروايات كانت تخلط بين "الأبواب" وبين "مملكة علوة"، رغم أن "إقليم الأبواب" هو أحد الأقاليم التى تقع ضمن أراضى هذه المملكة ([7]).

---

(1) المقريزي: الخطط، جـ1، ص311، وللمزيد عن مملكة علوة، انظر أيضا الخطط: جـ1، ص195

(2) المصدر السابق، ص311، يقول المقريزي عن ملك علوة: "ومتملك علوة أكثر مالا من متملك المقرة، وأعظم جيشا، وعنده من الخيل ما ليس عند المقري، وبلده أخصب وأوسع، والنخل والكرم عندهم يسير، وأكثر حبوبهم الذرة البيضاء التي مثل الأرز، منه خبزهم ومزرهم، واللحم عندهم كثير لكثرة المواشي، والمروج الواسعة العظيمة السعة، حتي أنه لا يوصل إلي الجبل إلا في أيام.." (الخطط: جـ1، ص311).

(3) المقريزي: الخطط، جـ1، ص310، زبيدة عطا: مرجع سابق، ص222، محمد غيطاس: النوبة، ص73، وكان لاقليم الأبواب ملك يعرف باسم "صاحب الأبواب" King of the Gates، وكان "إقليم الأبواب" يعرف أيضاً باسم "إقليم كبوشية" Kabushia، للمزيد انظر

Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan , Vol I , P .183

(4) تاريخ اليعقوبي: جـ1، ص165

(5) وعن مدينة سوبة، انظر مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة 16

(6) آدامز: النوبة رواق إفريقيا، ص472

(7) ويشير "ويليام آدامز" W. Adams إلى ذلك بقوله: "نَدر أن نسمع اسمها مذكورا في السرود التاريخية..إنها تتحدث من وقت لآخر عن ملك الأبواب، لا عن ملك علوة، والأبواب كانت فيما كان مأثورا مقاطعة التخوم الشمالية لعلوة.." (النوبة رواق أفريقيا: ص472)

وكانت علوة تضم حوالي "أربعمائة" كنيسة ([1]). وهو ما يشير لعظم هذه المملكة وانتشار المسيحية الواسع بها، غير أن هذا العدد تقلص بعد ذلك فيذكر الرحالة "ألفاريز" أن عدد الكنائس في النوبة صار يبلغ حوالي مائة وخمسين كنيسة ([2]). وكان سكانها يعتنقون أو الطبيعة المذهب المونوفيزيتي (اليعقوبي) ([3]). ومذهب ذاته مذهب Monophysticismالواحدة هو كنيسة الإسكندرية، وهي التى تعد بمثابة الأم لكنائس النوبة، يقول المقريزي: "ودينهم النصرانية يعاقبة، وأساقفتهم من قبل صاحب الإسكندرية كالنوبة (يقصد المقرة).." ([4]). وعن وجود "المذهب اليعقوبي" (المونوفيزيتي) في بلاد النوبة، تذكر بعض المصادر التاريخية أن ذلك حدث منذ أيام الخليفة هشام بن عبدالملك (105-125هـ/724-744م) ([5]).

---

(1) عزيز عطية سوريال: تاريخ المسيحية الشرقية، ص426، وانظر أيضا شوقي عطاالله الجمل: تاريخ بلاد النوبة (الموسوعة الأفريقية)، جـ1، ص52

(2) S. Hillelson: Nubian Origins , P. 147

(3) الخطط:جـ1، ص311، وتعني كلمةُ "المونوفيزيين" Monophysites (Monos – Physis) أي أتباع "الطبيعة الواحدة"، وتعني أن المسيح له طبيعة واحدة بعد التجسد Incarnation، وهي اللاهوت. ويُعرفون أيضاً باسم اليعاقبة. أما كلمةُ "الديوفيزيين" Diophysites (Dios – Physis)، فمعناها: أتباع الطبيعتين، ومنها اشتقت كلمة Diophysticism، أي: للمسيح طبيعتان، ويُعرفون أيضاً باسم: الملكانيين. وقد وقع التنازعُ بين المونوفيزيين والديوفيزيين منذ مجمع خلقيدونية Council of Chalcedon سنة 451م، إذ أقر هذا المجمعُ عقيدة الطبيعتين للمسيح، أي اللاهوت والناسوت. وهو ما أدى إلى حدوث تصدع كبير في الكنيسة وانقسامها، حيث عارضت كنيسة الإسكندرية عقيدة الطبيعتين (وللمزيد، انظر ك. والترز: الأديرة الأثرية في مصر، ترجمة: إبراهيم سلامة إبراهيم، هيئة

الكتاب، 2005م، ص22–23، ستانلي لين بول: تاريخ مصر فى العصور الوسطى، ص36–37، عزيز سوريال عطية: تاريخ المسيحية الشرقية، ص65، القس منسي يوحنا: تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة، القاهرة، 1983م، ص257–258). وانظر أيضاً:

F. F. Gadallah; The Egyptian Contribution to Nubian Chrisianity, P. 41
Sebastian Bullough: Roman Catholicism , A Pelican Book , London , 1963 , P. 56
W. G. De Burgh: The Legacy of the Ancient World , Volume II , A Pelican Book , London , 1953 , P. 428
The New American Desk Encyclopedia: A Sigent Book , New American Library , New York , 1984 , P. 787
The Cambridge Paperback Encyclopedia: Edited by: David Crystal , Cambridge University Press , Third Edition , 2000 , P. 573
Hutchinson 's New 20th Century Encyclopedia: Edited by: E. M. Horsely , London , 1964 , P. 746
The Great Encyclopedia of Universal Knowledge: London , No Date , P 238

(4) الخطط: جـ1، ص311

(5) المقريزي: تاريخ الأقباط، تحقيق: الدكتور جمال محمد أبوزيد، وعابد إسكندر باسيلوس، دار ومكتبة الحرية، القاهرة، 2010م، ص63

ويشير المقريزي إلى أن الملكانيين (وهم أصحاب الطبيعتين) أقاموا "سبعاً وسبعين" سنة بغير بطريرك بمصر منذ عهد "عمر بن الخطاب" إلى أيام "هشام بن عبدالملك"، فغلب "اليعاقبة" (أصحاب الطبيعة الواحدة) في هذه المدة على الكنائس بمصر، ثم بعث إليهم أهل النوبة، فأرسلوا إليهم أساقفة اليعاقبة، ثم صارت النوبة يعاقبة من ذلك العهد ([1]). ويحمل "النظام السياسي" في كل من مملكتي المقرة وعلوة الكثير من التشابه، فعلى رأس الحُكم في كل منهما ملك ذو سلطة مطلقة، والحكم هناك يقوم على نظام "الوراثة الأُمويّ" ([2]). وكانت المملكة تنقسم لأقاليم، وبجانب الملك يوجد موظفون يرأسهم نائب الملك، أما أسقف الكنيسة فكان يُعين من بطريرك الإسكندرية ([3]). وعلى أية حال فإن سقوط المقرة في أوائل القرن 8هـ/14م أدى لزيادة الهجرات الجُهينة إلى النوبة بعد أن بات العرب الأوائل ممن هاجروا من قبل منشغلين بخلافاتهم الداخلية، ولم يكترثوا بالمهاجرين الجدد ([4]).

ثانيا – ممالك علوة الصغري إبان هجرة جُهينة:

وكانت مملكة علوة إبان قدوم هجرات قبيلة جُهينة تتكون من عدة ممالك، أو أقاليم صغيرة، تدين جميعا بالولاء للملك الكبير في سوبة ([5]). ويذكر القلقشندي أنه كانت توجد ثمانية ممالك في المنطقة التي تقع فيما بين الديار المصرية والحبشة، وما جاورها ([6]). ثم يذكر أسماء بعض أمراء تلك الممالك، ومنهم "الأمير جُنيد" الذي يوصف بأنه: "شيخ الجوابرة بأبواب النوبة" ([7]). ولعله هو ذاته "صاحب الأبواب" Gates king of، أو "ملك الأبواب"، فأرض هذا الإقليم تمثل أول مملكة علوة جهة شرق النيل ([8]). وثمة إشارة مهمة أيضاً، وهي أن تلك الممالك كانت

لها مراسلات مع سلاطين مصر، ثم يقول: "ولعل هؤلاء أيضاً من عربان الممالك المحروسة، غير أنه لا إقطاعات لهم.." ([9]).

---

(1) المقريزي: تاريخ الأقباط، ص63

(2) شوقي الجمل: تاريخ بلاد النوبة، ص53

(3) المرجع السابق، ص53

(4) مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة: ص184

(5) مصطفي مسعد: امتداد الإسلام والعروبة، ص87، ممحمد أمين: العبدلاب، ص201 – 202

(6) صبح الأعشي: جـ8، ص5–6

(7) المصدر السابق، ص5

(8) وعن منطقة "الأبواب"، انظر المقريزي: الخطط، جـ1، ص310، زبيدة عطا: مرجع سابق، ص215، محمد غيطاس: النوبة، ص73، وانظر: Macmichael: A History of the Arabs , Vol I , P 324

(9) صبح الأعشى: جـ8، ص5

ويبدو من أسمائهم أنهم من العرب، وربما كانوا من النوبيين المُستعربين، ممن اعتنقوا الإسلام. كما يذكر أحدهم وهو "الأمير شريف"، ويقول عنه: "شيخ النمانمة بأبواب النوبة" ([1]). ويرى الدكتور مصطفي مسعد فيما يخص تلك الممالك بأنه ليس من الواضح إن كان بعضها يقع في إحدى جهات مملكة علوة ([2]). ورغم أنه يبدي بعض التردد في إمكانية أن يكون بعضها من ممالك علوة، إلا أنه لم ينف في ذات الوقت العلاقة بينهم. ويعتقد الباحثُ أن بعض تلك الممالك أو إحداها على الأقل كانت تابعة لمملكة علوة، خاصة في إشارة القلقشندي لشيخ "أبواب النوبة"، ولسنا نشك أنه يقصد "صاحب الأبواب". وترجع أهمية رواية القلقشندي (ت: 821هـ/1418م) عن تلك الممالك إلى أنه عاش حتى النصف الأول من القرن 9هـ/15م أي بعد سقوط المقرة (723هـ/1323م)، وهي الحقبة التي زادت خلالها هجرات قبيلة جُهينة لأرض علوة. وهو ما يؤيده القلقشندي في روايته الآنفة.

والمؤكد أن جُهينة كانت الأكثر عدداً بين سائر القبائل التي هاجرت إلى مملكة علوة، كما كانت أكثر قوة من غيرها، وكان الجهنيون قد عركتهم تجارب الحياة في كل بقعة حطت رحالهم فيها، منذ أن تركوا موطنهم الأول في بلاد العرب بعد فتح مصر (21هـ/641م). ويُعتقد أن عرب جُهينة كانوا يعرفون بلاد علوة حتى قبل أن يهاجروا إليها، فهم إما جاءوا عبر البحرالأحمر، ثم استقروا في بلاد البجة، أو جاءوا من الأراضي المصرية، ثم عبروا المقرة، أو ربما أنهم جاءوا من كلا الطريقين ([3]). ولهذا يُحتمل أن يكون بعض العرب من جماعات جُهينة كانوا قد استقروا شمالي علوة، قبل أن يصلوا لموقع مدينة "أربجي"، ثم أقاموا فيه تلك المدينة

العربية التي رسخت الوجود العربي هناك ([4]). وعلى هذا، لما استقرت جماعات جهينة في مملكة علوة، كان عليهم أن يتعاملوا مع ملوك هذه البلاد.

ثالثا – العلاقة بين الجُهنيين وملوك علوة:

وسنحاول هنا مناقشة تطور العلاقة بين الجُهنيين وملوك علوة منذ قدوم القبائل العربية إلى هذه البلاد، ثم مرحلة التقارب والمصاهرة، ثم مرحلة انتقال الحكم لزعماء جُهينة، ومن ثم سقوط هذه المملكة المسيحية. ويمكن القول بأن العلاقة التى جمعت بين عرب جُهينة وملوك علوة تجلت في عدة مظاهر، سواء أكانت اجتماعية، أم سياسية، أم ثقافية، ولعل أهمها:

---

(1) صبح الأعشى: جـ8، ص6

(2) امتداد الإسلام والعروبة، ص88

(3) محمد أمين: العبدلاب وسقوط مملكة علوة، ص201–202

(4) المرجع السابق، ص202

(أ)– المصاهرة بين زعماء جُهينة وملوك علوة:

تشير المصادر السودانية إلى أن أعداد الجماعات التي تنتسب لقبيلة جُهينة التي هاجرت إلى مملكة علوة كانت كبيرة في هذه البلاد. وتؤكد إحدى "أوراق النسبة" (Nisbas) ذلك الأمر، حيث تذكر أن عدد قبائل جُهينة في مدينة "سوبة" عاصمة المملكة وحدها كان يبلغ "52" قبيلة ([1]). وتؤيد العديد من المصادر الأخرى ذلك الرقم تحديدا الذي ورد في هذه الوثيقة، ولعل منها ما ورد فى "مخطوطة السمرقندي"، التى يذكر متنها: "وإن قبيلة جُهينة بلغت اثنين وخمسون قبيلة بأرض سوبة ببحر النيل بمُلك الفونج.." ([2]).

ولعل لفظ "52" قبيلة يشير ربما إلى "اثنين وخمسين" بطناً من بطون جُهينة، وهذا هو الأمر الراجح، لأن العرب يقسمون القبيلة الواحدة لعدة تقسيمات أدنى، يضم كل منها عدداً يختلف من تقسيم لآخر، كالبطون، والأفخاذ، والفصائل، والعشائر..إلخ ([3]). وربما يشير ذلك أيضاً لوجود حوالي "52" قبيلة تتبع "المجموعة الجُهنية" بالسودان، وكانت هذه الجماعات تتدرج ما بين القبائل والبطون، غير أن أكثرها ينتسب لجُهينة. وعلي أية حال فإن هذه الوثيقة وغيرها تؤكد كثافة الوجود الجُهني في علوة، خاصة في سوبة. ويعتقد ماكمايكل أن تلك الوثيقة تُعد من أهم ما ورد في أوراق النسبة بالسودان عن قبيلة جُهينة ([4]).

---

(1) إحدى الوثائق السودانية عن قبيلة جُهينة، من مجموعة محمد بن زيد، انظر صورة هذه الوثيقة شكل رقم 25، ص278. يقول متن الوثيقة: "ذريته هم الباقين، وكذلك عند قوله تعالي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عن الله اتقاكم تجده وان قبيلة جُهينة بلغت اثنين وخمسون قبيلة بأرض سوبه ببحر النيل بملك الفونج..". وتوجد نسخة من

هذه الوثيقة في دار الوثائق القومية بالخرطوم تحت رقم 198 / 18 / 1 Misc، انظر أوراق نسب جمعها محمد بن الحاج علي بن دفع الله، ونسخة جعفر بن حسان في الأنساب ص 18، دار الوثائق القومية بالخرطوم، متنوعات رقم 1 / 16 / 184. وعما ورد في ذات الوثيقة يقول الدكتور محمد محمد أمين: "وتوضح لنا المصادر السودانية كثرة القبائل العربية في مملكة علوة، فتذكر أن قبائل جُهينة وحدها حول سوبا– عاصمة مملكة علوة – بلغت اثنتين وخمسين قبيلة.." (العبدلاب وسقوط مملكة علوة: ص203). كما يقول الدكتور مصطفي مسعد عن ذات الوثيقة: "ومع توالي وصول هجرات جديدة (أي لعرب جُهينة) علي مر القرون، كثرت أعدادهم كثرة واضحة، فتقول إحدى البرديات الوطنية إنه كان لجُهينة 25 قبيلة قرب سوبا علي النيل الأزرق وأكثر منها في الأقاليم الغربية في أوائل القرن السادس عشر.." (الإسلام والنوبة: ص191). ويبدو أن الرقم الوارد هنا وهو 25 قبيلة هو تصحيف للرقم الصحيح الوارد في الوثيقة السودانية الأصلية وهو 52 قبيلة، وهو ما تؤكده روايات المؤرخين الذين تحدثوا عن تلك الوثيقة. وللمزيد أيضاً عن تلك الوثيقة التاريخية، انظر أيضا كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص158، حاشية رقم 1.

(2) مخطوطة أنساب عرب السودان: ورقة رقم 19، وردت هذه الوثيقة وبها أخطاء لغوية واضحة، للمزيد انظر صورة المخطوطة، شكل23، ص277 (3) وعن تقسيم العرب للقبيلة، انظرالتمهيدي، ص22، هامش5

(4) Macmichael: A History of the Arabs, Vol. I , P.139 =

أما القبائل الأخرى التي استقرت في مناطق حوض النيل الأوسط مع قبيلة جُهينة، فكان بعضها ينتمي لعرب عدنان (الحجاز)، وكان منها أيضا من ينتسب لعرب قحطان (اليمن)، ولعل من أهم تلك القبائل قبيلة "الكواهلة" ([3])، إلى جانب بعض القبائل الصغيرة الأخرى مثل الرشايدة، وغيرهم ([4]). ولا شك أن الانتشار الكبير لعرب جُهينة في مملكة علوة استغرق عدة قرون، ولم يتم ذلك الأمر دُفعة واحدة، إذ سكنت بعض البطون منها في مجموعات متفرقة، وكانوا تحت سلطان ملوك علوة في بداية استقرارهم ([5]).

ولما بدأ عرب جُهينة الاستقرار في مملكة علوة كانوا يدفعون "الضرائب"، أو نوع من "الخراج" لملوك هذه البلاد ([7]). وهذا أمر طبيعي، ويتفق مع طبيعة تلك المرحلة أن يدفع العرب الضرائب في بداية تواجدهم حتى لا يتعرضوا لأذى ملوك هذه البلاد. ومع ازدياد هجرات جماعات جُهينة إلى بلاد النوبة بشكل كبير، وهو ما غَيَّر قواعد العلاقة بين الطرفين بسبب هذا المُتغير الجديد، ومن ثم فالعلاقة تتغيرت هي الأخرى حسب الظروف الجديدة، وبلوغ الوجود الجُهني ذروته في ذلك الوقت. وتشير المصادر إلى أن زعماء علوة لم يستطيعوا مواجهة عرب جُهينة، ولم يتمكنوا من احتواء بأسهم، إذ كانت قوتهم أكبر مما يحتملوا، ولم يكن أمامهم سوى التقارب معهم ([8]).

=يقول ماكمايكل Macmichael عن قيمة هذه الوثيقة: "إن أهم ما يُذكر عن جُهينة في أوراق النسبة السودانية حقيقة أنهم بلغوا نحو 52 قبيلة (Tribes) في أرض سوبة (Land of Soba) ([1]) على النيل الأزرق تحت حكم الفونج..". وتقول إحدى المخطوطات السودانية عن مدينة سوبة عاصمة علوة: "وكانت هذه المدينة فيها أبنية حسنة، وبساتين، وبها رباط معمور بالمسلمين، وموقعها شرق النيل، قريب من اجتماعه بالنيل الأبيض، وأكثر مأكول أهلها الذرة البيضاء.." (انظر مخطوط تاريخ مختص بأرض النوبة: ورقة رقم 16).

(2) Macmichael: A History of the Arabs, Vol. I , P.139

(3) بنو كاهل: يقال إن بني كاهل أو الكواهلة من نسل الصحابي الزبير بن العوام رضي الله عنه، هاجروا إلي بلاد النوبة عبر البحر الأحمر، غير أنه لا يعرف متي كانت هجراتهم. وعنهم تقول مخطوطة أحمد بن الفكي معروف: أنهم أبناء كاهل بن عمارة بن خليفة بن أيبراك بن محمد بن سليم بن خالد بن الوليد (انظر Macmichael: A History of the Arabs , Vol II , P . 345 ، انظر متن المخطوطة ملحق رقم 10، ص251 وانظر أيضاً Jan Zahorik: Islamization of the Beja , P. 5

(4) مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص187

(5) العبدلاب وسقوط مملكة علوة، ص203، ولهذا يقول الدكتور محمد أمين: "عاشت (جُهينة) علي هيئة جماعات متفرقة، محافظة علي نظامها القبلي.." (العبدلاب وسقوط مملكة علوة، ص203)

(7) محمد أمين: العبدلاب، ص204

(8) انظر رواية ابن خلدون والقلقشندي، العبر: جـ5، ص491، صبح الأعشي: جـ5، ص277

والمؤكد أن زيادة هجرات قبيلة جهينة لعلوة، شكل ضغطا كبيرا على ملوكها حتى أدركوا أنه لا قبل لهم بهؤلاء المهاجرين العرب، إذ بدت مظاهر بأسهم جليةً في هذه البلاد. ولهذا كان عليهم أن يتعاملوا بشيء من الحذق مع هذه الجماعات القوية. وعلى هذا أدرك ملوك علوة أن التقارب والتحالف مع زعماء جهينة أولى من العداء لهم، لأن استعداء جماعات بتلك القوة ليس في صالحهم على الإطلاق، وستكون عواقبه عليهم وخيمة. ولهذا قال ابن خلدون: "ثم صاروا (أي ملوك علوة) إلى مصانعتهم (أي عرب جُهينة) بالصهر.." ([1]). وهو ما يشير لوجود رغبة ملحة لدى ملوك علوة في مصاهرة زعماء جهينة.

(ب)- انتقال الحكم لعرب جُهينة:

ولعل المصاهرة بين زعماء جهينة وملوك علوة جعلت الوجود العربي هناك أكثر ثباتا ورسوخا، وكان طبيعيا أن ينتقل الحكم بعد ذلك بشكل تلقائي للعرب، وهو ما أدى لحدوث تغير سياسي كبير مع ارتقاء العرب للحكم. وثمة إشارة مهمة تبدو من روايتي ابن خلدون والقلقشندي وهي أن ملوك علوة كانوا أكثر ميلا للتقارب مع الجُهنيين، وكانت لديهم رغبة في التحالف معهم ليستفيدوا من قوتهم. والمؤكد في ذات الوقت أن علاقة المصاهرة كانت تشكل رغبةً كبيرةً أيضاً لدى زعماء جُهينة ليستفيدوا من "نظام الوراثة" في تلك البلاد ([3]).

وعلى هذا تلاقت المآرب بين الطرفين، والمؤكد في رأي الباحث أن عرب جُهينة أرادوا الإفادة من عِبَر التاريخ التى مروا بها منذ أن خرجوا من بلاد العرب، فهم يريدون أن يفعلوا ما فعلته ربيعة في البجة لما صاهروا الحدارية، ثم انتقل المُلك لهم بعد ذلك، وأقاموا إمارة عربية هناك ([4]). وهو ما فعلته أيضا في المقرة. ولهذا كانت رغبة زعماء جُهينة الاستفادة من تلك التجارب ليكون لهم تأثير في هذه البلاد كما فعلت قبائل أخرى، وهو ما يؤدي لنشر العروبة

والإسلام في هذه البلاد ([5]). ومما لاشك فيه أن كل هذه المؤشرات كانت تؤكد قرب سقوط هذه المملكة المسيحية بعد انتقال الحكم لجهينة، وصار الأمر مجرد وقت لا أكثر.

---

(1) العبر: جـ5، ص491، كما يذكر القلقشندي أيضا عن ذات المعنى: "فصاهروهم مصانعةً لهم.." (صبح الأعشي: جـ5، ص278)

(3) محمد غيطاس: النوبة، ص122، زبيدة عطا: مرجع سابق، ص224

(4) انظر رواية المسعودي عن تلاقي المصالح بين ربيعة والحدارية، مروج الذهب: جـ2، ص 16

(5) وللمزيد عن اللغة النوبية وسماتها، انظر: محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية، ص292–294، عبدالمجيد عابدين: تاريخ الثقافة العربية في السودان، ص14–15. وعن اللغة النوبية انظر أيضاً:
R. C. Stevenson: Linguistic Research in the Nuba Mountains, Sudan Notes & Records, Vol. 43, University of Khartoum, 1962

رابعاً- عرب القواسمة (من جُهينة) ودورهم في إضعاف مملكة علوة:

يرجع الفضل في زيادة نفوذ العرب في مملكة علوة لجماعات تعرف بـ"القواسمة"، وهم ينتسبون لقبيلة جُهينة، وتحديدا إلى رفاعة ([1]). وتذكر "مخطوطة السمرقندي" بعض الجماعات العربية باسم "القواسم"، وتشير إلى أنهم من ولد "قاسم بن رافع بن محمد" ([2]). وعلى هذا فالمؤكد انتساب رفاعة لقبيلة جُهينة ([3]). ويقال إن القواسمة ينتسبون لـ "قاسم بن محمد بن عامر بن ذبيان بن جُهينة" ([4]). ويشير "ماكمايكل" إلى أن الرفاعيين بالسودان يذكرون أن العديد من جماعات قبيلتهم تصاهروا مع آل البيت عبر القرون ([5]).

وربما يرجع ذلك إلى أن كثيرين من قبيلة عرك كانوا يُعرفون بـ"الأولياء" (Holymen)، ويقصد بذلك أنهم ينتسبون إلى طبقة "الأشراف" ([6]). وكنا قد تحدثنا آنفاً عن العلاقة بين كل من قبيلة جُهينة وأقاربهم من عرب رفاعة منذ قدومهما إلى بلاد البجة خلال القرون الهجرية الأولى ([7]). وحسب أقدم "مخطوطات العبدلاب"، فالقواسمة هم بطن من قبيلة رفاعة الجهنية من جهة الأم، وهم من الأشراف الحسنيين من جهة الأب ([8]).

---

(1) وعن عرب القواسمة وجدهم "عبدالله جماع"، انظر مخطوطة كاتب الشونة، ص129، وكذلك مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة رقم 17، وانظر مخطوطة "واضح البيان"، ورقة1، محمد أمين: العبدلاب، ص192، ويسكن الرفاعيون بالسودان على جانبي النيل الأزرق، خاصة جنوبي الرُصيرص وهم ينقسمون لشطرين، أحدهما في الشمال، والآخر جنوبا. وقد استقر رفاعة الشماليون في قرى يشاركهم فيها أعداد غير قليلة من غيرالرفاعيين، بينما ظلت قرى كثيرة تخصهم. وهم يمارسون الزراعة والتجارة، أما الجنوبيون فيغلب عليهم البداوة، ويعرفون باسم الجهنيين. وتقسم رفاعة الجنوب لشعبتين الأولي: رفاعة الشرق، يقطنون شرق النيل الأزرق، والثانية: رفاعة الغرب، وكان يطلق على كليهما اسم العائلة التي حكمتها زمنا طويلا، ويقال للأولى: "تاس أبي جن"، وللأخرى: "تاس أبي روف" (الخطيب: تاريخ جُهينة، ص28–29)

(2) مخطوطة أنساب عرب السودان: ورقة 13، يقول الشيخ إبراهيم بن عبدالدافع: "وكان كبيرهم عمارة دونقس..وفي جوارهم قبيلة من عرب جهينة تعرف بالقواسمة" (كرم الصاوي: ممالك النوبة، ص165)

(3) Macmichael: A History of the Arabs , Vol. II , P . 175

(4) عون الشريف قاسم: موسوعة القبائل والأنساب، جـ3، ص1903

(5) Macmichael: Op. Cit , P . 239

(6) Ibid , P . 239

(7) وللمزيد عن الفتنة التي وقعت بين كل من عرب جهينة ورفاعة في سواكن، والصحراء القريبة منها في سنة 681هـ/1282م ، انظر الفصل الثالث، ص131 وما بعدها

(8) وللمزيد عن هذه المخطوطة، انظر يوسف فضل حسن: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، جامعة الخرطوم، 1989م، ص33

وحسب رواية الشيخ "إبراهيم بن عبدالدافع"، فإن هؤلاء القواسمة من بطون جُهينة ([1]). بينما يذكر الرحالة "جيمس بروس" James Bruce ([2]) أنهم من بطون قريش، وهي إشارة إلى أنهم من "الأشراف" ([3]). وعلى هذا فالمؤكد أن القواسمة ينتسبون لقبيلة رفاعة الجُهنية حسب الوثائق والمصادر السودانية. بينما توجد بطون عربية أخرى خارج سودان وادي النيل يعرفون أيضا بـ"القواسم"، ولا ندري على وجه التحقيق مدى القرابة التي تجمع بينهم وبين "القواسمة" بالسودان ([4]). وقد تركزت مواطن رفاعة بالسودان في "إقليم البطانة" شرقا، فيما بين نهر العطبرة Atbara والنيل الأزرق ([5]).

(أ)- شخصية عبدالله جمَّاع زعيم الجُهنيين:

يذكر مؤرخو العبدلاب أن القواسمة هم أصل "العبدلاب"، وهو ولد السيد رافع المعروف في قبائل رفاعة المتعددة، واسم رافع عندهم اثنان أحدهما: "رافع الجُهني"، والآخر: "رافع بن نبتة"، وهو ينتسب لولد الحسين بن علي بن أبي طالب ([6]). وحسب ذلك، فإن رفاعة لها أصلان، الأول: "الأصل الجُهني"، والثاني: "الطالبي" (الأشراف). وكانت ظاهرة إدعاء النسب الشريف أمراً ذائعاً بين الأسر الدينية في السودان. وكان أحد المهاجرين العرب ممن يدّعون النسب الشريف تزوج إمرأة من جُهينة (وتحديدا رفاعة) كانت تسكن سودان وادي النيل، وصار أحد أبنائه أو أحفاده زعيماً لتلك القبيلة بعد ذلك، ويُدعى: "عبدالله جمَّاع"، وهو الذي تحمل قبيلة العبدلاب اسمه ([7]). وهو الذي تتحدث عن أصله إحدى المخطوطات السودانية قائلة: "وهو ابن الشيخ عجيب الكافوتة، وجد أولاد عجيب.." ([8]).

---

(1) وعن رواية "إبراهيم بن عبدالدافع"، انظر يوسف فضل حسن: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية، ص33

(2) جيمس بروس: وهو رحالة اسكتلندي (1730-1794م)، ولد في النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي، زار بلاد النوبة وسودان وادي النيل، واهتم بكشف منابع النيل (انظر: موسوعة ويكيبيديا).

(3) يوسف فضل حسن: المرجع السابق، ص33، وعن العلاقة بين كل من العبدلاب وقبيلة جهينة، يقول الدكتور محمد أمين: "والعبدلاب من عرب القواسمة الذين ينتمون إلى قبيلة رفاعة العربية، إحدى المجموعات الجهنية، كما تؤكد غالبية المصادر.." (انظر العبدلاب: ص192).

(4) توجد في بلاد الخليج جماعات من عرب القواسم يعتقد أنهم من "الأشراف"، وربما توجد علاقة بينهم وعرب القواسمة في السودان، خاصة فيما يتعلق بنسب كليهما إلى الأشراف (وللمزيد عن قواسم الخليج، انظر جمال زكريا قاسم: الخليج العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985م، ص247-248).

(5) محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية، ص322

(6) كرم الصاوي: ممالك النوبة، ص179

(7) محمد أمين: العبدلاب، ص192، وللمزيد عن توزيع القبائل في سودان وادي النيل، انظر خريطة رقم4، ص239

(8)تاريخ مختص بأرض النوبة: ورقة رقم 17، واضح البيان، ورقة 1،انظر ملحق18، ص256 ، وشكل22، ص276

وثمة واحدةٌ من "أوراق النسبة" تُنسب للشيخ "عبدالله بن دفع الله العركي" حصل عليها ماكمايكل من نسخة "عمر عجيب"، وهو من أحفاد أمراء العبدلاب، حيث يقول عنهم في تلك الوثيقة: "وهم أنفسهم مثل عائلة العركيين، من فروع قبيلة جُهينة.." ([1]). وهو ما يؤكد أيضا نسبة العركيين في ذات الوقت لجهينة. ويشير ماكمايكل إلى أن الشيخ "عبدالله العركي" ذهب إلى بلاد الحجاز لأداء مناسك الحج، ولما عاد إلى السودان بعد ذلك، كان يحمل معه سلالة "النسب الشريف" (Sherifi Pedigree)، وهو النسبٌ الذي ينتهي به لنسل الإمام "موسى الكاظم" (ت: 183هـ/800م)، وهو من أحفاد على بن أبي طالب ([2]).

وتؤكد هذه الوثيقة النسب الشريف للرفاعيين والعركيين، وهو ما ذهبت إليه العديد من الجماعات العربية في سودان وادي النيل، ويقول متنُ الوثيقة: "الحمد لله الذي شرّف المدينة برسول الله..ولما رأيتُ أن سجلات النسب قد فُقدت في عدة بلدان...وقد خشيتُ فَقد نسبي الشريف الذي يربطنا بسيد المرسلين..وتمنيتُ أن أُدوّن نسبي حتي تعرفه ذريتي من بعدي...فأنا العبد الفقير إلى الله عبدالله بن السيد دفع الله ابن السيد مُقبل بن السيد نافع بن السيد محمد بن السيد سلامة بن السيد بدر بن السيد محمد بن السيد أحمد بن السيد الرفاعي بن السيد الأمير..ابن السيد الامام موسي الكاظم بن السيد الامام جعفر الصادق بن السيد الامام محمد الباقر بن السيد زين العابدين.." ([3]). ثم تنتهي تلك الوثيقة بأن تذكر نهاية هذا النسب الشريف إلى الإمام "الحسين بن علي بن أبي طالب"، أو كما تذكره بـ "شهيد كربلاء"، وتذكر أنه "ابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين" ([4]).

---

(1) Macmichael: A History of the Arabs, Vol. II , P . 175

(2) Ibid , P. 175، والإمام موسي (الكاظم) هو ابن الإمام جعفر (الصادق) بن الإمام محمد (الباقر) بن الإمام علي زين العابدين (السجاد) بن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. وقد عرف بلقب "الكاظم"، لأنه كان رجلاً حليماً، وكان كثيراً ما يكظم غيظه (للمزيد عن الإمام الكاظم وأشراف آل البيت الطالبي انظر ابن الجوزي: صفة

الصفوة، جـ2، تحقيق: محمد بن عيادي بن عبدالحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، 2003م، ص84، ابن الكلبي: جمهرة النسب، جـ1، ص26–27، مصعب الزبيري: نسب قريش، ص57، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ10، ص189، المسعودي: مروج الذهب، جـ3، 360، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص67–68، ياقوت الحموي: المقتضب، ص18 – 19، علي بن ابراهيم فودة: المشجر المبسط في أنساب الحسن والحسين، مكتبة النافذة، 2010م، حامد الطاهر البسيوني: موسوعة آل البيت، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ، ص271–276.

(3) وللمزيد عن هذه الوثيقة ومتنها كاملا، انظر Macmichael : Op. Cit. , P. 175-176

(4) Ibid , P. 176، وعن الزعم بانتساب عرب القواسمة وغيرهم من العرب في سودان وادي النيل إلي آل البيت، يقول الدكتور يوسف فضل حسن: "وفي انتساب العبدلاب إلي الأشراف ما يعيد إلي الأذهان إدعاء النسب الشريف بين أغلب الأسر الدينية السودانية.." (مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية: ص35).

ويمكن القولُ بأن الغاية من إدعاء أكثر القبائل العربية في سودان وادي النيل بأنها تنحدر من نسل آل البيت أن ينالوا تقدير الناس واحترامهم، فالعركيون وهم من بطون جُهينة، ينتشرون في كل من: أبي حراز والمراغنة في الخرطوم بحري، وكسلا، والشكرية في رفاعة ، وآل المهدي، والفادنية، وهم في كافة هذه المناطق يقولون إنهم ينتسبون إلى نسل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ([1]). وتؤكد إحدى الروايات السودانية الأخرى نسبة عرب رفاعة للأشراف، حيث تذكر أن عامراً والد رافع جد الرفاعيين ينتسب لجماعات الحسنيين، بينما كانت أم رافع تنتسب لعرب جُهينة ([2]). كما تذكر هذه الوثيقة أن عامرا والد رافع تزوج ابنة رجل يُدعى "عامر الجُهني"، ورزق منها بثلاثة أبناء وهم: محمد رافع وأحمد وحمد ([3]).

بينما تتحدث إحدى الوثائق الأخرى، وهي من وثائق العبدلاب، عن نسب الأمير "عبد الله جمَّاع"، وتؤكد أنه كان يجمع بين كل من "النسب الجُهني" و"النسب الطالبي"، حيث تقول هذه الوثيقة: "ثم اعلم أن عبدالله هذا جد العبدلاب، والده حمد بن رافع ابن عامر بن صعصع المعلوم هذا هو المشهور في نسبه، المسموع من الآباء". ولكن الصحيح، كما وجد مُقررا في أمهات الأنساب أن والده السيد الباقر، وأمه (حُسنى) بنت حمد بن رافع. ومن ذلك توَّهم بعض أهل الأنساب فنسبه بأمه لرفاعة وبالتالي لقبيلة جُهينة. وذلك وهم باطل، كما وجدت بخط من نقل هذا النسب قائلا: إن والده السيد الباقر بن السيد محمد (بن) السيد علي بن السيد جبل بن السيد عبد الله بن السيد بركات بن السيد قاسم. ويمضي صاحب النسب في تعداد أجداد عبد الله جمَّاع حتى يصلهم إلى الإمام علي بن أبي طالب ([4]).

ومما لا ريب فيه إن هذا الارتباط بين جُهينة والأشراف في سودان وادي النيل، أو حتي في شبه جزيرة العرب كان أمراً معروفاً، وكنا قد ألمعنا إلى ذلك آنفا في هذه الدراسة، حيث عاشت جماعات من الأشراف الطالبيين في "بلاد جُهينة" و"أرض ينبع"، وهي المنطقة التي تعد موطن قبيلة جُهينة الأول في شبه جزيرة العرب ([5]).

—

(1) كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص178

(2) وللمزيد، انظر عون الشريف قاسم: موسوعة القبائل والأنساب في السودان، جـ2، ص979

(3) المرجع السابق، ص 979

(4) وللمزيد عن هذه الرواية، انظر كرم الصاوي: ممالك النوبة، ص175

(5) وللمزيد عن الارتباط بين كل من عرب جُهينة والأشراف من آل البيت الطالبي قديما ومنذ القرون الهجرية الأول، انظر الفصل التمهيدي: ص36

والمعروف أنه كان للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبنيه الكثير من الأوقاف والممتلكات في "بلاد جُهينة"، كما كانت لهم بها مساكن وبيوت، ومن ثم كان بديهيا أن بعض الجماعات من الطالبيين كانت قد وفدت إلى تلك البلاد، وطاب لهم المقام هناك، ثم تصاهروا مع جماعات من عرب جُهينة ممن كانوا يقطنون تلك البلاد ([1]).

بينما تذكر مخطوطة "واضح البيان" أن الأمير "عبد الله جماع" هو ابن السيد "محمد الباقر"، وأنه لُقب بـ "جمَّاع": لجمعه العرب، وهو رجل من أشرف بيوت العرب في سودان وادي النيل، وكانت الرئاسة والسيادة لأجداده ([2]). وعلى أية حال فإنه في آواخر القرن 9هـ/15م، برزت على مسرح الأحداث في سودان وادي النيل شخصية "عبدالله القُرين"، وهو الذي اشْتُهر أيضا باسم "عبدالله جمَّاع"، لأنه تمكن من جمع كافة القبائل العربية التي كانت تسكن مملكة علوة المسيحية، وتمكن من توحيد كلمتها تحت زعامته، لمواجهة ظلم العُنج (ملوك علوة) ([3]). وتصفه المصادر السودانية بأنه كان رجلاً عظيماً، عالي الهمة، وطموحاً للمعالي ([4]). كما يوصف أيضا بأنه رجل شجاع، وقوي البأس والشكيمة ([5]).

والمؤكد أن عرب القواسمة الذين ينتسبون للشيخ عبدالله جمَّاع جد العبدلاب، كانت أسرة تجمع ما بين الزعامة الدينية والقبلية، ويؤيد ذلك تواتر الروايات عن اهتمام عبدالله جمَّاع بنشر الإسلام في سودان وادي النيل خلال قتاله لملوك علوة ([6]). وكان أجداد عرب القواسمة، وهم عرب جُهينة، في سودان وادي النيل قد دخلوا إلى هذه البلاد عبر ثلاثة طرق رئيسية، "الطريق الأول": وهو الطريق المحاذي لنهر النيل عن طريق دنقلة العجوز Old Dongola، أما "الطريق الثاني": فكان عبر "صحراء العتمور" عن طريق أبي حمد Abu Hamad ، بينما كان "الطريق الثالث": من بلاد الحجاز قادمين من بحر القلزم، ثم عبروا بعد ذلك ثغر سواكن Suakin ([7]).

---

(1) للمزيد، انظر ابن حوقل: صورة الأرض، ص38، الإصطخري: مسالك الممالك، ص19

(2) مخطوطة "واضح البيان في ملوك العرب بالسودان وملوك العبدلاب": ورقة رقم 1

(3) وللمزيد عن سبب تسمية هذا الأمير الجهني باسم: عبدالله جمَّاع، انظر أيضاً يوسف فضل حسن: تاريخ الممالك الإسلامية، ص28

(4) انظر "مخطوطة واضح البيان": ورقة رقم 1

(5) الفحل الفكي الطاهر: مرجع سابق، ص112، وللمزيد عن ترجمة الأمير "عبدالله جماع" انظر ملحق الدراسة، رقم 16، ص255

(6) يوسف فضل حسن: تاريخ الممالك الإسلامية، ص35

(7) يوسف فضل حسن: المرجع السابق، ص36، وانظر أيضا كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص177

(ب)- الجُهنيون وتأسيس مدينة أربجي (880هـ/1474م):

ولعل من أهم الأعمال الحضارية التي قام بها الجُهنيون في مملكة علوة قبل انهيارها إقامة مدينة تجارية تُدعى "أربجي" Arbagi سنة 880هـ/1474م، وهي تقع غرب النيل الأزرق قرب تخوم هذه المملكة ([1]). ويعني اسمها بالنوبية "بلاد العرب" ([2]). وهو ما يؤكد أن العرب هم بُناتها، وتحديداً عرب جُهينة الذين صار لهم الحكم في تلك البلاد. وفي أيام الفونج صارت مدينة أربجي مقراً لجُهينة خاصةً الرفاعيين منهم ([3]). وتقع أطلالها شمالي مدينة رفاعة حالياً ([4]). وتمثل مدينة أربجي الحد الفاصل بين تخوم قبائل الفونج وأمراء العبدلاب، وعنها يقول الرحالة كركوكي ([5]): "وإلى شماليها خرائب أربجي الشهيرة التي خُربت في عهد الملك عدلان الثاني، تاسع عشر ملوك سنار.." ([6]).

واشتهرت أربجي أيضا بتجارة الرقيق ([7]). ومما لاشك فيه أن تأسيس أربجي يعد من المظاهر الحضارية العربية المهمة في علوة، وكانت الغاية من ذلك اتخاذها مركزاً للعرب حتى سقوط مملكة علوة ([8]). وتعد "مخطوطة أربجي" من أهم الوثائق التي تحدثت عن المدينة وتاريخها ([9]). وتذكر الروايات أن مؤسسها "حجازي بن معين" ([10]). ويقال إن أصله من جُهينة ([11]). وتقول مخطوطة "الفكي حسن ود محمد عيسى الجليلابي": "إن حجازي معين، وهو عم عبدالجليل (جد الجليلاب) مؤسس أربجي حوالي سنة 1475م.." ([12]).

---

(1) للمزيد عن تأسيس مدينة أربجي، انظر مخطوطة كاتب الشونة: ص4، مخطوطة الفكي حسن ولد محمد عيسى الجليلابي (انظر Macmichael: A History of the Arabs, Vol. II , P . 139).

(2) محمد أمين: العبدلاب،ص201،عن أربجي انظرملحق رقم17، ص256 وشكل26 مخطوطة ودضيف الله، ص279

(3) Macmichael: A History of the Arabs, Vol. I , P . 240

(4) مهري كركوكي: رحلة مصر والسودان، ص342، كما تقع أطلال مدينة أربجي أيضاً قرب المسلمية غرب النيل الأزرق (انظر محمد أمين: العبدلاب، ص192، هامش رقم "1")

(5) كان الرحالة التركي محمد مهري كركوكي مترجما للغة العربية والفارسية بقلم الترجمة بديوان الخارجية في الباب العالي، كما عمل قنصلا بولاية خوي سابقا، وقام برحلة لمصر والسودان، ذكر فيها مشاهداته لهذه البلاد (للمزيد عن ترجمة هذا الرحالة التركي، انظر كركوكي: رحلة مصر والسودان، ص5)

(6) كركوكي: المرجع السابق، ص 342–343

(7) عبدالعزيز أمين عبدالمجيد: مرجع سابق، ص38

(8) محمد أمين: العبدلاب، ص204

(9) الشاطر بصيلي: معالم تاريخ سودان وادي النيل، ص256

(10) انظر مخطوطة كاتب الشونة: ص4، ود ضيف الله: الطبقات، ص39

(11) انظر ود ضيف الله: كتاب الطبقات، ص40، هامش1

(12) للمزيد، انظر مخطوطة "الفكي حسن ود محمد عيسى الجليلابي":
Macmichael: A History of the Arabs, Vol. II, P. 139

وصارت أربجي عاصمة للعبدلاب الجهنيين قبل أن يؤسسوا مدينة قري ([1]). وكان أول من عُين شيخاً لمدينة أربجي الشيخ "نور ولد رحيمة" سنة 913هـ/1507م ([2]). ومن مشايخ هذه المدينة المشهورين أيضاً "الشيخ شنبول"، وهو الذي تقول عنه إحدى الوثائق: "والشيخ شنبول، ولد نوه شيخ أربجي.." ([3]). وقد أسست أربجي قبل مدينة سنار التي أقامها الفونج بحوالي ثلاثين سنة ([4]). ويرى البعضُ أن تأسيس جُهينة لأربجي كان حدثاً ذا أهمية، فموقعها عند التخوم الجنوبية لعلوة يشير إلى أن العرب كانوا قد عرفوا آنذاك أكثر أراضي هذه المملكة، وبطنوا خفاياها. كما يدل إقامتها على كثرة العرب الذين سكنوا هذه المملكة المسيحية، وأنهم صاروا ينافسون سكانها الأصليين ([5]). وقد اشتهرت مدينة أربجي أيضاً بالعلم إلى جانب النشاط التجاري، وكان بها العلماء والفقهاء، وتذكر مخطوطة "كاتب الشونة" أن علم التوحيد والتجويد انتشر في الجزيرة فأخذ القرآن عن الشيخ التلمساني كل من عبد الله الأغبش، ونصر والد الفقيه أبي سنينة بأربجي ([6]). ولعل إقامة أربجي كمركز تجاري يشير لزيادة النشاط الاقتصادي الذي قام به عرب جُهينة في علوة. وحسب البعض فإن تدهورالمدينة بعد ذلك (سنة 1040هـ/1631م) كان علي يد ملوك سنار ([7]). كما دُمرت أيضا خلال الحرب بين أبناء لقلق Likeilik وحلفائهم القدامى ([8]). كما أنها خربت أيضاً علي يد "الشيخ الأمين" شيخ قري عاصمة العبدلاب بعد ذلك، ويقال إن ذلك كان لشرٍ قصده لأهل أربجي ([9]). وارتبطت هذه المدينة تاريخياً بمعركة تدعى "معركة أربجي" (910هـ/1504م)، وقد اختلفت الروايات حول طرفيها، حيث قيل إن طرفيها حلف عبدالله جمَّاع وعمارة دونقس ([10]) ضد ملوك علوة (العنج). وقيل إنها وقعت بين العبدلاب والفونج، وهو ما سنقوم بمناقشته بعد ذلك.

---

(1) محمد أمين: العبدلاب، ص202

(2) الشاطر بصيلي: معالم تاريخ سودان وادي النيل، ص256

(3) وللمزيد، انظر وثائق الفونج والأرض، مصدر سابق، ورقة12

(4) انظر مخطوطة كاتب الشونة: ص4

(5) محمد أمين: العبدلاب، ص202

(6) مخطوطة كاتب الشونة: ص5-6

(7) الشاطر بصيلي: مرجع سابق، ص258

(8) وقعت تلك الحرب سنة 1784م، ويشير البعض إلى أن هؤلاء الحلفاء القدامى: ملك الفونج ومانجيل قري (أي أمير العبدلاب) (للمزيد عن ذلك، انظر K. Henderson: Fung Origins , P. 153).

(9) محمد إبراهيم أبوسليم: الفونج والأرض، شعبة أبحاث السودان، جامعة الخرطوم، 1967م، ص42

(10) عمارة دونقس: ويعرف أيضاً باسم "عميرة"، وكان يلقب باسم دونقس، وهي كلمة يونانية الأصل، مشتقة من لفظ "دو" Djon، ولفظ "ينجوس" (نقس) Negus، ويعني: النجاشي، وهو لقب ملوك الحبشة القدامي، وعلي هذا فاسم دونقس يعني: النجاشي العظيم (الشاطر بصيلي: مرجع سابق، ص70، هامش1). وتصفه مخطوطة السمرقندي بأنه "ملك الشمس والظل" إشارة لعظم ملكه (انظر مخطوطة السمرقندي: ورقة 33)

(جـ)- عبدالله جمَّاع وتأسيس مدينة قري:

كان عبدالله جمَّاع (شيخ العبدلاب) يرى أن له الحق في أن يحكم بلاد العُجم في سودان وادي النيل، وتحديدا مملكة علوة ([1]). ونظراً لمكانته في تاريخ جهينة بالسودان، فإن القواسمة ورفاعة صاروا يُعرفون بـ"العبدلاب"، وهي تسمية تعني "آل عبدالله (جمَّاع)"، فمقطع "آب" الذي يوجد في أسماء الكثير من عرب السودان يعني "عائلة" أو "قبيلة" ([2]). وهو صيغةٌ حامية، اقتبسها العرب بالسودان، واستعملوها لسهولتها ([3]). وكان التأثير الحامي قوياً في شرقي السودان حتى النيل، لكنه لم يكن بذات القوة في غربي النيل، إذ لا نرى "صيغة آب" بكثرة هناك ([4]). وعلى هذا فالعبدلاب هم "آل عبدالله جمَّاع"، كما يُطلق عليهم أيضاً "بني عبداللاب" ([5]). وقد مات الأمير حيدر بن حمد بن الأمير رافع بن الأمير عامر سنة 890هـ/1485م. وكان هذا الأمير يُعرف بـ "قائد القبائل القحطانية" ([6]). والراجح أن ذلك كان في أرض علوة، ويُقصد من ذلك أنه كان أميرا على جُهينة وباقي قُضاعة، فحسب الروايات السودانية، فإن القُضاعيين من قحطان، وليسوا من عرب عدنان.

ثم صارت الزعامة بعد الأمير حيدر إلى الأمير "عبدالله القرين بن فرج بن حمد ابن الأمير رافع بن الأمير عامر" ([7]). وهذا الأمير هو ذاته "عبدالله جمَّاع" زعيم القواسمة. ويعرف أيضا بـ"عبدالله القُريناتي" ([8]). وقد علا شأن عبدالله جماع بين كافة العرب، حتى أنه كان يُنعت بأنه "ريس عموم قبائل العرب بالسودان" ([9])، كما كان يوصف بأنه "أقوى الزعماء المحليين" ([10]). وهو ما يشير إلى أنه لم يكن زعيما لجُهينة فحسب، ولكن لباقي القبائل العربية أيضاً. كما يوصف بـ"عبدالله القرينائي القاسمي أبي عجيب الكافوتة" ([11]). وكان عبدالله جمَّاع وزيرا لملك العنج (أي ملك علوة) بمدينة قري مدة ملكهم ([12]). وهو ما يشير إلى مكانة هذا الرجل في "مملكة علوة" قبل سقوطها.

---

(1) الفحل الفكي الطاهر: تاريخ وأصول العرب بالسودان، ص112

(2) محمد أمين: العبدلاب، ص192-193
(3) محمد عوض محمد: السودان ووادي النيل، ص49
(4) المرجع السابق، ص49
(5) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام، ص4　(6) الفحل الفكي: مرجع سابق، ص112
(7) المرجع السابق، ص112
(8) مخطوطة كاتب الشونة: ص129، والقريناتي أو القورنياتي نسبة للقب الذي اشتهر به، وهو "القرين"
(9) يوسف فضل حسن: تاريخ الممالك الإسلامية، ص28
(10) الشاطر بصيلي عبدالجليل: معالم تاريخ سودان وادي النيل، الطبعة الأولي، القاهرة، 1955م، ص70، مصطفي مسعد: امتداد الإسلام والعروبة، ص70　(11) مخطوطة كاتب الشونة: ص7
(12) يوسف فضل حسن: تاريخ الممالك الإسلامية، ص28

ويذكر مؤلف "واضح البيان" أن عبداالله جماع استطاع بما أُوتي من الرأي السديد، والغيرة على الدين، أن يستميل جميع العرب بالسودان، وأن يوحد كلمتهم تحت زعامته ([1]). وكان أمامه تحد كبير لمحاربة ملوك علوة المعروفين باسم "العنج"، لظلمهم وبطشهم بالعرب، وكان عليه أن ينقذهم مما كانوا فيه من البؤس والاضطهاد ([2]). كما تذكر المخطوطة أن قبائل العرب بالسودان بايعوا الأمير عبداالله جماع على محاربة ملوك العنج ([3]). أما عن أصل هؤلاء "العنج" Anag فهم جماعات من ذوي البشرة السوداء سكنوا غربي وشرقي مدينة سوبة، وصار لهم الحكم في مملكة علوة ([4]). وفي الغالب، كان ملك العنج هو ملك أقوى أقاليم مملكة علوة، وكان يخضع له ملوك الأقاليم الآخرين.

وقد استقر عبداالله جمَّاع في مدينة "قِرّي"، واتخذ منها مقراً لإمارته، وصارت لهذا الأمير الزعامة على كافة العرب الذين سكنوا المنطقة من قري حتى حنك شمال دنقلة ([5]). وحسب المصادر فإن عبداالله جمَّاع هو الذي شاد مدينة "قري"، حيث تقول مخطوطة "كاتب الشونة": "وأن عبداالله جمَّاع كذلك اختط مدينة قري التي عند جبل الرويان بالشرق، وجعلها كرسي مملكته.." ([6]). وقد وردت هذه المدينة كثيرا في الوثائق السودانية، ومنها "وثائق الفونج"، حيث ذكرت فيها موصوفة بأنها: "بندر قري المحروسة المحمية.." ([7]).

---

(1) مخطوطة "واضح البيان": ورقة1.
(2) المصدر السابق، ورقة1.
(3) المصدر السابق، ورقة1.
(4) للمزيد عن العنج وأصلهم، انظر مخطوطة "واضح البيان": ورقة1، وكذلك مخطوطة "تاريخ مختص بأرض النوبة"، ورقة17، وانظر K.D.D. Henderson: Fung Origins , S.N.R., Vol. 18, No. I, University of Khartoum , 1935 , P. 149

(5) انظر مخطوطة كاتب الشونة: ص129، وانظر أيضا الشاطر بصيلي عبدالجليل: معالم تاريخ سودان وادي النيل، ص 70، مصطفي مسعد: امتداد الإسلام والعروبة، ص90، وتكتب مدينة "قري" بكسر القاف، وكسر الراء مع التشديد (انظر حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام، ص153).

(6) انظر مخطوطة كاتب الشونة: ص129، وانظر أيضا عبد الكريم الخطيب: تاريخ جُهينة، ص29.

(7) وثائق الفونج والأرض (وثائق تمليك)، تحقيق: د.محمد إبراهيم أبو سليم، شعبة أبحاث السودان، جامعة الخرطوم، 1967م، ورقة رقم 70، كما تقول عنها إحدي الوثائق: "فهذه حجة قطعية، ووثيقة عرفية، محررة مرضية لدا شيخ قري المحروسة، المحمية، أجلها الله تعالي، لدا متوليها وبن متوليها.." (وثائق الفونج والأرض، المصدر السابق، ورقة رقم 72، واشتهر من شيوخ قري ممن ورد ذكرهم في الوثائق السودانية، الشيخ الأمين ولد مسمار، شيخ قري (انظر وثائق خليفة الشيخ خوجلي: دار الوثائق المركزية، الخرطوم، مطبوعات/22، 1965م، وثيقة رقم 33، تاريخها 7 جمادي الأولي 1179، وانظر وثيقة رقم (33) سنة 1329م، انظر صورة إحدى هذه الوثائق في ملحق الدراسة، شكل 19، ص273.

وكان العبدلاب بعد عبدالله جمَّاع قد انتقلوا لـ "حلفاية الملوك"، وتوزعت جماعاتٌ منهم على ضفاف النيل الأزرق، وتركزوا في المنطقة بين رفاعة والموقع الذي تشغله حاليا مدينة الخرطوم ([1]). وتعد مخطوطة "تاريخ ملوك العبدلاب المقيمين بمدينة قري المحروسة ونواحيها" من أهم الوثائق التي تحدثت عن مدينة قري، وتاريخها، وملوكها ([2]). وكان الأمير عبدالله جمَّاع لما أراد أن يوحد العرب لمحاربة ملوك علوة، جمع قومه من عرب جُهينة، وقال لهم: "نحن أحق بالبلد، لأنه دخل أجدادنا مع الأمير خالد بن سعيد، ودخلوا مع الأمير عبدالله بن سعد..وكانوا قوة جيش ابن الجهمي، وسحنا في البلاد بأموالنا ونسائنا من عهد القمي نحن ورجالنا وخيولنا، فتحنا سوبا، وخربنا الكنائس.." ([3]).

ولعل عبدالله جمَّاع أراد بذلك أن يبُث الحماسة في قومه، وأن يُحفزهم على نصرته، وتأييده فيما يريد أن يفعل، فأخذ يذّكرهم بما قام به أجدادهم الجُهنيون الأوائل منذ بدايات الفتح العربي، ودورهم في فتح البجة والسودان، وأنهم كانوا أكثر القبائل التي رافقت الجيوش الإسلامية المتعاقبة منذ الفتح وحتى أيامه، وهم الذين جاهدوا، وعملوا على رفع راية الإسلام في البلاد التي فتحها المسلمون حتى استقروا بها، ثم صاروا قوماً أولي قوة، ويُحسَب حسابهم.

ويبدو أن العلاقة بين جُهينة والجعليين، وهم من بني العباس بن عبدالمطلب، لم تكن ودية في ذلك الوقت، ولهذا أراد عبدالله جمَّاع أن يحاربهم. فلما أخبر قومه بما ينوي فعله، أشاروا عليه أن يتروى في الأمر، فالجعليون قوم أشداء، وحربهم ليست أمراً هيناً. ولهذا تقول الرواية أيضاً من حديث عبدالله جمَّاع لقومه: "والجعليين أتوا بعدنا، والآن بيدهم الجزائر الخصبة، وامتلكوا البلاد حتى دنقلا، لابد أن أحاربهم وأجليهم من البلد.." ([4]). ثم قال له قومه محذرين من مغبة ما يفكر فيه: "هذا صعب علينا، وتهلك القبائل، ويعود الزنوج إلى ملك البلاد.." ([5]). ولعل هذا القول

يحمل إشارة مهمة إلى أن هذا الذي تذكره هذه الرواية كان بعد أن صارت الإمارة للعبدلاب، وبعد سقوط مملكة علوة، أو الزنوج حسب الرواية.

---

(1) الخطيب: تاريخ جهينة، ص29

(2) وتؤرخ هذه المخطوطة إلي حوالي سنة 1915م، وهي تتكون من خمس وثلاثين صفحة، وقد ذكر مؤلفها أنه كتبها بناء علي توجيه ممن لا يسعه أن يخالفه، ويعتقد أن الذي حمله على كتابة هذه المخطوطة هو السيد علي الميرغني. وقد اعتمد مؤلف المخطوطة في الأخبار التي يذكرها في مخطوطته على الروايات التي سمعها من الكبار المتقدمين ممن ينتسبون لقبيلة العبدلاب (وللمزيد عن تلك المخطوطة ومؤلفها، انظر يوسف فضل حسن: دراسات في تاريخ السودان وأفريقيا وبلاد العرب، جـ2، دون تاريخ، ص47).

(3) الفحل الفكي الطاهر: تاريخ وأصول العرب بالسودان، ص113

(4) المرجع السابق، ص113،

(5) المرجع السابق، ص113

خامساً- تحالف عبدالله جمَّاع مع الفونج ضد ملوك علوة:

وكان عبداالله جمَّاع رجلاً شجاعا قوياً، وكان ذا طموحات كبيرة لإعلاء شأن عرب جُهينة في سودان وادي النيل ([1]). وكان حلمه أن يقضي على مملكة علوة المسيحية، وأن يقيم بدلا منها إمارة عربية يحكمها الجُهنيون، وتحديداً من القواسمة. وكانت لديه قناعة بأن ذلك حقاً أصيلاً لقومه أكثر من غيرهم من سائر القبائل العربية، نظراً لدورهم الكبير الذي قاموا به خلال حقبة الفتوحات الإسلامية في مصر وسودان وادي النيل ([2]). وكان عبداالله جمَّاع تولى منصبا رفيعا في مملكة علوة، حيث صار وزيراً لملك العنج، وهو ملك علوة، وكان يُعد زعيما لقبائل العرب بالسودان ([3]). والعنج كانوا يسكنون إحدى الممالك أو المقاطعات التي تتبع علوة، والراجح أنهم كانوا يعيشون في غربي وشرقي العاصمة سوبة ([4]).

وتذكر مخطوطة "أحمد بن الفكي معروف" أن "شعب لولو" وبقايا الأمويين هم من أحياء الهمج، ثم تصاهروا، ومنهم جاء شعب الفونج ([5]). ويذهب البعض إلى أن قبائل "الهمج" كانوا من رعايا الفونج في الجزيرة فيما بين النيل الأزرق والنيل الأبيض ([6]). بينما يشير آخرون إلى أن لفظ "الهمج" يدل على السكان الوطنيين للمنطقة الجبلية التي تقع غرب وجنوب فازوغلي، وهي التي عُرفت باسم "دار الفونج"، وذلك بعد أن بسط الفونج نفوذهم عليها. ومن أشهر سكانها: المابان، وجم جم، والبرتا، ومركز بلادهم "جبل كيلي" ([7]). بينما يعتقد آركل Arkell أن "العنج" كانوا في الأصل من قبائل "الطوارق الشرقيين" Eastern Tuareg ([8]). ويعتقد أن اسمهم في العربية السودانية يشير إلى معنى "الشرق" ([9]). وعلى أية حال كان العنج أقوى القبائل في علوة،

وهم أصحاب القوة والسلطة على باقي الأقاليم، ومن ثم لما تحدثت المصادر السودانية عن ملوك علوة، ذكرتهم باسم "العنج"، أو "ملوك سوبة" ([10]).

---

(1) مخطوطة واضح البيان: ورقة1، الفحل الفكي: المرجع السابق، ص12.

(2) الفحل الفكي: المرجع السابق، ص12–13.

(3) يوسف فضل: تاريخ الممالك الإسلامية، ص28.

(4) K. Henderson: Fung Origins , P . 149، كما كانت تسكن في تلك المنطقة أيضاً جماعات من "التوروج" Turug، و"النوبة"، أو "الهمج" Hamag، إضافة إلى جماعات أخرى من "الأحباش" ممن كانوا يعرفون باسم "الشنجالا" Shengala (Henderson: Fung Origins , P . 149).

(5) انظر هذه المخطوطة Macmichael: A History of the Arabs, Vol. II, P.346

(6) Henderson: Op. Cit, P.151

(7) يوسف فضل: تاريخ الممالك الإسلامية: ص42.

(8) A. J. Arkell: The history of Darfur , Part IV , S. N. R. , Vol. 33 , No. 2 University of Khartoum , 1952 , P. 263

(9) Ibid , P. 263

(10) انظر واضح البيان: ورقة1، مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة17.

وكان تراود عبدالله جمَّاع فكرة التحالف مع الفونج لمحاربة ملوك علوة، ولهذا أخذ جمَّاعة من أتباعه، وذهب لـ "جبال البرون"، واجتمع مع ملك الفونج، وهوّنَ له أمرهم، وتحالف الإثنان اليمين ليكون المُلك لعمارة دونقس وأولاده، وتكون قيادة الخيول وجباية الأموال لعبدالله جمَّاع وأولاده ([1]). ويرى البعضُ أن قبائل الفونج قدمت من الجنوب بقيادة الملك عمارة، ثم سكنوا الجزيرة بين النيلين الأزرق والأبيض ([2]). وقد اختلف في أصلهم، وهل كانوا عرباً، أم من الشلوك، أم كانوا في الأصل من بلاد البرنو ؟ ([3]). وقد أسس الفونج مملكة صغيرة في منطقة "لولو"، ثم انتقلوا شمالاً إلى "جبل موية" غربي سنار ([4]).

وعلى أية حال تحالف العرب والفونج لإسقاط مملكة علوة، يقول مؤلف "كاتب الشونة": "واتفق عمارة المذكور مع عبدالله جمَّاع..وتمت كلمتهم علي محاربة النوبة، وهم العنج ملوك سوبة وملوك القرى. وحاربوا ملوك العنج.." ([5]). وعرف هذا التحالف باسم "الحلف السناري" ([6]). وهو ما يذكرنا أيضاً بالأحلاف العربية التي قادتها قبيلة جُهينة ضد سلاطين المماليك خلال وجودهم في الصعيد. ويشير هندرسون Henderson إلى أن جماعات من الشلوك (أو الشلك) كانوا قد جاءوا من منطقة النيل الأبيض، ثم تحالفوا مع زعماء العنج (ملوك علوة) الذين كانوا يسكنون مدينة سوبة لمحاربة هؤلاء البدو العرب ([7]).

---

(1) الفحل الفكي الطاهر: ص113، وانظر آدامز: النوبة رواق أفريقيا، ص474، انظر ملحق18، ص265

(2) عبدالمجيد عابدين: قبائل من السودان الأوسط، ص13

(3) أصل الفونج: قيل: إنهم سلالة عربية أموية هربت من اضطهاد العباسيين، ثم قدموا للحبشة أولا، ثم رحلوا للسودان الشرقي وتصاهروا مع ملوك هذه البلاد. وقيل: جاءوا من البرنو غربي بحيرة تشاد وجنوب الصحراء، وسرعان ما ظهر نفوذ الفونج بين الوثنيين الزنوج، وهم الشلك الذين كانوا يعبدون الأشجار. وقيل: كانوا شعبة من الشلك (انظر مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة: ورقة17، مخطوطة كاتب الشونة: ورقة4، مخطوطة واضح البيان: ورقة1، وانظر أيضا حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ص154، عون الشريف قاسم: موسوعة القبائل والأنساب في السودان، جـ4، ص1812 – 1813، مصطفي مسعد: امتداد العروبة والإسلام، ص90، وللمزيد انظر أيضا: Henderson: Fung Origins , P. 149، وعن الفونج في "رواية ودضيف الله"، انظر ملحق20، ص257 وشكل 26، ص279

(4) محمد أمين: العبدلاب، ص206، ويري البعض أن اسم الفونج ليس إلا اصطلاحا سياسيا يشير إلى السيادة علي مدينة سنار، وغيرها، وهو لايدل علي جنس، أو عرق، أو حتي ثقافة (انظر حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام، ص154). وقد وردت سنار في وثائق الفونج باسم "سنار المحروسة، المحمية، أجلها الله تعالى.." (وثائق الفونج والأرض، ورقة رقم 59).

(5) انظر مخطوطة كاتب الشونة: ص129

(6) محمد أمين: المرجع السابق، ص206

(7) Fung Origins , Op. Cit, P . 150

وحسب إحدى الروايات، أنه لما تطاول ملوك العنج على ظلم العرب، اتفق عبدالله جمَّاع مع بني العباس على إزالة هؤلاء العنج الظالمين. واتفق العرب على محاربتهم تحت قيادة عبدالله جمَّاع، ثم تحالفوا مع الفونج بعد ذلك لذات الغاية ([1]). وربما يخالف هذه الرواية ما أورده الفحل الفكي الطاهر من أن عبدالله جمَّاع كان قد أراد محاربة الجعليين، لأنهم كانوا قد امتلكوا البلاد حتى دنقلة، كما أن الجزائر الخصبة صارت تحت سلطانهم ([2]). ويرى الباحث أن الرواية التي أوردها الدكتور يوسف فضل حسن آنفا والتي تشير لتحالف عرب جُهينة مع الجعليين، وأنه لم تكن بينهم في ذلك الوقت ثمة عداوة، أو ربما كانت الأمور غير ودية، لكنهم اتحدوا ليحاربوا أعداء العرب، ومن ثم غلب الطرفان مصالح العرب كافة على المصالح القبلية الضيقة.

بينما تشير مخطوطة "واضح البيان" إلى أن عبدالله جمَّاع تمكن من توحيد العرب في السودان، وسلك بهم طريق الرشاد، وأنقذهم مما كانوا فيه من اضطهاد ملوك علوة ([3]). كما تذكر المخطوطة أيضا أن القبائل العربية بايعت عبدالله جمَّاع على محاربة العنج. ثم بدأ العرب تحت قيادته هذه الحرب، وصارت مدن علوة تتساقط الواحدة تلي الأخري ([4]). لكن العرب أدركوا أنه من الأفضل لهم أن يتقاربوا مع ملك الفونج "عمارة دونقس"، واتفق الطرفان على أن يمد الفونج حلفاءهم العرب بالعساكر اللازم، ثم تجهز العرب وحلفاؤهم بجيوش جرارة لمحاربة العنج ([5]). ثم تذكر مخطوطة "واضح البيان" أن عبدالله جمَّاع "جالدهم في عدة وقائع..حتى انتصر عليهم". ثم

تمكن من السيطرة على أجزاء كبيرة من هذه البلاد. وكان قائد العنج في ذلك الوقت يُدعي "حسب الله" ([6]).

وعلى أية حال تحاول هذه المخطوطة إبراز دور العبدلاب في إسقاط علوة رغم أن الفونج أمدوهم بالجنود. وربما تحمل تلك الرواية مبالغات لا تخفى على أحد، إذ أراد المؤلف أن يبرز دور العبدلاب في سقوط علوة، وأنه كان أكثر مما قام به الفونج. وحسب البعض، فإن عمارة دونقس جمع رجاله في جبل مويا (موية)، ثم تحالف مع عبدالله جمَّاع وأصحابه لإخضاع ملك العنج وملك الغرب، ثم دارت رحى المعركة الحاسمة في أربجي ([7]).

---

(1) للمزيد عن هذه الرواية، انظر يوسف فضل حسن: تاريخ الممالك الإسلامية، ص28
(2) الفحل الفكي: مرجع سابق، ص113
(3) مخطوطة واضح البيان: ورقة رقم 1
(4) المصدر السابق، ورقة رقم 1
(5) المصدر السابق، ورقة رقم 1
(6) المصدر السابق، ورقة رقم 2
(7) مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص193-194

ومما لاشك فيه أنه بسبب عدم رضاء العرب عن حكم العنج، وعدم قناعتهم بدوام الحال على ما هي عليه، لأنهم استبدوا بالحكم، وأساءوا معاملة العرب، ولم يُظهروا العدل. ولهذا أدرك عرب جُهينة أنه لابد من التخلص من حكمهم ([1]). كما أدركوا أنه لابد من إقامة تحالف عربي ضد ملوك العنج لإسقاطهم. وفي رأي هندرسون Henderson ، فإنه لسبب ما اقتنع العرب (أي عرب جهينة) بالاعتراف بسيادة قبائل الشلوك، وهم الفونج حسب رأيه، على أن يكون ذلك مشروطا بأن يعتنقوا الدين الإسلامي، كما اعتنق الإسلام أيضا رعاياهم من "الهمج" Hamag ([2]). ويرى البعض أن التحالف الذي تم بين العرب والفونج في ذلك الوقت يشبه ما يُطلق عليه "الحلف الإتحادي"، وأن التحالف تدّرج في عدة مراحل، ثم أخذ إطاره النائي آواخر القرن 9هـ/15م ([3]). وحسب الرأي الذي يأخذ به البعض بما يعرف بـ"الأصل الزنجي" لشعب الفونج، فإنهم لما تحالفوا مع أمراء العبدلاب اعتنقوا الإسلام، واختاروا أن يسموا أنفسهم بذات الإسم الذي أطلقوه على العرب، وهو "الغرباء" Strangers ([4]).

وفي رأي هؤلاء أن قبائل الشلوك (ويقصد بهم الفونج) أدركوا أنه من الأفضل لهم أن يغيروا من أسمائهم، وأن يحملوا ذات الأسماء التي يسمي بها العرب أنفسهم "وعلى هذا استولي حكام أسرة الفونج Fung Dynasty على الجزيرة Gezira، واختاروا أن يعتنقوا الإسلام، وكذلك الحال بالنسبة لرعاياهم من جماعات الهمج" ([5]). ويرى الباحث أن "المصالح" أو

"المنفعة"، حسب أصحاب هذا الرأي، كانت من أهم الدواعي التي جعلت الفونج يعتنقون الإسلام، لتكون لهم الزعامة على كافة العرب القاطنين في مملكة علوة، وذلك بعد أن تسقط تلك المملكة المسيحية. كما يبدو من ذلك الرأى أيضاً أن عرب جُهينة قنعوا بأن تكون السيادة للفونج عليهم بشرط أن يعتنقوا الإسلام، وهي "غاية نبيلة" تُحسَب لهم دونما ريب، إذ إنهم آثروا مصلحة الدين وانتشاره فى ربوع تلك البلاد، وبين شعوبها من العجم غير المسلمين على مصالح قبيلتهم الضيقة، حتى لو أدى ذلك ألا تكون لهم الزعامة في تلك البلاد كما كان حالهم في الماضي، وهو ما يؤكد الدور الكبير الذي لعبه عرب جُهينة في نشر الإسلام في بلاد النوبة.

---

(1) مخطوطة واضح البيان: ورقة1، انظر خريطة الديار القبلية التي تكون منها "الحلف السناري"، رقم 7، 242

(2) Henderson: Op. Cit. , P . 150

(3) الشاطر بصيلي: مرجع سابق، ص70

(4) Henderson: Op. Cit. , P . 151

(5) Ibid , P. 151

(أ)- الفونج وإشكالية الأصل الجُهني:

وثمة رأيٌ يذهب إليه البعض من الباحثين فيما يخص قبائل الفونج، وأصلهم، وموطنهم الأول، ومن أي البلاد جاءوا إلى سودان وادي النيل ؟ حيث يذهب أصحاب ذلك الرأي إلى أنهم، على الراجح، من أصل عربي، وأنهم كانوا تحديدا من إحدى الجماعات التى تنتسب إلى قبيلة جُهينة. ثم يشير أصحاب ذلك الرأي إلى أن هؤلاء الفونج هم الذين تحدث عنهم المؤرخ "ابن خلدون" في روايته، وقال إنهم كانوا قد بلغوا تخوم بلاد الحبشة ([1]).

ويُعد الدكتور يوسف فضل حسن ممن يؤيدون القول بهذا الرأي الآنف، حيث إنه يستبعد ما يذهب إليه بعض الباحثين حول أصل الفونج، وتحديدا بما يُعرف بـ "الأصل الأموي"، أو حتى "الأصل الهلالي" لقبائل الفونج، وهو يعتقد أن هؤلاء الفونج في الأصل كانوا جماعات عربية من قبيلة جُهينة ([2]).

وعن ذلك الرأي، يقول الدكتور يوسف فضل حسن: "ويبدو لي أن الروايات الوطنية ممثلة لذكرى صلة بين سكان جبل الفونج وبين العرب (أو المسلمين)...وربما كان الفونج، وهو رأيٌ أميلُ إلى ترجيحه، فئةً من عرب جُهينة الذين أشار إليهم ابن خلدون، وقال إنهم بلغوا أطراف الحبشة.." ([3]).

ويرى الباحثُ أن هذا الرأي الذي يذهب إليه الدكتور يوسف فضل حسن على ما فيه من غرابة، إلا أنه في ذات الوقت يستحق التوقف عنده لما يحمله من دلالة تاريخية مهمة، ربما

تُغير الكثير من الحقائق التاريخية لدى كثيرين من الدارسين حول أصل قبائل الفونج، وموطنهم الأول، أو حتى ارتباطهم بالهجرات العربية إلى بلاد النوبة وسودان وادي النيل، خاصة هجرة قبيلة جُهينة وبطونها التي كان لها تأثير واضح في تغيير مجرى الأحداث التاريخية في هذه البلاد، هذا إضافة إلى قيمة صاحب هذا الرأي، ومكانته بين أهل هذا التخصص.

---

(1) حيث يقول ابن خلدون: "وبالصعيد الأعلي من أسوان، وما وراءها، إلى أرض النوبة إلى بلاد الحبشة قبائل متعددة وأحياء متفرقة، كلهم من جُهينة إحدى بطون قُضاعة، ملؤوا تلك القفار، وغلبوا النوبة على مواطنهم وملكهم، وزاحموا الحبشة فى بلادهم، وشاركوهم فى أطرافها.." العبر: جـ6 ، ص7-8، للمزيد عن الفونج انظر ملحق رقم 20، ص257

(1) مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية: ص47

(3) المرجع السابق، ص47

(ب)- سقوط مملكة علوة:

نتحدث هنا عن سقوط مملكة علوة المسيحية، ودور الجُهنيين في ذلك، ومن ثم سيادة العرب على تلك البلاد. وتُعد "معركة أربجي" مرحلة حاسمة في الصراع بين العبدلاب وملوك علوة، بسبب ما ترتب عليها من نتائج مهمة في تاريخ هذه القبيلة، واستقرارها في سودان وادي النيل، ثم سقوط هذه المملكة بعد ذلك. وقد اختلفت الآراء حول تلك المعركة، وطرفيها، والسنة التي وقعت فيها، وهي تؤرخ حسب البعض لسنة 910هـ/1504م ([1])، وقيل غير ذلك. وتصف بعض المصادر الجيش الذي قاده عبدالله جماع بأنه "جيوش جرارة"، وهو ما يشير لقوة واستعداد العرب وحلفائهم ([2]). وعن ذلك تقول مخطوطة "واضح البيان": "واتفق الطرفان على أن يمد مَلك (أي ملك) الفونج عبدالله جماع بقوة من عساكره.." ([3]). ثم تتحدث المخطوطة عن قوة الجيش قائلة: "ثم تجهز عبدالله جماع بجيوش جرارة من قبائل العرب، وتقدم لحرب العنج بهذا الجيش العظيم.." ([4]). بينما أشارت مخطوطة سودانية أخرى عن ذلك الجيش دون وصف قوته، أو عدته: "توجه عمارة دونقس وعبدالله جماع بما معهم من الجيش، وحاربوا ملوك علوة.." ([5]). أما مخطوطة "كاتب الشونة": "وتمت كلمتهم على محاربة النوبة، وهم العنج، فتوجه عمارة وعبدالله..وتوجهوا إلى القرى.." ([6]). وفيما يقال إن عبدالله جمَّاع اشترك في هذه المعركة بجيش عدته حوالي 70 ألف مقاتل. ويشير هذا العدد لقوة جيشه، وهو الأمر الذي تؤكده أيضا المصادر السودانية، ولا ندري إن كان هذا العدد المقصود به الجيش العربي وحده دون الفونج، أم أنه يعني كليهما معا. والراجح أنه كان يخص العرب فحسب. أما جيش العنج، فالمؤكد أنه لم يكن قليل العدة، لأنهم كانوا يدركون أن هذه المعركة حاسمة لوجودهم، ومن ثم فهي حرب

مصير، وأن بقاء ملكهم يتوقف على نتيجتها. وإن لم تذكر لنا الروايات عدتهم تحديدا، غير أننا نستدل على قوة هذين الجيشين المتحاربين من خلال وصف البعض لكل منهما بالقول: "كانت جيوش الفريقين لا تحصر بالعدد.." ([7]).

---

(1) انظر مخطوطة واضح البيان: ورقة1، مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة: ورقة17، مخطوطة كاتب الشونة: ص7، محمد أمين: العبدلاب، ص208 – 210، حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام، ص155، مصطفي مسعد: امتداد العروبة والإسلام، ص90، يوسف فضل حسن: تاريخ الممالك الإسلامية، ص29

(2) مخطوطة واضح البيان: ورقة1

(3) المصدر السابق: ورقة1

(4) المصدر السابق: ورقة1

(5) مخطوطة مختص بأرض النوبة: ورقة17

(6) يوسف فضل: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية، ص28

(7) المرجع السابق، ص28

والمؤكد أن لدينا روايات متناقضة حول "معركة أربجي"، وطرفيها، فمن يطالع الروايات المختلفة يجد فيها اضطراباً واضحاً، إذ تشير بعضها إلى أن هذه المعركة كان طرفاها العبدلاب والفونج. بينما روايات أخرى تذكر أنها كانت بين حلف العرب والفونج (الحلف السناري) ضد ملوك علوة (العُنج). وهذا ما تؤكده مخطوطة "كاتب الشونة": "فنزلوا (أي الفونج) من موية، وقطع أشجارها الملك عمارة دونقس..وصار ملكهم بها بعد أن قاتل العُنج مع عبداﷲ القريناتي.." ([1]).

كما يؤكد مؤلف "واضح البيان" أنها كانت بين تحالف العبدلاب والفونج ضد ملوك علوة ([2]). وهي ذات الفكرة التي تؤكدها أيضا مخطوطة "تاريخ مختص بأرض النوبة"، وتأكيد فكرة التحالف ([3]). ويشير الدكتورمصطفى مسعد أيضا إلى أن هذه المعركة وقعت بين تحالف العبدلاب والفونج ضد العنج. وقد بدأ رأيه معتمدا على الوثائق السودانية: "وتذكر المراجع الوطنية أن عمارة دونقس زعيم الفونج جمع رجاله في جبل مويا، ثم تحالف مع عبداﷲ جمَّاع شيخ عرب القواسمة من جُهينة وأصحابه الآخرين علي اخضاع ملك الفنج (العنج)..ودارت معركة أربجي سنة 910هـ، وانتصر فيها الحليفان.." ([4]).

بينما حسب روايات أخرى قليلة كانت الحرب بين كل من العبدلاب والفونج. ومنها ما يذكره بروس Bruce وأخذه عنه آخرون أن العبدلاب كانوا يسيطرون بزعامة "ود عجيب" على النوبة وتحديدا علوة، وأنه دارت معركة قرب أربجي بين العرب والفونج (سنة 910هـ/1504م)، ولأن إنتصار الفونج لم يكن حاسما، تم الصلح، واعترف العبدلاب بالسيادة للفونج، وكان من شروط الصلح أن يحصل العبدلاب على الاستقلال الذاتي لإمارتهم ([5]).

بينما يشير الفحل الفكي الطاهر إلى أن ملك الفونج بعد أن تحالف مع عبدالله جمَّاع، ونزل وأولاده وأتباعه من الجبال وجيوشه الكثيرة العدد، اختط مدينة سنار "ودانت له الجزيرة بدون حرب، وجميع بوادي النيل الأزرق..وذلك بأمر الأمير عبدالله (جمَّاع) ورأيه.." ([6]). وهذا الرأي يؤكد أنه لم تقع حروب أو أي مواجهات بين العبدلاب والفونج في سنة 910هـ/1504م، بل كانت العلاقات يغلب عليها الود والتحالف.

---

(1) انظر مخطوطة كاتب الشونة: ورقة رقم 7

(2) انظر مخطوطة واضح البيان: ورقة رقم 2

(3) انظر مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة: ورقة 17

(4) امتداد الإسلام والعروبة: ص89-90

(5) للمزيد عن رأي الرحالة بروس"، انظر محمد أمين: العبدلاب، ص 210، يذكر د.حسن إبراهيم حسن أن "معركة أربجي" وقعت بين كل من العبدلاب والفونج (انتشار الإسلام في القارة الأفريقية: ص155

(6) تاريخ وأصول العرب بالسودان: ص113

وثمة رأيٌ آخر يذهب إلى أن الضغط الاقتصادي الذي تعرضت له الجماعات العربية التى كانت قد استقرت في مملكة علوة، هو ما جعل الشيخ عبدالله جمَّاع يدعو كافة القبائل العربية إلى التوحد في هذه البلاد تحت قيادته من أجل محاربة ملك العنج الذي كان يظلم العرب الذين يسكنون في بلاده. وحسب هذا الرأي، فقد تمكن ذلك الحلف العربي من إسقاط تلك المملكة، وذلك دونما وجود حاجة إلي التحالف مع ملك الفونج ([1]). وهو ما يشير إلى أن الفونج لم يكن لهم دور في انهيار هذه المملكة المسيحية، وإنما الفضل في ذلك يرجع إلى القبائل العربية وحدها بقيادة عرب جُهينة. وهذا الرأي الآنف ورد في بعض الوثائق السودانية، خاصة تلك التي دونها العبدلاب، أو من كان مواليا لهم.

بينما تذكر إحدى الوثائق السودانية أن الأمير عبدالله جمَّاع كان قد حضر إلى سودان وادي النيل مع بعض المحاربين، ثم أخذ يحارب في مدينة "دنقلة"، عاصمة مملكة المقرة القديمة. ولما وجد جيش العنج في طريقه قاتلهم، وانتصر عليهم. ثم بلغ عبدالله جماع المنطقة التي يجري فيها النيل الأبيض، وهناك تناقلت الأخبار أمره إلى قبائل الفونج بقدومه، ثم حضر العبدلاب إلى مدينة سنار، فطلب الأمير عبدالله جماع من الفونج أن يختاروا ما بين أن يعتنقوا الدين الإسلامي، أو الحرب. فأسلم الفونج، واشترك كلاهما في حكم هذه البلاد ([2]).

ولعل هذه الرواية الآنفة هي ذات الرواية السودانية التي اعتمد عليها المستشرق "هندرسون" Henderson في رأيه الذي ورد آنفا الذي يشير إلى أن أمراء العبدلاب خضعوا لسيادة زعماء الفونج ونفوذهم، بشرط أن يعتنق الفونج الإسلام ([3]). ويعلق الدكتور يوسف

فضل حسن علي هذه الوثيقة السودانية قائلا: "وتُبين هذه الرواية وغيرها من الروايات أن سقوط علوة كان على يد العرب دون سواهم.." ([4]).

---

(1) محمد أمين: العبدلاب، ص208

(2) للمزيد عن هذه الوثيقة، انظر يوسف فضل حسن: تاريخ الممالك الإسلامية، ص31

(3) Henderson: Fung Origin, P. 150

(4) يوسف فضل حسن: المرجع السابق، ص31

وعلى أية حال فإن متن مخطوطة "واضح البيان" يذكر أن جيش العبدلاب والفونج انتصر على جيش العنج، ثم هرب قائد جيشهم إلى مدينة قري، وكانت مدينة حصينة، وكان لها سور عظيم في الجبال، ثم تحصن به، ولحق بجيش الأمير عبدالله جمَّاع العنج بعد ذلك. ثم حاصرهم مدة حتى أعياهم الحصار، وأعلن قائد جيش العنج الاستسلام والخضوع للجيش العربي. ثم تذكر المخطوطة أن كافة بلاد السودان خضعت لعبدالله جمّاع ، ماعدا منطقة تدعي "الصبح"، وهي تقع على ساحل البحر الأحمر، وهي التي سيتمكن ابنه الشيخ "عجيب" من فتحها، وضمها للعبدلاب بعد ذلك ([1]).

وتؤكد الروايات السودانية أن "معركة أربجي" انتهت بانتصار العبدلاب والفونج، ثم هرب ملك العنج إلى نواحي جبال فازوغلي وكردفان. أما من بقي من فلول جيش العنج، فإنهم اختلطوا بالعبدلاب، ثم اعتنقوا الدين الإسلامي ([2]). كما تؤكد مخطوطة "كاتب الشونة" انتصار تحالف العبدلاب والفونج في "معركة أربجي"، حيث تقول: "فقتلوا ملكها، ولما تم لهم النصر على النوبة، استولوا على محلاتهم.." ([3]).

بينما يذهب البعض إلى أن التحالف بين العبدلاب والفونج في حوالي سنة 910هـ/1504م كان قد تم على إثر هزيمة العبدلاب في القتال أمام جيوش الفونج، وكان العبدلاب يسيطرون على مدينة "أربجي"، ثم أرادوا التوسع نحو مناطق الجنوب. وقد أدت هزيمة العبدلاب في هذه الحرب، حسب هذا الرأي، إلى أن يقوم الملك "عمارة دونقس" بنقل مركز العبدلاب إلى مدينة أربجي، ومن ثم صارت عاصمة لهم بعد هذه الحرب، وكانت غايته من ذلك أن يبقي العبدلاب تحت رقابة صارمة من جانب ملك الفونج شخصياً ([4]). وهو الأمر الذي لا تتحدث عنه الروايات السودانية، وخاصة روايات العبدلاب بشكل واضح، حيث تشير أكثر الروايات إلى أن العلاقة كان يجمعها الود بين الطرفين. ويؤيد هذا الرأي ما ورد في

مخطوطة "كاتب الشونة"، حيث تتحدث هذه المخطوطة عن العلاقات الودية التي كانت تجمع بين كل من عبدالله جمَّاع وعمارة دونقس، وخاصة في قولها: "وكان عمارة وعبدالله كالأخوين.." ([5]).

---

(1) للمزيد، انظر مخطوطة واضح البيان: ورقة 2

(2) مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة: ورقة 18

(3) مخطوطة كاتب الشونة: ص129، وانظر عون الشريف قاسم: موسوعة القبائل والأنساب في السودان: جـ4، ص1812، وانظر محمد غيطاس: النوبة، ص122

(4) كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص185

(5) مخطوطة كاتب الشونة: ص129

بينما يذكر البعضُ أن أمراء العبدلاب بعد أن ألمت بهم الهزيمة أمام جيش الفونج (في سنة 910هـ/1504م)، دانت السيطرة للفونج على شمالي سودان وادي النيل، وصار نفوذهم يمتد من "مشو" قرب "الشلال الثالث" حتى جنوبي "سنار" ([1]). وهو رأي يشير ضمناً إلى أن هذه المعركة كانت قد وقعت بين العرب والفونج. وحسب بعض الباحثين ممن تبنوا هذا الرأي أن الفونج حققوا الانتصار على أمراء العبدلاب وحلفائهم، غير أنه لم يكن نصراً حاسماً، ولم يقض على منافسيهم الأقوياء ([2]).

وعلى أية حال، فالراجح حسب أكثر الروايات أن هذه المعركة كانت بين تحالف العبدلاب والفونج ضد ملوك علوة (العنج). ويرى الباحث أنه من غير المستبعد أيضاً وقوع صراع أو قتال من نوع ما بين العبدلاب والفونج قبل ذلك، وأنه انتهي بهزيمة العبدلاب، غير أنه لم يكن حاسماً. ثم وجد الطرفان أنه من مصلحة كل منهما أن يتحالفا ضد ملوك علوة لتحقيق مأربهما، وهو إسقاط هذه المملكة المسيحية، لأنها تمثل خطرا علي الوجود الإسلامي برمته في النوبة. ومن ثم صار التحالف بينهما أمرا مُلحاً قبل المعركة الحاسمة، ولهذا اعترف العبدلاب بالسيادة للفونج. ثم انتهت المعركة بانتصار كبير لطرفي التحالف، واضطر ملك العنج للهروب، واتجه لجبال فازوغلي وكردفان ([3]).

وعما وقع لأهل علوة بعد الهزيمة تقول مخطوطة "كاتب الشونة": "وأما النوبة، فمن بعد ما حصل بينهم من المحاربة والمقاتلة، وصار الظفر للفونج، تفرقوا شذر مذر، ومنهم من فر إلى جبال الصعيد فازوغلي وغيرها، ومنهم فر بالغرب إلى جبال كردفال (كردفان)، ولم يبق منهم إلا أنفار قليلة جدا دخلوا في الإسلام، وتفرقوا في البلاد، وسكنوا مع الناس، وتناسلوا فيهم، وهم إلى الآن أنفار قليلون جدا، منهم بنواحي شندي..وهم مسلمون من جملة أهالي البلاد، وقليل من الناس يعرف أن أصلهم النوبة، لأن لسانهم الآن عربي.." ([4]).

(1) انظر مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة: ورقة16–18، يوسف فضل حسن: تاريخ الممالك الإسلامية، ص39، وللمزيد عن متن هذه المخطوطة التي أنف ذكرها، انظر ملحق18، ص256

(2) يقول الدكتور محمد أمين: "دارت معركة حربية بالقرب من أربجي بين الفونج والعرب في سنة 910هـ/1504م، ولم يكن انتصار الفونج فيها حاسماً، فعقد صلح بين الطرفين، أصبح العبدلاب بقتضاه في مرتبة تالية للفونج، من نوع الاستقلال الذاتي لمشيخة العبدلاب.." (العبدلاب: ص210)، أما الدكتور حسن إبراهيم حسن فإنه يقول: "وكان أول ملوك الفونج عمارة دونقس..حارب العرب بزعامة العبدلاب..وانتصر عليهم في موقعة أربجي. وكان عمارة قد عينه (يقصد عبدالله جمَّاع) نائباً عنه في حكم جميع القبائل العربية في وادي النيل.." (انتشار الإسلام في القارة الأفريقية: ص155).

(3) انظر مخطوطة "واضح البيان": ورقة2، مخطوطة "كاتب الشونة"، ص129

(4) انظر مخطوطة "كاتب الشونة": ص129

ونال عبدالله جمَّاع الكثير من الغنائم بعد انتصاره، ومن بين ما وقع في يديه من مقتنيات ثمينة لملوك علوة: "تاج الملك"، وهو تاجٌ مُرّصعٌ بالذهب، كما استولى على عقد له مصنوع من قطع الدر والياقوت، وصار يتوارثه العبدلاب من بعده ([1]). وعما تمخض عن "معركة أربجي" من عواقب كان لها بالغ الأثر على الوجود العربي في سودان وادي النيل، حيث انتصر العرب والفونج على ملوك علوة، واستولى جمَّاع وعمارة على أراضيهم، واتفق كلاهما على أن يكون عمارة الملك عوضاً عن ملك علوة "كونه الكبير، وأن عبدالله يكون في مكان ملك القرى" ([2]).وتم تقسيم أراضي هذه المملكة بينهما، وتذكر إحدى المخطوطات أن الجزيرة فقط كانت لعمارة، "ثم اختط سنار التي صارت عاصمة له" ([3]). بينما تذكر في ذات الوقت أن باقي السودان كانت تحت سيطرة العبدلاب، وهي إشارة إلى أن أراضيهم كانت أكبر مما كان لدى الفونج، وهو ما يخالف أكثر المصادر الأخرى. إذ تشير أكثرها لاتساع مُلك الفونج وعظم بلادهم، حتى أن ملكهم كان يوصف بـ"ملك الشمس والظل" ([4]).

وتشير إحدى المخطوطات إلي أن عمارة دونقس هو أول من تولى من الفونج ([5]) وهو مؤسس "سنار" ([6]). ولذا عرفت مملكته بـ"سلطنة سنار"، أو "السلطنة السنارية"، و"الديار الفنجية" ([7]). والراجح أن العلاقة بينهما كان يغلب عليها الود والتحالف، وكان بينهما اتفاق كبير، لكن كانت السيادة للفونج على العبدلاب، ولهذا يقول مؤلف "كاتب الشونة": "وكان عمارة وعبدالله كالأخوين، إلا أن رتبة عمارة أعلى، ورتبة عبد الله دونه، إذا كانا حاضرين فيكون المقدم، وإذا غاب عمارة يكون عبدالله هو المقدم على الجميع، ويعامل بما يعامل به عمارة، ولم تزل تلك العادة جارية بين ذراريهم إلي انقضاء مملكتهم.." ([8]). وعن هذه العلاقة أيضا، تقول إحدى المخطوطات: "ومازال عمارة وعبدالله كالأخوين إلا أن رتبة عمارة أعلا وأعظم، ورتبة عبدالله دونه إذ اجتمعا في مكان واحد.." ([9]). ويبدو ذات المعنى فيما يخص العلاقة بين عبدالله جمَّاع

وعمارة دونقس وارداً في وثيقة أخرى، إذ تذكر أن الود كان يجمع بينهما، وكان كلاهما متفقين حتى ماتا ([10]).

---

(1) واضح البيان: ورقة 2 (2) كاتب الشونة: ص129 (3) واضح البيان: ورقة 2

(4) مخطوطة أنساب عرب السودان: ورقة 33

(5) تاريخ مختص بأرض النوبة: ورقة 16

(6) سنار: تقول مخطوطة كاتب الشونة عن تأسيسها: "فلما أراد الله اظهار أمره وتسليطهم علي خلقه، وكان لهم بقر، وفيها ثور فحل، فجعل الثور يسري بالليل إلى غابة سنار، ولم يكن بها عمارة. غير أنه يذكر أن بها جارية تسمى سننار، مقيمة علي جرف، وبها سميت المدينة حين عمارتها.." (مخطوطة كاتب الشونة: ص7)

(7) كاتب الشونة: ص87 (8) المصدر السابق: ص129

(9) تاريخ مختص بأرض النوبة: ورقة18 (10) مخطوطة واضح البيان: ورقة رقم2

وحسب إحدى الروايات الأخرى التى تتحدث عن سقوط مملكة علوة، فإنها تذكر أن العرب لما استولوا على مدينة سوبة، ثم انهزم جيش العنج بقيادة ملكهم الذي يُدعى "حسب الله"، طارده عبدالله جمَّاع، وحاصره عند أسوار المدينة ([1]). وقيل إن الذي حاصر ملك العنج الشيخ عجيب الأكبر، وهو ابن الأمير عبدالله جمَّاع ([2]). أما كولين ماكفيدي، فإنه يشير إلى أن سقوط مملكة علوة، والاستيلاء على عاصمتها مدينة سوبة تم دون الإشارة لأي دور الفونج في ذلك الأمر ([3]).

غير أن آركل Arkell يُشكك فيما يُطلق عليه البعض "أسطورة الغزو المشترك" حتى لو ورد ذلك في المصادر السودانية. حيث انتقد ما ورد في مخطوطة "ملوك سنار" من أن العرب والفونج تجمعوا عند "جبل موية". كما يشير آركل في ذات الوقت إلى أن قلة المياه هناك، وكذلك في سوبة، ولزوم عبور النيل الأزرق للوصول لهذه المنطقة هو ما يجعل هذه "الرواية السودانية" لا تتوافق مع السياق التاريخي للأحداث ([4]). بينما يذهب آخرون إلى أن ذلك التناقض الوارد في بعض الوثائق والروايات السودانية المتأخرة التي تحدثت عن ذلك الحلف الذي تم بين العبدلاب والفونج ربما كان الهدف منها أن تلك الروايات حاولت تبرير خضوع العبدلاب لحكم الفونج مع بدايات القرن 10هـ/16م.

وعلى أية حال تؤكد أكثر المصادر حقيقة أن هذه المعركة وقعت بين تحالف العبدلاب والفونج ضد ملوك علوة، مع وجود بعض الاختلافات اليسيرة في بعض التفاصيل الواردة في كل مصدر منها ([5]). وهو ما لا ينفي في ذات الوقت وقوع شيء من الخلط في كثير من الروايات السودانية الأخرى حول "معركة أربجي"، وحول كثير من الأحداث، خاصة ما يرتبط بأحوال العلاقة بين كل من الفونج والعبدلاب، وإشكالية قيام التحالف بينهما.

---

(1) للمزيد، انظر كرم الصاوي باز: ممالك النوبة، ص185

(2) المرجع السابق، ص185

(3) أطلس التاريخ الأفريقي: ص122

(4) محمد أمين: العبدلاب، ص209

(5) انظر مخطوطة كاتب الشونة: ص129-130، وعن "معركة أربجي"، وما تمخض عنها من نتائج، يقول الدكتور مصطفي مسعد: "ودارت في أربجي معركة سنة 910هـ/1505م، انتصر فيها الحليفان، وفر العنج إلي جبال فازوغلي، ومن بقي منهم اختلط بالغزاة، واعتنق الإسلام.." (وللمزيد، انظر أيضاً مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص194، وقد ورد في النص الذي يذكره الدكتور مصطفي مسعد أن أربجي وقعت في سنة 610هـ، والصحيح أنها وقعت سنة 910هـ، لكن المؤكد أن ذلك ليس إلا خطأ مطبعيا. كما أن الدكتور مصطفي مسعد يذكر تاريخ هذه المعركة في مقالته المعنونة "امتداد الإسلام والعروبة إلى وادي النيل الأوسط" في سنة 910هـ (1504م) (انظر المقالة: صفحة رقم 90).

ويذهب البعض إلى أن مؤرخي سودان وادي النيل هم من لجأوا إلى ما يطلق عليه "قصة التحالف" بين العرب (وتحديدا العبدلاب أوعرب القواسمة) والفونج، مع ما ترتب عليه من سيادة زعماء الفونج، وربما يؤيد ذلك أن المصادر السودانية لا تذكر صراحة أن الفونج انتصروا على العبدلاب. ثم تصالح الطرفان، واتفقا علي شروط تحدد العلاقة بين كل منهما. ولأن من شروط هذا التصالح حسب العديد من الروايات إعطاء السيادة للفونج على العبدلاب، وهو ما يعني أن يكون المُلك للفونج، بينما تكون الوزارة لزعماء العبدلاب وهى المكانة الأدنى ([1]). وهو أمر لا تقبل به قبائل العرب التي لا تتحدث عن الانكسارات أمام خصومهم، وهو ما يشير، في رأي الباحث، إلى تدخل الأهواء في كتابة التاريخ القبلي عند الجماعات العربية التي سكنت سودان وادي النيل، وهو ما أدى لوجود الكثير من التناقض في الروايات السودانية.

وتذكر مخطوطة "واضح البيان" أن الأمير عبدالله جمَّاع شيخ عرب القواسمة توفي في أوائل القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي). حيث تقول: "وملك عبدالله جماع ستين سنة، وتوفي في أوائل القرن التاسع رحمه الله.." ([2]). والمؤكد أن هذا التاريخ خطأ في النسخ، لأن عبدالله جماع عاش حياته خلال معظم القرن 9هـ/15م، والمؤكد أن وفاته كانت مع بدايات القرن 10هـ/16م، وليس القرن التاسع الهجري، بعد أن دام حكمه لإمارة العبدلاب الجهنية حوالي 60 سنة.

وقد ترك الأمير عبدالله جمَّاع أبناءاً كثيرين من بعده، حيث كان رجلا كثير الأولاد والذرية، ولعل من أشهر أبنائه: الشيخ عجيب المانجلك، وكذلك السيد إدريس (جد الأنقيرياب)، والسيد محمد ديومة (جد الديوماب)، والسيد أحمد أدركوجة (جد الأدركوجاب)، والسيد سبه (جد السباب) ([3]). أما عن "الشيخ عجيب" فكان أهم أبنائه وأشهرهم على الإطلاق، وهو الذي تمكن

من توسيع مُلك العبدلاب، وكان "من أكابر أولياء الله، وقام داعيا إلي الله تعالي باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، والعمل بسنة نبيه، وصار يحكم بين الناس بالعدل" ([4]).

—

(1) محمد أمين: العبدلاب، ص213
(2) مخطوطة واضح البيان: ورقة رقم 2
(3) المصدر السابق: ورقة رقم 2
(4) المصدر السابق: ورقة رقم 2

سادساً– قبيلة جُهينة وانتشار العروبة والإسلام في مملكة علوة:

صارت بلاد النوبة مقصداً للعديد من الجماعات العربية خلال العصر الإسلامي، ومما لاشك فيه أن قبيلة جُهينة أكثرها تأثيراً من الناحية الحضارية خاصة في "مملكة علوة". والمؤكد أنه بفضل هذه القبيلة هيمنت الثقافة العربية والإسلامية على تلك البلاد مع نهايات القرن 9هـ/15م، وبدايات القرن 10هـ/16م. وفي ذات الوقت لا يمكن اغفال الدور الذي لعبته بعض القبائل الأخرى في النوبة خاصة ربيعة، وهم قبيلة الكنوز ([1]).

ويمكن القول بأن عرب جُهينة ([2]) ساهموا في انتشار الكثير من العادات والتقاليد العربية بين النوبيين، والراجح أن تلك التأثيرات كانت قد مرت بالعديد من المراحل حتى يتمكن الجُهنيون من العمل على ذيوع تأثيراتهم الحضارية في بلاد النوبة، وخاصة بين سكان مملكة علوة المسيحية. وهو ما يعني أن تعريب هذه البلاد لم يتم فجأة، بل كان ثمرةً طيبةً لمجهودات حثيثة قاموا بها هناك ([3]). ولاريب أن الأثر الذي تركه الجُهنيون في النوبة تنوع بين جوانب حضارية شتى، حيث ساهموا في تطور حياة النوبيين السياسية، والإدارية، والثقافية، والإجتماعية، وكذلك العمرانية..إلخ.

ويبدو أن التجارب الآنفة التى قام بها العربُ في بلاد البجة والنوبة، وغيرها من البلاد التى هاجروا إليها، كانت ماثلةً أمام أعين زعماء جُهينة لما استقروا في مملكة علوة في بداية أمرهم. ومن ثم فإن محاولة تعريب هذه البلاد ذات الهوية المسيحية العتيقة، ونشر الإسلام بها كانت غاية أسمى لهم، خاصة بعد أن انتقل إليهم الحُكم بفضل العلاقة الوثيقة التى جمعت بينهم وبين حكام هذه البلاد عن طريق الزواج والمصاهرة، وذلك على غرار ما حدث في الماضي غير البعيد في "مملكة المقُرة" علي يد قبيلة ربيعة ([4]).

—

(1) ولهذا يقول الدكتور مصطفى مسعد: "والواضح تماماً أن قبائل جهينة لم تكن الوحيدة التى أفادت من تداعي مملكة علوة وانحلالها، بل شاركتها القبائل العربية الأخرى التي استقرت في جهات متعددة من مملكة علوة. وعلى هذا نشأت في جوفها عدة إمارات عربية مستقلة.." (انظر الإسلام والنوبة: ص192، للمزيد عن دور جهينة في تعريب النوبة)، وانظر أيضا ملحق رقم 19، ص257 وشكل رقم21و 22، ص275-276

(2) ويزعم غالبيةُ العرب من جُهينة في سودان وادي النيل أنهم ينتسبون إلي عبدالله الجُهني. ولعله الصحابي الذي ترجمنا له آنفاً، واسمه: أبوعبد الرحمن الجُهني. و للمزيد عن نسب عرب جهينة وأصولهم في السودان، انظر Macmichael: A History of the Arabs, Vol I, P. 238، وللمزيد عن ترجمة أبي عبد الرحمن الجهني، انظر "الفصل التمهيدي" من هذه الدراسة، ص40

(3) انظر Marino: Nubia submerged, Op. Cit. P. 17

(4) ومن ذلك، يقول الدكتور محمد غيطاس: "وتحققت لها (أي لجُهينة) مآربها عن طريق الاختلاط ومصاهرة النوبيين فيها.." (انظر محمد غيطاس: النوبة، ص122)

ويشير ابن خلدون إلى ذات الفكرة التي تؤكد أن وصول الجُهنيين للحكم تم عن طريق المصاهرة بملوك علوة: "وصار لبعض أبناء جُهينة من أمهاتهم على عادة الأعاجم في تمليك الأخت وابن الأخت.." ([1]). كما أشار القلقشندي إلى ذلك أيضاً ([2]). وهو ما يشير لوجود رغبة لدى سادة جُهينة في التقارب مع ملوك النوبة حتى ينتقل المُلك لهم. ولا ريب أن بلوغ تلك الرؤية الثاقبة لدى الجهنيين من أجل تلك الغاية النبيلة لتُعَد من الأدلة التي تؤكد قدرتهم علي احتواء الآخرين، والتقارب معهم بشكل تلقائي بعيداً عن وسائل العنف التي ينسبها لهم البعض. ويرى الدكتور مصطفي مسعد أنه لما اشتد ضغط جُهينة على ملوك علوة حاولوا دفعهم أو صدهم، ولما لم يستطيعوا لهم دفعاً استمالوهم إليهم بالمصاهرة، فانتقل المُلك إلى أبناء جُهينة ببنات ملوك علوة، حسبما يقتضي به "نظام الوراثة" عند النوبيين ([3]).

ويمكن القولُ بأن المصاهرة بين زعماء جُهينة وملوك علوة لعبت دوراً كبيراً في حدوث ما يمكن أن نطلق عليه "الانقلاب الديموجرافي والسياسي" الكبير الذي حدث في وادي النيل الأوسط، إذ تغيرت طبيعة سكان تلك البلاد البيولوجية مع الاختلاط بالعرب، وساد العنصر العربي هناك بمرور الزمن، وأصبح الحُكم بأيديهم، وعلى هذا صار النوبيون شعباً مُستعرباً، وتأصلت بينهم العادات والتقاليد العربية، وبزت الثقافة العربية ما سواها، وصار الإسلام عقيدتهم. ويشير "جروسمان" Grossmann إلى أن انتشار الإسلام في النوبة لم يكن بسبب قدوم بعثات تبشيرية قام بها العرب، بل إن النوبيين اعتنقوا الإسلام بشكل تدريجي بفضل الهجرات العربية، والاختلاط بالعرب أكثر من أي شيء آخر ([4]). وقد أدى انتشار الإسلام في بلاد النوبة إلى سقوط الجزية عن أهل النوبة بشكل تلقائي ([5])، ومن ثم زادت اللُحمة بين العرب والنوبيين ([6]).

---

(1) انظر العبر: ج5، ص491

(2) يقول القلقشندي: "حتى صار لبعض جُهينة من أمهاتهم علي رأي العجم في تمليك الأخت وابن الأخت.." (صبح الأعشي: جـ5، ص278)

(3) الإسلام والنوبة: ص191، كما تقول الدكتورة زبيدة عطا: "ولقد تدفق عليها (أي بلاد النوبة) عدد من القبائل العربية كقبيلة جُهينة وقبائل أخري، حيث تكاثر العرب هناك، وتغلبوا على السكان الأصليين، واعتنق شعب العلوة الإسلام وامتزجوا مع العرب.." (دولة المماليك وسقوط ممالك النوبة: ص224).

(4) Marino: Nubia Submerged, Op. Cit., P. 17

(5) ابن خلدون: العبر، جـ5، ص491، Macmichael: A History of the Arabs, Vol I, P. 187

(6) ويؤكد الدكتور عبدالله خورشيد على دور الجهنيين في نشر الإسلام في النوبة: "وقد كانت جُهينة على أية حال هي التى مهدت السبيل إلى تفكك مملكة النوبة وتحولها إلى الإسلام، وبذلك حطمت أقوى دفاع كان يقوم على أراضي أعالي النيل في وجه غارات العرب والإسلام.." (القبائل العربية في مصر: ص239)

بينما يؤكد Adams أن من أهم النتائج التي ترتبت على هجرات العرب للنوبة، طمس الهوية المسيحية بها، وانتشار العروبة والإسلام ([1]). ولعله يشير لدور جهينة تحديدا أكثر من غيرها في تعريب النوبة، ومن ثم كان طبيعيا أن تأفل التقاليد المسيحية بفضل الوجود العربي، خاصة مع قدوم الهجرات الجهنية بكثافة لبلادهم. وهذا الرأي يؤكد فكرة سلمية "حركة التعريب" التي حدثت، وأنها تمت من خلال امتزاج ديموجرافي كبير بعيداً عن العنف الذي أشار إليه ابن خلدون والقلقشندي ([2]). ورغم انتشار الإسلام بين النوبيين إلا أنه بقيت بعض المظاهر المسيحية، حيث ظل بعضهم يدين بالنصرانية، وبقيت الكنائس، كما بقيت بعض العادات الوثنية، وهو ما يؤكد تسامح الجهنيين، وأنهم لم يجبروا على اعتناق دينهم ([3]). ومن أروع ما قيل في ذلك، ما أشار له لـ. جرينر:"والواقع أن الصورة الشائعة للعرب في التاريخ صورة مشوهة..ذلك أن العرب كانوا حُماة الحضارة والثقافة خلال مطلع العصورالوسطي التي كانت معاصرة للمسيحية الأولي في النوبة..هكذا لم يكن الفاتحون العرب أعداء للمسيحية في النوبة، إلا عندما يقوم تمرد من جانب الأهالي. ولما كانت ديانتهم تقوم على التقوى والبر، فقد كانوا يشعرون بعطف بالغ وتسامح نحو المسيحي المُخلص.." ([4]).

ويشير روبرت كولينز Robert Collins لمصطلح "الاستيعاب"، إذ يرى أن الجهنيين تمكنوا من استيعاب النوبيين الأصليين ([5]). وهو ما يؤكد قدرة الثقافة العربية الإسلامية على استيعاب الآخر. ولعل من أهم المظاهر الحضارية الأخرى التى ظهرت هناك بفضل جهينة، أنهم ساهموا في القضاء على بعض التقاليد الإجتماعية القديمة، خاصةً مع اختفاء بيوت الإمارة القديمة، إذ نال النوبي حريته في ظل التقاليد العربية مقارنة بحالهم في الماضي، وأصبحت الأرض ملكاً للجماعة، بعد أن كانت ملكاً للحاكم، وصارت توزع على أفرادها، لينتفعوا بها، ودفع ضريبتها لشيخ القبيلة ([6]). وهو تطور حضاري نوعي في حياتهم. والمؤكد أن النوبة تحولت

بفضل العرب من "نظام الإقطاع"، بما كان يحمله من ظلم وجور، لنظام أكثر مشاركة بين الجميع، ويعطي للفرد الكثير من الحقوق في المجتمع الذي يعيش فيه.

---

(1) النوبة رواق أفريقي: ص488

(2) انظر ابن خلدون: العبر: جـ5، ص491، القلقشندي: صبح الأعشى، جـ5، ص278

(3) ليزلي جرينر: سد عالي فوق النوبة، ص243

(4) وللمزيد، انظر ترمنجهام: الإسلام في شرق أفريقيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1973م، ص125، ستيفنسون: بعض جوانب انتشار الإسلام في جبال النوبيين، ص266،

(5) روبرت أو. كولينز: تاريخ السودان الحديث، ترجمة: مصطفى مجدي الجمال، مراجعة: حلمي شعراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2015م، ص20

(6) مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص193

وشهدت "الحياة السياسية" في النوبة هى الأخرى تطوراً مهماً بفضل التأثير العربي، حيث صار الحكم وراثياً في بيت شيخ القبيلة أو الدار، ومن ثم كون العرب من مجموع القبائل في الإقليم الذي اتخذته داراً لها زعامات إقليمية، يتولاها "شيخ المشايخ"، وهو عادة شيخ أكبر قبيلة، وكان يعُرف باسم "المانجل" أو "الملك"، وهو ما يشير إلى أن "نظام الوراثة" القديم وهو "نظام الأم" الذي كان سائداً في النوبة لم يعد يُعمل به ([1]). وعلى هذا أخذ النوبيون بـ"النظام الوراثي" المنتشر في أكثر بقاع الأرض، وهو أن يحكم ابن الملك أو ابن شيخ القبيلة. والمؤكد أن حركة انتشار الإسلام في بلاد النوبة كانت لها سماتها، إذ لاحظ البعض وجود خصائص ميزت انتشار العروبة والإسلام في أفريقيا عامة، وفي شرقيها خاصة، حيث يعتقدون أن الإسلام سمح لمن اعتنقه أن يمارس بعض العادات التقليدية، وهو ما جعل الأفارقة يُقبِلون على الإسلام، بما يحمل من مبادىء تحث على التسامح مع الآخر ([2]). ولا ريب أنه بمرور الزمن أدرك كثيرون من النوبيين ممن اعتنقوا الإسلام أن بعض العادات القديمة التي لا يزالون يقومون بممارستها تخالف ثوابت الإسلام، ومن ثم أقلعوا عنها، وهجروها برغبتهم الذاتية.

وربما كان عدم تشدد المهاجرين العرب مع النوبيين في حملهم على اتباع كل ما يفرضه الدين من أمور، كانت من الأسباب التي جعلت النوبيين يقبلون على الإسلام، وذلك لما شعروا به من حُسن الدعوة التى اتبعها المهاجرون العرب معهم، ومن خلال مظاهر التسامح والرحمة التى أبدوها من خلال معاملتهم معهم. كما حدث في النوبة "تغير لُغوي" لايمكن انكاره بفضل الوجود العربي في بلادهم، يقول ستيفنسون Stevenson: "وقد أحدثت هجرة جماعات المسلمين التي أعقبها استقرار وتزاوج مع سكان السهول والبلاد تغيريين متوازيين، تغييراً لغوياً، وثقافياً، حيث اتخذ أهل البلاد العربية لغةً كما أخذوا ببعض الأفكار الإسلامية.." ([3]). وذلك أمرٌ طبيعي إذ إن الوجود العربي في أي بلد أفريقي سيتبعه تلقائياً انتشار اللغة العربية بين شعوب تلك البلاد،

وما يتبع ذلك من ترسيخ مظاهر العروبة وذيوعها بينهم في ذات الوقت، خاصة وأن اللغة العربية هى لغة القرآن، وهي دوما ترتبط به حيث كان.

---

(1) مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص193

(2) ولهذا يقول ترمنجهام Trimingham: "وهنا (أي في شرقي أفريقيا)، كما في غربي أفريقيا، كانت الوسيلة الوحيدة الممكنة لتمكين الإسلام دون المساس ببناء الدولة نفسها أو شعار قوتها، هي اتباع سياسة التوازي، أي اعتناق الإسلام جنباً إلى جنب مع الإستمرار في ممارسة الطقوس والعادات القديمة للعقائد المحلية.." (الإسلام في شرق أفريقيا، ص125)

(3) ستيفنسون: بعض جوانب انتشار الإسلام في جبال النوبيين، ص266

وخلاصة القول فيما يرى البعض حول سمات انتشار الإسلام في أفريقيا عموما، ومنها النوبة، أن شعوب تلك البلاد لم يدركوا أن الإسلام ينتشر أمام أعينهم بسبب التدرج البطيء في انتشاره، فكان يبدأ أولاً بتقليدهم للعرب ليطابقوا أنفسهم معهم، ثم يفتح ذلك الطريق نحوالاعتناق الحقيقي للتقاليد الإسلامية، ثم التمشي الأصيل مع ثقافة الدين الجديد وتشريعاته ([1]). وهو رأي يؤكد سلمية تحول الأفارقة للإسلام، وأنه تم بتلقائية لا عنف فيها. يقول ترمنجهام: "فالاسلام لم يكن معناه أن يحل محل الطقوس الدينية المحلية، بل كان يعني مجرد إضافة طقوس جديدة تحمل في طياتها آفاقا أوسع.." ([2]). وهو قول لا يتفق معه الباحث لأنه يشيرإلى أن النوبيين لم يدخلوا الإسلام رغبة فيه، وهو ما يخالف سياق الأحداث. أما عن "التغير الآخر" الذي نتج عن انصهار العرب بالنوبيين، وهو ما يُعرف بـ"التغيرالعرقي" (Racial Change)، إذ يرى "ستيفنسون" أن المهاجرين العرب انصهروا مع أهل تلك البلاد بدرجات مختلفة، إذ لم يعد يسري في عروقهم اليوم سوى القليل من الدماء العربية ([3]). وهو قول لايتفق معه الباحث، لأن الأثر العربي على الشعوب الأفريقية عامة، ومنها النوبة، كان أكثر مما تأثر به العرب، ويؤيد ذلك أن أهل تلك البلاد صاروا من النوبيين المُستعربين، وأصبحت العروبة جزءاً من هويتهم بمرور الزمن، وأضحى من العسير معرفة أيهم من أصل عربي، وأيهم من أصل أفريقي نقي Pure (African Race). وهو ما تؤكده المصادر، حيث تقول إحدى الوثائق السودانية: "ولا يعرف لهم أن أصلهم نوبة إلا القليل من الناس، كون(هم) انتقل إلى العربية، وألوانهم شابهت ألوان العرب بأسباب التناسل، لأن العرب كثرت وفودهم إلى بر السودان..وأغلبهم من حمير وربيعة وبنى عامر وقحطان وكنانة وجهينة وبني يشكر وبني كاهل وبني ذبيان.." ([4]). وعن التأثير الثقافي العربي أيضا، يشير البعض لمصطلحٍ "التَغرُب الثقافي"، إذ صار ذلك النوع من التغرب أكثر عمقاً، خاصة بالنسبة للشعوب غير العربية، حيث إنه يعني تحولهم لدين جديد وهو الإسلام، ومن ثم حدوث تغير أيديولوجي هائل طرأ على عقائد هذه الشعوب ([5]). ولم يكن تأثير

قبيلة جُهينة وغيرها من القبائل تغييراً فكرياً، وثقافياً فحسب،بل صار تغييراً بيولوجياً، وعرقياً واضحاً على النوبيين، حيث أدت المصاهرة بين العرب والنوبيين لاختلاط الدماء بينهم حتى صار النوبيون أقرب للعرب منهم للعرق الأفريقي، كما تغيرت الكثير من ملامحهم، وقل سواد بشرتهم.

---

(1) ترمنجهام: الإسلام في شرق أفريقيا، ص126
(2) المرجع السابق، ص126
(3) ستيفنسون: بعض جوانب انتشار الإسلام في جبال النوبيين، ص266
(4) مخطوطة "تاريخ مختص بأرض النوبة": ورقة18-19 (5) ستيفنسون: المرجع السابق، ص266

ومما لا شك فيه أن قبيلة جُهينة وبطونها ساهمت بشكل كبير في إحداث "تغير بيولوجي" لا تخطئه العين في الكثير من خصائص شعب النوبة، لاسيما في الأقاليم الجنوبية التى كانت تشغلها بلاد علوة. حيث ساعد التقارب بين الشعبين عن طريق الزواج والمصاهرة، وهما شعبان من ذوي الأصل الإثني والعرقي المختلف، فأحدهما: من أصل سامي (وهم العرب)، أما الشعب الآخر: فهو من أصل حامي (وهم النوبيون). ومع هذا اختلط كلاهما بالآخر، وامتزجت الدماء السامية بالحامية، وأخرجت لنا شعباً يحمل صفات بيولوجية وثقافية فريدة، وهم النوبيون ([1]).

ولعل بفضل هذا الاندماج الفريد بين عرب جُهينة والنوبيين، فإنه صار أمراً شاقاً أن نفرق بين النوبي ذي الأصل الحامي، وبين من هو من أصل عربي. ويؤكد المستشرق "كرافورد" Crawford ذلك الرأي حيث يشير إلى أن النوبيين الحاليين هم بالتأكيد من نسل هؤلاء النوبيين القدامى Old Nubians الذين كانوا قد اختلطوا بالعرب ممن هاجروا إلى بلادهم ([2]). وهم الذين يطلق عليهم "روبرت كولينز" Robert Collins اسم "النوبة المُعرّبين" أو "المُستعرِبين"، ويشير إلى أنهم يعيشون حاليا على ضفاف النيل في المنطقة التي تقع بين الشلال الأول والثالث ([4]).

وعلى جانب آخر، يمكن القول بأن هؤلاء النوبيين من ذوي الأصل العربي لايزالون يحتفظون ببعض العادات والتقاليد التي كانت لديهم منذ حقبة ما قبل دخول الإسلام إلى بلادهم ([4]). ولا ريب أن توغل عرب جُهينة بمثل هذه الكثافة الكثير كان سبباً رئيساً في نشر العروبة والإسلام في بلاد النوبة وسودان وادي النيل. إذ لم تعد توجد أي عوائق تمنع هجرة الجماعات العربية، خاصة بعد أن انهارت كل من مملكتي المقرة وعلوة المسيحيتين. ومن ثم فُتح الباب على مصراعيه أمام المهاجرين العرب خاصة من قبيلة جُهينة، لمزيد من التوغل جنوب تخوم مملكة علوة، وفي أعماق القارة الأفريقية، حاملين معهم الإسلام والثقافة العربية، وهي التي لا يزال أثرها جلياً في الكثير من بلاد شرقي أفريقيا حتى أيامنا.

(1) انظر بويرت كولينز: تاريخ السودان الحديث، ص21

(2) Crawford: Sudan Antiquities Service, No. II, Castles& Churches in the Middle Nile Region, P.44، ويرى البعض أيضاً أن النوبيين اختلطوا بشعوب أخرى غريبة عنهم عرقياً وإثنياً، ومنهم الأتراك، للمزيد عن ذلك انظر: Crawford: Sudan Antiquities Service, Op. Cit., P. 44

(3) رويرت أو. كولينز: المرجع السابق، ص21

(4) المرجع السابق، ص21

ويرى الباحث أن دور قبيلة جُهينة، وبطونها، فى تأسيس العديد من المدن ذات الطابع العربي فى أراضي مملكة علوة يعد من أهم اسهامات هذه القبيلة العربية الحضارية في "حركة التعريب" التي قامت بها في بلاد النوبة، خاصةً وأن تلك المدن لعبت دوراً كبيراً في تأكيد الهوية العربية، وبروزها عما سواها في مملكة علوة المسيحية، ولابد أنها شجعت العديد من الجماعات العربية الأخرى من غير عرب جُهينة على القدوم إلى تلك البلاد والاستقرار بها.

ولعل من أهم تلك المدن العربية التى أقامها الجُهنيون في أراضي مملكة علوة مدينة "أربجي" Arbagi ([1])، وكانت مدينة تجارية ذات أهمية كبيرة، ونالت أيضاً شهرة في الروايات السودانية، كما أن الكثير من الوثائق السودانية أفاضت فى الحديث عنها، وعن مكانتها، كما نالت أربجي مكانة علمية لا يمكن انكارها، حيث كان بها العلماء والفقهاء، ممن اشتهروا في سودان وادي النيل، وصارت مدينة أربجي بفضلهم مقصدا لطلاب العلوم الدينية والشرعية ([2]).

وقد ورد في بعض المصادر التاريخية أن عاصمة مملكة علوة بعد قدوم هجرات عرب جُهينة إليها انتقلت إلى مدينة تدعي "كوسة"، بدلاً من مدينة "سوبة" العاصمة القديمة. والراجح أن ملوك علوة كانوا قد اضطروا أمام ضغط الهجرات الجُهنية إلى بلادهم، وكانت هجرات كبيرة وكثيفة، وتمت بشكل غير متوقع بالنسبة لهم، مع غيرها من القبائل العربية الأخرى التى آثرت القدوم إلى بلاد النوبة، إلى أن يقيموا حاضرةً جديدةً لمُلكهم خلال القرن 8هـ/14م، وهي التي أُطلق عليها "كوسة" أو "كوشة" ([3]). وقد أدى ذلك إلى أن فقدت مدينة سوبة مكانتها، ثم أُهملت، وأفل دورها بمرور الزمن.

كما لعبت مدينة "قِري" Qerri العربية التي أقامها الجهنيون أيام الشيخ عبدالله جماع، وهو مؤسس هذه المدينة حسب رواية المصادر السودانية، دورا حضاريا مهما، أدى إلى مزيد من حركة التعريب Arabization في بلاد النوبة ([4]).

(1) للمزيد عن مدينة أربجي وتأسيسها، انظر مخطوطة كاتب الشونة: ص4، مخطوطة الفكي حسن ولد محمد عيسى الجليلابي (انظر Macmichael: A History of the Arabs, Vol. II , P 139)، ود ضيف الله: الطبقات، ص39–40، كركوكي: رحلة مصر والسودان، ص342

(2) انظر مخطوطة كاتب الشونة: ص5–6، محمد أمين: العبدلاب، ص204

(3) للمزيد عن مدينة كوسة، انظر الإدريسي: صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ص19، مصطفي مسعد: الإسلام والنوبة، ص192، مصطفى مسعد: المكتبة السودانية، ص127

(4) وللمزيد عن مدينة قري وتأسيسها، انظر الفصل السادس من الدراسة، ص227–229، وانظر شكل رقم 20، ص274

ويمكن القول أيضا أنه من أهم الأدوار الحضارية المهمة التى قام بها عرب جُهينة لنشر الإسلام وتعريب النوبة، كان ذلك من خلال اسهامهم في تأسيس العديد من الممالك والمشيخات العربية في حوض النيل الأوسط، ولعل أهمها: "مملكة الفونج" أو "السلطنة السنارية" ([1])، و"مشيخة العبدلاب"، وهذه الأخيرة كانت من أهم الثمار الحضارية لجهينة في النوبة، حيث أقاموا إمارة تحمل اسمهم هناك ([2]). ثم تلى ذلك قيام ممالك عربية أخرى في سودان وادي النيل، ولعل منها: سلطنة دارفور، وتقلي..إلخ، وهو ما أدى إلى انتشار العروبة والإسلام في باقي مناطق السودان الشمالي، وما جاوره، وذلك بفضل حركة التعريب التي قادها عرب جُهينة في وادي النيل الأوسط.

ولعل الخلاصة من خلال دراسة هذا الفصل، أن من أهم التأثيرات الحضارية لجُهينة دورها الكبير في تأكيد الوجود العربي والإسلامي في النوبة، والمحاولات الدؤوبة في تأصيل الهوية العربية بين النوبيين. والمعروف أن عرب جهينة كانوا يتمتعون بشعور ديني فياض في هذه البلاد، ولعل عبدالله جماع يقدم نموذجا لذلك الشعور الديني والغيرة على الإسلام، والميل لنشر دين الله. ولعل الروايات التي تتحدث عن أن الجُهنيين اتفقوا على التحالف مع الفونج لمحاربة ملوك علوة، على أن تكون السيادة بعد ذلك للفونج، وتكون الوزارة للعبدلاب، ولكن بشرط أن يعتنق الفونج الإسلام، تُعد من أعظم الأدلة على الشعور الروحي الفياض لدى الجهنيين في سودان وادي النيل.

ولهذا فكان من الطبيعي أن يكون لهم الفضل في أفول المسيحية تدريجيا في تلك البلاد مع الانتشار الواسع للعروبة والإسلام في مقابل ذلك. والمؤكد أنه لما رأت القلة من النوبيين التى بقيت على النصرانية أنه لا أمل لهم في حركة للإصلاح الديني في بلادهم بسبب انقطاع علاقاتهم الدينية والروحية بالكنيسة الأم في الإسكندرية، فكان بديهيا أن ينشد هؤلاء النوبيون المسيحيون بديلا لهم فيما يمكن أن يسد رمقهم، وحاجاتهم الروحية في الدين الإسلامي الذي حمله المهاجرون العرب إلى بلاد النوبة، حيث وجد النوبيون في هذا الدين الجديد من المبادىء

السامية، والقيم الروحية، وكذلك الأخلاق الرفيعة ما جذبهم بقوة إليه، وذلك من خلال تعاملهم مع المهاجرين العرب الذين استقروا في بلادهم، ومن ثم اعتنقت أعداد كبيرة من النوبيين الإسلام بمرور الوقت سلميا، وبشكل تلقائي بعيدا عن أي مظاهر للعنف ([3]).

---

(1) عن مملكة الفونج، انظر مخطوطة كاتب الشونة: ص129، مخطوطة واضح البيان: ورقة1، السمرقندي: مخطوطة أنساب عرب السودان، ورقة33، مخطوطة تاريخ مختص بأرض النوبة، ورقة 17

(2) انظر واضح البيان في ملوك العرب بالسودان وملوك العبدلاب: ورقة 1 وما بعدها

(3) مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة، ص193

الخاتمة

ومن خلال موضوع هذه الأطروحة، ودراسة الإشكاليات التاريخية التى ترتبط به، فقد توصل الباحث إلى العديد من النتائج:

- كشفت الدراسةُ أن قبيلة جُهينة كانت واحدة من أكبر القبائل التى لعبت دوراً كبيراً فى الهجرات العربية من شبه جزيرة العرب خلال حقبة الفتوحات الإسلامية، ومن ثم برز دورها الحضاري، خاصة ما قام به عرب جُهينة فى نشر العروبة والإسلام فى مصر وسودان وادي النيل خاصة إبان القرن 9هـ/15م.
- أكدت الدراسةُ أن قُضاعة، وهو جد عرب جُهينة، كان من "عرب عدنان"، وهم عرب الحجاز، واسمه: "قضاعة بن معد بن عدنان" حسب أغلب المصادر القديمة. وعلى هذا لم تكن قبيلة جهينة من قحطان، وهم "عرب اليمن"، كما هو ذائع عند الكثيرين من المحدثين. وكان انتساب قُضاعة لـ"عرب اليمن" بعد الإسلام، وينسب ذلك لرجل من هذه القبيلة يُدعى: "عمرو بن مُرة الجُهني". وكان سبب ذلك الاضطراب في نسب جُهينة وقوع بعض الصراعات بين جماعات من قُضاعة وأخرى من نسل معد بن عدنان، وهو ما جعل هؤلاء القضاعيين يخرجون من نسل عدنان، ثم انتسبوا بعد ذلك لـ"عرب قحطان"، لكن هذا لا يُنكر أبداً "الأصل العدناني" القديم لقبيلة جُهينة وسائر قُضاعة. وهو ما تؤكده روايات المصادر العربية القديمة، كابن إسحاق وابن هشام والبلاذري..وغيرهم.
- وبينت هذه الدراسةُ إلى أن الكثيرين من الأعلام ينتسبون لقبيلة جُهينة، مثل الصحابة، وأيضا كان منهم من طبقة التابعين، وكبار العلماء، وقد سكن عدد كبير منهم أرض مصر بعد الفتح الإسلامي (21هـ/641م). ولعل أشهرهم الصحابي "عقبة بن عامر الجُهني" الذى تولى إمارة مصر فى خلافة "معاوية بن أبي سفيان"، وهو الذى سكن

"ميت عقبة" بالجيزة، وهو الذي أنشأها، ثم حملت اسمه بعد ذلك، والراجح أنه فى أيام هذا الأمير الجُهني زادت هجرات جُهينة إلى أرض مصر.

- كما بينت الدراسةُ أن قبيلة جُهينة شاركت فى فتح مصر مع قدوم جيش القائد عمرو ابن العاص، غير أن أعدادهم لم تكن كبيرة في ذلك الوقت ليكون لهذه القبيلة ديوان منفرد خاص بها في "ديوان العطاء"، ومن ثم انضموا لـ "أهل الراية"، ولما زادت أعدادهم بعد ذلك بفضل هجراتهم المستمرة إلى مصر، صار لهم ديوان منفرد مع بدايات القرن 2هـ/8م.

- وأكدت الدراسةُ أيضاً أن البحر الأحمر لم يكن عائقاً أمام الهجرات العربية القادمة من بلاد العرب إلى الساحل الشرقى لأفريقيا حيث بلاد وادي النيل، بل إنه شكل عاملاً من عوامل الترابط والتقارب بين قاطني سواحله، لاسيما بفضل تقارب الشاطئين، وقلة عرضه، وظهور الموانىء والثغور التى تطل عليه وشهرتها، وارتباطها بـ"موكب الحج"، وهو ما كان سبباً فى ازدهار النشاط التجاري عبر البحر الأحمر، وهو ما أدى لزيادة الهجرات العربية إلى مصر وسودان وادي النيل.
- كما كشفت الدراسةُ أن عرب جُهينة كانوا من أوائل الجماعات العربية التى هاجرت إلى صعيد مصر، ثم سكنوا المدن والقرى هناك، وخاصةً بعد أن أُسقط العرب من "ديوان العطاء" أيام الخليفة العباسي "المعتصم بالله" (218هـ/833م)، وكذلك بسبب ميل بني العباس إلى العنصر التركي، وإيثارهم على العرب، وهو ما تسبب في اضطهاد الولاة الأتراك للقبائل العربية، وبذلك زادت الهجرات الجُهنية إلى الجنوب بعيدا عن نفوذ الولاة الأتراك، وبحثاً عن موطن جديد للاستقرار، وسعياً وراء أسباب الرزق.
- وبينت الدراسةُ أن قبيلة جُهينة لما استقرت فى الصعيد، واجهت العديد من التحديات، كما نشبت بين جُهينة وبعض القبائل الأخرى بعض الصراعات، خاصة أيام "الدولة الفاطمية" التى أظهرت العداء للعرب من غيرالقرشيين وآل البيت. ولعل من أشهر تلك الصراعات ما وقع بين جُهينة وبطون قريش فى الأشمونين، وتأييد الفاطميين لقريش ضد عرب جُهينة، ثم أُجبر الجُهنيون على ترك الأشمونين.
- وأكدت هذه الدراسةُ أن عرب جُهينة لما هاجروا إلى بلاد البجة لعبوا دورا كبيرا فى ازدهار هذه البلاد، حيث اهتموا بالعمل فى "مناجم الذهب" التى توجد فى "وادي العلاقي"، كما ساهم الجهنيون في ازدهار تجارة الذهب في موانىء شرق أفريقيا. كما ساهموا فى عمران تلك البلاد وازدهارها، وساهموا كذلك نشر العروبة والإسلام بين شعب البجة.

- أثبتت الدراسةُ أن مدة إقامة قبيلة جُهينة فى بلاد البجة لم تخل من الصراعات مع بعض القبائل العربية الأخرى التي سكنت هذه البلاد، ولعل من أشهرها ما وقع بين الجُهنيين وبني ربيعة الذين كانت تربطهم علاقات قوية مع الحداربة، وهم زعماء بلاد البجة، وكان لهم دور فى تأييد ربيعة، وهو ما كان سببا رئيسا في انتصارهم علي عرب جُهينة وحلفائهم من العرب. وهو ما أدى إلى اجبار الُجهنيين على الهجرة من "أرض الذهب" إلى خارج بلاد البجة.
- وأكدت الدراسةُ أن "عصر المماليك" (648-923هـ/1250-1517م) شكل مرحلة من المعاناة للجُهنيين، وذلك بسبب الصراعات العديدة التى وقعت فى بلاد الصعيد بين القبائل العربية بصفة عامة، وجماعات جُهينة خاصة ضد المماليك، وذلك لأن الجهنيين هم الذين قادوا المواجهة ضد المماليك. لاسيما وأن القبائل العربية التي سكنت بلاد الصعيد لم تعترف بشرعية حكم المماليك، وأعلنوا عدم الولاء أو الطاعة لهم، وهو ما أدى إلى ظهور "الأحلاف العربية" ضد حكم سلاطين المماليك، وكان أشهرها "حلف جُهينة". غير أن هذا الصراع انتهى بهزيمة هذا الحلف العربي، وهو ما زاد من معاناة عرب جُهينة، بعد أن اشتد أمراء المماليك فى اضطهادهم أكثر من غيرهم من العرب، وأسرفوا في البطش بهم، وهو ما اضطرهم إلى الهجرة إلى بلاد النوبة بعد ذلك، وعلى هذا كانت المواجهة بين الجهنيين والمماليك من أهم الأسباب التي دفعت جماعات كبيرة من هذه القبيلة إلى الهجرة إلى بلاد النوبة.
- بينت الدراسةُ أن عرب جُهينة كان لهم دور واضح في إضعاف "مملكة المقرة"، ثم سقوطها بعد ذلك في سنة 723هـ/ 1323م، ولم يكن هذا الدور مقصورا على عرب ربيعة ، أو الكنوز، وحدهم كما يظن البعض. فمن خلال الإشارات التاريخية التي وردت في المصادر صار لدى الباحث قناعة بأن قبيلة جُهينة ساهمت بشكل واضح في سقوط تلك المملكة المسيحية، وهو ما أدى إلى مزيد الهجرات العربية بكثافة غير معهودة صوب بلاد علوة، ومن ثم انتشار حركة التعريب على نطاق كبير في تلك البلاد بفضل هذه القبيلة العربية. ولعل هذه النتيجة تعد من أهم ما خرجت به هذه الدراسة من حقائق جديدة.
- وأثبتت هذه الدراسةُ أن قبيلة جُهينة كان لها الإسهام الأبرز بين كافة القبائل العربية فى إضعاف "مملكة علوة" المسيحية، ثم سقوطها بعد ذلك في آواخر القرن "التاسع الهجري" (القرن الخامس عشر الميلادي)، وبدايات "القرن العاشر" الهجري (القرن السادس عشر الميلادي) خاصة فى ظل الهجرات الكثيفة التى قام بها عرب جُهينة إلى تلك البلاد بعد

سقوط "مملكة المقُرة"، وهو ما فتح الباب على مصراعيه أمام ازدياد الهجرات العربية إلى أراضي علوة. وكان عرب جُهينة قد تمكنوا من خلال التقارب والمصاهرة مع زعماء علوة من الوصول إلى حكم تلك البلاد، ثم أحكموا قبضتهم عليها، ثم أتموا غايتهم وحلمهم الأكبر بسقوط هذه المملكة المسيحية.

- كما أوضحت هذه الدراسةُ أن قبيلة جُهينة لعبت دوراً كبيراً فى تعريب بلاد النوبة، ونشر الإسلام بها، كما ساهمت أيضا فى بروز العديد من المظاهر الحضارية والثقافية المهمة في هذه البلاد، سواء أكانت إدارية، أم إقتصادية، أم ثقافية، كما ساهم الجهنيون بشكل أو بآخر في طمس الهوية المسيحية في بلاد النوبة بشكل سلمي، وذلك من خلال حرصهم على نشر الإسلام بين النوبيين.
- وأكدت هذه الدراسةُ أيضاً أن عرب القواسمة أو العبدلاب، وهم من بطون قبيلة جُهينة، ساهموا بالدور الأكبر فى سقوط "مملكة علوة"، وذلك من خلال التحالف الذي عقدوه مع زعماء الفونج بقيادة الملك "عمارة دونقس"، وتمكن الجيش الذى قاده الأمير "عبدالله جمَّاع" زعيم الجهنيين في ذلك الوقت من هزيمة العنج (ملوك علوة) في "معركة أربجي"، وهو ما كان سببا رئيسا في انهيار مملكة علوة المسيحية، ومن ثم سقوطها بعد ذلك، وهو ما أدى لظهور الممالك والمشيخات الإسلامية على أنقاض أراضي مملكة علوة بعد ذلك مع بدايات القرن 10هـ/16م، وهو ما أكد الهوية العربية الإسلامية في سودان وادي النيل.

وعلى هذا تؤكد هذه الدراسةُ على الدور الحضاري الكبير الذي لعبته قبيلة جُهينة، وبطونها، في كل من مصر وسودان وادي النيل، عبر حقبة امتدت إلى أكثر من ستة قرون متواصلة، وهي الحقبة التي تعالجها، وترصدها بدقة هذه الدراسة، لاسيما دور هذه القبيلة العربية المهم نشر العروبة والإسلام في تلك البلاد، وخاصة في بلاد النوبة وسودان وادي النيل، وهو دورٌ فاقت به قبيلة جهينة غيرها من القبائل العربية الأخرى التي كانت قد استقرت تلك البلاد خلال حقبة العصر الإسلامي.

ملاحق الدراسة:

أولاً- الخرائط التوضيحية

ثانيا- متون الوثائق والمخطوطات والمصادر

ثالثا- الصور والأشكال التوضيحية

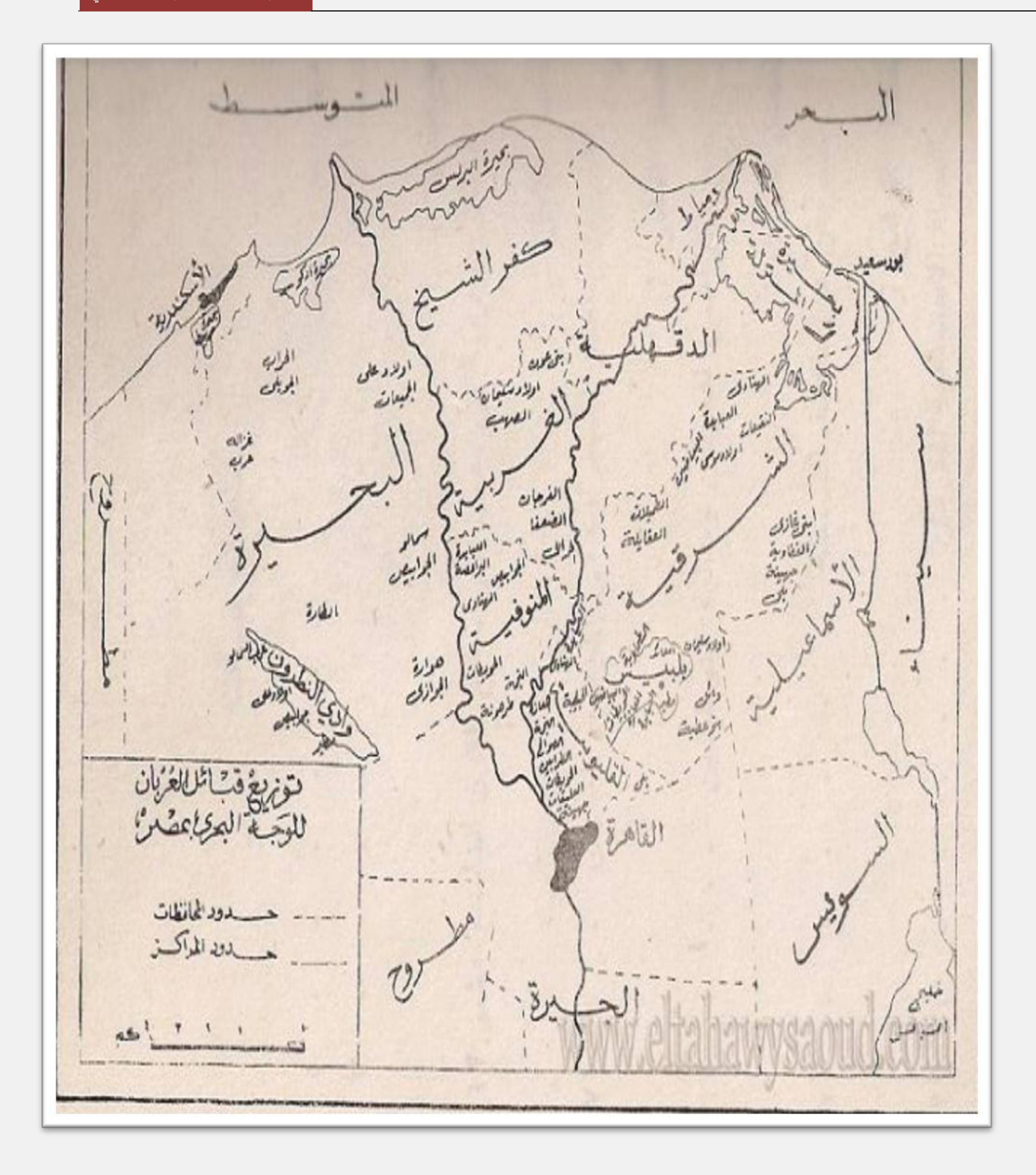
أولاً– الخرائط التوضيحية



خريطة (1)
توزيع مواطن القبائل في جزيرة العرب التى تطل على البحر الأحمر
وفيها مواطن العديد من قبائل قضاعة مثل: بلي وكلب وغطفان
عن موقع: ar.wikipedia.org



خريطة (2)
توضح مواطن القبائل في شبه جزيرة العرب وبها قبيلة جهينة
المصدر: ar.wikipedia.org



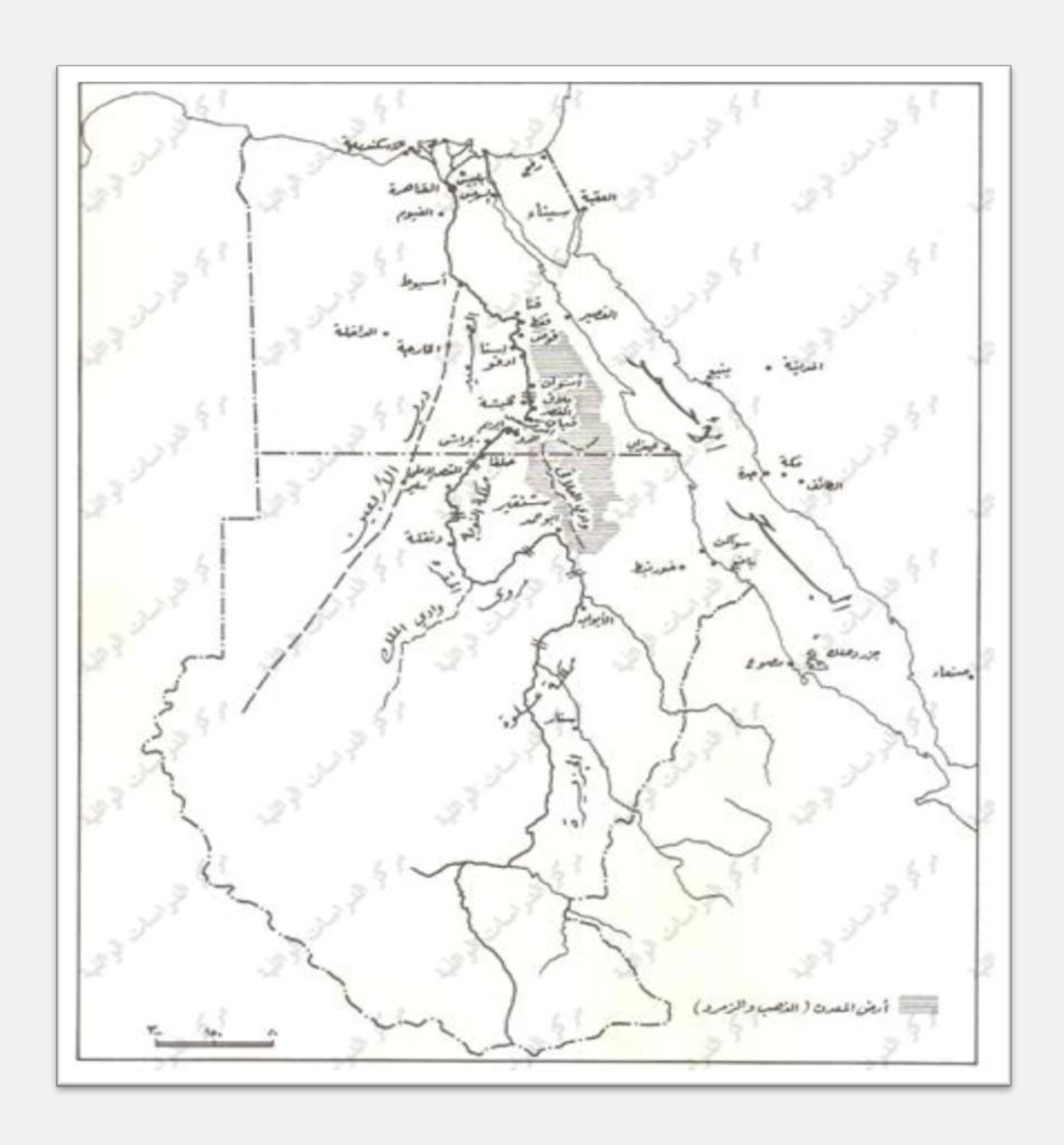
خريطة (3)

توزيع القبائل العربية في الدلتا (الوجه البحري)

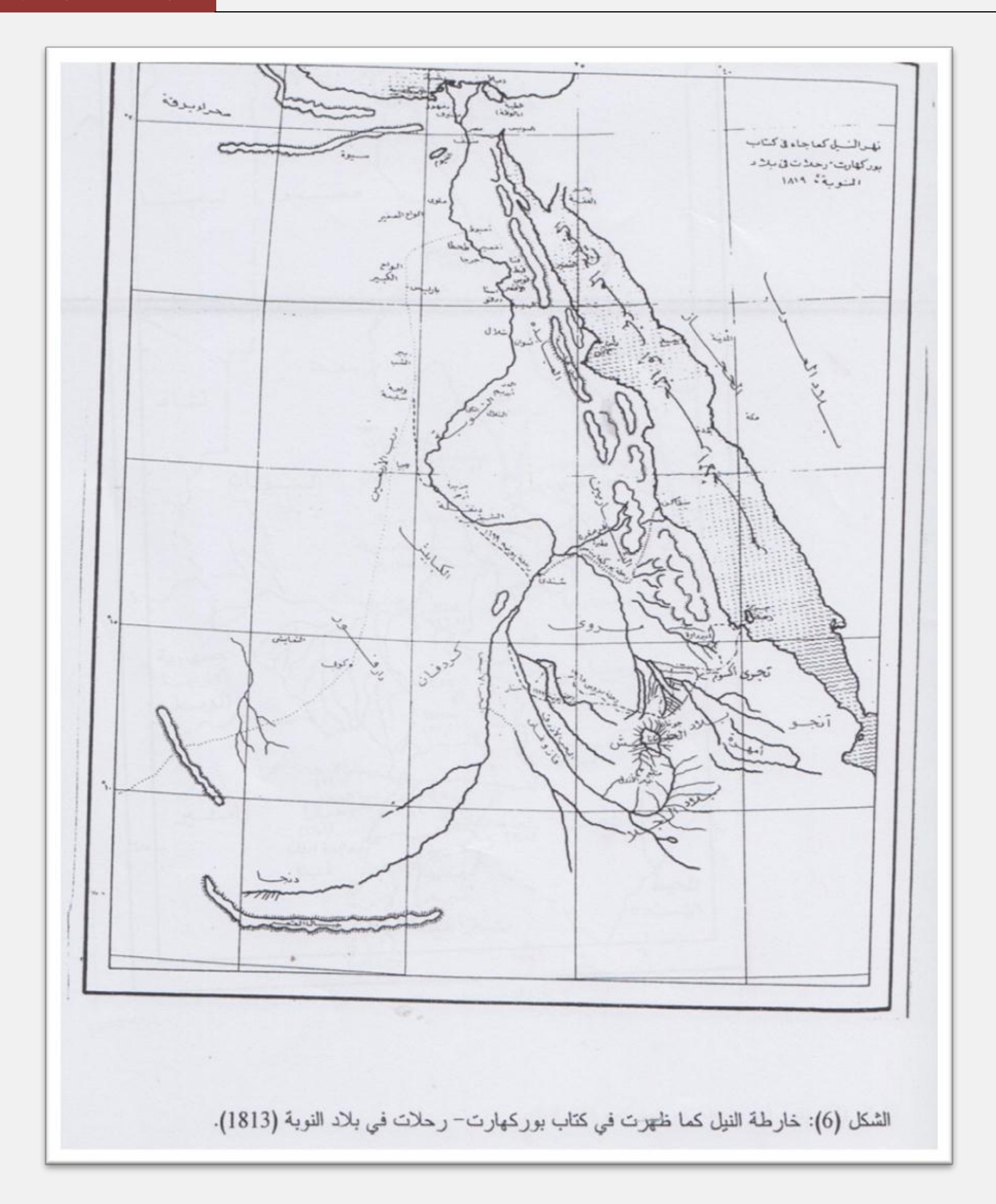
المصدر: موقع www.eltahawysaoud.com



خريطة (4)
توزيع القبائل العربية وغير العربية الكبرى في السودان
عن مجموعة محمد بن زيد - الخرطوم



خريطة (5)
خريطة وادي النيل ويظهر فيها موقع المدن التاريخية المعروفة
عيذاب - دنقلة – سنار – سواكن – مصوع - باضع – مروي
كما تظهر بها الطرق والمسالك التي سلكتها هجرات جهينة للنوبة
ومنها: طرق البحر الأحمر – نهر النيل – درب الأربعين
موقع www.wikipedia.org

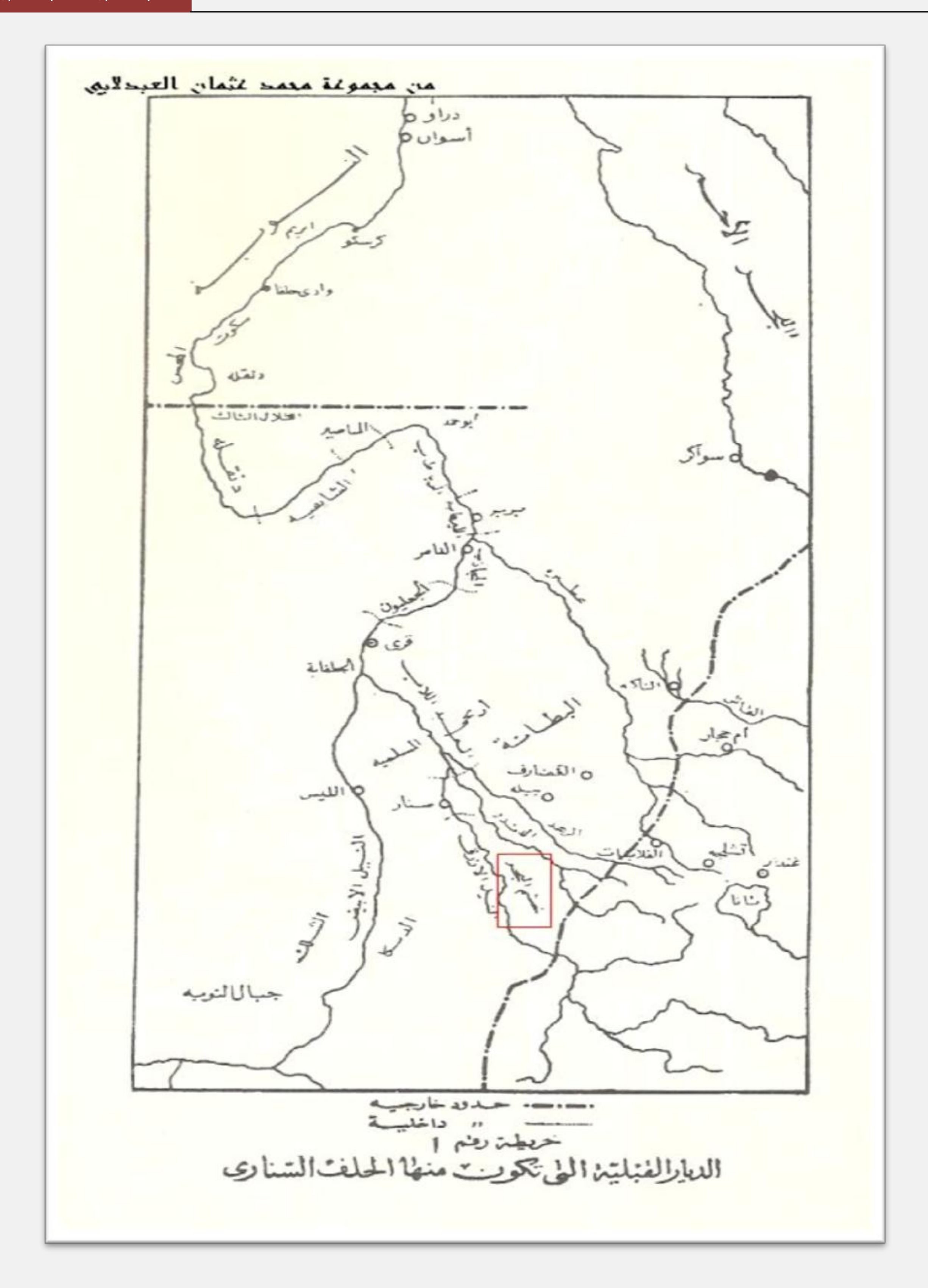


الشكل (6): خارطة النيل كما ظهرت في كتاب بوركهارت– رحلات في بلاد النوبة (1813).

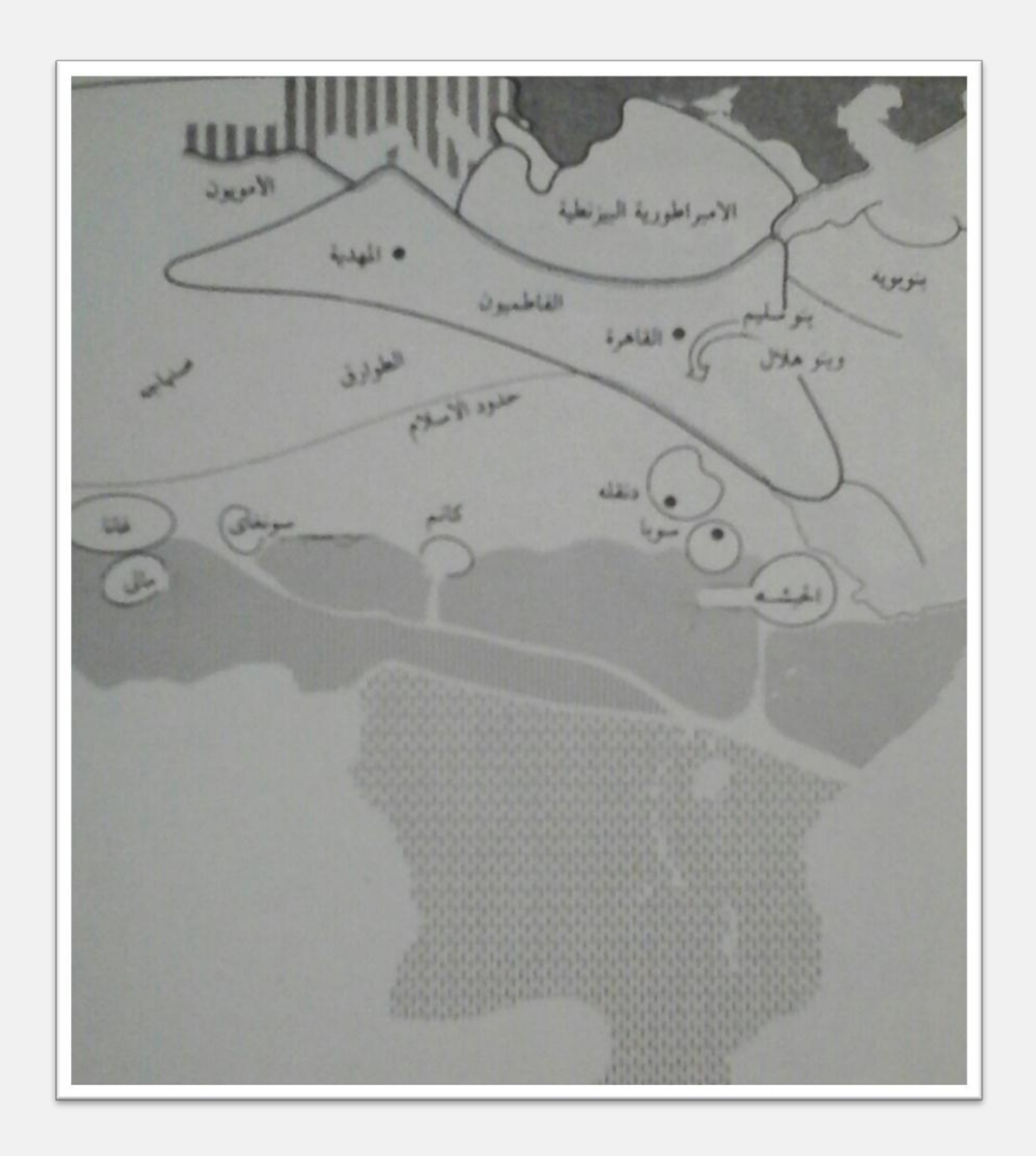
خريطة (6)

خريطة مصر وبلاد النوبة في كتاب الرحالة "بوركهارت" (سنة 1813م)

المرجع، كرم الصاوي باز: النيل والأرض سبيل للتقارب بين المسلمين والأقباط في العصر الفاطمي(358-567 هـ/969- 1171م)، ص130



خريطة (7)
الديار القبلية التي تكون منها "الحلف السناري" بين العرب والفونج
مجموعة محمد بن عثمان العبدلابي - الخرطوم

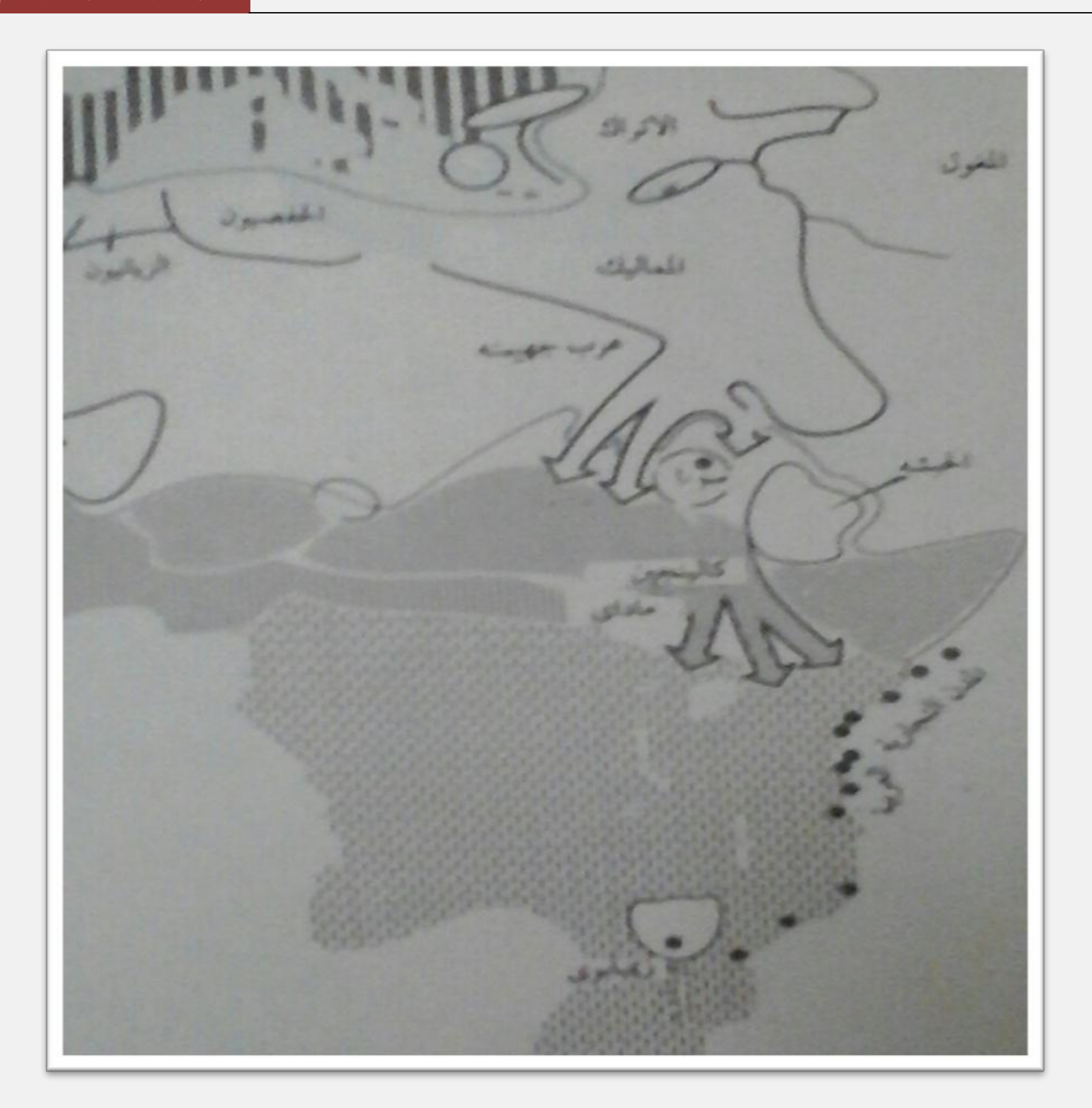


خريطة (8)

ممالك النوبة المسيحية والدول والممالك المُعاصرة لها

في بلاد السودان (الشرقي والأوسط والغربي) أيام الدولة الفاطمية

المرجع كولين ماكفيدي: أطلس التاريخ الأفريقي، ص82

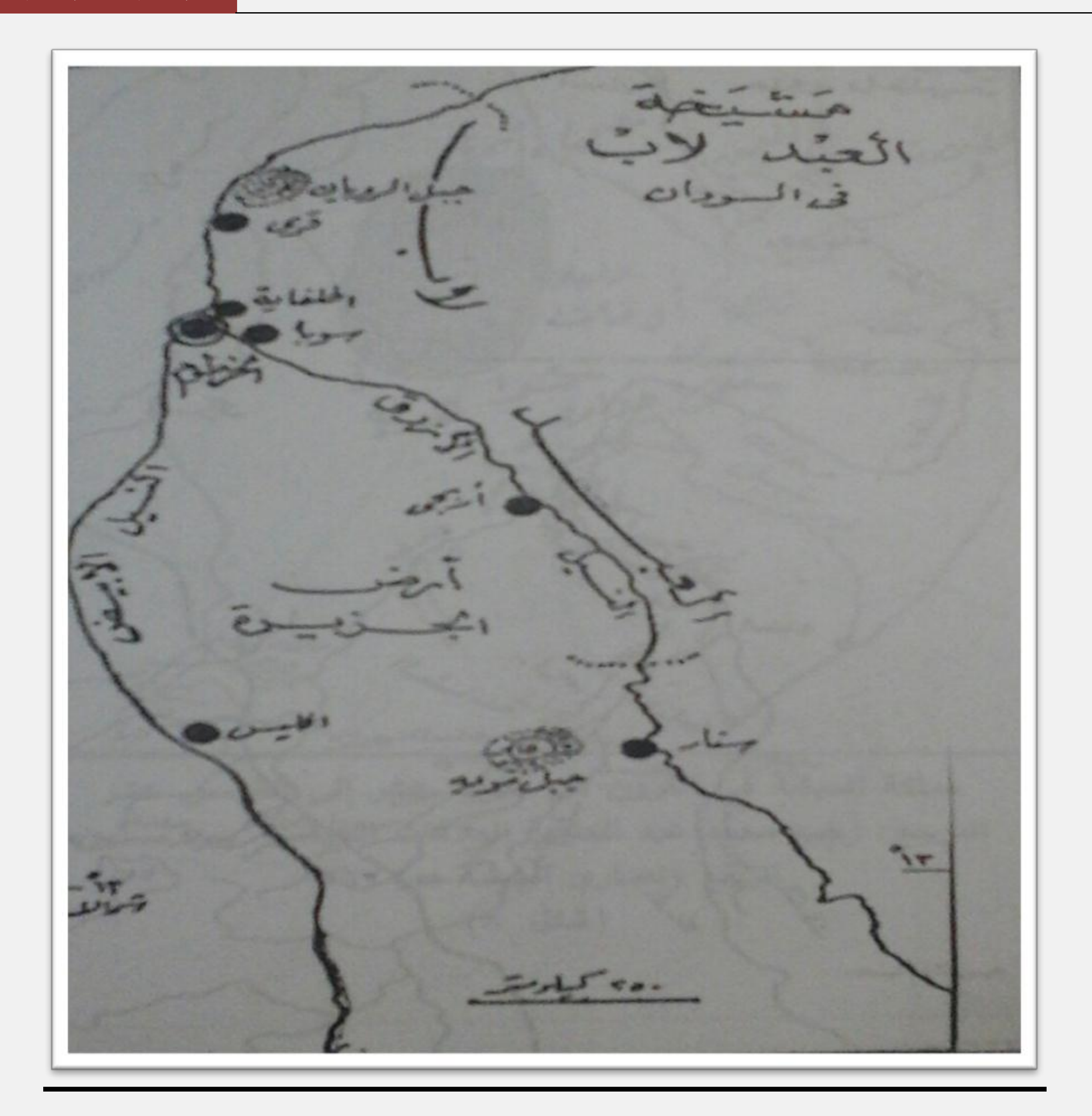


خريطة (9)

هجرة قبيلة جهينة

إلى بلاد النوبة وسودان وادي النيل أيام دولة المماليك

المرجع كولين ماكفيدي: أطلس التاريخ الأفريقي، ص95



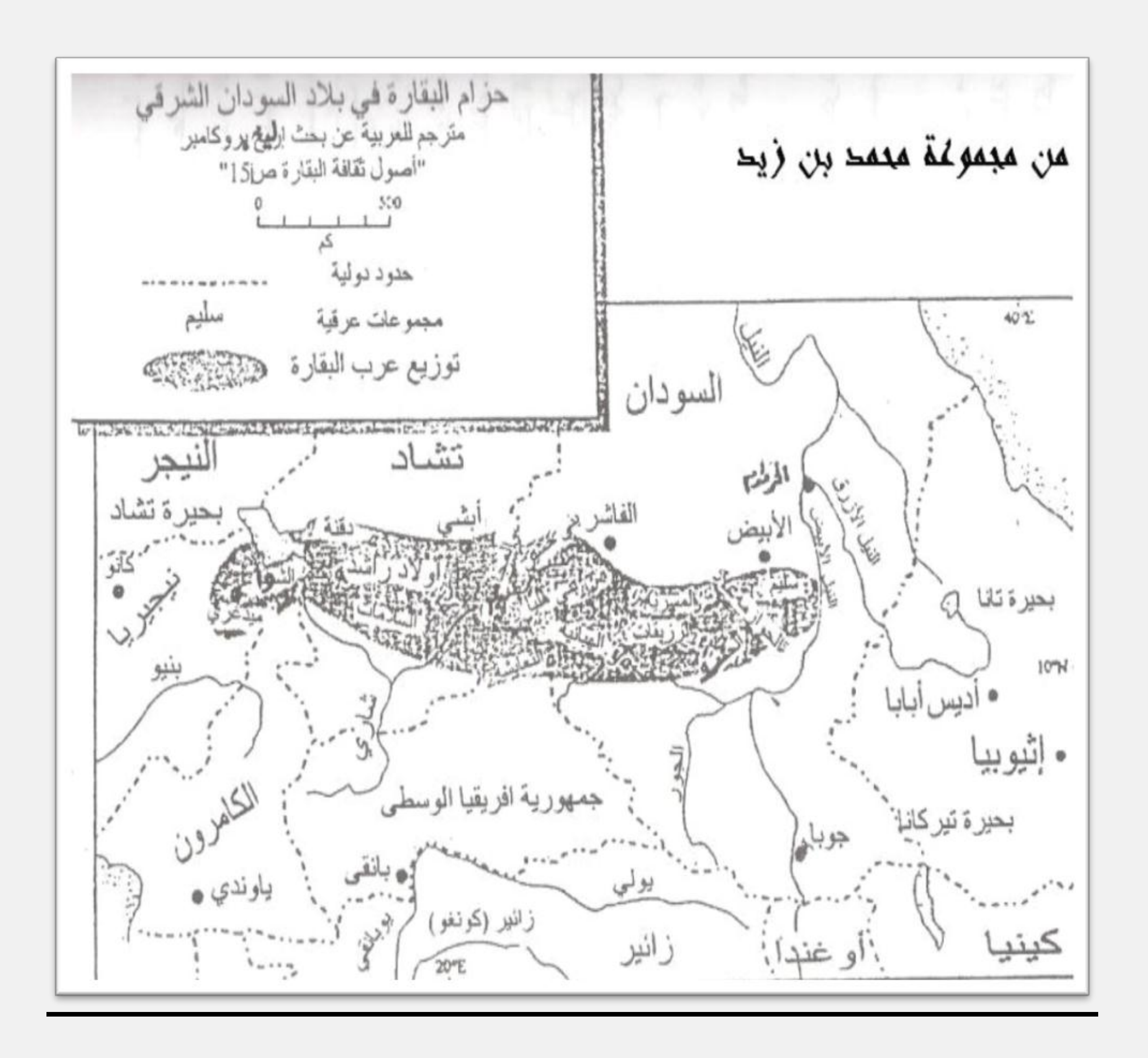
خريطة (10)

مشيخة العبدلاب في سودان وادي النيل

وتظهر بها مدن تاريخية هامة: أربجي – الحلفاية – قري – سوبة – سنار

المرجع كرم الصاوي باز:

ممالك النوبة في العصر المملوكي، ص486



خريطة (11)

حزام قبائل البقارة (وهم من عرب جهينة)

في بلاد السودان الشرقي

مجموعة من زيد – الخرطوم

ثانياُ– متون

الوثائق والمخطوطات والمصادر

ملحق (1)

"نسب مَعد بن عَدنان، وكل من قُضاعة، وجُهينة"

"وولد معد بن عدنان: نِزار بن مَعد، وبه كان يُكنى، ويقال إنه يكنى: أبا حَيدة، وبعضهم يقول إنه كان يكنى: أبا قُضاعة، وقنص بن معد، وقُناصة، وسنام، والعُرف، وعوف، وشك، وحيدان، وحيدة، وعُبيد الرماح..وأمهم مُعانة بنت جوشم بن جلهة بن عمرو، من جُرهم..يقال إن مُعانة كانت عند مالك بن عمرو بن مُرة بن مالك بن حمير، ثم خلف عليها بعده معد بن عَدنان، فجاءت معها بقُضاعة (جد جُهينة) ابن مالك بن عمرو. فكان يقال له: قُضاعة بن معد، فولدت. ويقال: إن معانة كانت بديًّا عند معد، فولدت له قُضاعة، ثم خلف عليها مالك بن عمرو، وتبنى قُضاعة، فنُسب له. وأن قضاعة كان يُسمى: عَمراً، فلما تقَّضَع عن قومه، أي: بَعُد، سُميّ قضاعة، والله أعلم. وقال هشام: كان عمرو بن مُرّة الجُهني أول من ألحق قُضاعة باليمن..وحدثني أبو عدنان الأعور، عن أبي زيد الأنصاري النحوي، عن أبي عمرو بن العلاء، قال: "لم تزل قُضاعة معدية في الجاهلية، وتحولوا فقالوا: قضاعة بن مالك بن عمرو، وذلك لأن بني مالك بن عمرو إخوتهم لأمهم. وحدثني أبو الحسن المدائني، عن أبي اليقظان: أن عمر بن عبد العزيز وكانت أم أبيه كلبية (أي من قبيلة بني كلب القضاعية)، قال لبعض أخوال أبيه: إن عليّ منكم لغضاضة غضضّتكم حرب قوم، فابتغيتم عن أبيكم، وانتميتم إلى غيره..وحدثني محمد بن الأعرابي، عن المفضل الضبي، عن القاسم بن معد، وغيره: أن أول من ألحق قضاعة بحمير، عمر(و) بن مُرة الجهني، وكانت له صحبة. وروى عن هشام بن عروة، عن عائشة: "قالت: يا رسول الله، قضاعة ابن من ؟ قال: ابن معد..ووقع الشرُ بين بني معد وبني قضاعة، فكان أول من خرج من معد من تهامة: جُهينة وسعد هُذيم ابنا زيد بن ليث بن سود بن أسلُم، فنزلا الصحراء، فسمتها العرب: صُحار. وخرجت بنو نهد عن معد، فنزل بعضها باليمن، وبعضها (بـ)الشأم..".

المصدر البلاذري: أنساب الأشراف، جـ1، ص15– 19

ملحق (2)

"قبيلة جُهينة ونسبها وبطونها"

"وهؤلاء بنو جُهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلُم بن إلحاف بن قضاعة، وولد جُهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن إلحاف بن قُضاعة: قيسا ومودوعة، أمهما: عاتكة بنت سعد بن هُذيل بن مُدركة. هؤلاء بنو قيس بن جُهينة، فولد قيس بن جُهينة: غطفان، وغَّيان، فوفد بنو غيان على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: من أنتم ؟ قالوا: نحن بنو غيان، قال: أنتم بنو رشدان، فغلبت عليهم، كان واديهم يسمى غوَى، فسُمي: رَشَد. فولد رشدان بن قيس بن جُهينة: ذُبيان، والرَّبعة، بَطنْ، ومنازل بعض الربعة بالكوفة، وأمهما: فُريعة بنت كلب بن وَبرة. فولد ذبيان بن رشدان: سعداً وعامراً وجدَارة، منهم: بسبس، وضمُرة، وزياد بنو عمرو بن ثعلبة بن حرشة بن عمرو بن سعد بن ذبيان، وعدادهم في الأنصار..وولد غطفان بن قيس بن جُهينة: مالكاً وعوفاً، فولد مالك بن غطفان: نصراً، والشُّلَل، وقانصة، وعاتبة، وعجباً، (و) بطون. فولد نصر بن مالك: كاهلاً، ورفاعة، (و) بطن..ومن بني رفاعة بن نصر: سُويد بن مالك بن محرب بن مازن بن رفاعة، قتلته بنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وهو أبو محجن، وعمرو بن مُرة بن عنبس بن مالك بن المحرث، صحب النبي صلى الله عليه وسلم. وسويد بن عمرو بن حَذمة بن بسرة بن خُديج بن مالك بن عمرو بن ذُهل بن عمرو بن ثعلبة بن رفاعة..وكان لا يمر به أحد من عزِّه، وإنما يأخذ يمينا وشمالاً، وكان أمنع جُهني في زمانه في الجاهلية، وهو الذي أخرج الحُرقة من جُهينة فألحقهم ببني مُرة..وهؤلاء بنو مودوعة بن جُهينة، وولد مودوعة بن جُهينة: ثعلبة، فولد ثعلبة بن مودوعة: عمراً، وعامراً، فدخل عمرو في عاملة. وولد عامر بن ثعلبة بن مودوعة: حُميساً، وهم الحُرقة، بطن عدادهم في بني مُرة، وإنما سموا الحُرقة لأنهم أحرقوا بني سهم بن مُرة بالنَّيل. وذبيان بن عامر بطن وشبابة..وهم قليل وجأوة..فولد حُميس بن عامر: زيداً وثعلبة..وهؤلاء بنو جُهينة بن زيد بن أسلُم بن الحاف بن قضاعة، وولد نهد (وهو أخو جُهينة) بن زيد بن ليث بن سود بن أسلُم بن الحاف بن قضاعة: مالكاً، وصُباحاً، بطن، وزيد، بطن، ومعاوية..فهؤلاء نهد الذي سكنت قريبا من نجران.. "

المصدر:

ابن الكلبي: جَمهرة النسب، جـ2، ص494-498

ملحق (3)

نسب قبيلة جهينة

"جُهينة: قبيلة مشهورة بين قبائل العرب، ولا حاجة لنا أن نحكي عن شهرتها. وهم في السودان عائلة سعيد بن جميل، وعائلة مادير بن عامر، وعائلة مُسعد بن كُليب، وعائلة بطحان بن دجنة. وسبب خروجهم (أي هجرتهم) أن عاصم المغربي ملك بربرة ذبح عدداً من تُجارهم والله أعلم. ولهذا عادته جُهينة، وغزوا بلاده، ونهبوا ماله، وداموا علي ذلك. ثم أتى الجعليون (جعل)، وهزموهم، وغزو بلادهم، وصارت جُهينة رعايا لهم، ثم دخلوا جزيرة أناجيل البجاوي (Anagil the Bagawy) بعد أن هلك ولده، وانتهى ملكه.."

المصدر: مخطوطة أحمد بن الفكي معروف: "ذكر قبائل العرب التى سكنت أرض السودان".

انظر Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan, Vol. II, P.343

ملحق (4)

"نسَب قبيلة جُهينة"

"...أما نسب جُهينة ا(بـ)ن ذبيان ابن عبد الله ابن دهمان ابن قس ابن مفيض ابن جُهينة ابن ريش ابن عطفا ابن سعد ابن قيس ابن عيلان ابن مضر ابن معاوية ابن الحكم ابن عفان ابن امس ابن اميَّة ابن عبد شمس ابن عبد مناف ابن قصي ابن كلاب ابن مُرة ابن لوي ابن غالب ابن فهر ابن مالك ابن النضر بن كنانة ابن خزيمة ابن مدركة ابن الياس ابن مضر ابن نزار ابن معد ابن عدنان. وقيل: ان جُهينة ابن عطية ابن الحسن ابن الزبير ابن العوام ابن خويلد ابن أسد ابن عبدالعزى ابن قصي الى آخر(هـ). وقيل: ان جُهينة ابن عبدالله ابن انيس الجهني والله أعلم بالصواب.." **المصدر: السمرقندي: مخطوطة أنساب عرب السودان، ورقة11**

ملحق (5)

"استقرار قبيلة جهينة في أرض مصر"

"...أما جُهينة فإنها من قبائل اليمن، وهي جهينة بن زيد بن ليث بن سود بن أسلُم بن الحاف بن قضاعة، وهى قبيلة عظيمة، وفيها بطون كثيرة، وهى أكثر عرب الصعايدة. وكانت مساكنهم في بلاد قريش، فأخرجتها قريش بمساعدة الخلفاء الفاطميين، ونزلوا في بلاد إخميم، أعلاها وأسفلها، وروي أن بلي وبطونها كانت لهذه الديار..وجهينة بالأشمونين جيرانا بمصر كما هم بالحجاز، فوقع بينهم واقع أدى غلى دوام الفتنة، فلما خرج العسكر لإنجاد قريش علي جهينة، خافت بلي، فانهزمت في أعلي الصعيد، إلى أن أدينت لقريش وملكتهم دار جُهينة. ثم حصل بينهم جميعا الصلح على مساكنهم هذه التى تقدم ذكرها، وزالت الشحناء. وأما قريش، فإنهم ولد مالك بن النضر بن كنانة.."

المصدر المقريزي: البيان والإعراب عمن في أرض مصر من قبائل الأعراب، ص137

ملحق (6)

"ترجمة الصحابي عُقبة بن عامر الجُهني"

"عُقبة بن عامر الجُهني بن عبس بن عَدي بن عمرو بن رفاعة بن مُودوعة بن عَديّ ابن غنم بن الربعة بن رشدان بن قيس بن جُهينة الجُهني. يُكنى: أبا حماد، وقيل: أبو لُبيد، وأبو عمرو، وأبوعبس، وأبو أُسيد، وأبو أسد، وغير ذلك. روى عنه أبو عُشّانة أنه قال (أى عقبة) : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وأنا في غنم لي أرعاها، فتركتها، ثم ذهبتُ إليه، فقلت: تبايعني يا رسول الله ؟ قال: من أنت ؟ فأخبرته، فقال: أيما أحب إليك تبايعني بيعة أعرابية، أو بيعة هجرة ؟ قلتُ: بيعة هجرة، فبايعني. وكان (عقبة) من أصحاب معاوية بن أبي سفيان، وولي مصر، وسكنها، وتوفي بها سنة ثمان وخمسين، وكان يخضب بالسواد. روى عنه من الصحابة: ابن عباس، وأبو أيوب، وأبو أُمامة، وغيرهم. ومن التابعين: أبو الخير، وعلي بن رباح، وأبوقبيل، وسعيد بن المسيب، وغيرهم. أخبرنا عبدالله بن أحمد الطوسي، أخبرنا أبو محمد جعفر بن أحمد القارىء، أخبرنا الحسن بن أحمد بن شاذان...عن عبدالرحمن بن عائذ، عن عقبة بن عامر الجُهني، قال: ذهب إلى المسجد الأقصى يصلي فيه، فرآه الناسُ فاتبعوه، فقال لهم: ما لكم ؟ قالوا: أتيناك لصُحبتك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لتحدثنا بما سمعت منه. قال: انزلوا، فصلوا، فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من عبدٍ يلقى الله عز وجل لا يُشرك به شيئاً، ولم يتند بدمٍ حرام، إلا دخل من أي أبواب الجنة شاء. وشهد (عُقبة) صفين مع معاوية، وشهد فتوح الشام، وهو كان البريد إلى عمر بفتح دمشق، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن..."

المصدر: ابن الأثير: أُسد الغابة، جـ4، ص38-39

ملحق (7)

"حديث أبي عبدالرحمن الجُهني"

"روى ابن ماجة: حدثنا أبوبكر، حدثنا ابن نُمير، عن محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب...عن **أبي عبدالرحمن الجُهني**، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني راكب غدا إلى اليهود فلا تبدؤوهم بالسلام، فإذا سلموا عليكم ، فقولوا: وعليكم"

المصدر سنن ابن ماجة: حديث رقم 3699

ملحق (8)

"أصل الحدارب"

تقول المخطوطة: "أخبرني سيدي عبد الله بوعزيز الحَضري أنهم جاءوا في الأصل من حضرموت، ويقال إنهم فرع من حموم Hamum، وهم من بدو حضرموت. هاجروا إلى السودان في أيام الحجاج بن يوسف (الثقفي)، وسكنوا بين البجة، صاروا (أي الحدارب) مثل البجة أنفسهم. واتخذوا موطناً لهم في سواكن Suakin، وهي الجزيرة المشهورة علي ساحل السودان، بالقرب من بلاد الحبشة. وقال: إنهم سُموا بالحضارم Hadarem، وهو اسم مأخوذ من حضارم، ولكن منذ أيام الجاهلية فإن حرف الضاد تحول إلى الدال، وتحول حرف الميم إلى الباء كما يُفهم. ثم صاروا يعرفون باسم: الحدارب.."

المصدر مخطوطة أحمد بن الفكي معروف، واسمها "ذكر قبائل العرب التى سكنت أرض السودان". انظر متن هذه المخطوطة:

Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan , Vol. II , P. 349

ملحق (9)

"<u>أصل رفاعة</u>"

تقول المخطوطة عن رفاعة: "سكنوا فى أول أمرهم بلاد الحبشة، وبين شعب البجة، ثم ارتحلوا إلى وادي النيل، وهم إحدى القبائل القحطانية Kahtanite Tribes..."

المصدر: مخطوطة أحمد بن الفكي معروف، واسمها "ذكر قبائل العرب التى سكنت أرض السودان". انظر: Macmichael: A History of the Arabs , Vol. II , P. 347

ملحق (10)

"<u>نسب الكواهلة</u>"

تقول المخطوطة: "الكواهلة: هم عائلة كاهل بن عمارة بن خليفة بن أيبراك بن محمد بن سليم بن خالد بن الوليد. وهم يضمون عدداً لا يُعد من القبائل التى تسكن بقاع مختلفة من السودان، كلهم في الجنوب، ويسكن أكثرهم في صحراء البجة، ويندر أن ينزلوا إلى نهر النيل، أو إلى موقع في مدينة سوبة (Soba) يدعى بالولا Baluia.."

المصدر: مخطوطة أحمد بن الفكي معروف "ذكر قبائل العرب التى سكنت أرض السودان".

انظر: Macmichael: A History of the Arabs , Vol. II , P. 345

ملحق (11)

"<u>مُجتمع عرب جُهينة في بلاد البجة</u>"

"...وموضع يقال لهم العلاقي الأدنى، وموضع يقال له الريفة..وكل هذه معادن تبر، ومن الخربة إلى معدن يقال رحم معدن تبر ثلاث مراحل، **وبرحم قوم من بلي وجهينة**، وغيرهم من أخلاط الناس يقصدون للتجارات، فهذه معادن الجوهر، وما يتصل بها من معادن التبر القريبة..ووادي العلاقي كالمدينة العظيمة به خلق من الناس، وأخلاط من العرب والعُجم، أصحاب المطالب، وبها أسواق وتجارات، وشربهم من آبار تُحفر في وادي العلاقي. وأكثر من بالعلاقي قوم من ربيعة، من بني حنيفة من أهل اليمامة..ووادي العلاقي وما حواليه معادن للتبر، وكل ما قرب منه يعتمل فيه الناس لكل قوم من التجار وغير التجار عبيد سودان، يعملون في الحفر، ثم يخرجون التبر كالزرنيخ الأصفر، ثم يسبك. ومن العلاقي إلى موضع يقال له وادي الحمل مرحلة...وإلى معدن يقال **له ميزاب تنزله بلي وجهينة**، **أربع مراحل**..ومن العلاقي إلى عيذاب أربع مراحل، وعيذاب ساحل البحر المالح، يركب الناس منه إلى مكة والحجاز واليمن، ويأتيه التجار، فيحملون التبر والعاج، وغير ذلك في المراكب..ومن العلاقي إلى معدن يقال له سختيت عشر مراحل، فهذه المعادن التى يصل إليها المسلمون، ويقصدونها لطلب التبر.."

المصدر: اليعقوبي: كتاب البلدان، ص333-335

ملحق (12)

"العلاقة بين القبائل العربية

في أرض المعدن بعد حملة العمري (255هـ/868م)"

"وأما العُمري فإنه سار إلى قرية بحري أسوان يقال لها أدفو، وعبر منها إلى الشرق، وكانت له وقعةُ مع واليها بعد شعبة. ثم دخل المعدن، وجرت له حروب أعظم من الأولى مع ربيعة، ثم عاود إلى المعدن في سنة خمس وخمسين ومائتين، وعلى ربيعة رجلٌ يُعرف بأشهب ابن ربيعة من بني حنيفة ابن لُجيم بن صعب..وآخر يُعرف بإياس بن رَوح، وآخر يعرف بمحمد بن صَريح بن علي بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب..**وكان على الجُهنيين رجل يُعرف بعثمان بن سعدان**، وعلى الشاميين رجل من سعد العشيرة، ورؤساء دون هؤلاء، فكثرت بهم العمارة فى البجة، صارت الرواحل التى تحمل الميرة إليهم من أسوان، ستين ألف غير الجلاب (أي السفن الصغيرة) التى تحمل من القلزم إلى عيذاب. وعَرض أحمد بن طولون لمنع ذلك بسبب العُمري، فكتب إليه أنه في مائة ألف أو يزيدون، فعدل عن الاعتراض. ووقع بين المسلمين المنافسة والمنازعة والحروب، ومالت البجة إلى ربيعة، واتفقت معهم وتزوجوا إليهم. فخرج أخٌ للعُمري من أمه يُعرف بإبراهيم المخزومي إلى عيذاب ليمتار، فاعترضته البجة فقتله ومن معه، فغضب

لذلك العُمري، وكتب إلى ربيعة يسألهم الانصاف من البجة، أو التخلية بينه وبينهم، فدافعوه عن الحالين، فاستدعى (قبيلة) مُضَر إلى حربهم فشردوا عنه، وعبر بنو هلال النيل إلى الغرب، وأقام بنو تميم شرق النيل واعتزلت المعادن، فلم يبق مع العُمري إلا القليل..ثم إن العمري واقعهم وهم غادون، فقتل فيهم قتلاً وذبحاً، وأنشبت الحرب بينهم، وقُتل من الفريقين ألوف، ولهم وقعتان مشهورتان في موضعين يعرف أحدهما بميزج، والآخر بكيا...".

المصدر المقريزي: المقفي الكبير،جـ4، ص164

ملحق (13)

"هجرة جهينة إلى النوبة ودورهم في سقوط مملكة علوة المسيحية"

"وفي سنة 890هـ، توفي قائد القبائل القحطانية الأميرحيدر بن الأمير حمد بن أحمد بن الأمير رافع بن الأميرعامر، فخلفه في رئاسة القبائل الأمير عبدالله القرين، ولد فرج، ولد حمد العليت، ولد الأمير رافع، ولد الأمير عامر. وكان الأمير عبدالله القرين قوي الشكيمة، رجلاً شجاعاً، طموحاً، وكان يرى أنه له الحق أن يسود كل بلاد العجم، أي السودان. فجمع أخيارا من قومه، وقال: نحن أحق بالبلد، لأنه دخل أجدادنا مع الأمير خالد بن سعيد، ودخلوا مع الأمير عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وكانوا قوة جيش ابن الجهمي، وسحنا في البلاد بأموالنا ونسائنا. من عهد القمي، ونحن (و)رجالنا خيولنا، فتحنا سوبـ(ة)، وخربنا الكنائس، والجعليين أتوا بعدنا، والآن بيدهم الجزائر الخصبة، وامتلكوا البلاد دنقلا، لابد أن أحاربهم، وأجليهم من البلد. فقالوا له: هذا صعب علينا، وتهلك القبائل، ويعود الزنوج إلى مُلك البلاد. ولذلك أخذ طائفة من رجاله، وذهب إلى جبال البرون، واجتمع بالملك عمارة الملقب دنقس (دونقس) بن الملك عدلان، وهون له ملك البلد كله، وتحالفوا اليمين ليكون الملك إلى عمارة وأولاده، وأهله. ودانت له الجزيرة بدون حرب، وجميع بوادي النيل الأزرق، والدندر، والرهد، وذلك بأمر الأمير عبدالله ورأيه. وخضعت له دار محارب، والجمع، والجوامعة، وخضعت له الماجدية، والكرتان، وسليم، وجميع بوادي كردفان، وحارب الشويحات في بارة، وقتلهم، وشتتهم في البلاد، وامتد نفوذه إلى نهر أتبرة (أي العطبرة). ومات الأمير القرين والملك عمارة دونقس، فخلف الأمير القرين ابنه الأمير عجيب، ولقبه الفونج المانجلك..".

المصدر الفحل الفكي الطاهر: تاريخ وأصول العرب بالسودان، ص112-113

ملحق (14)

رواية ابن خلدون عن هجرة جُهينة إلى النوبة

"ثم إن أهل النوبة اجتمعوا على نشلي، وقتلوه بمالأة جماعة من العرب سنة تسع (أي سنة 709هـ/1309م)، وبحثوا عن كربيس ببلد الأبواب، فألفوه بمصر. وبلغ الخبر إلى السلطان،

فبعثه إلى النوبة، فملكها. وانقطعت الجزية بإسلامهم، ثم انتشرت أحياء العرب من جُهينة في بلادهم، واستوطنوها، وملكوها، وملؤوها عيثا وفسادا. وذهب ملوك النوبة إلى مدافعتهم، فعجزوا، ثم صاروا إلى مصانعتهم بالصهر. فافترق مُلكهم، وصار لبعض أبناء جُهينة من أمهاتهم على عادة الأعاجم في تمليك الأخت وابن الأخت، فتمزق ملكهم، واستولى أعراب جُهينة علي بلادهم، وليس في طريقه شيء من السياسة الملوكية للآفة التى تمنع انقياد بعضهم إلى بعض. فصاروا شيعا لهذا العهد، ولم يبق لبلادهم رسم للملك، وإنما هم الآن رجالة بادية، يتبعون مواقع القطر شأن بوادي العرب، ولم يبق في بلادهم رسم للملك، لما أحالته صبغة البداوة العربية من صبغتهم بالخلطة والإلتحام.."

المصدر ابن خلدون: العبر، جـ5، ص491

ملحق (15)

"رواية ابن خلدون عن هجرة جُهينة إلى النوبة وانتقال الحكم إليهم"

"وبالصعيد الأعلى من أسوان، وما وراءها، إلى أرض النوبة إلى بلاد الحبشة قبائل متعددة وأحياء مُتفرقة، كلهم من جُهينة إحدى بطون قُضاعة، ملؤوا تلك القفار، وغلبوا النوبة علي مواطنهم وملكهم، وزاحموا الحبشة فى بلادهم، وشاركوهم فى أطرافها. والذين يلون أسوان هم يُعرفون بأولاد الكنز، كان جدهم كنز الدولة وله مقامات مع الدول مذكورة، ونزل معهم في تلك المواطن من أسوان إلى قوص بنو جعفر بن أبي طالب..وبنواحي مصر من جهة القبلة، إلى عقبة إيلة أحياء من جذام، جمهورهم من العائد..وفيما وراء عقبة إيلة إلى القلزم قبائل من قضاعة، ومن القلزم إلى الينبع، مع قبائل من جُهينة، ومن الينبع إلى بدر، ونواحيه من زبيد إحدى بطون مذحج، ولهم الأمراء بمكة من بني حسن حلف ومؤاخاة. وفيما بين مكة والمهجم مما يلي اليمن قبائل بني شعبة من كنانة، وفيما بين الكرك وغزة شرقا قبائل جُذام من قضاعة، في جموع وافرة، ولهم أمراء أعزة، يقطعهم السلطان على العسكر، وحفظ السابلة.."

المصدر: ابن خلدون: العبر، جـ6، ص7-8

ملحق (16)

"ترجمة الأمير عبدالله جمَّاع شيخ العبدلاب"

"..وسميته: واضح البيان في ملوك العرب بالسودان، هذا تاريخ ملوك العبدلاب، أولهم: الشيخ عبدالله جمَّاع بن السيد محمد الباقر، ولُقب بجمَّاع لجمعه القبائل، وهو أشرف بيوت العرب في السودان. وكانت الرئاسة والسيادة لأجداده، وكان رجلاً عظيماً، عالي الهمة، طموحاً للمعالي، فاستطاع بما أُوتي من الرأي السديد والغيرة الدينية استمالة جميع قبائل العرب الموجودة

بالسودان، وتوحيد كلمتهم تحت سلطان يدير شئونهم، ويسلك بهم سبل الرشاد، ويُنقذهم مما كانوا فيه من العنف الشديد الذي أحاط بهم من ملوك العُنج، فبايعوه علي محاربة العُنج، وصار يفتح مداينهم الواحدة بعد الأخرى. ثم رأى إنه من الأوفق أن يتعاهد مع مك الفونج المُسمى عمارة د(و)نقس المقيم بجبال الفونج بجهة لول، وتعاهدا على أن يمده مك الفونج بنجدة من عساكره، وتجهز بجيوش جرارة من قبائل العرب، وتقدم لحرب العُنج بهذا الجيش العظيم. وجالدهم في عدة وقائع يطول شرحها انتصر عليهم، وفتح البلاد من أى جهة في الشمال إلى سوبة، وقتل ملكهم المسمى علوة. وكان لملك العنج قايد عظيم يسمى حسب الله، ففر ببقية الجيش إلى قري التى بها سور عظيم في الجبال ، فتحصّن به، ثم لحقه عبدالله جمَّاع وحاصره حتى سلم. وبعد ذلك خضعت له جميع بلاد السودان، إلا جهة الصبح بشواطىء البحر الأحمر التى فتحها ابنه الشيخ عجيب بعده، واستحوذ على غنائم كثيرة، منها تاج الملك المرصع بالجواهر، وعقد الهيكلي المفصل بالدر والياقوت الذي صار يتوارثه ملوك العبدلاب..ثم اقتسما المُلك، فكانت الجزيرة فقط لعمارة دونقس الذي انتقل من الجنوب، أي من جبال الفونج مقر مملكته، واختط سنار عاصمة له، وجميع أجزاء السودان الأخرى للشيخ عبدالله جمَّاع، فاختار مدينة قري عاصمة لمملكته الشاسعة، وكانا متفقان إلى أن توفاهما الله تعالى. وملك عبدالله جمَّاع ستين سنة، وتوفي أوائل القرن التاسع رحمه الله، وكان له أولاد كثيرين.."

المصدر مخطوطة "واضح البيان في ملوك العرب بالسودان"، ورقة 1–2

ملحق (17)

"<u>تأسيس عرب جهينة لمدينة أربجي</u>"

"إن الفُنج ملكتْ بلاد النوبة، وتغلَّبَت في أول القرن العاشر بعد التسعماية، وخطت مدينة سنار، خطها الملك عمارة دونقس، وهو أولهم، وخُطت مدينة أربجي قبلها بثلاثين سنة خطها حجازي ابن مَعين. وعلي هذا (يتضح) أن عمارة أربجي في مدة الفنج، ولم تشتهر في تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن، ويقال إن الرجل يُطلق المرأة ويتزوجها غيره في نهارها بدون عِدة، إلى أن قدم الشيخ محمود العَركيّ من مصر، وعلم الناس العدة في الطلاق، وسكن على ساحل النيل الأبيض، وبنى له قصراً يعرف به الآن.." **المصدر مخطوطة "كاتب الشونة": ص4–5**

ملحق (18)

"التحالف بين عبدالله جمَّاع وعمارة دونقس لمحاربة ملوك سوبة (العنج)"

"ذكروا في التواريخ التي رويتها أن أول من ملك وولى من ملوك الفونج الملك عمارة دونقس وهو الذي اختط مدينة سنار 910هـ. وكان العنج..تغلبوا على النوبة وجعلوا مدينة سوبة مركز سُلطة (لهم). وكانت هذه المدينة فيها أبنية حسنة وبساتين، وبها رباط معمور بالمسلمين ، وموقعها شرق النيل، قريب من اجتماعه الأبيض، وأكثر مأكول أهلها الذرة البيضاء..ودينهم النصرانية، ولهم أُسقُف من طرق صاحب الإسكندرية..ان ابتداء ملك عمارة دونقس في الأول جمع له..ومازالوا في زيادة، وهو مقيم بهم في جبل الكاني، الآن قرب.. حضر (اليه) عبدالله جمَّاع من عربان القواسمة، وهو ابن الشيخ عجيب الكافوته جد أولاد عجيب، وتمت كلمتهم علي محاربة العنج ملوك سوبة، وملوك..فتوجه عمارة وعبدالله جمَّاع بما معهم من الجيش، وحاربوا ملوك سوبة، وملوك..وانتصروا وقتلوهم. ثم اتفق رأيهم علي أن يكون عمارة ملكا عوضا عن ملك علوة، كونه هو الكبير..واختط (عبدالله) مدينة قري الكاينة..وجعلها كرسي ملكه. وكذلك عمارة اختط مدينة سنار، وكانت قبله مقيمة بها إمر(أ)ة تسمى سنار، وجعلها كرسي ملكه..ومازالوا عمارة وعبدالله كالأخوين إلا أن ترتيب عمارة أعلا وأعظم، ورتبت عبدالله دونه إذا اجتمعا في مكان واحد. وأما إذا غاب عمارة يعامل عبدالله بما يعامل به عمارة، ولم تزل تلك الحالة جارية بين ذراريهم إلى انقضاء ملكهم.."

المصدر مخطوطة "تاريخ مختص بأرض النوبة

ومن ملوكها ملوك الفونج": ورقة 16-18

ملحق (19)

"تعريب النوبيين من أهل علوة بعد انتصار جُهينة على ملوك العنج"

"...وأما النوبة فبعد ظفر الفُنج بهم، تفرقوا بجهات فازوغلي وكردفان، ولم يبق منهم إلا القليل، فتدينوا بدين الإسلام، وتفرقوا وسط العرب المقيمين ببلادهم، وهم الآن أنفار قلايل، مقيمين بجهة شندي..ولا يعرف لهم أن أصلهم نوبة إلا القليل من الناس، كون(هم) انتقل(وا) إلى العربية، وألوانهم شابهت ألوان العرب بأسباب التناسل، لأن العرب كثرت وفودهم إلى بر السودان..وأغلبهم من حمير وربيعة وبنى عامر وقحطان وكنانة وجهينة وبني يشكر وبني كاهل وبني ذبيان..فزارة وبني سُليم.."

المصدر مخطوطة "تاريخ مختص بأرض النوبة،

ومن ملوكها ملوك الفونج، ومن تولى بعدهم": ورقة18-19

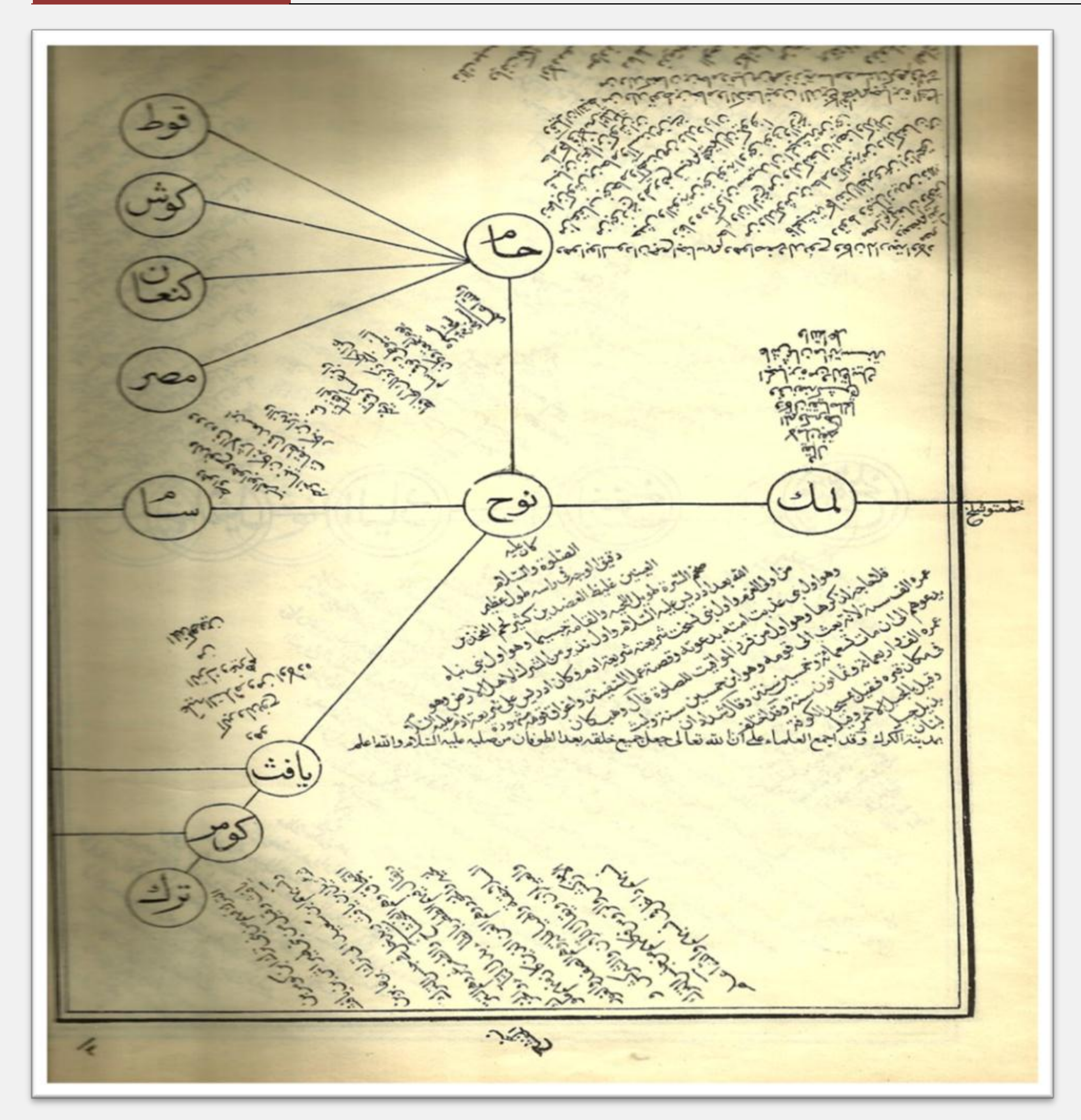
ملحق (20)

"مملكة الفونج"

"اعلم أن الفُنج (الفونج) ملكت أرض النوبة، وتغلبت عليه (في) أول القرن العاشر سنة عشر بعد التسعماية. وخطت مدينة سنار خطاها الملك عمارة دونقس، وخطت مدينة أربجي قبلها بثلاثين سنة، خطاها حجازي بن مَعين. ولم يشتهر في تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن، ويقال إن الرجل يطلق المرأة، ويتزوجها غيره في نهارها من غير عدة حتى قدم الشيخ محمود العركي من مصر، وعلَّم الناس العدة، وسكن (البحر) الأبيض، بني له قصرا يُعرف الآن بقصر محمود.."

المصدر ود ضيف الله: كتاب الطبقات، ص39-40

ثالثا – الصور والأشكال التوضيحية



شكل رقم (1)

نسل أبناء نوح عليه السلام ومنهم سام أبو العرب (العدنانيين والقحطانيين)

ومنهم حام بن نوح وينتسب إليه النوبيون

ويظهر في الشكل أبناء حام: فوط، وكوش، وكنعان، ومصر(ايم)

المصدر السويدي: سبائك الذهب، ص31



عن اسلم التي هي همدان ... وحلوان
بضم الحا وسكون اللام ونون بعد الالف
واسلم وحلوان اخوان ابوهما عمران
ابن الحافي بن قضاعة ولكل من هذين
الفخذين فواصل اسلم نهد بفتح
النون وسكون الهاء وبعدها دال
مهملة جهينة بضم الجيم وفتح الها
ويا مثناة من تحت ساكنة ونون
مفتوحة عذرة بضم العين المهملة
وسكون الذال المعجمة وفتح الراء وهم
مشهورون بالمحبة والعشق واليهما
ينسبان وسريعا ما يعلو الهوى بقلوبهم
وبهم يضرب المثل فيقال فلان عذري
اذا كان سريع العشق هذه الثلاثة
تجمع في اسلم فمن الناس من يقول لهم
بنو عمران ومن الناس من يقول لهم

بنو اسلم

مطلب جهينة

شكل رقم (2)

صورة مخطوطة "نسب القبائل العربية" – ورقة 2

وتظهر فيها بطون قضاعة ومنها قبائل: جُهينة وعُذرة وحلوان

وثائق مكتبة آل متحمي الهاشمي

عن موقع: www.ashraf.online.com


بنو اسلم والسبب الا اقضاعه
وواصل خلوان جرم بفتح الجيم
وسكون الراء وهي غير التي في طي وراسب
بفتح الراو كسر السين المهمله وبا موحده
بعدها وهي غير راسب الازد وهذه
راسب راجعه الى جرم والبرك
بفتح البا الموحده وفتح الراو وتخفيفها
وبعدها كاف كلب بفتح الكاف
وسكون اللام وبعدها با موحده واسد
وهي غير اسد بني الياس وغير
اسد فخوذ قريش وغير اسد ربيعه
والبرك وكلب ابوهما وبره بفتح الواو
وسكون البا الموحده وفتح الراو بلتقي
وبره وجرم في حلوان فهذه قبايل
عمران وجملتها ثمان وجميعها قضاعه
فخوذ عمر سبع جبدان

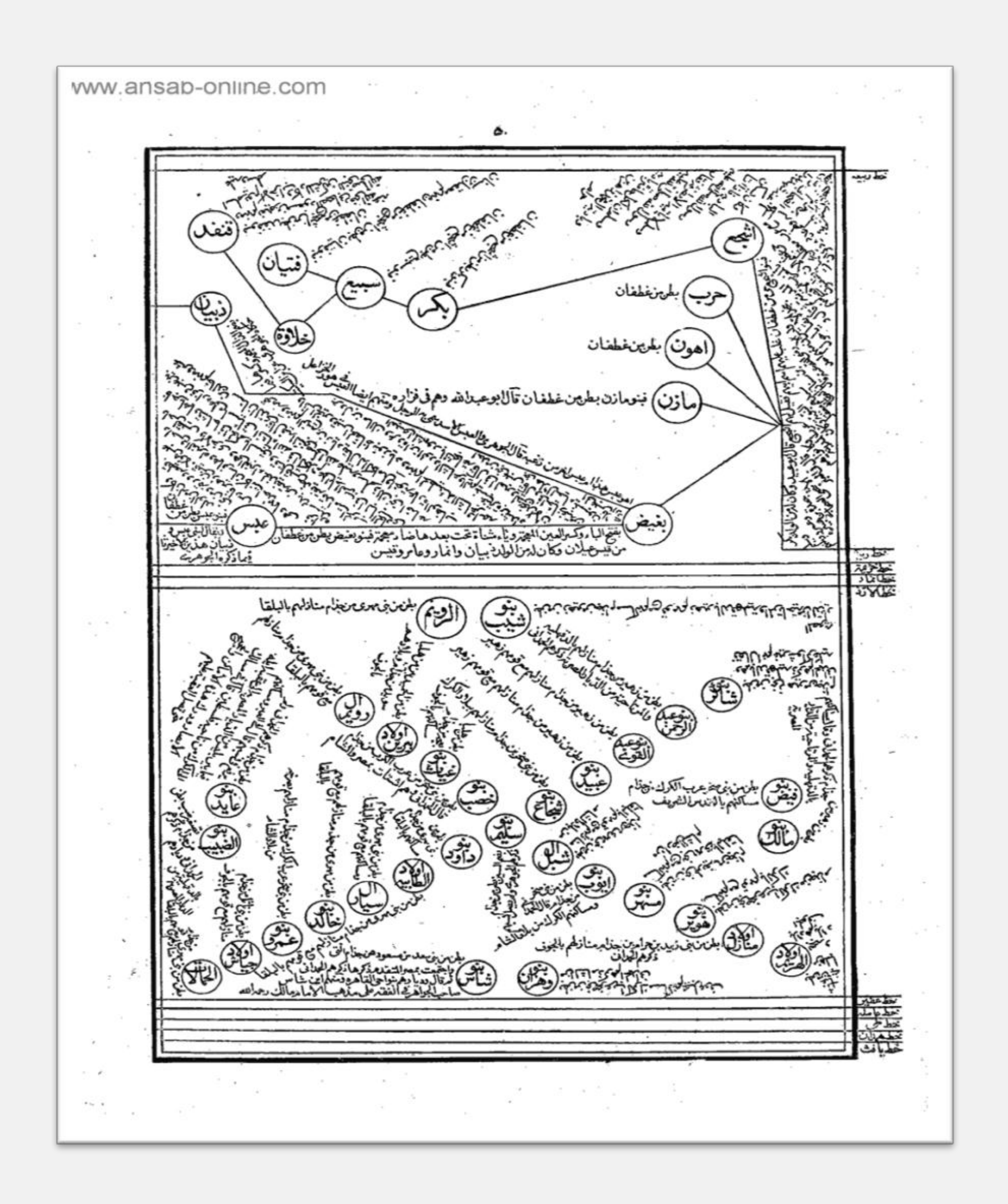
مطلب البرك
مطلب اسد
مطلب فخوذ عمر
وثائق من مكتبة آل متحمي الهاشمي

شكل رقم (3)

صورة مخطوطة "نسب القبائل العربية" – ورقة 3

وثائق مكتبة آل متحمي الهاشمي

موقع: www.ashraf.online.com



شكل (4)
نسب غطفان
وهم من بطون قبيلة جهينة
المصدر السويدي: سبائك الذهب، ص69
(وموقع الأنساب www.alansab-online.com)

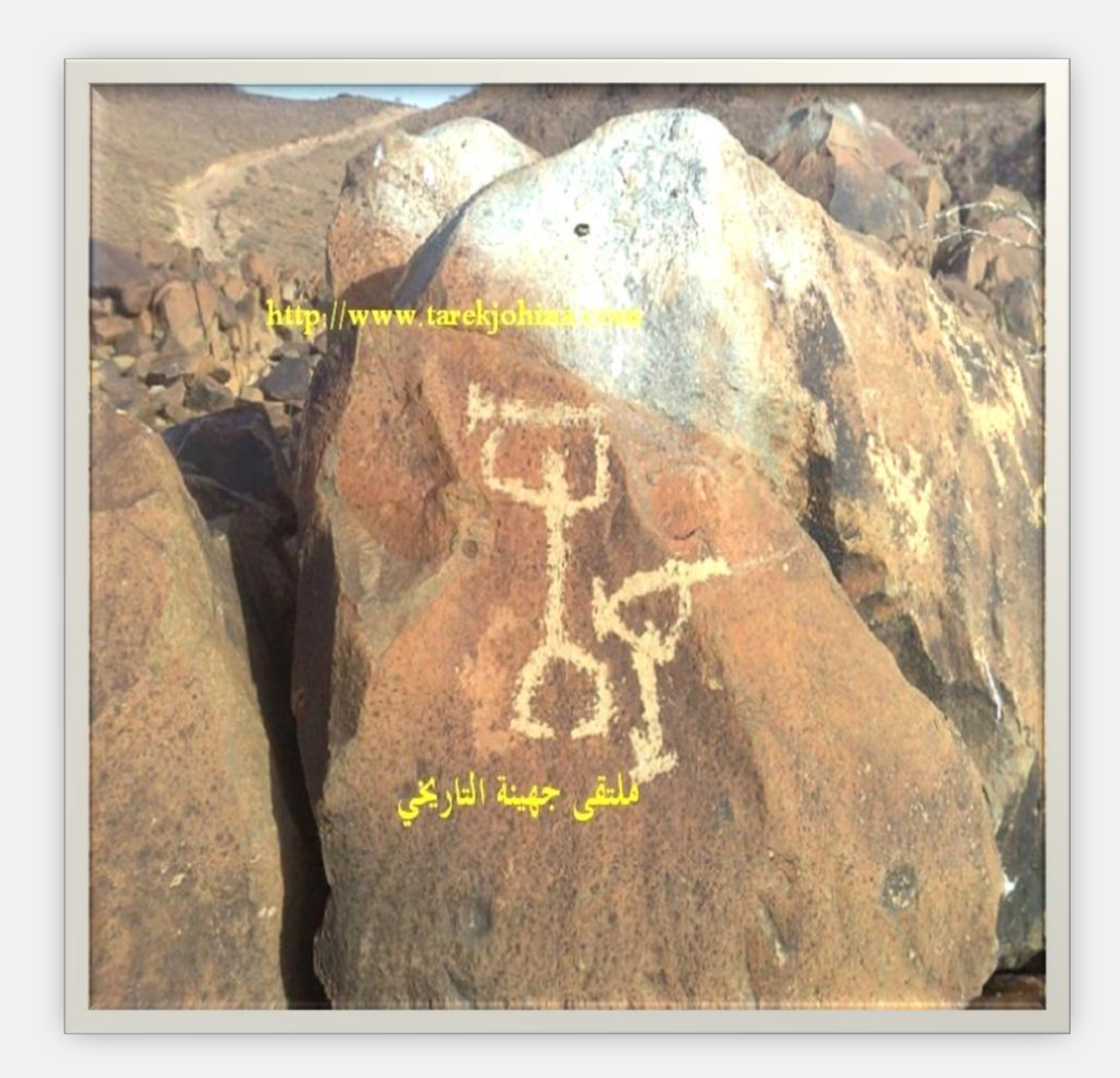


شكل رقم (5)
نقش صخرى لأحد الجهنيين - بلاد الحجاز
واسمه "عبدالرحمن بن نبيه الجهني"
موقع : ملتقى جهينة التاريخي
www.tarekjohina.com



شكل رقم (6)
صورة لأحد النقوش الصخرية التي تصور انتصارا رمزيا
لأفراد ينتسبون إلى قبيلة جهينة – بلاد الحجاز
المصدر: موقع ملتقى جهينة التاريخي

www.tarekjohina.com



شكل رقم (7)

صورة لأحد النقوش الصخرية تصور انتصارا رمزيا

لأفراد من قبيلة جهينة – بلاد الحجاز

المصدر: موقع ملتقى جهينة التاريخي

www.tarekjohina.com



شكل رقم (8)

مخطوطة الصحابة البدريين وبها اسم الصحابي

"عقبة بن عامر الجهني" بالصفحة الثانية يساراً – السطر رقم 13

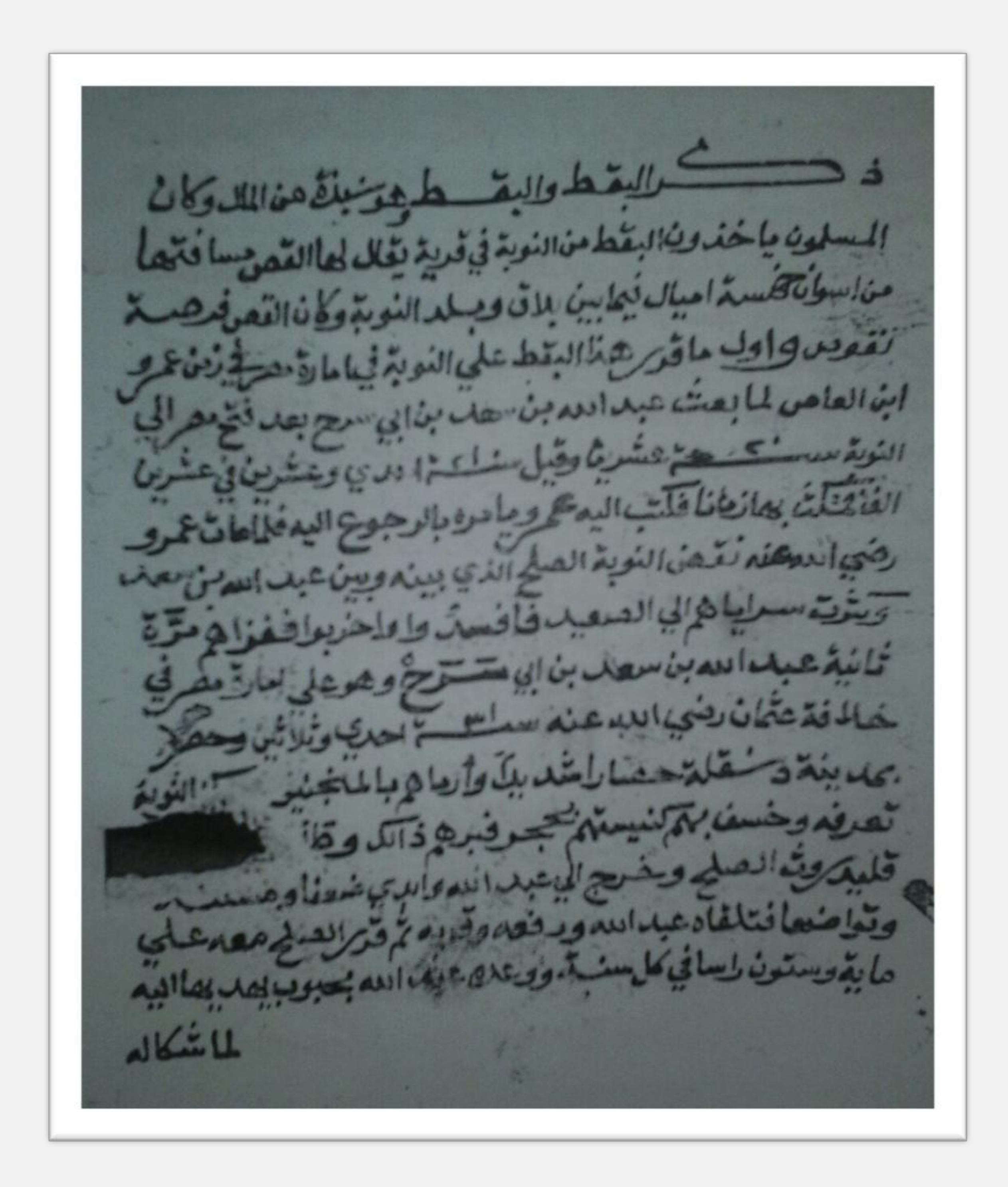
مخطوطات جامعة الملك سعود – الرياض



شكل (9)
ضريح الصحابي عقبة بن عامر الجهني
وبجواره قبر عمرو بن العاص وأبوبُصرة الغفاري– قرافة المقطم
المصدر: موقع www.msobieh.com



شكل رقم (10)
مسجد الصحابي عقبة بن عامر الجهني – قرافة المقطم
موقع www.masrawy.com



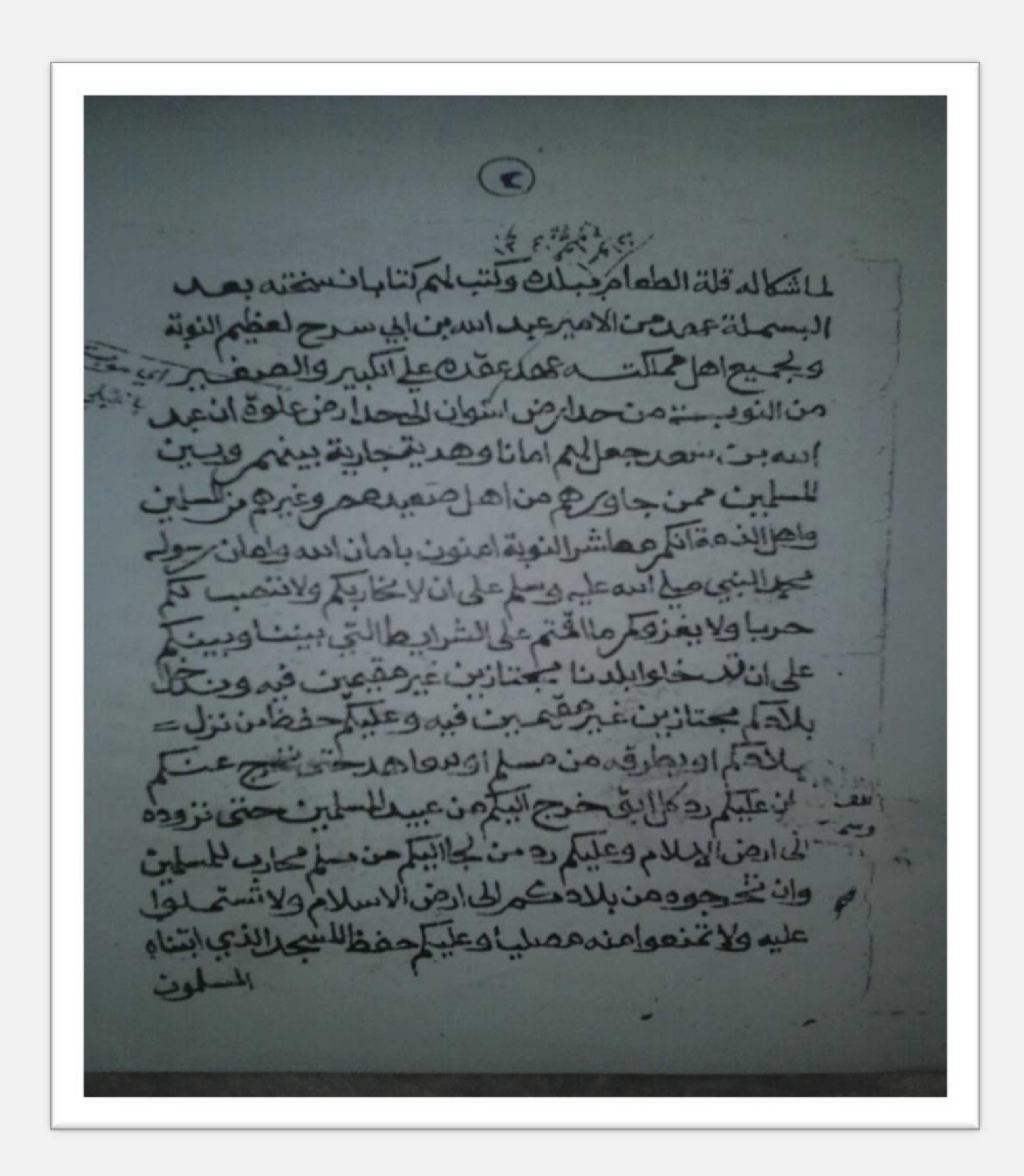
ذكر البقط والبقط هو سبيه من الملك وكان
المسلمون ياخذون البقط من النوبة في قرية يقال لها القصر حسافتها
من اسوان خمسة اميال فيما بين بلاق وبلد النوبة وكان القصر فرضة
لقوص واول ما قرر هذا البقط علي النوبة في امارة [illegible] في زمن عمرو
ابن العاص لما بعث عبد الله بن سعد بن ابي سرح بعد فتح مصر الي
النوبة سنة عشرين وقيل سنة احدي وعشرين في عشرين
الفا فمكث بها زمانا فكتب اليه عمرو يامره بالرجوع اليه فلما مات عمرو
رضي الله عنه نقض النوبة الصلح الذي بينه وبين عبد الله بن سعد
وكثرت سراياهم الي الصعيد فافسدوا واخربوا فغزاهم مرة
ثانية عبد الله بن سعد بن ابي سرح وهو علي امارة مصر في
خلافة عثمان رضي الله عنه سنة احدي وثلاثين وحصرهم
بمدينة دنقلة حصارا شديدا ورماهم بالمنجنيق [illegible] النوبة
تعرفه وخسف بهم كنيستهم بحجر فبهرهم ذلك و[illegible]
قليدروث الصلح وخرج الي عبد الله وابدي [illegible]
وتواضعا فتلقاه عبد الله ورفعه وقربه ثم قرر الصلح معه علي
مائة وستون راسا في كل سنة [illegible] عبد الله بحبوب [illegible]
لما شكاله

شكل رقم (11)

مخطوطة عبدالله بن أبي السرح (أو ذكر البقط)

كتبها المقريزي في سنة 760هـ/1358م

انظر المخطوطة: ورقة رقم 1



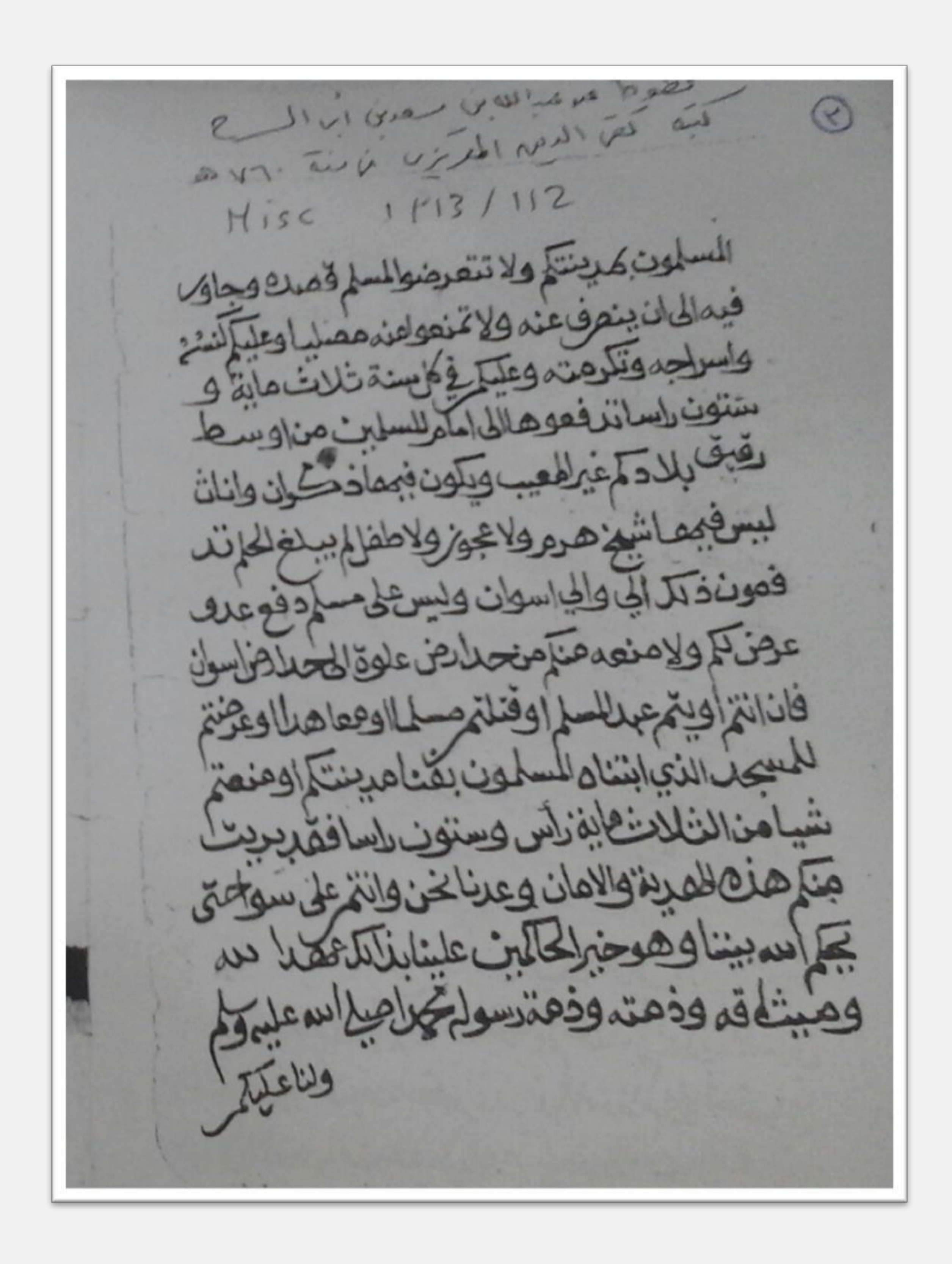
٢

لما شكا له قلة الطعام امر لهم بذلك وكتب لهم كتابا انسخته بعد
البسملة عهد من الامير عبد الله بن ابي سرح لعظيم النوبة
ولجميع اهل مملكته عهد عقده على الكبير والصغير
من النوبة من حد ارض اسوان الى حد ارض علوة ان عبد
الله بن سعد جعل لهم امانا وهدنة جارية بينهم وبين
المسلمين ممن جاورهم من اهل صعيدهم وغيرهم من المسلمين
واهل الذمة انكم معاشر النوبة امنون بامان الله وامان رسوله
محمد النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا نحاربكم ولا ننصب لكم
حربا ولا نغزوكم ما اقمتم على الشرائط التي بيننا وبينكم
على ان تدخلوا بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه وندخل
بلادكم مجتازين غير مقيمين فيه وعليكم حفظ من نزل
بلادكم او يطرقه من مسلم او معاهد حتى يخرج عنكم
ان عليكم رد كل ابق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى تردوه
الى ارض الاسلام وعليكم رد من لجا اليكم من مسلم محارب للمسلمين
وان تخرجوه من بلادكم الى ارض الاسلام ولا تستميلوا
عليه ولا تمنعوا منه مصليا وعليكم حفظ المسجد الذي ابتناه
المسلمون

شكل رقم (12)

مخطوطة المقريزي:

عبدالله بن سعد بن أبي السرح – ورقة 2



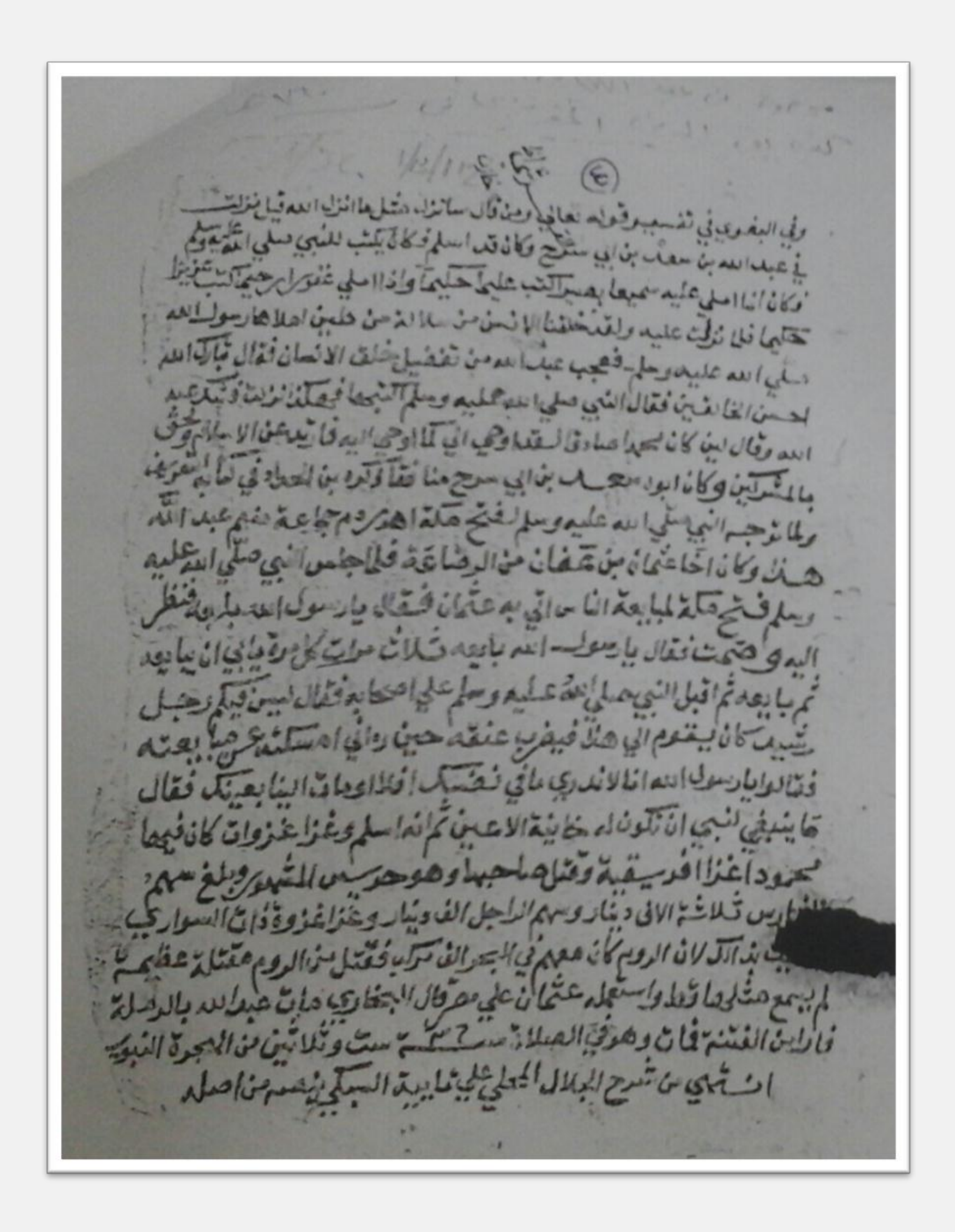
Misc 1213 / 112

المسلمون بمدينتكم ولا تتعرضوا لمسلم قصدكم وجاور
فيه الى ان ينصرف عنه ولا تمنعوا عنه مصليا وعليكم كنسه
واسراجه وتكرمته وعليكم في كل سنة ثلاث ماية و
ستون راسا تدفعوها الى امام المسلمين من اوسط
رقيق بلادكم غير المعيب ويكون فيها ذكران واناث
ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم تد
فعون ذلك الى والي اسوان وليس على مسلم دفع عدو
عرض لكم ولا منعه منكم من حد ارض علوة الى ارض اسوان
فان انتم اويتم عبد المسلم او قتلتم مسلما او معاهدا او عرضتم
للمسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم او منعتم
شيا من الثلاث ماية راس وستون راسا فقد بريت
منكم هذه الهدنة والامان وعدنا نحن وانتم على سوا حتى
يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين علينا بذلك عهد الله
وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم
ولنا عليكم

شكل رقم (13)

مخطوطة المقريزي:

عبدالله بن سعد بن أبي السرح – ورقة 3



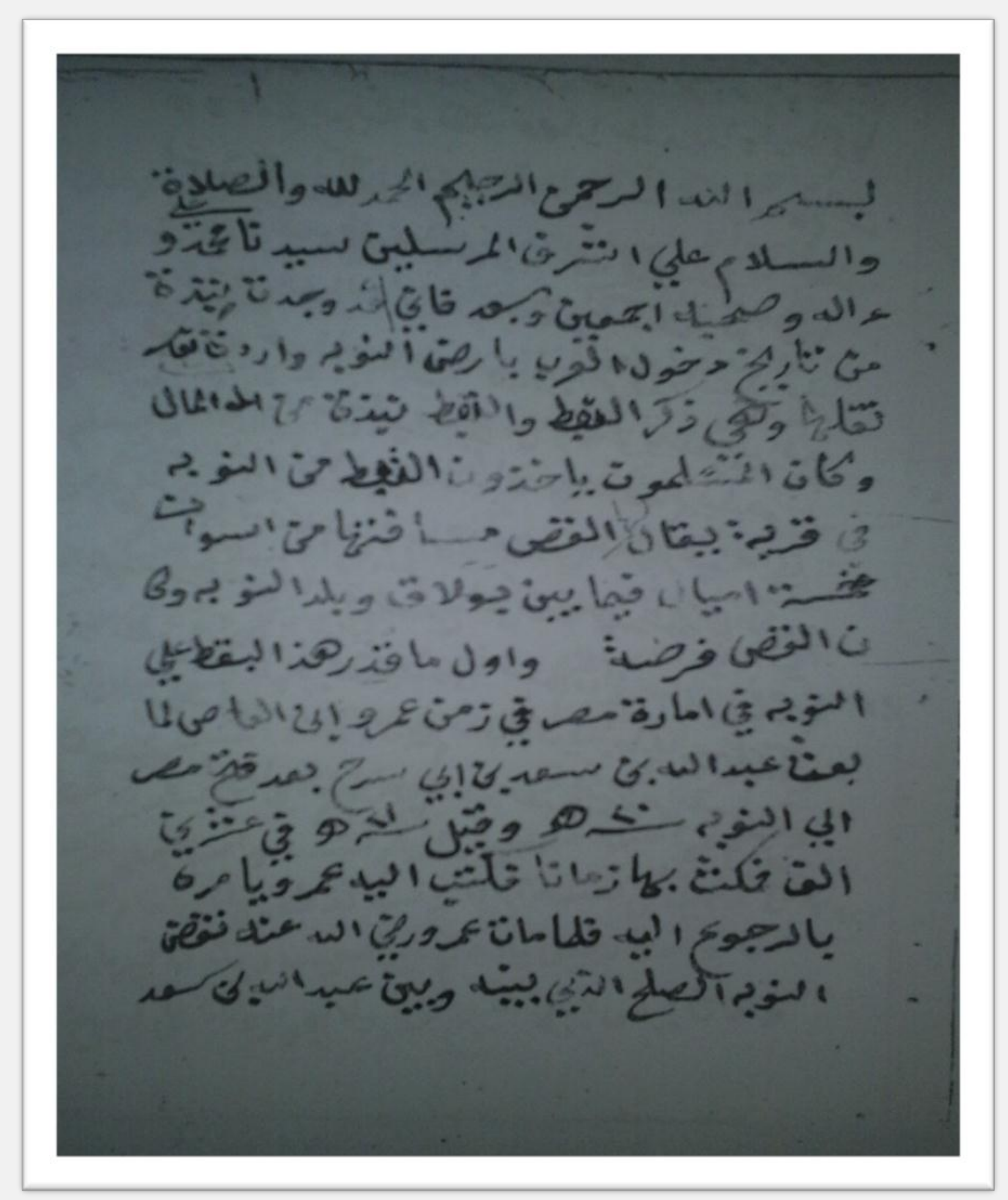
(٤)

وفي البغوي في تفسير قوله تعالى ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله قيل نزلت
في عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم
وكان إذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما وإذا أملى غفورا رحيما كتب عزيزا
حكيما فلما نزلت عليه ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين أملاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال تبارك الله
أحسن الخالقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبها فهكذا نزلت فشك عبد
الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي إليه فارتد عن الإسلام ولحق
بالمشركين وكان أبو سعد بن أبي سرح منافقا وذكره بن العماد في كتابه [illegible]
ولما توجه النبي صلى الله عليه وسلم لفتح مكة أهدر دم جماعة منهم عبد الله
هذا وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة فلما جلس النبي صلى الله عليه
وسلم فتح مكة للمبايعة أتاه به عثمان فقال يا رسول الله بايعه فنظر
إليه وصمت فقال يا رسول الله بايعه ثلاث مرات كل مرة يأبى أن يبايعه
ثم بايعه ثم أقبل النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقال أليس فيكم رجل
رشيد كان يقوم إلى هذا فيضرب عنقه حين رآني أمسكت عن بيعته
فقالوا يا رسول الله إنا لا ندري ما في نفسك ألا أومأت إلينا بعينك فقال
ما ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين ثم إنه أسلم وغزا غزوات كان فيها
محمودا غزا أفريقية وقتل صاحبها وهو جرجير المشهور وبلغ سهم
الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل ألف دينار وغزا غزوة ذات الصواري
[illegible] بذلك لأن الروم كان معهم في البحر ألف مركب فقتل من الروم مقتلة عظيمة لم
يسمع مثلها [illegible] واستعمله عثمان على مصر قال البخاري مات عبد الله بالرملة
فارا من الفتنة فمات وهو في الصلاة سنة ست وثلاثين من الهجرة النبوية
انتهى من شرح الجلال المحلي على [illegible] السبكي بنصه من أصله

شكل رقم (14)

مخطوطة المقريزي:

عبدالله بن سعد بن أبي السرح – ورقة 4


بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة
والسلام علي اشرف المرسلين سيدنا محمد و
ءاله وصحبه اجمعين وبعد فاني قد وجدت نبذة
من تاريخ دخول العرب بارض النوبة واردت نقلها
وهي ذكر البقط [illegible]
وكان المسلمون ياخذون البقط من النوبة
في قرية يقال لها القصر [illegible] من اسوان
خمسة اميال فيما بين بولاق وبلد النوبة و
[illegible] القصر فرضة واول ما قرر هذا البقط علي
النوبة في امارة مصر في زمن عمرو ابن العاص لما
بعث عبد الله بن سعد بن ابي سرح بعد فتح مصر
الي النوبة سنة [illegible] هـ وقيل سنة [illegible] هـ في عشرين
الف [illegible] بها زمانا فكتب اليه عمرو ويامره
بالرجوع اليه فلما مات عمرو رضي الله عنه نقض
النوبة الصلح الذي بينه وبين عبد الله بن سعد

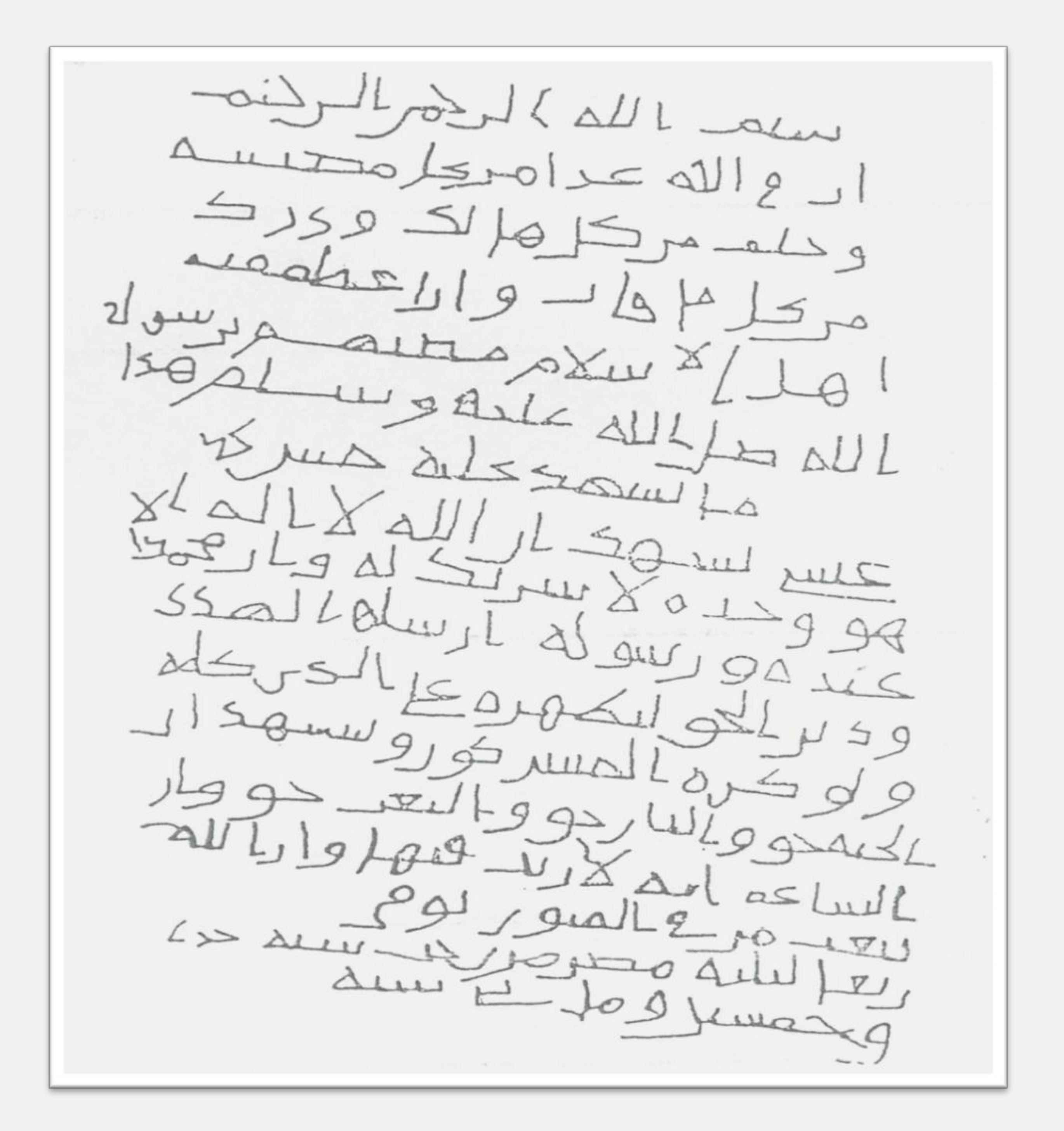
شكل رقم (15)

مخطوطة "تاريخ مختص بأرض النوبة"

يقول المؤلف في هذا المتن: "فاني قد وجدت نبذة من تاريخ دخول العرب بأرض النوبة وأردت نقلها وهي ذكر البقط..."

المصدر مجهول: مخطوطة "تاريخ مختص بأرض النوبة"،

وثائق غير منشورة، دار الوثائق القومية بالخرطوم، رقم Misc 1/15/191



شكل (16)

تفريغ أحد النقوش لشاهد قبر عربي من منطقة "خور نوبت" بشرق السودان

(محفوظ بالمتحف القومي بالسودان)

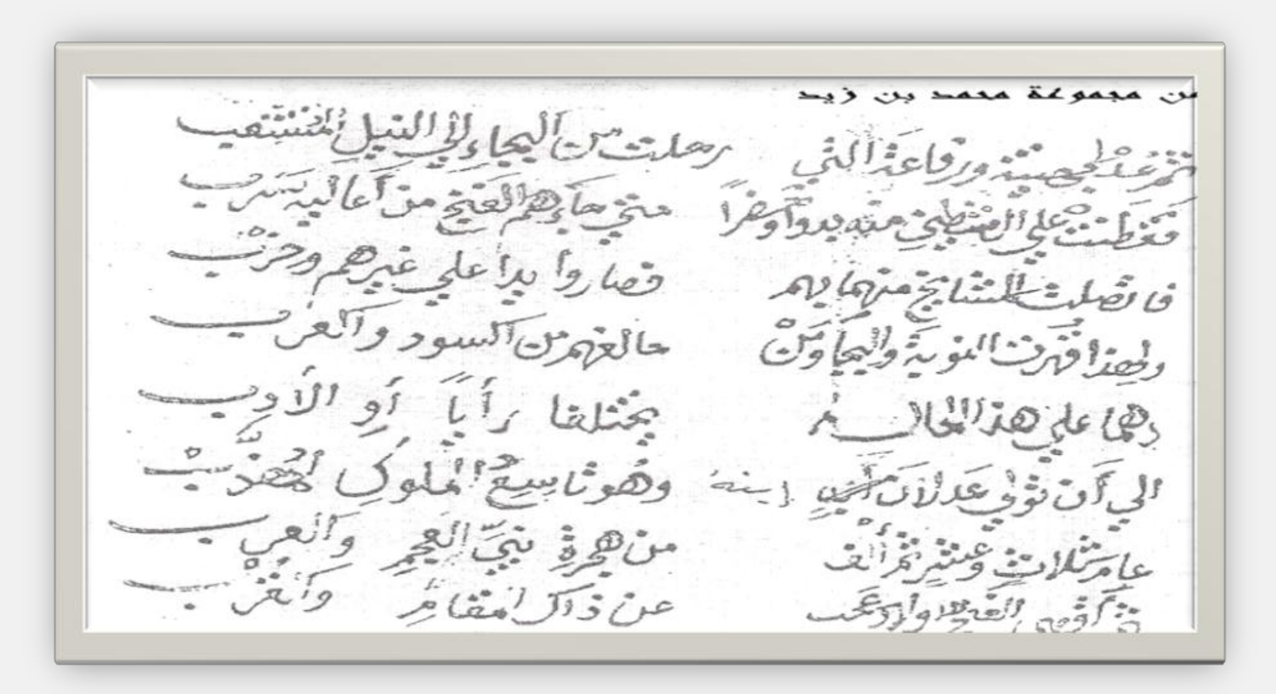
باسم "حنين بن عيسى" (سنة 251 هـ/865م)

المرجع كرم الصاوي باز: قبيلة جهينة، ص36

شكل (17)



صورة لعائلة من البجاويين
موقع: www.alsahafasd.net



من مجموعة محمد بن زيد

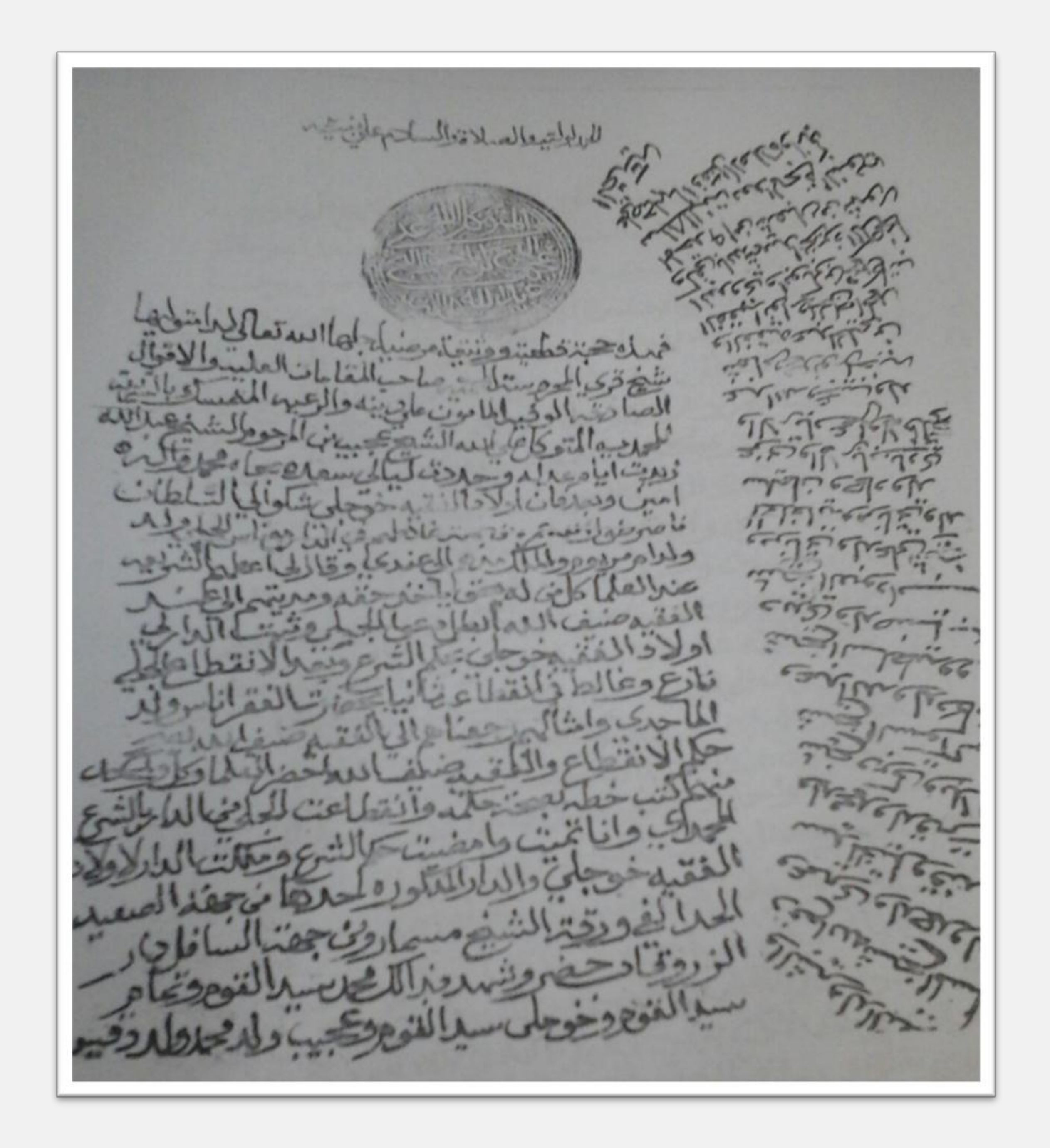
جهينة ورفاعة التي ... رحلت من البجاء إلى النيل المنشعب
تغلبت على الشاطئ منه بدوا وحضرا ... متى جاءهم الفتح من أعاليه يسرب
فاتصلت المشايخ منهما بهم ... فصاروا يدا على غيرهم وحزب
ولهذا فخرت النوبة والبجاوين ... حالفهم من السود والعرب
دهما على هذا الحال ... يمثلنا رأيا أو الأدب
إلى أن توفي عدلان أبيه ... وهو تاسع الملوك المهذب
عام ثلاث وعشر ثم ألف ... من هجرة نبي العجم والعرب
عن ذاك المقام ... وانقرض

شكل رقم (18)

وثيقة سودانية عن جهينة ورفاعة

وهجرة القبيلتين من بلاد البجة

من مجموعة محمد بن زيد – الخرطوم



شكل رقم (19)

إحدى الوثائق المعروفة بـ"وثائق خليفة الشيخ خوجلي"

وفيها ذكرت مدينة قري عاصمة العبدلاب، ووصف شيخ هذه المدينة بأنه: "شيخ قري المحروسة المحمية، صاحب المقامات العلية والأقوال الصادقة

الوفية المأمون على دينه والرعية المتمسك بالسيرة المحمدية.."

المصدر: وثائق خليفة الشيخ خوجلي، محفوظة بقبة الشيخ خوجلي عبدالرحمن



شكل رقم (20)

ممارسة بعض أعمال السحر والشعوذة لطرد الأرواح الشريرة في مدينة قري

المصدر : Crawford: The Fung Kingdom of Sennar, P. 273

هذا كتاب التاريخ المسمى بواضح البيان في ملوك العرب بالسودان
وملوك العبدلاب من الشيخ عجيب الأول الى تاريخه طلبا لمعرفتهم
وبالله التوفيق والهداية وهو العليم الخبير
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على اكرم رسله
واصفيائه وعلى آله وصحبه ومن سلك طريقه المستقيم وبعد
فقد طلب مني بعض أهل الفضل الذين يهمهم معرفة تاريخ ملوك العرب
بالسودان أن اعمل خلاصة يرجع اليها تاريخ ملك اجدادنا العبدلاب
فترددت في الأمر اولا لعدم وجود كتب خط يؤخذ منها وصف الحوادث
وأعمال الملوك لعنيا عرض من أول فتوح المهدية ولكني وجدت الموضوع مهما
في ذاته لكثرة الروايات المخالفة فعزمت على جمع ما تلقيته من
والدي المرحوم الارباب الحسن بن شاور بن عجيب بن اونسه بن الشيخ
شمام بن الشيخ عجيب الثالث وقد كان والدي المذكور الذي توفي في سنة
١٢٢٤ هـ عمر تسعين سنة ونيف مطلعا على الكثير من حوادث اجداده
نعتا فيها معروفا بذلك وهو من مستخدمي الحكومة المصرية السابقة
وله صلة كبيرة بالعالم العلامة الولي المرحوم الشيخ ابراهيم بن الشيخ
عبد الدافع مفتي السودان سابقا كما اني اخذت من غيره من الابر
العبدلاب وغيرهم وقد تحريت فيه الحقيقة بقدر الامكان ورتبت الملوك
واعمالهم ومدة كل منهم كما ذكرت بالمناسبات بعض ملوك سنار
الملقبون بالمكوك والعج ووزراء الفونج وذلك خدمة للعلم
واظهارا للحقائق واعتذر لما يوجد فيه من التقصير لعدم وصولي
لاكثر مما ذكرته واسأل الله الغفران في الزيادة والنقصان ويهدينا
للصواب وان ينفع به آمين وسميته واضح البيان في ملوك العرب
بالسودان هذا تاريخ ملوك العبدلاب اولهم :
الشيخ عبدالله جماع بن السيد محمد الباقر ولقب بجماع لجمعه القبائل
وهو اشرف بيوت العرب في السودان وكانت الرئاسة والسيادة لاجداده
وكان رجلا عظيما عالي الهمة طموحا للمعالي فاستطاع بما أوتي من الرأي
السديد والغيرة الدينية استمالة جميع قبائل العرب الموجودة
بالسودان وتوحيد كلمتهم تحت سلطان يدير شئونهم ويسلك
بهم سبل الرشاد وينقذهم مما كانوا فيه من العنف الشديد الذي
احاط بهم من ملوك العنج فبايعوه على محاربة العنج وصار يفتح
بهم الواحدة بعد الاخرى ثم رأى انه من الاوفق ان يتعاهد
مع ملك الفونج المسمى عمارة دنقس المقيم بجبال الفونج بجهة
لول فتعاهدا على أن يمده ملك الفونج بنجدة من عساكره وتجهز
بجيوش جرارة من قبائل العرب وتقدم لحرب العنج بهذا الجيش العظيم

شكل رقم (21)

مخطوطة "واضح البيان في ملوك العرب بالسودان"

يتحدث فيها المؤلف عن سبب كتابته لهذه المخطوطة،

ثم يتحدث عن أمراء العبدلاب(وهم من بطون رفاعة الجهنية)،

ويبدأ المؤلف بالحديث عن ترجمة الأمير عبدالله جماع

انظر "مخطوطة واضح البيان": الورقة الأولى

وجالدهم من عدة وقائع يطول شرحها حتى انتصر عليهم وفتح البلاد من
اي جهة من الشمال الى سوبه وقتل ملكهم المسمى علوه وكان لملك الفنج
قايد عظيم يسمى حسب الله ففر ببقية الجيش الى قرى التي بها
سور عظيم في الجبال فتحصن به ثم لحقه عبدالله جماع وحاصره
حتى سلم وبعد ذلك خضعت له جميع بلاد السودان الا جهة الصبح
اشوا على البحر الاحمر التى فتحها ابنه الشيخ عجيب بعده واستحوذ
على غنائم كثيرة منها تاج الملك المرصع بالجواهر وعقد الهيكلي المفصل بالدر
والياقوت التى صار يتوارثه ملوك العبدلاب إلى ان استلمه احمد باشا
والى السودان الأول من الشيخ ادريس ناصر كما يأتي ومن الآلات الموسيقيه
الاز[illegible] والشراقي والدنقر ثم اقتسما الملك فكانت الجزيرة فقط لعمارة دونقس
الذى انتقل من الجنوب اي من جبال الفونج مقر مملكته واختط سنار عاصمة له
وجميع اجزاء السودان الاخرى للشيخ عبدالله جماع فاختار مدينة قري عاصمة
لمملكته الشا[illegible] وكانا متفقان الى أن توفاهما الله تعالى وملك عبدالله جماع
ستين سنة وتوفي في اوائل القرن التاسع رحمه الله وكان له اولاد كثيرين
المشهورون منهم الشيخ عجيب المانجلك والسيد رئيس الانقيرجد الانقيرياب
والسيد محمد ديوم جد الديوماب والسيد أحمد ادركوجد الادركوجاب والسيد
[illegible] جد [illegible] ثم خلفه ابنه الشيخ عجيب المانجلك وهو الذى وسع
المملكة وكان من اكابر اولياء الله وقام داعيا الى الله تعالى باتباع اوامره
واجتناب نواهيه والعمل بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وصار يحكم
فى الناس بالعدل مع اشتهاره بالرأفة والرحمة والتفقد للرعية وكان يمر بنفسه
على سائر البلاد التى تحت طاعته ويزيل عنها البدع والهمجية المخالفة
للشريعة المحمدية ثم حصل اختلاف بينه وبين ملك الفونج المسمى
سليمان وقيل عبد القادر في عوائد دينية أدت الى الحرب بينهما فانتصر
عليهم الشيخ عجيب وأخرجهم من ديارهم حتى أدخلهم الحبشة وعمر
بها المساجد منها مسجد بمحل يقال له احمرموقي بجهة الرصيرص
وآخر بفداسي بالقرب من حدود الحبشة وثالث بجهة قبائل الكوحة
والاعمام محل اما نته بالحبشة وآثارها موجودة الى الآن وجعل حدود
مملكته مع الحبشة جبل قوره والجرابو قد ثم مال الى جهة الغرب واوقف
حدوده مع سلطنة فور بمحل يقال له فوجه اي كاب بلول ثم مر على الجهة
الشماليه واوقف حده بجهة اسوان وبعد ذلك رجع الى عاصمة ملكه
قري فاستتب الامن وانتظمت الاحوال وعيّن اربعين قاضيا
لأحكام الشريعة المحمدية فباشروها بعفة ونزاهة منهم الشيخ
عبدالله العركي الولي الكامل في علوم الظاهر والباطن فقال فيه الشاعر
ويحكم بالشريعة لايبالى .. يقص الحق بالنوازل والنقول .

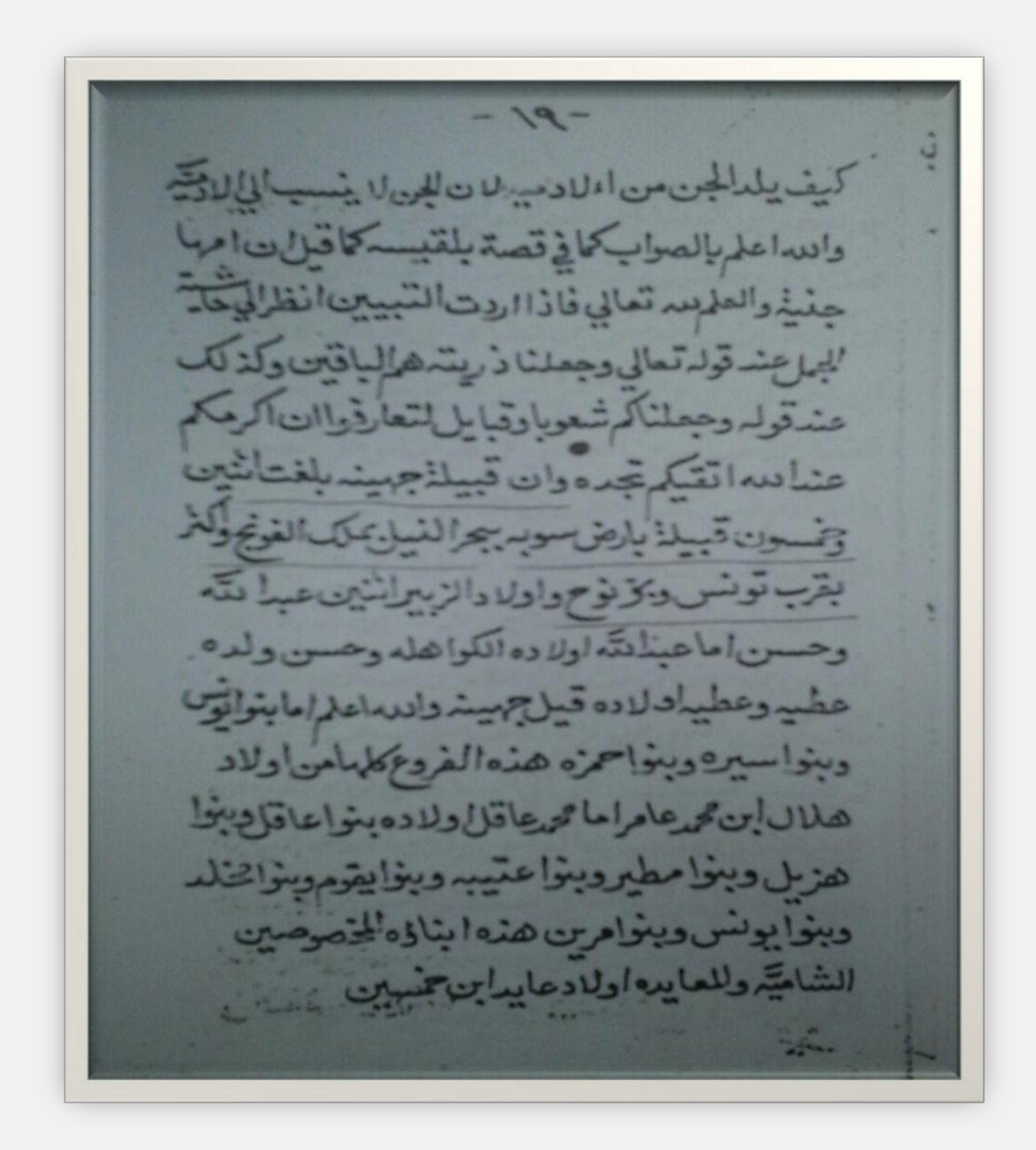
شكل رقم (22)

مخطوطة "واضح البيان في ملوك العرب بالسودان"

يتحدث فيها المؤلف عن الحرب الذي وقعت بين العبدلاب وملوك علوة

وكذلك تحالف العبدلاب مع الفونج، والعلاقة بين عبدالله جماع وعمارة دونقس

انظر "مخطوطة واضح البيان": الورقة الثانية


-١٩-

كيف يلد الجن من الادميه لان الجن لا ينسب الي الادميه
والله اعلم بالصواب كما في قصة بلقيس كما قيل ان امها
جنية والعلم لله تعالي فاذا اردت التبيين انظر الي حاشية
الجمل عند قوله تعالي وجعلنا ذريته هم الباقين وكذلك
عند قوله وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم
عند الله اتقيكم تجده وان قبيلة جهينه بلغت اثنين
وخمسون قبيلة بارض سوبه بجر النيل بملك الفونج واكثر
بقرب تونس وبكر نوح واولاد الزبير اثنين عبدالله
وحسن اما عبدالله اولاده الكواهله وحسن ولده
عطيه وعطيه اولاده قبيل جهينه والله اعلم اما بنو ايونس
وبنوا سيره وبنوا حمزه هذه الفروع كلها من اولاد
هلال ابن محمد عامر اما محمد عاقل ولاده بنوا عاقل وبنوا
هزيل وبنوا مطير وبنوا عتيبه وبنوا يقوم وبنوا خالد
وبنوا يونس وبنوا مرين هذه ابناؤه المخصوصين
الشاميه وللعايده اولاد عايد ابن جهينين

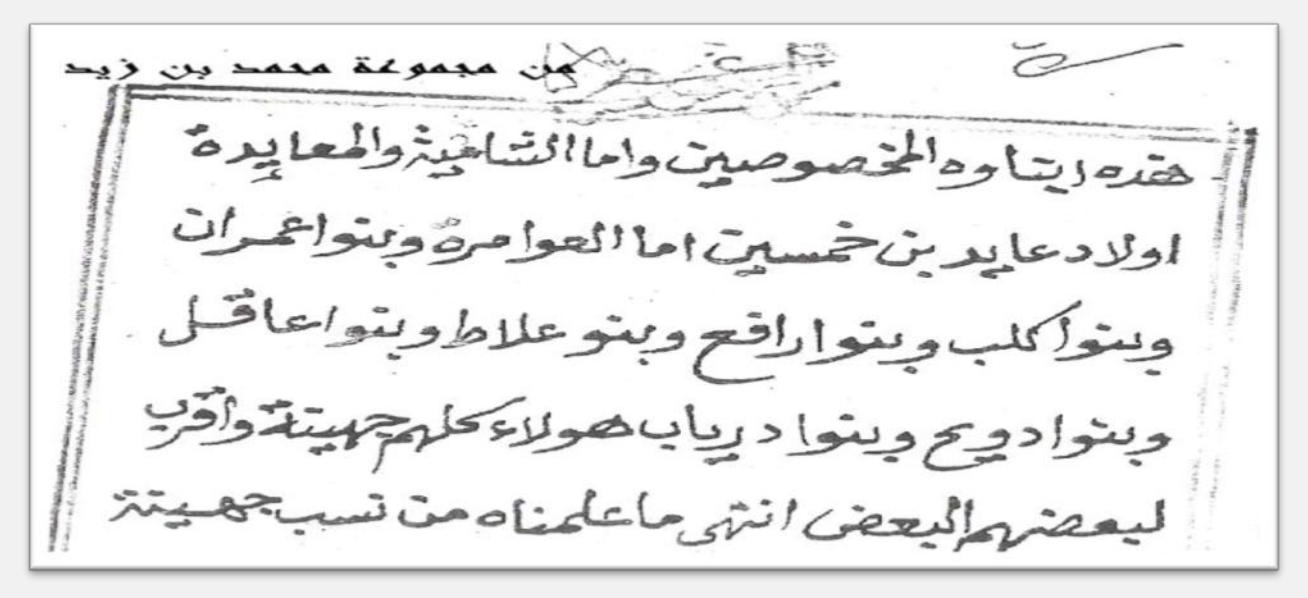
شكل رقم (22)

مخطوطة السمرقندي "أنساب عرب السودان"

وفيها متن مهم يقول: "وان قبيلة جُهينة بلغت اثنين وخمسون قبيلة

بأرض سوبة ببحر النيل بملك الفونج.."

المخطوطة: ورقة 19


من مجموعة محمد بن زيد

هذه ابناء المخصوصين واما الشاعية والمعايدة
اولاد عايد بن خمسين اما العوامرة وبنوا عمران
وبنوا كلب وبنوا رافع وبنو علاط وبنوا عاقل
وبنوا دويح وبنوا دياب هولاء كلهم جهينة واقرب
لبعضهم البعض انتهى ما علمناه من نسب جهينة

شكل رقم (23)

إحدى أوراق النسبة السودانية عن جهينة ونسبها وبعض بطونها

مجموعة محمد بن زيد – الخرطوم

من مجموعة محمد بن زيد

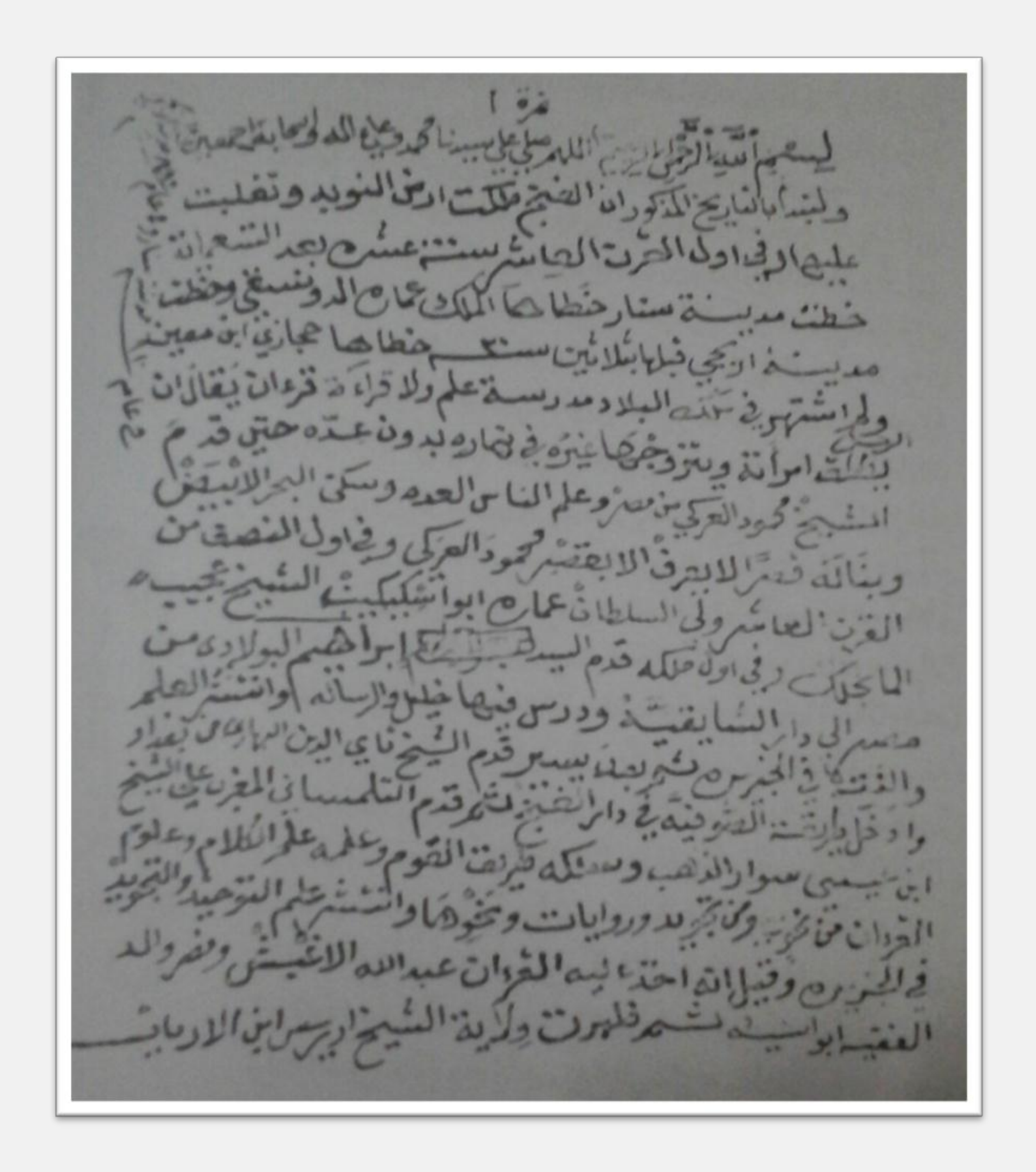
ذريته هم الباقين وكذالك عند قوله تعالي وجعلناكم
شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم
تجده وان قبيلة جهينة بلغت اثنين وخمسون
قبيلة بارض سوبه ببحر النيل بملك الفونج والاكثر

شكل رقم (24)

إحدى أوراق النسبة السودانية

تتحدث عن أن قبيلة جهينة كانت تضم 52 قبيلة في أرض سوبة

مجموعة محمد بن زيد – الخرطوم



نمرة 1

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته اجمعين

ولنبدأ بالتاريخ المذكور ان الفونج ملكت ارض النوبة وتغلبت

عليها في اول القرن العاشر سنة عشر بعد التسعمائة

خطت مدينة سنار خطها الملك عمارة دونقس وخطت

مدينة اربجي قبلها بثلاثين سنة خطها حجازي ابن معين

ولم اشتهر في تلك البلاد مدرسة علم ولا قراءة قرءان يقال ان

الرجل يطلق امرأته ويتزوجها غيره في نهاره بدون عده حتى قدم

الشيخ محمود العركي من مصر وعلم الناس العده وسكن البحر الابيض

وبنا له قصرا يعرف الان بقصر محمود العركي وفي اول النصف من

القرن العاشر ولي السلطان عمارة ابو سكيكين الشيخ عجيب

المانجلك وفي اول ملكه قدم السيد ابراهيم البولادي من

مصر الى دار الشايقية ودرس فيها خليل والرسالة وانتشر العلم

والفقه في الجزيرة ثم بعده بيسير قدم الشيخ تاج الدين البهاري من بغداد

وادخل طريقة الصوفية في دار الفونج ثم قدم التلمساني المغربي على الشيخ

ابن عيسى سوار الذهب وسلكه طريق القوم وعلمه علم الكلام وعلوم

القرءان من تجويد ومن تجويد وروايات ونحوها وانتشر علم التوحيد والتجويد

في الجزيرة وقيل انه اخذ منه القرءان عبد الله الاغبش ونصر والد

الفقيه ابو سنه ثم ظهرت ولاية الشيخ ادريس ابن الارباب

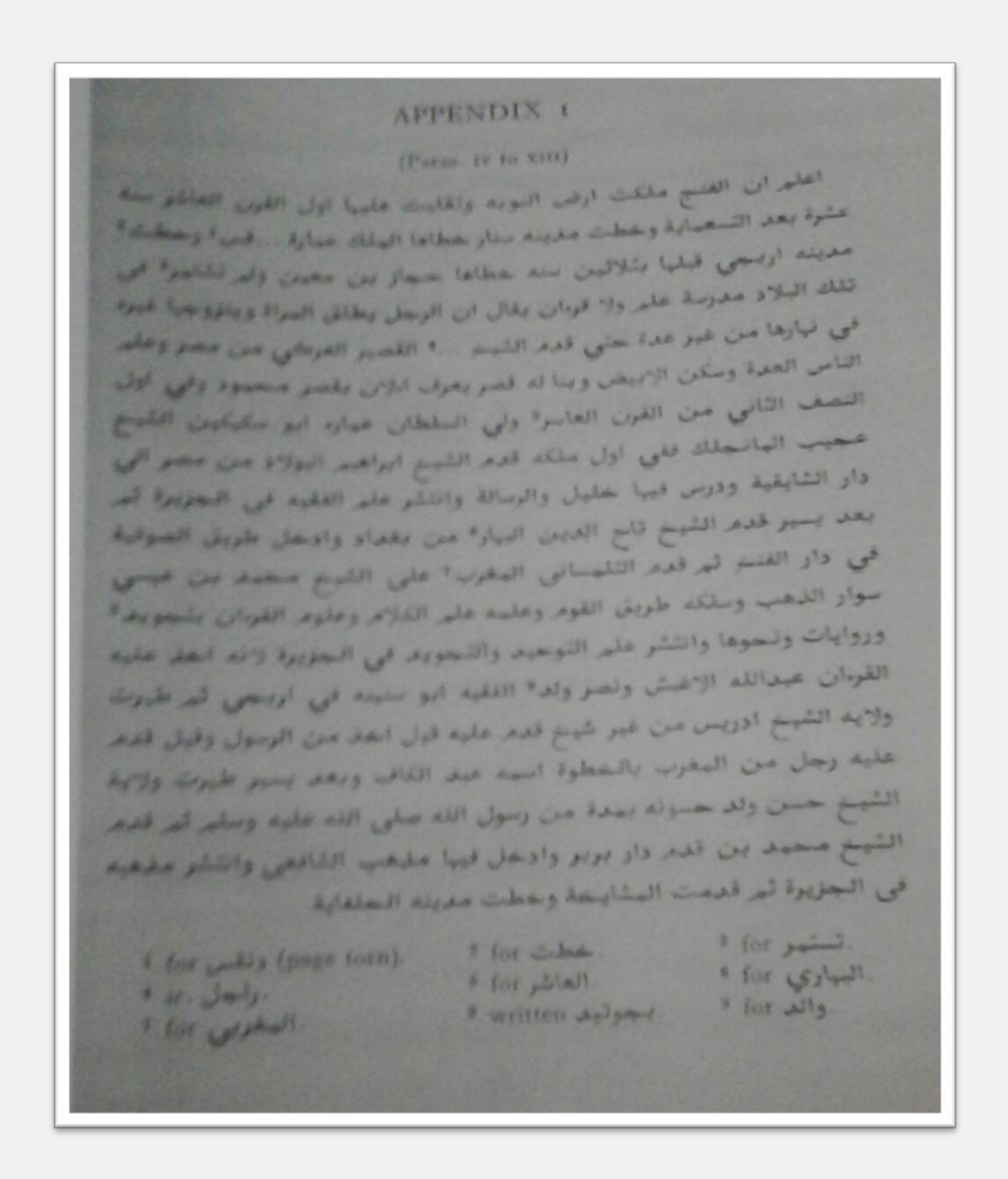
شكل رقم (25)

مخطوطة "كتاب الطبقات" (في خصوص الأولياء والصالحين) – الورقة الأولى

لـ"ود ضيف الله" وفيها يبدأ المؤلف الحديث عن

ابتداء دولة الفونج أو "السلطنة السنارية" أوائل القرن 10هـ/16م

المصدر: ود ضيف الله: كتاب الطبقات، ص8



APPENDIX I

(Paras. IV to XIII)

اعلم ان الفنج ملكت ارض النوبه وتغلبت عليها اول القرن العاشر سنة
عشرة بعد التسعمائة وخطت مدينة سنار خطها الملك عمارة ..قس[1] وخطت[2]
مدينه اربجي قبلها بثلاثين سنه خطها حجاز بن معين ولم تشتهر[3] في
تلك البلاد مدرسة علم ولا قرآن يقال ان الرجل يطلق المرأة ويتزوجها غيره[4]
في نهارها من غير عدة حتى قدم الشيخ .. القصير العركي من مصر وعلم
الناس العدة وسكن الابيض وبنا له قصر يعرف الآن بقصر محمود وفي اول
النصف الثاني من القرن العاسر[5] ولي السلطان عماره ابو سكيكين الشيخ
عجيب المانجلك ففي اول ملكه قدم الشيخ ابراهيم البولاد من مصر الى
دار الشايقية ودرس فيها خليل والرسالة وانتشر علم الفقه في الجزيرة ثم
بعد يسير قدم الشيخ تاج الدين البهار[6] من بغداد وادخل طريق الصوفية
في دار الفنج ثم قدم التلمساني المغرب[7] على الشيخ محمد بن عيسى
سوار الذهب وسلكه طريق القوم وعلمه علم الكلام وعلوم القرآن بتجويد[8]
وروايات ونحوها وانتشر علم التوحيد والتجويد في الجزيرة لانه اخذ عليه
القرآن عبدالله الاغبش ونصر ولد[9] الفقيه ابو سنينه في اربجي ثم ظهرت
ولايه الشيخ ادريس من غير شيخ قدم عليه قول اخذ من الرسول وقيل قدم
عليه رجل من المغرب بالخطوة اسمه عبد الكافي وبعد يسير ظهرت ولاية
الشيخ حسن ولد حسونه بعدة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدم
الشيخ محمد بن قدم دار بربر وادخل فيها مذهب الشافعي وانتشر مذهبه
في الجزيرة ثم قدمت المشايخة وخطت مدينة الحلفاية

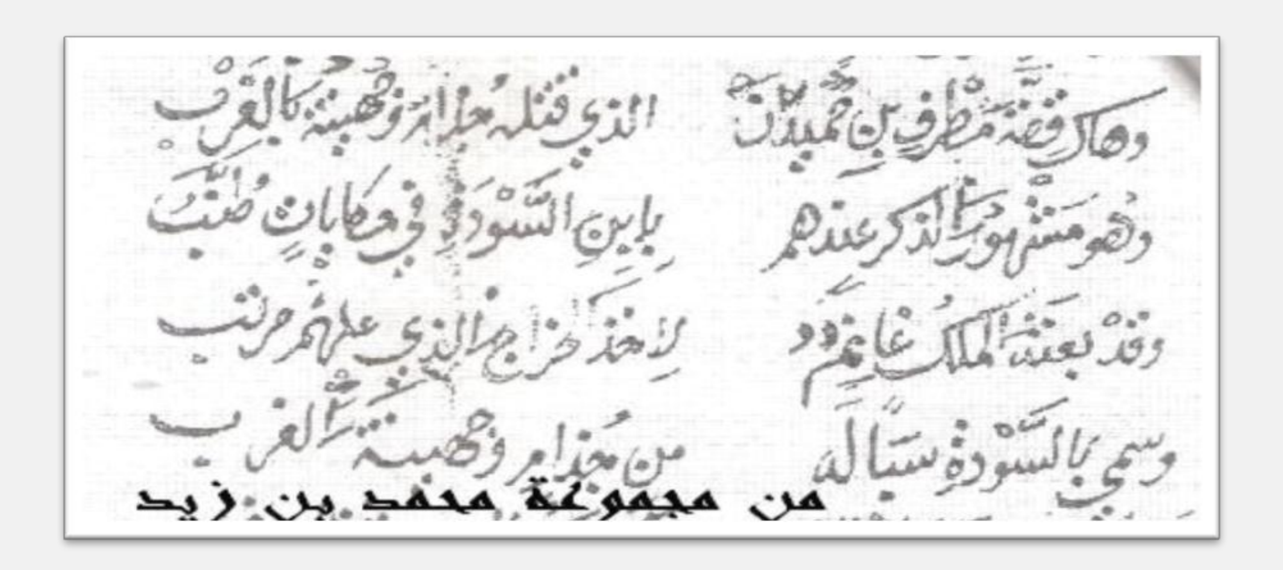
1 for دنقس (page torn). 2 for خطت. 3 for تشتهر.
4 sc. راجل. 5 for العاشر. 6 for البهاري.
7 for المغربي. 8 written بجوليد. 9 for والد.

شكل رقم (26)

إحدى الوثائق السودانية التي تتحدث عن الفونج (الفنج)

المرجع:

Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan, Vol. II, P. 317



وهاك قصة مطرف بن حميدان الذي قتله جذام وجهينة بالغرب
وهو مشهور بالذكر عندهم بابن السودة في حكايات كتب
وقد بعثه الملك غانم ود لاخذ خراج الذي عليهم حرب
وسمي بالسودة سباله من جذام وجهينة عرب الغرب
من مجموعة محمد بن زيد

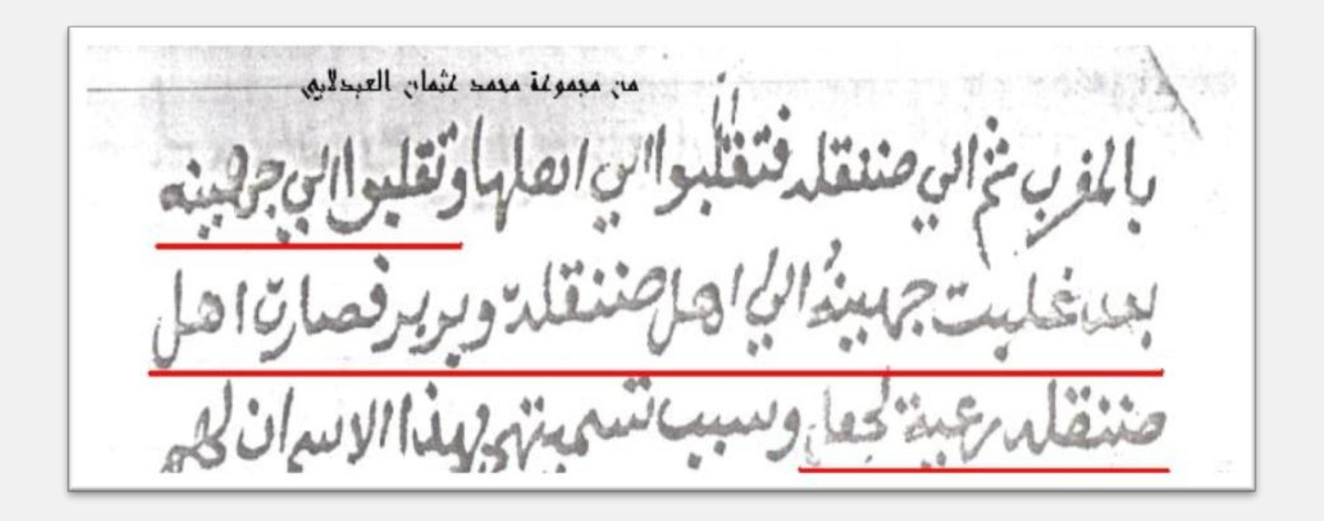
شكل رقم (27)

إحدى الوثائق السودانية عن جهينة وعلاقتها بقبيلة جذام في السودان

مجموعة محمد بن زيد – الخرطوم

المصدر : موقع السلالات العربية

www.dnaarab.com



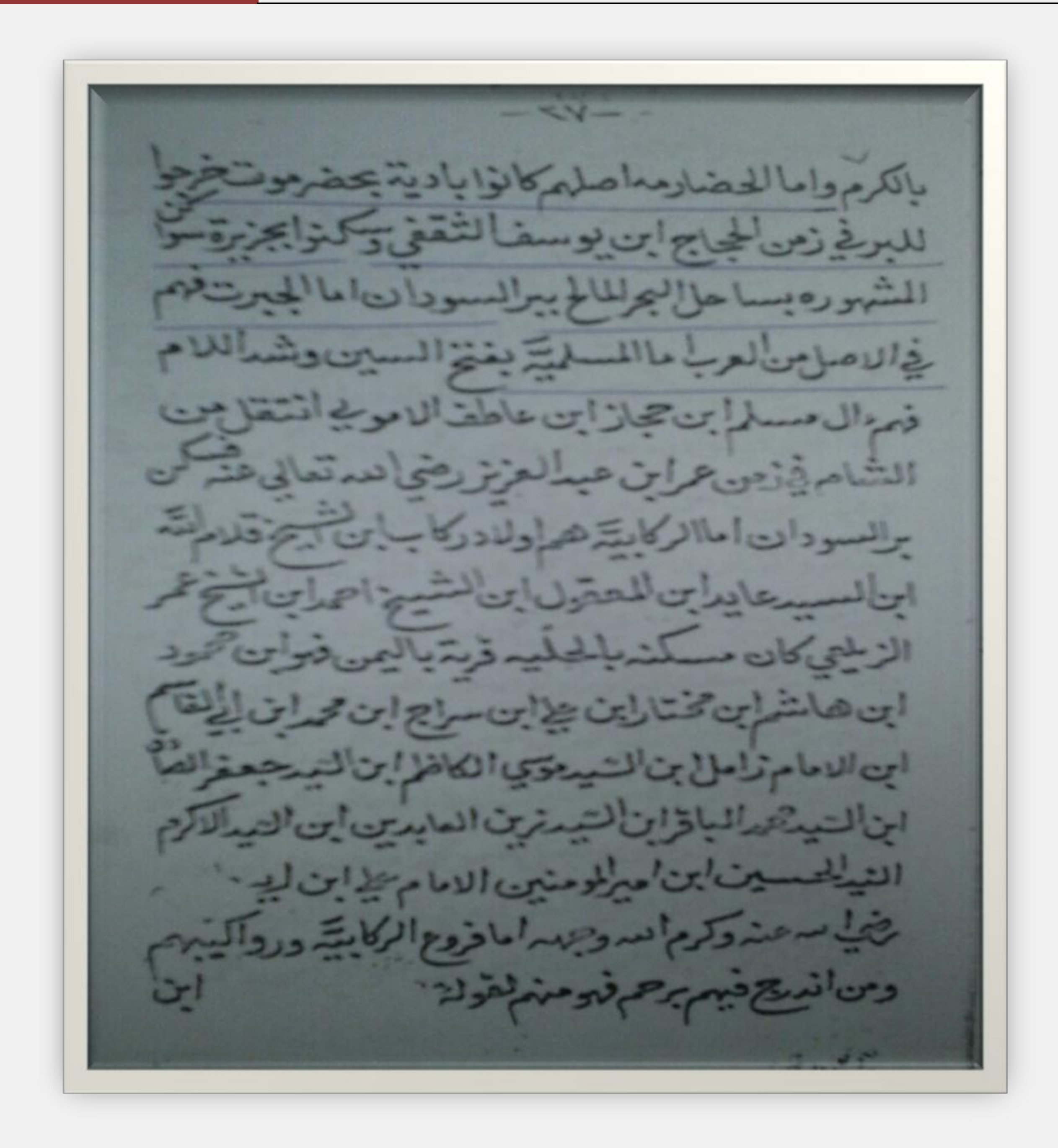
من مجموعة محمد عثمان العبدلابي
بالمغرب ثم الى دنقلة فتغلبوا الى اهلها وتغلبوا الى جهينه
بعد غلبت جهينة الى اهل دنقلة وبربر فصارت اهل
دنقلة رعية لجعل وسبب تسميتهم بهذا الاسم ان لهم

شكل رقم (28)

إحدى الوثائق السودانية

عن العلاقة بين قبيلة جُهينة وأهل ضنقلة (دنقلة) وبربر

مجموعة محمد عثمان العبدلابي – الخرطوم



- ٢٧ -

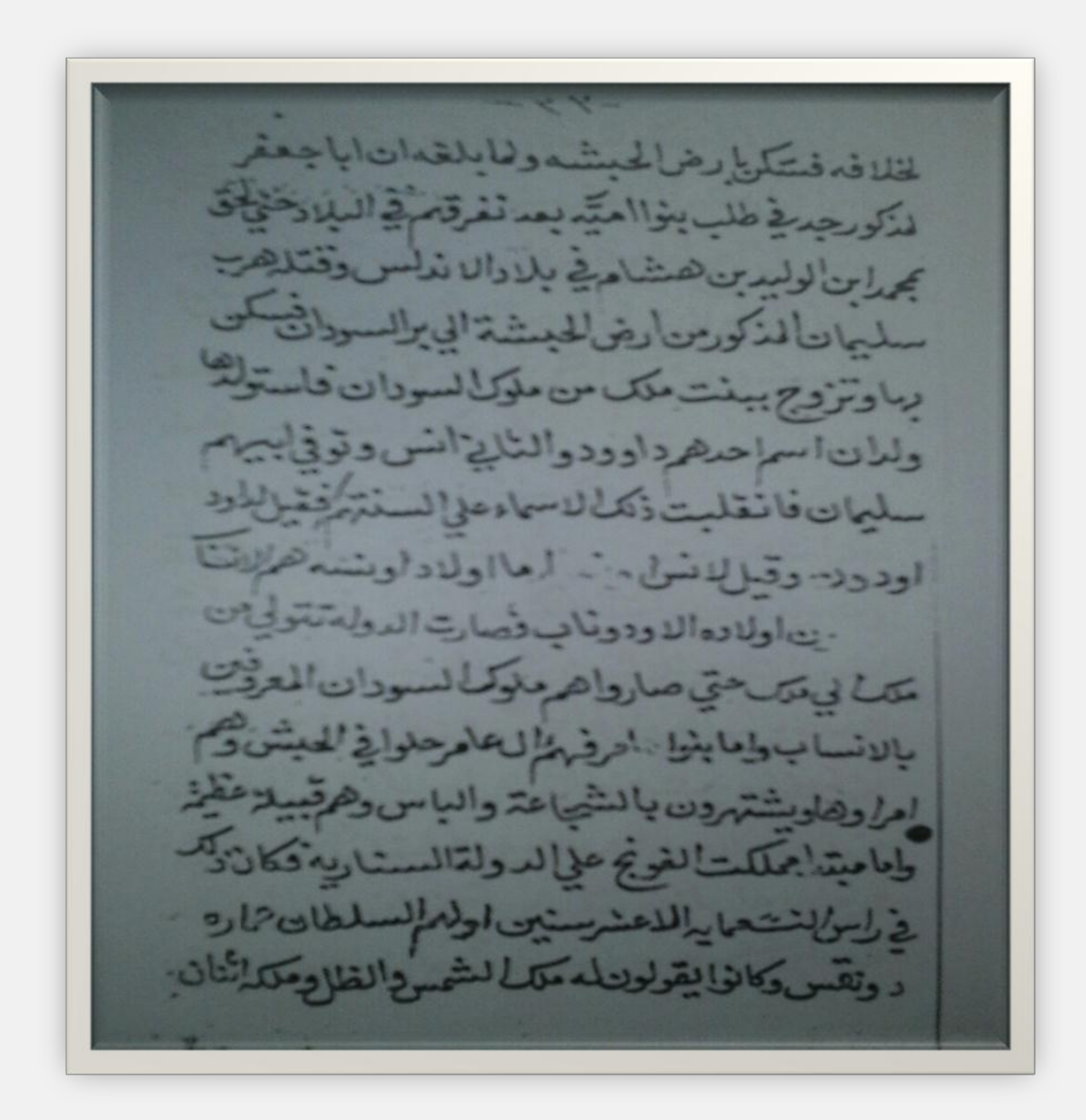
بالكرم واما الحضارمه اصلهم كانوا بادية بحضرموت خرجوا
للبر في زمن الحجاج ابن يوسف الثقفي وسكنوا بجزيرة سوا
المشهوره بساحل البحر المالح ببر السودان اما الجبرت فهم
في الاصل من العرب اما المسلمية بفتح السين وشد اللام
فهم ال مسلم ابن حجاز ابن عاطف الاموي انتقل من
الشام في زمن عمر ابن عبد العزيز رضي الله تعالي عنه فسكن
بر السودان اما الركابية هم اولاد ركاب ابن الشيخ غلام الله
ابن السيد عايد ابن المعقول ابن الشيخ احمد ابن الشيخ عمر
الزيلعي كان مسكنه بالحلية قرية باليمن فهو ابن محمود
ابن هاشم ابن مختار ابن علي ابن سراج ابن محمد ابن ابي القاسم
ابن الامام زامل ابن السيد موسي الكاظم ابن السيد جعفر الصادق
ابن السيد محمد الباقر ابن السيد زين العابدين ابن السيد الاكرم
السيد الحسين ابن امير المومنين الامام علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه اما فروع الركابية وروابطهم
ومن اندمج فيهم برحم فهو منهم لقوله
ابن

شكل (29)

مخطوطة السمرقندي "أنساب عرب السودان" تتحدث هذه الورقة

عن أصل الحداربة وعلاقتهم بالعرب الحضارمة وهجرتهم من اليمن إلى سواكن

انظر المخطوطة: ورقة رقم 27


لخلافه فتسكن بارض الحبشه ولما بلغه ان ابا جعفر
المذكور جد في طلب بنوا امية بعد تفرقهم في البلاد حتي لحق
بجد ابن الوليد بن هشام في بلاد الاندلس وقتله هرب
سليمان المذكور من ارض الحبشة الي بر السودان فسكن
بها وتزوج ببنت ملك من ملوك السودان فاستولدها
ولدان اسم احدهم داوود والثاني انس وتوفي ابيهم
سليمان فانقلبت ذلك الاسماء علي السنتهم فقيل للدود
اودود - وقيل لانس [illegible] اما اولاد اونسه هم [illegible]
[illegible] اولاده الا ودوناب فصارت الدولة تتولي من
ملك الي ملك حتي صاروا هم ملوك السودان المعروفين
بالانساب واما بنوا [illegible] حلوا في الحبش وهم
امراوها ويشتهرون بالشجاعة والباس وهم قبيلة عظيمة
واما مبتدا مملكت الفونج علي الدولة السنارية فكان ذلك
في راس التسعمايه الا عشر سنين اولهم السلطان عماره
د ونقس وكانوا يقولون له ملك الشمس والظل وملكه اثنان

شكل (30)

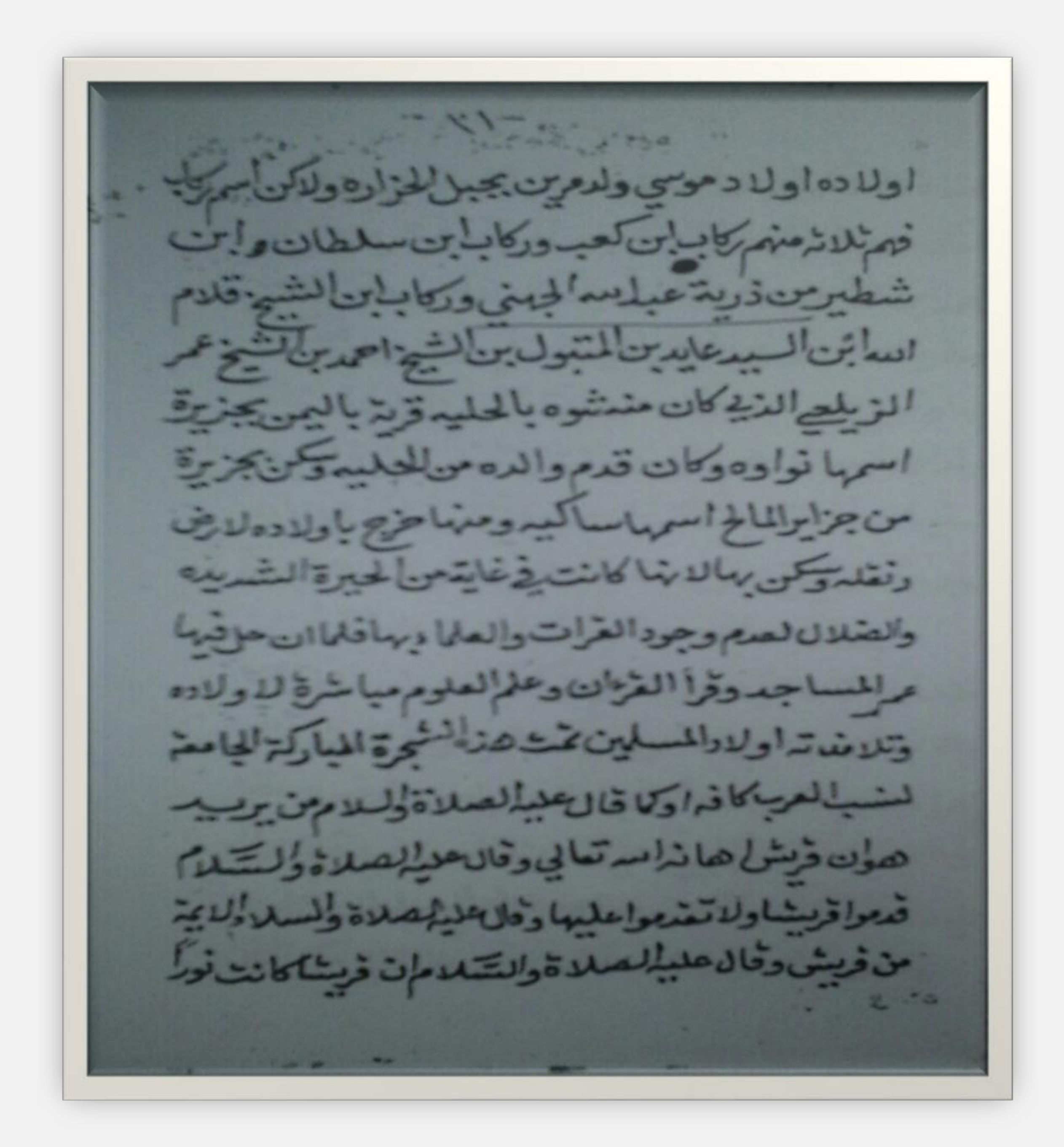
مخطوطة السمرقندي

وتتحدث في أسفل هذه الورقة عن مملكة الفونج وأنها تأسست

"في رأس التسعماية إلا عشر سنين، أولهم السلطان عمارة دونقس

وكانوا يقولون له ملك الشمس والظل"

انظر المخطوطة: ورقة رقم 33



-٢١-

اولاده اولاد موسي ولدمرين بجبل الحزاره ولاكن اسم ركاب
فهم ثلاثه منهم ركاب ابن كعب وركاب ابن سلطان وابن
شطير من ذرية عبدالله الجهني وركاب ابن الشيخ قدم
الله ابن السيد عايد بن المتبول بن الشيخ احمد بن الشيخ عمر
الزيلعي الذي كان منشوه بالحليه قرية باليمن بجزيرة
اسمها نواوه وكان قدم والده من الحليه وسكن بجزيرة
من جزاير المالح اسمها ساكيه ومنها خرج باولاده لارض
دنقله وسكن بها لانها كانت في غاية من الحيرة الشديده
والضلال لعدم وجود القرات والعلما بها فلما ان حل فيها
عمر المساجد وقرا القرءان وعلم العلوم مباشرة لاولاده
وتلامذته اولاد المسلمين تحت هذه الشجرة المباركة الجامعة
لنسب العرب كافه اوكما قال عليه الصلاة والسلام من يريد
هوان قريش اهانه الله تعالي وقال عليه الصلاة والسلام
قدموا قريشا ولا تقدموا عليها وقال عليه الصلاة والسلام الايمة
من قريش وقال عليه الصلاة والسلام ان قريشا كانت نورا

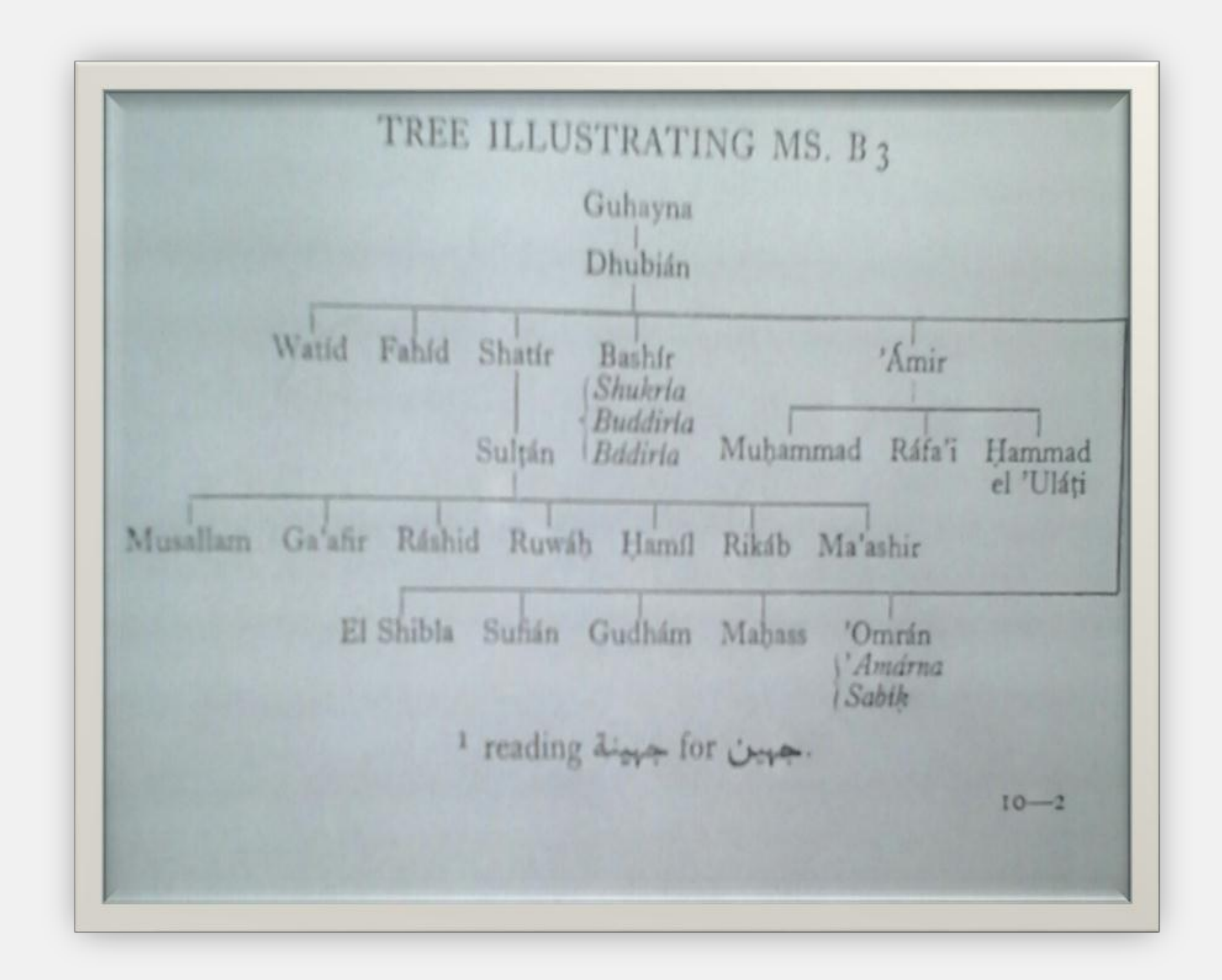
شكل (31)

مخطوطة السمرقندي

وفيها تتحدث أعلى هذه الورقة

عن نسل جهينة في السودان من ذرية "عبدالله الجهني"

المخطوطة: ورقة 31



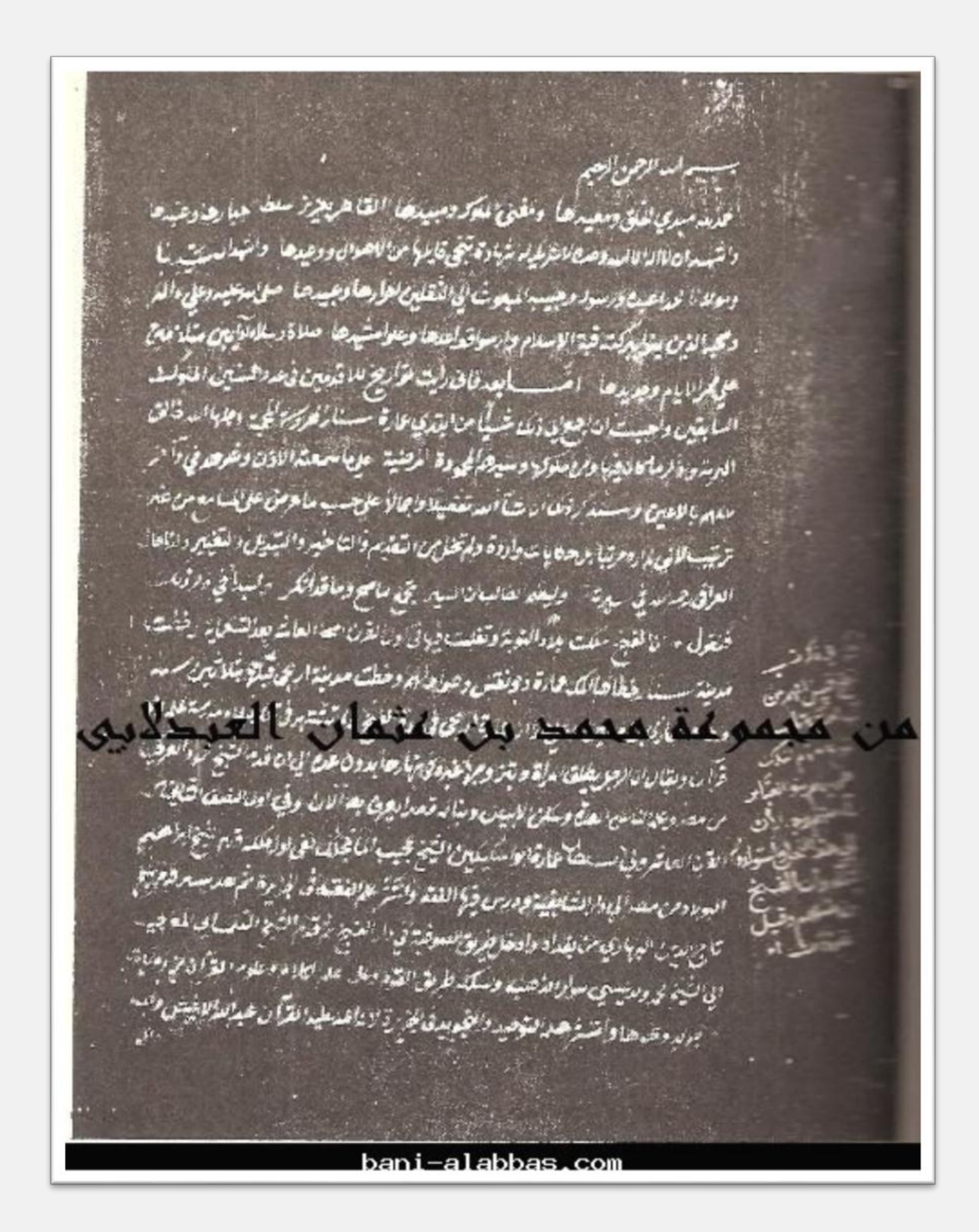
شكل (32)

إحدى الوثائق السودانية عن نسل قبيلة جهينة، بطن ذبيان

وبها أسماء نسب ذبيان: جهينة – ذبيان – واطد (وتيد) – فاهد – بشير (الشكرية، والبديرية) – عامر (محمد، رفاعي، حمد) – شاطر (شاتير، ومن نسله: سلطان، ومن نسله: مسلم، جعفر، راشد، رواح، حَميل، ركاب، معشر). ومن نسل ذبيان أيضا: الشبلة – سفيان – جذام – محس – عمران

المرجع:

Macmichael: A History othe Arabs in the Sudan, Vol. II, P. 147



شكل رقم (33)

مخطوطة "كاتب الشونة" (الورقة الأولى من المخطوطة)

مجموعة محمد بن عثمان العبدلابي – الخرطوم

عن موقع: bani – alabas.com

المصادر والمراجع

أولا – المخطوطات:

أحمد بن الحاج أبو علي (كتب هذه المخطوطة سنة 1254هـ/1838م):

1 – مخطوطة "كاتب الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية"، تحقيق: الشاطر بُصيلي عبدالجليل، مراجعة: محمد مصطفي زيادة، وزارة الثقافة الارشاد القومي، 1961م

أحمد بن الفكي معروف:

2 – مخطوطة "ذكر قبائل العرب التى سكنت أرض السودان"، انظر Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan,Vol.II , Cambridge, 1922, P.343

السمرقندي (أبوعبدالله حسين بن عبدالله الحسين السمرقندي):

3 – مخطوطة "أنساب عرب السودان"، نسخة مصورة، 189 /18 /Misc

الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت: 748هـ/1347م)

4 – مخطوطة "المُختَلِف والمُشتَبه من الأسماء والأنساب والكُنَى"، مكتبة الملك سعود، الرياض، رقم5698

القزويني (محمد بن مهدي القزويني، ت: 1043هـ/1633م):

5 – مخطوطة "أسماء قبائل العرب"، محفوظة بمكتبة جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية مخطوطة تحت رقم: 366

المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، ت: 845هـ/1441م)

6 – مخطوطة "عبدالله بن سعد بن أبي السرح" (كتبت في سنة 760هـ/1358م) 1/13/112 Misc

وثيقة نسب العركيين (وهم من بطون جهينة):

7 – وهي إحدى أوراق النسبة السودانية، وثيقة نسب الشيخ عبدالله بن دفع الله العركي، انظر: Macmichael : A History of the Arabs in the Sudan,Vol.II , P.175

مجهول:

8 – مخطوطة "تاريخ مختص بأرض النوبة ومن ملوكها ملوك الفونج ومن تولي بعدهم": وثائق غير منشورة، دار الوثائق القومية، الخرطوم، 1/15/191 Misc

مجهول:

9 – مخطوطة الفكي حسن ولد محمد عيسى الجليلابي ود الشاعر، انظر متن المخطوطة Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan, Vol. II , P .139

مجهول:

10– وثائق خليفة الشيخ خوجلي: دار الوثائق المركزية، الخرطوم، مطبوعات/22، 1965م

مجهول:

11 – وثائق الفونج والأرض، تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم، جامعة الخرطوم، 1967م

مجهول:

12 – مخطوطة واضح البيان في ملوك العرب بالسودان وملوك العبدلاب، نسخة مصورة

مجموعة من أوراق النسبة:

13 – انظر متون هذه المجموعة في كتاب:

Macmichael: A History of the Arabs in the Sudan,Vol. II, P.309

مجهول:

14 – مخطوطة "نسب القبائل العربية"، موقع آل متحمي الهاشمي www.ashraf.online

مجهول:

15 – مخطوطة الصحابة البدريين، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

بعض أوراق البردي العربية:

16 – تحقيق: أدولف جروهمان، ترجمة: الدكتور حسن ابراهيم حسن، طبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1955م

مجهول:

17 – عدد من المخطوطات، مجموعة محمد بن عثمان العبدلابي، الخرطوم، (موقع منتدى الرفاعيين)

مجهول:

18 – مخطوطة عن قبيلة جُهينة ورفاعة، من مجموعة محمد بن زيد، الخرطوم، السودان

نقوش صخرية:

19 – نقش صخري لشخص من جُهينة (يدعى عبدالرحمن بن نبيه الجهني) من جبال الحجاز (موقع: ملتقى جهينة التاريخي)

20 – نقوش صخرية تصور انتصار أشخاص من قبيلة جُهينة – جبال الحجاز (موقع ملتقى جُهينة التاريخي)

ثانيا – المصادر:

21 – **القرآن الكريم**

22 – **التوراة (العهد القديم):**

ابن الأبَّار (أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر بن عبدالله بن عبدالرحمن القضاعي، ت: 658هـ/1199م):

23 – الحُلة السيراء، تحقيق: الدكتور حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 2013م

البُخاري (أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة بن بزدزبة الجعفي، ت: 256هـ/869م):

24 – صحيح البخاري، مكتبة الصفا، القاهرة، 2003م

الترمذي (أبو عيسي محمد بن عيسي بن سورة، ت: 279هـ/892م):

25 – سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ

ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم، ت: 630هـ/1232م)

26 – أُسد الغابة في مَعرفة الصحابة، تحقيق: أحمد بن شعبان، مكتبة الصفا، القاهرة، 2007م

27 – اللُباب في تَهذيب الأنساب، مطبعة دار التأليف، القاهرة، 1971م

28 – الكامل في التاريخ، تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ

الإدريسي (أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس، ت: 548هـ/1153م):

29 – نُزهة المُشتاق (المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس)، ، تحقيق: آر. دوزي، طبعة ليدن، 1866م

ابن إسحاق (محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي، ت: 151هـ/768م)

30 – السيرة النبوية، الجزء الأول، تحقيق: أحمد فريد المَزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009م

الإصطخري (ابراهيم بن محمد الفارسي، ت: 346هـ/957م)

31 – مسالك الممالك، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2011م

ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، ت: 930هـ/1523م)

32 – بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م

ابن بطوطة (محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي، ت: 779هـ/1377م)

33 – تُحفة النُظار في غرائب الأمصار وعجائب الأبصار (رحلة ابن بطوطة)، تعليق: محمد السعيد محمد الزيني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ

البغدادي (عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفراييني، ت: 429هـ/1037م):

34 – الفَرق بين الفِرَق، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، 2007م

أبو بكر الرازي (محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر الرازي الحنفي، ت: بعد 666هـ/1267م):

35 – كتاب زهر الربيع، تحقيق: مصطفي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة التراث، 2011م

36 – مُختار الصحّاح، تحقيق: محمد خاطر بك، المطبعة الأميرية، 1904م،

البكري: (أبوعُبيد البكري ، ت: 487هـ/1094م)

37 – المُغرِب في ذكر بلاد إفريقية والمغرِب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ

البلاذُري (أحمد بن يحيي بن جابر، ت: 279هـ/892م)

38 – أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، 1987م

39 – فتوح البلدان، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ

البيضاوي (القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ت: 791هـ/1388م):

40 – تفسير البيضاوي (المعروف باسم: أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ

البيهقي (الحافظ أبو بكر بن الحسين البيهقي، ت: 458هـ/1065م):

41 – دلائل النبوة، تحقيق: عبد الرحمن عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، 1969م

ابن تَغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي، ت: 847هـ/1443م)

42 – المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: دكتور نبيل عبد العزيز، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م

43 – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2008م

التونسي (محمد بن عمر، ت: 1274هـ/1857م):

44– تَشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق: دكتور خليل محمود عساكر، دكتور مصطفي محمد مسعد، مراجعة: دكتور محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة التراث، 2007م

الثعلبي (أبوإسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري، ت: 427هـ/1035م):

45 – عرائس المجالس (وهو المعروف أيضا باسم قصص الأنبياء)، مكتبة الإيمان، المنصورة، دون تاريخ

الجبرتي (عبد الرحمن حسن الجبرتي، ت: (1226هـ/1825م):

46 – عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دراسة وتقديم: الدكتور أحمد زكريا الشلق، تحقيق: حسن محمد جوهر وعمر الدسوقي والسيد إبراهيم سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2013م

ابن جُبير (أبو الحسن محمد بن جبير الكناني الأندلسي، ت: 614هـ/1217م)

47 – رحلة ابن جبير، تحقيق: الدكتور محمد زينهم عزب، دار المعارف، القاهرة، 1986م

ابن الجوزي (جمال الدين أبي الفرج، ت: 597هـ/1200م)

48 – تنوير الغبش في فضل السودان والحبش، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، تقديم: دكتور حكمت بشير، دار الشريف للنشر والتوزيع، الرياض، 1419هـ/1998م

49 – صِفَة الصَفوة، تحقيق: محمد بن عيادي بن عبدالحليم، مكتبة الصفا، القاهرة، 2003م

ابن حجر (الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: 852هـ/1448م)

50 – نُزهة الألباب في الألقاب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م

51 – الإصابة في تمييز الصحابة، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ

ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي، ت: 457هـ/1164م)

52 – جَمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009م

ابن حَوقل (أبو القاسم بن محمد النصيبي، ت: 350هـ/961م)

53 – صورة الأرض، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2009م

ابن خَلَكان (أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم، ت: 681هـ/1281م)

54 – وفَيات الأعيَان، دار إحياء التراث، طبعة بيروت، 2009م

ابن خَرداذبة (أبو القاسم عُبيد الله بن عبد الله، ت: 300هـ/912م)

55 – المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ

ابن خُلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خالد، ت: 808هـ/1405م)

56 – العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعُجم والبربر، تقديم: الدكتور عُبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2007م

57 – المقدمة، تحقيق: الدكتور: علي عبد الواحد وافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2006م

خواندامير (غياث الدين بن همام، ت: 942هـ/1535م)

58 – دستور الوزراء، ترجمة: حربي أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980م

الأزرقي (أبوالوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي، ت: حوالي سنة 250هـ/864م):

59 – أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، مكتبة النافذة، القاهرة، 2013م

ديودور الصقلي (عاش حوالي سنة 95–35 ق.م):

60 – ديودور الصقلي في مصر: ترجمة عن اليونانية: وهيب كامل، طبعة دار المعارف، القاهرة، 2013م

الدينوري (أبوحنيفة أحمد بن داود، ت: 282هـ/895م):

70 – الأخبار الطُوَال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010م

الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ت: 748هـ/1347م)

71 – تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2014م

72 – السيرة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م

73 – سير أعلام النبلاء، تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2008م

الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزرقي الزركلي، ت: 1396هـ/1976م):

74 – تراجم الأوائل والخلفاء (المعروف باسم الأعلام الصغرى)، راجعه وقدم له: الدكتور محمد سالمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2014م

الزَمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ت: 538هـ/1143م)

75 – تفسير الكشاف (المعروف باسم: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل)، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ

76 – الجبال والأمكنة والمياه، الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م

الزُهري (أبوعبدالله محمد بن أبي بكر الزُهري، ت: القرن 6هـ/12م)

77 – كتاب الجُغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ

ابن زولاق (الحسن بن إبراهيم بن الحسين الليثي المصري، ت: 387هـ/997م)

78 – تاريخ مصر وفضائلها(المنسوب خطأ لابن زولاق)، تحقيق: د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م

السخاوي (شمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي، ت: 902هـ/1496م)

79 – تُحفة الأحباب وبُغية الطُلاب في الخُطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات، تحقيق: محمود سبيع، وحسن قاسم، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، القاهرة، 2014م

80 – الذيل علي رفع الإصر، تحقيق: دكتور جودة هلال، ومحمد محمود صبيح، مراجعة: علي البجاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000م

81 – الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دار الجيل، بيروت، 1992م

السمرقندي (أبوعبدالله حسين بن عبدالله الحسين السمرقندي، ت: 1043هـ/1633م):

82 – أنساب الطالبيين، تحقيق: الدكتور عبدالكريم إبراهيم الجنابي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م

ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد، ت: 230هـ/845م):

83 – الطبقات الكبري، المجلد الثاني، تحقيق: الدكتور حمزة النشرتي (وآخرين)، طبعة القاهرة، دون تاريخ

84 – تهذيب السيرة النبوية والمغازي، تحقيق: هاني مهنى طه، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 2015م

أبو سعد الآبي (الوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي، ت: 421هـ/1030م):

85 – نثر الدُرر، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990م

السمعاني (أبو سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي، ت: 562هـ/1166م):

86 – الأنساب، الجزء الثالث، تحقيق: الشيخ عبد الرحمن بن يحيى بن منصور التميمي، حيدر آباد، الهند، 1963م

السوَّيدي (أبو الفوز محمد أمين البغدادي، ت:644هـ/1246م)

87 – سبائكُ الذَهب في معرفةِ قبائل العرب، شركة نوابغ الفكر، القاهرة، 2008م

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ت: 911هـ/1505م)

88 – دَرُ السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة، تحقيق: دكتور حمزة النشرتي، القاهرة، دون تاريخ

89 – تاريخ الخلفاء، تحقيق: أحمد بن شعبان، مكتبة الصفا، القاهرة، 2005م

90 – حُسن المُحاضَرة في أخبار مصر والقاهرة، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م

91 – إحياء فضائل أهل البيت، تحقيق وتعليق: دكتور محمد زينهم محمد عزب، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب، 1999م

92 – مختصر جامع الأحاديث، الجزء الثاني، اختصار: الحافظ صلاح الدين التيجاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المختصرات التراثية، 2008م

شرف البركاتي (حسين بن الحسن بن أبي نمى الثاني محمد بن بركات الثاني بن محمد الحسني الهاشمي، ت: 1005هـ/1697م) :

93 – الرحلة اليمانية، تحقيق: أميمة الصواف، مكتبة الثقافة الدينية، 2008م

الشعراني (أبوالمواهب عبدالوهاب بن أحمد بن علي بن الشعراوي الأنصاري):

94 – الطبقات الكبري، المكتبة التوفيقية، 2011م

شهاب الدين الحموي (إبراهيم بن أبي الدم الحموي، ت: 642هـ/1244م):

95 – التاريخ المُظفَّري، تحقيق: الدكتور حامد زيان غانم زيان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989م

شهاب الدين النوَّيري (أحمد بن عبد الوهاب، ت: 733هـ/1332م)

96 – نهاية الإرب فى فنون الأدب، تحقيق: د. محمد عبدالهادى شعيرة، مراجعة : الدكتور محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1990

ابن صاعد الأندلسي (القاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي، ت: 462هـ/1070م):

97 – طبقات الأُمم، تحقيق: الدكتور حسين مؤنس، دار المعارف، ذخائر العرب، القاهرة، 1998م

الصفدي (أبوالثناء صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله الصفدي، ت: 764هـ/1362م)

98 – نَكت الهِميان في نُكَت العٌميان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الزخائر، القاهرة، 2013م

99 – مختصر الوافي بالوفيات، اختصار وتقديم: دكتور محمد لاشين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة المختصرات التراثية، القاهرة، 2009م

ابن الصيرفي (علي بن داود الجوهري الصيرفي، ت: 900هـ/1494م):

100 – إنباء الهِصر بأنباء العصر، تحقيق وتقديم: دكتور حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة التراث، القاهرة، 2002م

ابن طاهر (المُطهر بن طاهر المقدسي، ت: بعد سنة 350هـ/961م):

101 – كتاب البدء والتاريخ، تحقيق: كليمان هوار، تقديم: دكتور محمود إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة التراث، القاهرة، 2010م

ابن طباطبا (محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي: 345هـ/956م)

102 – الفخري في الآداب السلطانية، مكتبة محمد علي صبح، القاهرة، 1962م

الطبراني (أبوالقاسم سليمان أحمد بن أيوب بن مُطير اللخمي، ت: 360هـ/970م)

103 – المُعجَم الكبير، باب الألف، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1994م

الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، ت: 310هـ/922م)

104 – تاريخ الأمم والملوك (المعروف باسم: تاريخ الطبري)، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ

ابن ظَهيرة (أبوإسحاق برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن محمد بن حسين بن علي ابن عطية بن ظهيرة، ت: 891هـ/1486م):

105 – الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق: مصطفى السقا وكامل المهندس، دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 2014م

ابن عبد البَر (الحافظ يوسف بن عبد البر النمري، ت: 463هـ/1070م)

106 – الإستيعاب في أسماء الأصحاب، الجزء الثالث، مكتبة مصر، القاهرة، دون تاريخ

ابن عبدالحكم (أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم بن أعين القرشي المصري، ت: 257هـ/870م):

107 – فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة، 1999م

عبداللطيف البغدادي (موفق الدين أبو محمد عبداللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد الموصلي البغدادي، ت: 629هـ/1231م):

108 – كتاب الإفادة والإعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، تحقيق: دكتور عبد الرحمن عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998،

عبدالواحد المراكشي (عاش في القرنين السادس والسابع الهجريين):

109 – المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، 1994م

ابن عبد الولي (أبو جعفر أحمد بن عبدالولي بن أحمد، ت: 848هـ/1444م)

110 – تَذكِرة الألباب بأصول الأنساب، تحقيق: د.علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006م

ابن عبد ربه (أحمد بن محمد بن عبدربه، ت: 246هـ/860م):

111 – العِقد الفريد، تحقيق: فؤاد أفرام البستاني، بيروت، دون تاريخ،

علي باشا مبارك (ت: 1893م):

112 – الخُطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م

العُمري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيي، ت: 749هـ/1348م)

113 – مسالك الأبصار في ممالك الأبصار (المختصر)، اختصار وتقديم: عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2012م

أبو الفِداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، ت: 732هـ/1331م)

114 – المُختَصَر في أخبار البشر، تحقيق: دكتور محمد زينهم محمد عزب، دار المعارف، القاهرة، 1998م

أبوالفرج البغدادي (قُدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، ت: 320هـ/932م):

115 – الخَراج وصنعة الكتابة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ

الفيروزآبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب، ت: 817هـ/1414م)

116 – القاموس المحيط، تحقيق: مجدي فتحي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ

القُرطبي (أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القُرطبي، ت: 671هـ/1272م):

117 – الجامع لأحكام القرآن (المعروف باسم: تفسير القرطبي)، تحقيق: عماد البارودي وخيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ

القَسطلاني (أحمد بن محمد القسطلاني، ت: 923هـ/1517م):

118 – المواهب اللدُنية بالمنح المُحمدية، تحقيق: عماد البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ

القِفطي (جمال الدين أبوالحسن علي بن يوسف الوزير، ت: 646هـ/1248م):

119 – تاريخ الحُكماء، تحقيق: يوليوس ليبرت، ترجمة: الدكتور عوني عبدالرءوف، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008م

القَلعاّوي (مصطفى بن محمد بن يوسف الصفوي القلعاوي، ت: 1230هـ) :

120 – مشاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م

القَلقشندي (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد، ت: 821هـ/1418م)

121 – قلائد الجُمان في التعريف بعَرب قبائل الزمان، إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982م

122 – صُبح الأعشى في صناعة الإنشا، (الأجزاء الثاني والرابع والخامس)، تقديم: دكتور فوزي أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2004م

123 – نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980م

ابن القَيسراني (محمد بن طاهر بن علي بن أحمد الشيباني، ت: 507هـ/1113م)

124 – كتاب الأنساب المُتّفقة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001م

ابن قَيم الجَوزية (شمس الدين محمد بن أبي بكر، ت: 751هـ/1350م)

125 – زاد المعاد في هَدي خير العباد، التقوى للنشر، القاهرة، 2007م

ابن كَثير (الحافظ إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت: 774هـ/1372م)

126 – البداية والنهاية، تحقيق: د.أحمد أبوملحم، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ

127 – قصص الأنبياء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفي الباز، الرياض، 2004م

ابن الكَلبي (أبو المُنذِر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، ت: 206هـ/821م)

128 – نَسَب مَعد واليمن الكبير، تحقيق: دكتور ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولي، 1988م

129 – جَمهرة النَسبْ، تحقيق: د.علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2010م

ابن الكندي (ابوعمر بن محمد بن يوسف، عاش في القرن 4هـ/10م)

130 – الُولاة والقُضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م

ابن ماجه (محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، ت: 273هـ/886م):

140 – سنن ابن ماجة، دار الفجر للتراث، القاهرة، 2010م

141 – كتاب تاريخ الخُلفاء، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2000م

الماوردي (أبوالحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، ت: 450هـ/1058م):

142 – الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ

المباركفوري (صفي الرحمن المباركفوري):

143 – الرحيق المختوم، دار الوفاء، القاهرة، 2009م

المُبرد (أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي، ت: 286هـ/899م):

144 – نَسب عَدنان وقَحطان، طبعة القاهرة، دون تاريخ

مجهول:

145 – أنباء الزمن في أخبار اليمن، تحقيق: محمد عبدالله ماضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ

محمد مهدي كركوكي:

146 – رحلة مصر والسودان، مطبعة الهلال بالفجالة، القاهرة، 1914م

المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين، ت: 346هـ/957م)

147 – التنبيهُ والإشرَاف، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2009،

148 – مُروُج الذهب ومعادن الجَوهر، تحقيق: مصطفى السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2003م

149 – أخبار الزمان، تحقيق: خالد علي نبهان، مكتبة النافذة، القاهرة، 2013م

ابن مَسكويه (أبوعلي أحمد بن محمد بن يعقوب الخازن، ت: 421هـ/1030م):

150 – تجارب الأمم وتعاقب الهِمَم، اختصار: الدكتور عبدالرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007م

مُسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: 261هـ/874م):

151 – صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث، القاهرة، 2010م

ابن المَغرَبي (الوزير ابن المغربي أبي القاسم الحسين بن علي، ت: 418هـ/1027م)

152 – الإيناس بعلم الأنساب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2000م

مَغْلَطاي (الحافظ علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبدالله الحكري الحنفي، ت: 762هـ/1361م):

153 – مختصر السيرة النبوية (المعروف باسم: سيرة مغلطاي)، دار المعارف، القاهرة، 2001م

المقدسي (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي ت: 388هـ/997م):

154 – أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبعة ليدن، مطبعة بريل، 1909م

المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، ت: 845هـ/1441م)

155 – البيانُ والإعراب عمن في أرض مصر من قبائل الأعراب، تحقيق: رمضان البدري، دار الحديث، القاهرة، 2006م

156 – المُقّفي الكبير، تحقيق: محمد البعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م

157 – إمتاعُ الأسماع بما للرسول من الأنباء والأموال والحَفدة والمَتاع، تحقيق: محمود محمد شاكر، وزارة الشئون الدينية، الدوحة، الطبعة الثانية، دون تاريخ.

158 – التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم (رسائل المقريزي)، تحقيق: رمضان البدري، دار الحديث، القاهرة، 2006م

159 – السُلوك لمعرفة دول الملوك، القاهرة، دون تاريخ

160 – إغاثة الأُمة بكَشف الغُمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م

161 – إتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخُلفا، تحقيق: دكتور محمد حلمي محمد أحمد، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلي للشئون الإسلامية، القاهرة، 1996م

162 – تاريخ الأقباط، تحقيق: الدكتور جمال محمد أبوزيد، وعابد إسكندر باسيلوس، دار ومكتبة الحرية، القاهرة، 2010م

163 – المواعظ والإعتبار والاعتبار بذكر الخُطط والآثار (المعروف باسم: خُطط المقريزي)، مكتبة دار الآداب، القاهرة، دون تاريخ

ابن المقفع (ساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين، ت: في النصف الثاني من القرن 4هـ/10م):

164 – تاريخ البطاركة، جـ1، مكتبة دير السريان، مطبعة إمبريال (عابدين)، القاهرة، 2011م

ابن النَديم (أبو الفتح محمد بن إسحاق بن النديم، ت: 439هـ/1047م):

165 – الفِهرِست، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ

نور الدين الحلبي (علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي الشافعي، ت: 1044هـ/1635م)

166 – السيرة الحلبية (المعروف باسم: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، اختصار وتقديم: حمدي عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013م

نور الدين السالمي (عبدالله بن حميد السالمي، ت: 1332هـ/1911م)

167 – تُحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1981م

ابن هشام (أبو محمد عبدالملك بن هشام المعافري، ت: 213هـ/828م)

168 – السيرة النبوية، تحقيق: وليد بن محمد سلامة، وخالد بن محمد بن عثمان، مكتبة الصفا، القاهرة، 2001م.

الهَمداني (الحافظ أبوبكر محمد بن أبي عثمان الحازمي الهمداني، ت: 584هـ/1188م):

169 – عُجالة المُبتدي وفُضالة المُنتَهي في النَسب، تحقيق: عبدالله كنون، مجمعُ اللغة العربية، المطابع الأميرية، القاهرة، 1965م

الواقدي (أبو عبدالله محمد بن عمر بن واقد السَهمي، ت: 207هـ/822م)

170 – فُتُوح الشام، تحقيق: عبدالخالق محمد عبدالخالق، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2008م

وَد ضيف الله (محمد النور بن ضيف الله بن علي بن إبراهيم بن الحاج نصر الجَعلي العباسي، ت: 1121هـ/1709م)

171 – كتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان، تحقيق: الدكتور يوسف فضل حسن، دار جامعة الخرطوم للنشر، 1985م

ابن وَهب (عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي المالكي المصري، ت: 197هـ/812م):

172 – الجامع في الحديث، تحقيق: مصطفي حسن، دار ابن الجوزي، الرياض، 1995م

ياقوت الحَموي (شهاب الدين أبوعبدالله الحموي الرومي، ت: 626هـ/1229م)

173 – المُقتَضبُ من كتاب جَمهرة النَسب، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2010م

اليَعقوبي (أحمد بن اسحاق بن جعفر بن واضح، ت: 284هـ/897م)

174 – كتاب البُلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1893م

175 – تاريخ اليعقوبي: تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م

ثالثاً – المراجع العرَبية:

إبراهيم العدوي (دكتور):

176 – تاريخ العالم الإسلامي، دارالاتحاد العربي، القاهرة، 1983م

إبراهيم عبد الدافع:

177 – طبقات ود ضيف الله الذيل والتكملة، شرح: الشيخ أحمد السلاوي، تحقيق: دكتور محمد إبراهيم أبوسليم والدكتور يوسف فضل حسن، معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية، جامعة الخرطوم، الدار العالمية للطباعة، 1982م

أحمد الحفناوي (دكتور):

178 – سودان وادي النيل في ظلال الإسلام، دار المعارف، القاهرة، 1983م

أحمد أمين:

179 – فجر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996م

أحمد فخري (دكتور):

180 – مصر الفرعونية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1995م

أحمد محمد الحوفي (دكتور):

181 – سماحة الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة الأعمال الدينية، القاهرة، 1997م

أحمد محمد عوف (دكتور):

182 – مدينة الفسطاط (وعبقرية المكان)، سلسلة العلم والحياة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2003م

أسامة عبدالوارث (وآخرون):

183 – معالم تاريخ وحضارة بلاد النوبة، المجلس الأعلي للأثار، القاهرة، 2006م

السيد سابق:

184 – فقه السُنة، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، 1999م

السيد طه أبو سديرة (دكتور):

185 – القبائل اليمنية في مصر، مكتبة الشعب، القاهرة، 1988م

الشاطر بصيلي عبدالجليل (دكتور):

186 – معالم تاريخ سودان وادي النيل، الطبعة الأولي، القاهرة، 1955م

أيمن فؤاد سيد (دكتور) :

187 – الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، الدارالمصرية اللبنانية، القاهرة، 1992م

بابكر فضل المولي:

188 – مظاهر الحضارة في دولة الفونج الإسلامية، الخرطوم، 2004م

جمال زكريا قاسم (دكتور):

189 – الخليج العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1985م

حامد الطاهر البسيوني:

190 – موسوعة آل البيت، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ

حسن جوهر وحسين مخلوف:

191 – السودان أرضه وتاريخه وحياة شعبه، دار الشعب، القاهرة، 1970م

حسن أحمد محمود (دكتور):

192 – حضارة مصر الإسلامية في العصر الطولوني، دار الفكر العربي، القاهرة، دون تاريخ

193 – مصر الإسلامية منذ الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية، القاهرة، 1990م

حسام عبد المعطي:

194 – العلاقات المصرية الحجازية في القرن 18م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م

حسن الباشا (دكتور):

195 – مدخل إلي العمارة والفنون الإسلامية، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة، دون تاريخ

حسن إبراهيم حسن (دكتور):

196 – انتشار الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2000م

197 – (حسن إبراهيم حسن وآخرون) : المُجَمل في التاريخ المصري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2014

حمد الجاسر:

198 – بلاد يَنبُع، طبعة الرياض، دون تاريخ

حُسني نويصر (دكتور):

199 – الآثار الاسلامية، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، 1996م

حمدي عبدالمنعم محمد حسين (دكتور):

200 – دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2000م

حندوقة إبراهيم فرج (دكتور):

201 – الحضارات الأفريقية القديمة وآثارها، القاهرة، 2002م

خالد القاسمي (دكتور):

202 – مُعجم أنساب القبائل العربية، مكتبة النافذة، القاهرة، 2014م

خليل يحيي نامي (دكتور):

203 – العرب قبل الإسلام، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، 1986م

رجب عبدالحليم (دكتور):

204 – العُروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دون تاريخ

سعاد ماهر محمد (دكتورة):

205 – مدينة أسوان وآثارها في العصر الاسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977م

206 – القاهرة القديمة وأحياؤها، المكتبة الثقافية، القاهرة، 1962م

207 – مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلي للشئون الإسلامية، القاهرة، 2009م (1430هـ).

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور):

208 – الظاهر بيبرس، سلسلة أعلام العرب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مطبعة مصر، القاهرة، 1963م

سليمان حُزين (دكتور):

209 – أرض العُروبة رؤية حضارية في المكان والزمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007م

سليمان فياض:

210 – ابن بطوطة رحالة الإسلام، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، 1986م

سميرة فهمي على عمر:

211 – إمارة الحج في مصر العثمانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007م

سيدة إسماعيل الكاشف (دكتورة):

212 – عبد العزيز بن مروان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين، القاهرة، 2005م

شحاتة عيسى إبراهيم:

213 – القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م

شوقي عطاالله الجمل (دكتور):

214 – تاريخ سودان وادي النيل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2008م

صفاء حافظ عبدالفتاح (دكتورة):

215 – الموانىء والثغور المصرية من الفتح الإسلامي نهاية العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010م

الفَحل الفَكيّ الطاهر:

216 – تاريخ وأصول العرب بالسودان، طبعة الخرطوم، دون تاريخ

كرم الصاوي باز (دكتور):

217 – مصر والنوبة في عصر الولاة (دراسة لتاريخ مصر الاجتماعي في ضوء أوراق البردي العربية)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2006م

218 – ممالك النوبة فى العصر المملوكي اضمحلالها وسقوطها وأثره فى انتشار الإسلام في سودان وادي النيل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2006م

عباس مصطفي عمار:

219 – المدخل الشرقي لمصر (أهمية شبه جزيرة سيناء لطريق المواصلات وعبر للموجات البشرية)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2014م

عبد الحليم نورالدين (دكتور):

220 – مواقع ومتاحف الآثار المصرية، القاهرة، 2005م

عبدالحميد حامد سليمان (دكتور):

221 – تاريخ الموانىء المصرية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995م

عبد الحميد يونس (دكتور):

222 – الهلالية في التاريخ والأدب الشعبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1994م

عبد الفتاح مقلد الغنيمي (دكتور):

223 – عروبة مصر قبل الإسلام (دراسة تاريخية أنثروبولوجية أركيولوجية)، القاهرة، 1993م

عبد الكريم الخطيب:

224 – تاريخ جُهينة، تحقيق: ابن غنيم المرواني الجهني، سلسلة تراث الجزيرة العربية، الرياض، الطبعة الثالثة، 1418هـ (1997م).

عبد الله خورشيد البري (دكتور):

225 – القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولي للهجرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992م

الشيخ عبدالله الأمين الضرير:

226 – العربية في السودان، الكتاب اللبناني، بيروت، 1967م

عبد الرحمن الرافعي وسعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور):

227 – مصر في العصور الوسطي من الفتح العربي الغزو العثماني، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990م

عبد الرحمن زكي (دكتور):

228 – بُناة القاهرة في ألف عام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م

229 – الجيش المصري في العصر الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015م

عبد الصبور شاهين (دكتور):

230 – مصر في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م

عبد العزيز أمين عبدالمجيد:

231 – التربية في السودان، وزارة المعارف، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1949م

عبدالقادر محمود (دكتور):

232 – الفكر الصوفي في السودان مصادره وتياراته وألوانه، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، 1968م

عبد المجيد عابدين (دكتور):

234 – بين الحبشة والعرب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2015م

235 – تاريخ الثقافة العربية في السودان، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دون تاريخ

236 – دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، عالم الكتب، القاهرة، 1961م

عبد المنعم ماجد (دكتور):

237 – نُظُم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1982م

علاء الدين عبدالعال:

238 – شواهد القُبور الأيوبية والمملوكية، مكتبة الإسكندرية، 2013م

علي بن ابراهيم فودة:

239 – المُشجر المُبسط في أنساب الحسن والحسين، مكتبة النافذة، القاهرة، 2010م

علي الخربوطلي (دكتور):

240 – تاريخ العالم الاسلامي، معهد الدراسات الاسلامية، القاهرة، 1976م

عمر رضا كحالة:

241 – مُعجم قبائل العرب، دار العلم، بيروت، 1968م

عون الشريف قاسم (دكتور):

242 – مُعجم القبائل والأنساب في السودان، طبعة الخرطوم، 1996م

محمد عبدالله النقيرة (دكتور):

243 – انتشار الإسلام في شرق أفريقية ومناهضة الغرب له، دار المريخ، الرياض، دون تاريخ

محمد عبد الله عنان:

244 – مصر الأسلامية وتاريخ الخُطط المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م

245 – مؤرخو مصر الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م

محمد عوض محمد (دكتور):

246 – السودان ووادي النيل، مطبعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة)، دون تاريخ

247 – الشعوب والسُلالات الأفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1965م

محمد رمزي:

248 – القاموس الجُغرافي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2010م

محمد فتحي عوض الله (دكتور):

249 – رحلات جيولوجية في صحراء مصر الشرقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008م

محمد غريب جودة:

250 – عباقرة علماء الحضارة العربية والاسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2004م

محمد سعيد مرسي:

251 – عُظماء الإسلام، مؤسسة اقرأ، القاهرة، 2005م

محمد حسن عبد الحافظ:

252 – سيرة بني هلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة التراث، القاهرة، 2006م

محمد حسين هيكل (دكتور):

253 – حياة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996م

محمد غيطاس (دكتور):

254 – حملة اليونسكو وأضواء جديدة علي تاريخ النوبة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1987م

محمد حمزة الحداد (دكتور):

255 – النقوش الآثارية مصدرا للتاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، المجلد الأول، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، دون تاريخ

محمد صالح ضرار:

256 – تاريخ السودان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م

مصطفي محمد مسعد (دكتور):

257 – الإسلام والنوبة في العصور الوسطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011م

258 – المكتبة السودانية (مجموعة النصوص والوثائق العربية الخاصة بتاريخ السودان في العصور الوسطى)، مطبوعات جامعة القاهرة بالخرطوم، الطبعة الأولى، 1972م

ممدوح عبد الرحمن الريطي (دكتور):

259 – دور القبائل العربية في صعيد مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، دون تاريخ

القس منسي يوحنا:

260 – تاريخ الكنيسة القبطية، مكتبة المحبة، طبعة القاهرة، 1983م

يوسف فضل حسن (دكتور):

261 – مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، جامعة الخرطوم، 1989م

262 – دراسات في تاريخ السودان وأفريقيا وبلاد العرب، طبعة الخرطوم ، دون تاريخ

263 – دراسات في تاريخ السودان، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، الطبعة الأولي، 1975م

الأطلس العربي:

264 – وزارة التربية والتعليم، القاهرة، 1985م

رابعاً – المراجع المُعرَّبة:

بتلر:

265 – الكنائس القبطية في مصر، ترجمة: إبراهيم سلامة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م

جوستاف لوبون:

266 – حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، مكتبة النافذة، القاهرة، 2012م

جولدتسهير:

267 – مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: عبد الحليم النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013م

جيمس هنري برستد:

268 – تاريخ مصر من أقدم العصور إلي الفتح الفارسي، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م

دي بورج:

269 – تراث العالم القديم، ترجمة: زكي سوس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة العلوم الإجتماعية، القاهرة، 2008م

رولاند أوليفر:

270 – موجز تاريخ إفريقية، ترجمة: دولت صادق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1965م

ستانلي لينبول:

271 – سيرة القاهرة، ترجمة: الدكتور حسن إبراهيم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997م

272 – تاريخ مصر فى العصور الوسطى، ترجمة: أحمد سالم، مراجعة: الدكتور أيمن فؤاد سيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015م

ستيفنسون:

273 – بعض جوانب انتشار الإسلام في جبال النوبة (الإسلام في أفريقيا الأستوائية)، تحرير: آي. إم. لويس، ترجمة: الدكتور عبدالرحمن الشيخ، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010م

روبرت أو. كولينز:

274 – تاريخ السودان الحديث، ترجمة: مصطفى مجدي الجمال، مراجعة: حلمي شعراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2015م

فيشر:

275 – تاريخ أوروبا، ترجمة: الدكتور محمد مصطفى زيادة، دار المعارف، القاهرة، 1966م،

كولين ماكفيدي:

276 – أطلس التاريخ الأفريقي، ترجمة: مختار السويفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م

ليزلي جرينر:

277 – سد عالي فوق النوبة، ترجمة: علي جمال الدين عزت، مراجعة: الدكتور محمد جمال الدين مختار، سلسلة دراسات أفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966م

عزيز عطية سوريال (دكتور):

278 – تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة: الدكتور ميخائيل مكسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2012م

الأنبا مارتيروس:

279 – الرهبنة القبطية (الأم لرهبانيات العالم) مكتبة مارجرجس، القاهرة، 2002م

ك. ك. والترز:

280 – الأديرة الأثرية في مصر، ترجمة: إبراهيم سلامة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005م

ويليام ي. آدامز:

281 – النوبة رواق إفريقيا، ترجمة: محجوب التيجاني، القاهرة، 2005م

رابعاً – الدوريات العربية:

إبراهيم إسحق إبراهيم:

282 – السيرة الهلالية بين التاريخ والأسطورة، مجلة المأثورات الشعبية، الدوحة، السنة الخامسة، عدد 20، 1990م

أمال أحمد العمري (دكتورة):

283 – زخارف شواهد القبور الإسلامية قبل العصر الطولوني، حوليات هيئة الآثار المصرية، القاهرة، 1986م

أمين الطيبي (دكتور):

284 – بنو هلال ودورهم في الجهاد في أفريقيا والأندلس، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين، طرابلس، السنة السابعة، العدد الأول، يناير 1985م.

حسن الباشا (دكتور):

285 – تاريخ وآثار سيناء في العصر الإسلامي، ندوة آثار سيناء عبر العصور، المجلس الأعلي للثقافة، لجنة الآثار، القاهرة، 2002م.

حسين مراد (دكتور):

286 – تاريخ دهلك وحضارتها في القرون الستة الأولى من الهجرة من خلال شواهد القبور، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، العدد 87، مايو 2008م

زُبيدة عطا (دكتورة):

287 – دولة المماليك وسقوط ممالك النوبة المسيحية، ندوة الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م

رجب عبد الحليم (دكتور):

288 – ميناء عيذاب ووادي العلاقي وأثرهما في علاقة مصر بالسودان حتى نهاية القرن 9هـ/15م، ندوة الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ، لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلي للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية، ، جامعة القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م

روزلين ليلي قريش:

289 – سيرة بني هلال، موفم للنشر، الجزائر، 1988م

سوزي أباظة (دكتورة):

290 – النوبيون بين مصر والسودان في العصر الفاطمي، ندوة الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م

عبد الحميد حواس (دكتور):

291 – مدارس رواية السيرة الهلالية في مصر، أعمال الندوة العالمية الأولي حول السيرة الهلالية، الحمامات، الدار التونسية للنشر، تونس، 1990م

عبد الرحمن عوض (دكتور):

292 – العلماء السودانيون بمصر ودورهم في العلوم الشرعية في القرن الأول الهجري (الإمام يزيد بن أبي حبيب نموذجاً)، العلاقات المصرية السودانية عبر العصور، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، 2009م

عبدالمنعم ماجد (دكتور):

293 – صلاح الدين الأيوبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999م

عطية القوصي (دكتور):

294 – تاريخ ميناء باضع في القرون الخمسة الأولي للإسلام، مجلة الدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، عدد 11، 1982م

علي محمد برهانة:

295 – سيرة بني هلال (دراسة أدبية لغوية مقارنة)، تقديم: د. نبيلة إبراهيم، منشورات كلية الآداب والتربية، جامعة سَبها، 1994م

الأب فيلوثاوس فرج:

296 – كنيسة الإسكندرية في ممالك النوبة المسيحية، ندوة العلاقات المصرية السودانية عبر العصور، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، 2009م

كرم الصاوي باز (دكتور):

297 – القصص الشعبي فى بلاد السودان عنترة – الهلالية – سيف بن ذي يزن نموذجاً خلال القرن 8هـ/14م، دار نفرتيتى للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015م

298 – قبيلة جُهينة ودورها الحضاري في دعم روابط الاتصال بين مصر والنوبة منذ الفتح العربي حتي نهاية العصر الفاطمي، المؤتمر الدولي عن العلاقات المصرية السودانية عبر العصور، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، 2009م

299 – المُعمَمون السودانيون في الأزهر الشريف في عصر دولة سلاطين المماليك، ندوة تاريخ الوطن العربي عبر العصور، إتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، 2008م

300 – الوكالات التجارية حلقة وصل بين مجتمعات البحر الأحمر ومدغشقر وجزر القمر في الفترة من 648-923هـ/1250-1517م، ندوة إتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، البحر الأحمر عبر العالم العربى على مر عصور التاريخ، القاهرة، 2003م

301 – طرابلس – أسوان – عيذاب – دنقلة: طريق نحو التقارب والانفتاح الاقتصادي في العصر الفاطمي الثاني إلى دولة المماليك البحرية، المؤتمر الدولي لمركز البحوث السودانية بعنوان "المثلث الذهبي– امكانات التكامل والتنمية"، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، المجلد الأول، جامعة القاهرة، القاهرة، 2013م

محمد كريم إبراهيم (دكتور):

302 – أثر العرب في بلاد البجة وجزر دهلَك على انتشار الإسلام والثقافة العربية في شرق أفريقيا، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، العدد الأول، 1997م

محمد محمد أمين (دكتور):

303 – العبدلاب وسقوط مملكة علوة، مجلة الدراسات الأفريقية، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، العدد الثاني، 1973م

محمد عبدالعال أحمد (دكتور):

304 – النوبة والمحاولات الإسلامية لفتحها، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، 1987م

مصطفي محمد مسعد (دكتور):

305 – البجة والعرب في العصور الوسطي، مقال منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، القاهرة، العدد الحادي والعشرون، المجلد الثاني، ديسمبر 1959م

306 – معاهدة البقط نمط فريد في مجال العلاقات الدولية في الإسلام، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد بن سعود، الرياض، العدد الخامس، 1975م

307 – امتداد الإسلام والعروبة إلي وادي النيل الأوسط، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، العدد الثامن، 1959م

خامساً – الرسائل العلمية:

حسن مدني حسن محمود:

308 – دراسة تاريخية وأثرية للجماعات العربية في أسوان والنوبة نهاية العصر الأيوبي علي ضوءمجموعة شواهد القبور المكتشفة بجبانة أسوان، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، 1997م

شوقي عبدالقوي عثمان:

309 – العلاقات التجارية بين مصر والدول الأفريقية في عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، 1975م

عبد الرازق عبدالمجيد سليم:

310 – العلاقات بين مصر والنوبة في العصر الفاطمي، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، 1978م

نوال علي محمد عبدالعزيز:

311 – العرب في شرق أفريقيا من القرن 8م وحتى تدخل البرتغال في القرن 15م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، القاهرة، دون تاريخ

سادساً – كُتب الموسوعات:

رجب عبدالحليم (دكتور):

312 – تاريخ أفريقيا الإسلامي والوسيط، الموسوعة الأفريقية، المجلد الأول، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1997م

شوقي عطاالله الجمل (دكتور):

313 – تاريخ بلاد النوبة وأفريقيا الشرقية القديم، الموسوعة الأفريقية، المجلد الأول، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 1997م

الموسوعة الثقافية:

314 – مؤسسة دار الشعب، القاهرة، 1972م

موسوعة وصف مصر:

315 – تأليف علماء الحملة الفرنسية، المجلد الحادي عشر، ترجمة: منى زهير الشايب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م

هـ. أ. ر. جب وجـ. هـ. كالمرز:

216 – الموسوعة الاسلامية الميسرة، ترجمة: الدكتور راشد البراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013م

سابعاً – مواقع علي الإنترنت:

317 – موقع السلالات العربية

318 – موقع www.al-mostafa.com

319 – موقع www.alsahafasd.net

320 – موقع www.arabiandna.com

321 – موقع ar.wikipedia.org

322 – موقع www.dnaarab.com

323 – موقع www.hdrmut.net

324 – موقع www.johina.net

325 – موقع www.qassimi.com

326 – موقع www.masrawy.com

327– موقع www.sudaneseonline.com

328 – موقع ملتقى جُهينة التاريخي، www.tarekjohina.com

ثامناً – المراجع الأجنبية:

1- **A. Paul**: A History of the Beja Cambridge University Tribes of the Sudan, 1954

Basil Davidson:

2 - The Growth of African Civilization East & Central Africa to the Late Nineteenth Century , Longman Group, London , 1970

Bernard Lewis:

3 - Les Arabes Dans l'Histoire, Bruxelles, Belgique, 1958

Bertram Thomas:
4 - The Arabs, London , 1937
Crawford:
5 - The Fung Kingdom of Sennar, John Bellows LTD., Gloucester, 1951
5 – Sudan Antiquities Service, No. 2, Castles & Churches in the Middle Regions, Khartoum, 1953
Caroline Williams:
6- Islamic Monuments, AUC, Cairo, 2008
D. G. A. Whitten & J. R. V. Brooks:
7- Dictionary of Geology , Penguin Books , London , 1975
El-Hawary H. M. , ETR:
8 - Catalogue general du Musee Arabe du Caire (Stele Funerares) , Tome I , Le Caire , 1932
E. B. Uvarov & D. R. Champan:
9 - A Dictionary of Science , Penguin Reference Books , London , Great Beitain , 1962
Geoff. S. Mileham:
10 - Churches in Lower Nubia, University of Pennsylvania
Giuseppe Marino & M. Costanza De Simone:
11 - Nubia Submerged, Istituto Italiano Di Cultura, Cairo, 2000
H. A. Macmichael
12 - Tribes of Northern & Central Kordofan , Cambridge University Press , 1922
13 – A History of the Arabs in the Sudan , Volume I & II , Cambridge, 1922
Hazem Z. Nuseiba :
14 - The Ideas of Arab Nationalism , Cornell University Press, New York, 1959
H. G. Wells:
15 - A Short History of the World , Pelican Books (Penguin Books) , Great Britain , 1982
J. D. Fage:
16 - The Cambridge History of Africa, Vol. II, Cambridge University Press, No Date
J. Spencer Trimingham:
17 - A History of Islam in West Africa , Glasgow University Publications , Oxford University Press , London , No Date
Jill Kamil ;
25 - Coptic Egypt , The American University in Cairo , 1987
Jocelin Gohary:
18 - Guide to Nubian Momnuments & Lake Nasser ,

The American University in Cairo , 1998
Marian Wenzil:
19 -House Decoration in Nubia,Duckworth Publisher, London,1972
Michael Russel:
20 - Nubia& Abyssinia, Harper&Brother Publishers new york, 1954
Philip K. Hitti:
21 - The Arabs A Short History , Princeton University Press , U S.A , 1943
Peter Geiser:
22 - The Egyptian Nubians A Study in Social Symbiosis , The American University Press , Cairo , 1989
Raymond Firth:
23 - Human Types (An Introduction to Social Anthropology) , A Mentor Book , Printed in U.S.A , New York , 1958
Renouf:
24 - Outlines of General History , London , 1910
Sebastian Bullough:
26 - Roman Catholicism , A Pelican Book , London , 1963
Shaban:
27 - Islamic History, Cambridge Press, 1971
Toby Wilkinson:
28 - Dictionary of Ancient Egypt , Thames & Hudson World of Art , Printed in China , 2008
W. B. Emery & A. J. Mills:
29 - The Cemetries of Qasr Ibrim A report of the Excavation, Egypt Exploration Society, London, 1982
W. G. De Burgh:
30 - The Legacy of the Ancient World , Volume II , A Pelican Book , London , 1953

تاسعاً – الدوريات الأجنبية:

Abd Al- Magid Abdin;
31 - Some General Aspects of the Arabisation of the Sudan, , Sudan Notes & Records, Vol. XXXIX, 1958
A. J. Arkell:
32 - The history of Darfur , Part IV , , Sudan Notes & Records , Vol. 33 , No. II University of Khartoum , 1952

33 - A. Paul: The Hadareb Astudy in Arab - Beja Relationship Arab Beja Relationship, Sudan Notes & Records, Vol XXXIX, 1958

F. F. Gadallah;
34 - The Egyptian Contribution to Nubian Chrisianity, Sudan Notes & Records , Vol. XXXIX , 1958

Jay Spaulding:
35 - Medieval Christian Nubia & The Islamic World: a Reconsideration of the Baqt Treaty, the International Journal of African Historical Studies, Boston University , Vol .28, N .3 , 1995

K.D.D. Henderson:
36 - Fung Origins , Sudan Notes & Records, Vol. 18, No. I, University of Khartoum ,
1935

L. P. Kairwan:
37 - A Survey of Nubian Origins , Sudan Notes & Records , Vol. 20 , N.1,1937, University of Khartoum

Mustafa M. Musad:
38 - The Downfall of the Christian Nubian Kingdoms, Sudan Notes & Records , Vol. 40, University of Khartoum , 1959

Paul Bowers:
39 - Nubian Christianity the neglected Heritage , Africa Journal of Evangelical Theology , IV , 1985

R. C. Stevenson:
40 - Linguistic Research in the Nuba Mountains , Sudan Notes & Records, Vol. 43 , University of Khartoum , 1962

S. Hillelson:
41 - Nubian Origins , Sudan Notes & Records, Vol. 13 , No. 1, University of Khartoum, 1930

W. Y. Adams:
42 - Medieval Nubia Another Golden Age , Expedition , Volume 32 , No. 2 , 1993

Jan Zohorik:
43 - The Islamization of the Beja until the 19 th Century , Beitrage zur I . Kolner Afrikawissenschaftlichen Nachwuchstagung (Kant I)

عاشراً – موسوعات أجنبية:

45 - **Encyclopedia of Universal Knowledge:**

The Teach Yourself Concise Encyclopdia of General Knowledge, London , 1958

46 **- Hutchinson's New 20th Century Encyclopedia:** Edited by: E. M. Horsely , London , 1964
47**- John Meddileton (& Others):**
Encyclopedia of Africa South of the Sahara , Volume I , Macmillan Library Reference USA , Charles 's Scrbners Sons New York , 1997
48 **- The Cambridge Paperback Encyclopedia**: Edited by: David Crystal , Cambridge University Press , Third Edition , 2000
49 **- The Great Encyclopedia of Universal Knowledge**: London , No Date ,
50 **- The New American Desk Encyclopedia**: A Sigent Book , New American Library , New York , 1984

*****

ملخص الدراسة

عنوان هذه الدراسة "قَبيلةُ جُهَينة ودَورُها الحَضاري في مصر وسُودَان وادي النيل منذ القَرن الثالث وحتي القَرن التاسع الهجري"، وهى تتكون من الفصل التمهيدي وستة فصول رئيسية، إضافة إلى خاتمة البحث، والملاحق، والخرائط والأشكال، وقائمة المصادر والمراجع. يتناول **الفصل التمهيدي** تاريخ قبيلة جهينة العربية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، ويتحدث هذا الفصل عن نسب قبيلة جهينة، وإشكالية نسب جدها قضاعة، وهل ينتسب إلى عرب عدنان، أو إلى عرب قحطان. كما يتناول الفصل أيضاً موطن جهينة الأول في بلاد العرب، وأعلام هذه القبيلة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وكذلك العلماء، إضافة إلى الأحداث التاريخية التى ارتبطت بهذه القبيلة إبان العصر الإسلامي. ويعالج الفصل أيضاً هجرات عرب جهينة غلى مصر بعد الفتح العربي (20هـ/640م)، ثم استقرارهم في مصر، وكذلك خططهم في الفسطاط والجيزة.

أما **الفصل الأول**، وعنوانه: "استقرار عرب جُهينة في صعيد مصر في القرن 3هـ/9م"، وهو يتناول هجرة عرب جهينة إلى صعيد مصر، وأسباب تلك الهجرة السياسية والاقتصادية، ثم استقرارهم في إقليم الأشمونين، وحدوث الفتنة بينهم وبين بطون قريش خلال أيام الدولة الفاطمية، ودور الفاطميين في تأييد قريش ضد جهينة، وهو ما أدى إلى هزيمتهم، ومن ثم جبارهم علي الهجرة إلى إقليم أخميم حيث كانت تسكن جماعات عرب بلي، وهم من القبائل القضاعية مثل جهينة. ثم وقوع الصراع بين جماعات جهينة وبلي في أخميم بسبب الخلافات حول الأراضي الخاصة بجماعات كل قبيلة منهما، ثم التصالح بين كلتا القبيلتين. وينتهي الفصل بالحديث عن شواهد القبور باعتبارها دليلاً علي وجود عرب جهينة القوي، واستقرارهم في القرى والمدن المصرية.

بينما يحمل **الفصل الثاني** عنوان: ""هجرة عرب جُهينة إلي بلاد البجة"، وهو يعالج الهجرات الجهنية إلى أرض البجة التى تقع ما بين البحر الأحمر والنيل، وتمتد من مصر شمالا أثيوبيا جنوبا. كما يناقش الفصل أسباب تلك الهجرات، ودور الحملات العسكرية التى أرسلتها الخلافة العباسية في تحفيز عرب جهينة علي الذهاب إلى تلك البلاد، خاصة حملة ابن الجهم (232هـ/841م)، وحملة القُمي (241هـ/854م) جُهينة وحملة العمري (255هـ/869م). كما يتحدث هذا الفصل عن استقرار جهينة في العلاقي، والعمل في استخراج الذهب وتجارته، ومن ثم دور عرب جهينة في ازدهار وعمران بلاد البجة، وهو ما أدى إلى بروز مظاهر لمجتمع جهني في بعض المناطق هناك، مثل: ميزاب ورحم.

أما **الفصل الثالث**، فهو بعنوان: "العلاقة بين جُهينة والقبائل العربية في بلاد البجة"، وهو يتحدث عن كيف كانت العلاقة التى جمعت عرب جهينة وباقي اقبائل الأخرى التى سكنت بلاد البجة، وما حدث من تنافس بينها، وهو ما أدى إلى تحول ذلك التنافس إلى شكل من أشكال الصراعات التى تحول بعضها إلى صراع دموي، مثل ما حدث بين عرب جهينة وجماعات ربيعة، والتى كانت تمثل أكبر الجماعات العربية قوة، وكان بنو ربيعة هم المنافس الرئيس لعرب جهينة في بلاد البجة، واستفاد بنوربيعة من علاقتهم الطيبة بالحداربة زعماء بلاد البجة، وهو ما جعلهم ينتصرون علي جماعات جهينة خلال ذلك الصراع. كما وقع صراع آخر بين جهينة وعرب رفاعة، وهم من قضاعة أيضاً، ورغم قرابة النسب بين القبيلتين، فإن ذلك لم يحل دون وقوع الفتنة بين هاتين القبيلتين القضاعيتين. ثم ينتهي هذا الفصل بالحديث عن دور عرب جهينة، وأثرهم الحضاري الذي تركوه في بلاد البجة.

بينما **الفصل الرابع** يحمل عنواناً، وهو: ""عرب جُهينة وسلاطين المماليك" (648-923هـ/1250-1517م)، وهو يعالج إشكالية العلاقة بين كل من عرب جهينة وسلاطين المماليك، من خلال نظرة كل طرف إلى الآخر، خاصة وأن عرب جهينة كانوا ينظرون إلى المماليك باعتبارهم حكاما غير شرعيين للبلاد، لأنهم من الرقيق، ومن ثم فليس لهم أن يحكموا العرب، وهم من أصل شريف. وهو ما جعل عصر المماليك يشهد الكثير من الصراعات بين الحلف الذي أقامه عرب جهينة، وكان يضم العديد من القبائل العربية الأخرى التى كانت ترفض حكم المماليك، وقاد هذا الحلف أحد زعما جهينة، وهو ابن الأحدب، الذي ينتسب لقبيلة عرك، وهى من بطون جهينة. كما شهدت هذه الحقبة صراعا أخر بين عرب جهينة وبني هلال، وذلك بتحريض من أمراء المماليك. وعلي أية حال، انتهى الصراع بين عرب جهينة وحلفائهم من جانب والمماليك من جانب بهزيمة الحلف العربي، ومن ثم زاد المماليك في اضطهادهم لعرب جهينة، وهو ما جعلهم يضطرون للهجرة إلى بلاد النوبة بعد ذلك.

أما **الفصل الخامس**، وعنوانه: "هجرة جُهينة إلى النوبة المسيحية إبان القرن 8هـ/14م"، فهو يناقش هجرة الجهنيين إلى بلاد النوبة، إذ يتحدث عن أحوال بلاد النوبة خلال هذه الهجرة، كما يتحدث عن ممالك النوبة المسيحية الثلاثة: نوباديا، والمقرة، وعلوة، والعلاقة بين كل منهم. كما يتناول هذا الفصل الطرق والمسالك التى سلكها الجهنيون للوصول إلى بلاد النوبة، ثم يتحدث عن دورهم في سقوط ممالكة المقرة، وكذلك دورهم الأهم في سقوط مملكة علوة، وهو ما ساعد علي نشر العروبة والإسلام في تلك البلاد. ثم يناقش هذا الفصل بعض الروايات الت تذكرها بعض المصادر والتى تحدثت عن دور عرب جهينة في إحداث حالة من الفوضى والاضطرابات بعد أن هاجروا إلى بلاد النوبة.

ويحمل **الفصل السادس** عنوان: "عرب جُهينة ودورهم في تعريب بلاد النوبة"، وهو يتحدث عن العلاقة بين عرب جهينة وملوك علوة، وما حدث من تقارب بينهم بسبب المصاهرة، ومن ثم انتقال أمور الحكم إلى عرب جهينة في بلاد النوبة. ثم يتحدث الفصل عن دور عرب القواسمة في مملكة علوة، وهم من عرب جهينة، ودور زعيمهم عبدالله جمَّاع في إسقاط مملكة علوة المسيحية من خلال التحالف مع ملك الفونج عمارة دونقس. ثم يناقش هذا الفصل الروايات والوثائق السودانية المختلفة حول التحالف بين العبدلاب والفونج، ودور هذا التحالف في إسقاط مملكة علوة، وكذلك دور عرب جهينة في تأسيس العديد من المدن العربية في هذه المملكة مثل: أربجي وقري، وغيرهما، ثم ينتهي الفصل بالحديث عن دور عرب جهينة في تعريب بلاد النوبة، ونشر الإسلام بين شعب هذه البلاد.

ثم تنتهي هذه الرسالة **بالخاتمة** التى عرض فيها الباحث لأهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة، وتأكيد الدور الحضاري الكبير الذي لعبه عرب جهينة في مصر وسودان وادي النيل، خاصة دورهم الكبير في نشر العروبة والإسلام في تلك البلاد. ويمكن القول، بأن هذه الدراسة اعتمدت علي عدد كبير من المخطوطات السودانية، وكذلك المصادر التقليدية، إلى جانب عدد كبير من المراجع العربية والمعربة، وكتب الموسوعات، سواءا بالعربية والإنجليزية. كما تناولت هذه الدراسة الموضوع التاريخي الذى أعدت من أجله من خلال المنهج التاريخي الذي يعتمد علي النقد والتحليل، ومناقشة الروايات المختلفة، وتحليلها بشكل موضوعي، بهدف الوصول إلى الحقيقة التاريخية.

* * * * *

Cairo University
African Institute of Researches & Studies
Islamic History Depatment

Tribe of Juhayna
and its Cultural Role in Egypt & Nilotic Sudan from 3rd to 9th Century A. H

Athesis presented to get the Master Degree
In Islamic History

Prepared by:
Ismail Hamed Ismail Ali

Under the Supervision of:

Prof. Dr:
Husein Sayed Abdullah Murad
Prof. of Islamic History
African Researches & Studies Institute
Cairo University

Prof. Dr
Karam Al - Sawy Baz
Prof. of Islamic History
African Researches & Studies Institute
Cairo University

Summary of the Study

This Study is entitled: **"Tribe of Juhayna and its Cultural Role in Egypt & Nilotic Sudan from 3th to 9th Century A. H"**. The Researher contains an introductory chapter and 6 main chapters. The **Introductory Chapter** talks about the story of Juhayna till the 3rd Century A.H., It discusses too the pidgree of this tribe & the origin of its far grandfather called Qudda'a and wether he belongs to tribes of Adnan or to tribes of Qahtan. Then it talks about the original homeland of Juhayna in Arabian Peninsula, then their migration to Egypt after Arab Conquest (20 A.H – 640 A.D), then the plans of Juhayna in Fustat & Giza.

The **First Chapter** Is discussing the settlement of Juhayna in south of Egypt during the 3rd century A.H, the political & economic reasons of this migration during this time. Then their existnce in Al-Ashmounin , and what happens later with Quraish tribes there. Juhayna was defeated against Quraysh because the support of Fatimides to their adversaries. Then Juhayna obliged to move to Akhmim after that, where their cousins of tribe of Beli were living in it. Then occurred akind of dispute with Beli groups in Akhmim, but both of two tribes reconciled after that.

The **Second Chapter** is talking about migration of Juhayna to Land of Beja, reasons of their migration, thr role om military compagns sent by Abassid Caliphs in encouraging Juhayna groups to go to Beja. It discusses too the settlement of this tribe in Ouadi Al – Aqi , where they worked in the gold mines & trading of gold, it explains role of Juhayna in urbanizing Beja & flourishing life there.

The **Third Chapter** focused on the relation between Juhayna and other Arab tribes in Beja, the disputes occurred between them, spicially the relation with Beni Rabe'a, who Kept very good relations with Hadareba, masters of Beja during this time, for this reason Juhayna was defeated by Beni Rabe'an then obliged to leave land of Beja after that.

The **Fourth Chapter** was devoted to talk about the situation of Juhayna during Mamluk Period (648-923 A.H – 1250-1517 A.D), their role to unite Arab tribes against Mamluks, considering them as illegetimate kings because of their origin as slaves. But the

allies made by Juhayna and other tribes defeated by Mamluk army, then Juhayna was obliged to migrate to Nubia.

The **Fivth Chapter** talks about the coming of this tribe to Nubia and their existence in it, it gives some informations about Nubian christian kingdoms: Makouria & Alloudia. This chapter is discussing the role that Juhayna played to collapse both of these Nubian kingdoms.

The **Sixth Chapter** is focusing on Arabs of Quassima led by a man called Abdullah Jima', and their role in defeating kings of Alloudia with military support of Fung king called Omara Dunqs. It talks about the difference between Sudanese documents & manuscripts concerning the alliance between Abdulab & Fung to collapse Alloudia. Then, it discusses the role of Juhayna in arabizing Nubia and spreading Islam among its people.

This Study is including of an important **Conclusion**, with the main results that the researcher concluded after this long Study. It also has a liste of big number of original manuscripts & documents, references that en riching this Study. We could say that Researcher depended during the time of preparing this Study on the criticising & analysing historical method in discussing all the items of his Study.